

تفسير القرآن الكريم

الجزء التاسع من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



مِلْمُ الْحَالِ الْحَالِي الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْحَالِ الْح

﴿ قَالَ الْمَلَا الَّذِينَ اسْتَكْمَرُوا مِن قَرِيمِ الْمُخْرِجَنَكَ يَشْمَتُ وَالَّذِينَ امْنُوا مَعَكَ مِن قَرَيْتِنَا الْوَلَتَعُودُنَ فِي الْمَرْيَنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدَنَا فِي الْمِكْمُ اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدَنَا فِي الْمِكْمُ اللّهِ مَنْ اللّهُ كَذِبًا إِنْ عُدَنَا فِي الْمِكْمُ اللّهِ مَنْ اللّهُ وَيَعَالَ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَمَنْ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ عَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

المقردات :

المسلاء الرؤساء والوجهاء.

قىرىتىدا، ھى مدين.

مستساء ديننا.

افتريسناه الافتراء: أقبح الكذب.

وما يكون الناء أي: وما ينبغي وما يصم لذا.

افتحه احكم.

المنسانتين والماكمين .

التفسيره

٨٨- قَالَ الْمَاذُ الَّذِينَ اسْتَكَبُّرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنْخُرِجُنْكَ يَاهُغَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامُنُواْ مَعَكَ مِن قَرْبُعَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلْيَتِنَا قَالَ أَوْلُوْ كُنَا كَارِهِينَ .

تشير هذه الآية إلى ردُ هؤلاء الكفار على رسولهم فقد أخلص لهم النصيحة ودعاهم إلى توحيد الله تعالى ونهاهم عن الفساد في الأرض، وحدَّرهم من التطاول على المؤمنين، وذكَّرهم نعم الله المتعددة عليهم وهذا في الآيات السابقة من الآية ٨٥ إلى الآية ٨٧ . من هذه السورة: سورة الأعراف.

ویدلا من استجابتهم ادعوة الإیمان ، أن وقوقهم علی الحیاد فإنهم تطاولوا علی نبی الله شعیب وفددوه ومن معه بالطرد من یلدتهم أو عودتهم ورجوعهم إلی ملة الكافرین .

أى: لابد من أحد الأمرين: إما الإخراج، أو العود إلى دين الكافرين.

قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ .

أي: أتميدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها ؟! أو: أتضرجوننا من قريتكم في حال كراهتنا للغروج منها ، فليس لكم ذلك ، ولا يصح لكم أن تكرهونا على ما لا نريد ، فإن المكره لا اختيار له ، ولا تعدُّ موافقته موافقة ولا عوده عودًا .

وهذا الصراع بين المق والباطل ، وبين الرسل والكفار ؛ مشهد متكرر في جميع الرسالات ، من عهد آدم ونوح إلى عهد محمد ﷺ .

يقف المرسلون جميعًا في جانب الدعوة إلى الحق، ويقف الجاحدون جميعًا في جانب التكذيب.

كأنما تواصى الكفار المحدثون والقدامي بأن يسلكوا نفس هذا المنهج قال تعالى:

أَتُوامَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمُ طَاهُونَ • فَمَنَّ عَنْهُمْ فَمَا أَلْتَ يَمَلُوهِ • وَذَكُرْ فَإِنْ اللَّكُونَ مَفَعَ الْمُونِينِ • ومَا خَلَفْتُ الْنِينَ وَالإس إِلَّا لِمَعْدُونِ • مَا أَرِيدُ مَهُمْ مَنْ رَدِّقِ وَمَا أَرِيدُ أَن يُطْعِفُونَ • وانْ اللَّهَ هُوَ الرَّاقُ فَو الْقُولُةِ الْمَبِينُ ،(الداريات: ٥-٨٥).

وفي الآية ٥٢ من سورة الداريات : كُلِّلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهم مِّن رُّسُولِ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .

وهَى سورة إبراهيم جمع الله كلام الرسل إلى قومهم كما جمع كلام الذين كفروا لرسلهم ؛ لأنه كلام متشابه . قال تعالى: وَقَالَ اللّبِينَ كَفَرُواْ يُرمُلِهِم أَتَشْهِرِجَنكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ تَشُودُنَّ فِي مِلْشِا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَتُهُلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . (إبراهيم: ١٣)

٨٩ - قَدِ ٱقْتَرِيُّنَا عَلَى اللَّهِ كَلِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا ٱللَّهُ مِنْهَا ..

قال المؤمنون للكفار: لقد آمنا بالله وعرفنا أن الإيسان حق وصدق وأن الكفر والشرك كنب وياطل ومحض اختلاق: إذ ليس للكون كله إلا إله واحد هو خالقه ومدبره ومعبوده ، فمن ادعى أن لله شريكا ؛ فقد افترى على الله الكنب ؛ لأنه ادّعى نقص ألوهيته وربوبيته .

فعا أقبح رما أشنع أن نرجع إلى الشرك الذي أنتم عليه بعد أن خلصنا الله منه وهدانا إلى الإيمان . وَمَا يَكُونُ ثُنَا أَن تُودُ فَيِهَا إِلاَّ أَن يُشَاءَ اللَّهُ رَبُّنًا .

أى: وما يصح وما يتصور منا أن نعود ونرجع إلى ملتكم بعد أن نجانا الله منها ، إلا أن يكون ذلك عن مشيئة سابقة لله فينا، وعن قدر قدره علينا، فنلك من شأن الله وحده؛ هو الذي يملك من أنفسنا ما لا نملك فإذا كان الله قد شاء لنا أن نعود القهقري إليكم ونرد على أعقابنا معكم، فنحن مستسلمون لأمر الله راضون بحكمه ، أما نحن فى ذات أنفسنا فعلى عزم صادق ألا نعود فى ملتكم أيدًا إلا أن ينحلُ هذا العزم بيد الله ، لأمر أواده الله ، وقضاء قضى به .

وَسِعَ رَبُّنَا كُلُّ هَيْءٍ عِلْمًا .

أي: أحاط علم خالقنا بكل ما كان وما سيكون من الأشهاء ومن جملة ذلك أهوال عباده ونهاتهم ، فلا يعيدنا إلى الكفر بعد أن أنقذنا منه ، ما دمنا معتصمين بحيله المترن ودينه القويم .

عَلَى اللَّهُ تَوَكُّلُنَا رَبُّنَا ٱلْعَمْ يَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَلْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ.

أي: على الله وحده توكلنا ، وفوضنا إليه أمر تخليصنا من الأشرار وتثبيتنا على الإيمان .

اللهم يا ربنا ، احكم بيننا وبين قومنا بالحق ، بنصر المحقين على المبطلين ، أو أظهر أمرنا ؛ حتى يتكشف ما بيننا وبينهم ، ويتميز المحق من المبطل .

والتعبير بقوله: ٱلْقُحُ ؛ لأن القضاء بالحق يفتح الأمر المغلق.

وَّأَلتَ غَيْرٌ ٱلْفَاتِحِينَ : وأنت سبحانك أفضل الحاكمين وهو تذييل مقرر لمضمون ما قبله .

والفتح : أصله إزالة الإغلاق عن الشىء ، واستعمل فى الحكم ، لما فيه من إزالة الإشكال فى الأمر ، ومنه قيل للحاكم : فاتح وفتاح : لفتحه أغلاق الحق .

آخرج البهيقى عن ابن عباس قال: ما كنت أدرى قوله تعالى : زُبَّنا أَقْتُحُ ـ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها وقد جرى بينها وبينه كلام : تعال أفاتمك ، تريد : أتاضيك وأحاكمك .

جاء في التفسير الوسيط:

والخلاصة : أنك إذا تأملت في ردّ شعيب على ما قاله المستكبرون من قومه، تراه يمثل أسمى ألوإن الحكمة وحسن البيان فهو يردّ على وعيدهم وتهديدهم ، بالرفض التام لما يبغون ، والبغض السافر لما يريدونه منه ، ثم يكل الأمور كلها إلى الله ، مظهرا الاعتماد عليه وحده ، ثم يتجه إلى الله سبحانه بالدعاء ملتمسًا منه أن يقصل بينه وبين قومه بالحق الذي مضت به سنته في التنازع بين المرسلين والكافرين ، وبين سائر المحقين والمبطلين والكافرين ،

﴿ وَهَالِلْلَا ۚ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن فَرِيمِ لَمِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْنَا إِنَّكُو لِلَّالَخُولِوَ الْكَافَ اللهِ الْخَلَامُ اللهِ اللهُ ال

المقردات ،

السرج فدة ، الزلزلة الشيدة .

پارکین علی الرکب أذلاء.

كان ثم يفتوا هيها ، أى : كأن ثم يقيموا هى مدينتهم . والمراد : أنهم استتصلوا بالمرة ، يقال : شَنِيَ بالمكان يُكُنِّي أَنْ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ

هشولى صنهم: أعرض عنهم ويعدُّ.

المحنن المحنن

التفسيره

• ٩- قَالَ ٱلْمَلاَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَيْنِ ٱلْبَحْمُ شَعَيْنَا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ .

ظمع أن الأشراف والكبراء قد يئسوا من استمالة شعيب ومن آمن معه ، فأخذوا يحدُّرون الناس من السير في طريقه .

وقد حكى القرآن قولهم السابق الذي سلكوا فيه مسلك الوعيد والتهديد ، ثم عطف عليه قولهم اللاحق ومعناه ما يأتى :

وقال الرؤساء المستكبرون الذين أصروا على الكفر من قوم شعيب – عليه السلام – بعدما أيقنوا بصلابته وصلابة من معه من المؤمنين ، وخافوا من إقبال الناس على دعوته:

لَئِن ِٱلْبَعْثُمْ شُعَيْبًا إِنْكُمْ إِذًا لَخَاصِرُونَ .

أى: إذا تركتم دينكم وملة آبائكم ودخلتم في دين شعيب ، فسوف تخسرون ملتكم القديمة وتخسرون المكاسب التي تحصلون عليها من تطفيف الكيل والميزان ، وتخسرون الرخسا من قومكم ، والمزايا التي تتمتعون بها من المسالمة والتبادل التجاري . وهكذا استمر الأشراف في طريقتهم بالإغراء حينًا ، والتهديد والوعيد حينًا آخر ، فهزلاء الأشراف لم يكتفوا بضلالهم في أنفسهم ، بل عملوا على إضلال غيرهم .

٩١ - فَأَخَلَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَالِمِينَ .

أى : فأهلكتهم الزائلة الشديدة فأصبحوا باركين عل ركبهم ، هالكين هلاك الذلة والصفار في أماكنهم لا ينتقلون منها .

إلا وقد جاء في سورة هود أن قوم شعيب أهلكوا بالصيحة . كما قال تمالى : وأَخَلَتِ ٱللّهِن ظَلْمُوا الصيحة . كما قال تمالى : وأَخَلَتِ ٱللّهِن ظَلْمُوا الصَّيْحةُ . وفي الشعراء : أنهم أهلكوا بعذاب يوم الظلّة ، كما سيأتى أهلكوا به بأن شعيبا أرسل إلى أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة فقد أهلكوا بعذاب يوم الظلّة ، كما سيأتى بيئاته في سورة الشعراء ، وأمّا أهل مدين فقد أهلكوا بعذابين ، أحدهما سبب والآخر مسبب فأما السبب : فهو المسبحة ، والمراد بها : صبحة جبريل - عليه السلام - بهم وأما المسبب : فهو الزلزلة فقد أصابتهم من صبحته برجفة وزلزلة قضت عليهم فنسب هلاكهم تارة إلى السبب الأول وهو الصبحة ، وتأرة إلى السبب الأول وهو المبحة ، وتأرة إلى السبب الأول وهو المبحة .

والهلاك بالزلازل والبراكين لا يزال قائمًا مشاهدًا بين الناس في السابق واللاحق.

جاء في المصمحف المفسر للأستاذ محمد فريد وجدى الذي الله حوالي سنة ١٣٢٧هـ ما يأتي: «رقال أشراف قومه الكفار: الذن البعتم شعيبًا إنكم إذًا الفاسرين: ؛ فأعذتهم الزلزلة الشريدة.

فأصبحوا في دارهم ، أي: مدينتهم ، باركين على ركبهم ميتين .

«لا يستبعد أن تجتاح الزلازل طائفة من الناس بعد أن رأى الناس آثار زلزلة اليابان منذ سنين» أ.

٩٢- ٱلَّذِينَ كُلُّبُواْ هُمَيًّا كَأَن لُّمْ يَاسُواْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كُلِّبُواْ هُمَيًّا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ.

يقف القرآن هذا موقف المكم أو القاضي الذي يصدر حكمه بعد سماح أطراف القضية.

فقد دعا شعيب قومه إلى الإيمان بالله وحترهم من القساد ثم دافع قوم شعيب عن أنفسهم وحدروا شعبها ومن آمن معه من عاقبة الإيمان وهى الفسران المادى وخسران الربح من تطفيف الكيل ، وخسران منزلتهم عند الرؤساء .

فيقرر القرآن على سبيل التهكم أن الفسران لم يكن من نصيب من النبع شعيبًا وإنما كان من نصيب المكنبين :

ٱللَّذِينَ كَذَّابُواْ شُعَيِّهَا كَأَن لَّمْ يَعْتَواْ فِيهَا .

أي: هؤلاء الذين كذيوا دعوة شعيب إلى الإيمان والإصلاح كأنهم بعد إهلاكهم بالزلزلة الشديدة لم بقيم البدا بديارهم حيث استرصلوا بالرجفة .

قال الشو كاني : أي : أصبحت ديارهم بعد العذاب خرابًا خالية ، يقال: غنيتُ بالمكان : إذا أقمت به ، أي: كأن لم يقيموا في دارهم : لأن الله سبحانه استأصلهم بالعذاب ⁽⁰⁾ .

ٱلَّذِينَ كَلُّهُواْ شُعَيًّا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَاسِينَ .

لقد هددها شعيبا ومن آمن معه بالطود من المدينة كما حذروا من آمن به من الهسران حيث قالوا: تُن أَيُعَتُم هُمَيُهُمُ إِنْكُم إِنَّا لُفُوسُورُنَ .

فرد الله عليهم بأن الفسران المقيقي هو لمن كفر بالله وياع الأسمى واشترى الأدني.

فهاهم قرم شعيب قد خسفت يهم أرض القرية الذين هددوا المؤمنيين وقالوا لهم : تُنَعُّرِجَنَكُ يَاهُعُبُّ وَالْلَيْنَ وَاسُواْ مَعُكَ مَن قَرَيْتُنا ...

وهم الذين خسررا قريتهم وديارهم وخسروا دنياهم وأهراهم ، وكان جزاؤهم من جنس ما كانوا يقولون ولكنه يقوقه في الشدة.

٩٣ - فَعَرَلْي عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقُوم لَقَدْ أَبْلَعْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قُومٍ كَالِمِينَ .

ويتلفت شديب إلى ما حلَّ بقومه ، وما صار إليه أمرهم بعد أن أصيحوا جثثا هامدة وأشلاء مبعثرة، فيأسى عليهم ويحزن لهم ، ولكن سرعان ما ينفع عنه مشاعر الأسى والحزن ، ُحين يراجع حسابه مع قومه، وما كان منه ومنهم ، فيجد أنهم ليسوا أملاً لدمعة رثاء تدمعها عينه عليهم .

أى: فأعرض شعيب عن قومه بعد ملاكهم وناداهم فى قبورهم: لقد يلفتكم رسالات السماه ودعوتكم إلى التوحيد وقدمت لكم النصائح ، فقابلتم ذلك بالإعراض والتهديد والوعيد ثم أنزل يكم جزاء الله المادل فئن يطول حزنى عليكم بعد كفركم ، وكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرّين على كفرهم متمردين عن الإجابة .

* * 1

وسورة الأعراف فيما سبق قد تحدثت عن جانب من قصة نوح وهود وممالح ولوط وشعيب مع أقوامهم وستراها بعد تليل تحدثنا حديثًا مستفيضًا عن قصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل . ونلاحظ أن سورة الأعراف قد الابعث في حديثها عن هؤلاء الرسل التسلسل التاريخي وذلك لأهداف من أهمها ما ياتي :

١- إثبات الوحى والرسالة وبيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ.

- بيان أن وسائل الأدبياء واحدة وأن استقبال قومهم لهم متشابه ، فكل نبى يدعو قومه إلى عبادة الله
 ويحثهم على الإصلاح ، ولكنه يقابل بالتكذيب ويجابه بالوعيد .

٣- بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك الكانبين: فقد نجى الله نوحًا من الطوفان ، وأهلك قوم ممالح حين عقروا الناقة فدمدم عليهم الأرض وسوها تمامًا بمن فيها كما أهلك قوم لوط بأن جعل أعلا أرضهم أسفلها كما أهلك قوم شعيب بزلازل مهلكة .

٤- تصديق الأنبياء السابقين ، وإحياء ذكراهم ، وتخليد آثارهم وبيان نعمة الله عليهم .

* * *

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي فَرْيَةِ مِن نَّبِي إِلَّا أَغَدْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَلَةِ وَالضَّرِّلَةِ لَعَلَّهُمْ يَعَنَّرَعُونَ هُ ثُمَّ بَدَّنَا مَكَانَ السَّيِئَةِ لَلْسَنَةَ مَقَّى عَفُوا وَقَالُواْ فَدْمَسَّتَ عَابِلَةَ قَا الغَّرْلَةُ وَالسَّرِّلَةُ فَا أَعْلَامُ مَنْكُ مَنْتُ عَابِلَةً قَا الغَّرْلَةُ وَالسَّرِيَّةُ فَا فَعَالِمَ مَنْكُ فَعَمْ لِايَتُمْكُونَا فَي فَعَلَوا وَقَالُواْ فَدْمَسَّتَ عَابِلَةً قَا الغَبْرَلَةُ وَالسَّرِيَةُ مُ

المفردات ،

بالباساء: بالبؤس وشدة الفقر.

والشبيراء : الضراء : المرض

السيشة، هي كل ما يسوء.

الحسنية ، كل ما يستحسنه العقل والطبع ،

منظواء أي : كثروا عددًا ومالاً . يقال : عقا النبات إذا كثر .

مسُ آبِناءِنا ؛ أي : أصاب آباءِنا .

بستة ، نجأة .

التفسيره

\$ ٩- وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نُبِيٍّ إِلاَّ أَخَلْنَا أَهْلَهَا بِٱلبَّاسَاءِ ... الآية .

تمدثت آيات سابقة في سورة الأعراف عن أحوال الأمم السابقة وهي أمة نوح وهود ومعالح ولوط

وشعيب عليهم السلام ، والمقصود منها : التحذير والتخويف لكفار قريش وغيرهم ؛ حتى يتركوا الضلال ويستجيبوا لك وارسوله .

وفي هذه الآية انتقل السياق إلى بيان سنة الله في إنذار المكذبين من الأمم قبل إهلاكهم .

فإذا أرسل الله رسولا إلى أمة من الأمم فقابلته بالتكذيب والعصيان ؛ أرسل على أهلها ألوان المحن والشدة والضير كإصبابتهم بالمرض ونقس الأموال والأنفس والثمرات ؛ إنذارًا لهم وتحذيرًا لهم من الاستمرار في العناد والمكابرة .

لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ .

أي: فعلنا بهم هذا البلاء وأنزلنا بهم هذه الشدائد؛ لكي يتضرعوا ويتذللوا ويتوبوا من ذنوبهم.

فما يأخذ الله به الفاظين من الشدائد والمحن ، ليس من أجل التسلية والتشفى -- تحالى الله عن ذلك--وإنما من أجل أن ترقّ القلوب الجامدة وتتحظ المشاعر المامدة ، ويتجه البشر الضعاف إلى خالقهم ، يتضرعون إليه ويستفغرونه ، عما فرط منهم من خطايا .

وللاحظ هنا ما يأتي :

١- تكذيب المكذبين للرسل هو السبب في إنزال البلاء يهم وليس مجرد إرسال الرسل .

٧- يبتلي الله المكذبين للرسل بالبلاء تارة وبالنعماء تارة أخرى .

٥٥ - ثُمَّ بَدُلُنَا مَكَانَ السَّيْعَةِ الْعَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ ... الآية .

المراد بالسيئة : ما يسوء ويمزن كالشائد والمرض، وبالحسنة : السعة والصحة وأنواع الغيرات.

أى: ثم بعد أن ابتلينا هرّلاء الفائلين بالباساء والضراء ، رفعنا ذلك عنهم ، وابتليناهم يضدّه ، بأن أعطيناهم بدل المصائب نعمًا ، فإذا الرهاء ينزل بهم مكان الشدّه ، واليسر مكان العسر ، والعانية بدل الضنّ والذرية بدل العقم ، والكثرة بدل القلة ، والأمن مجل الغوف .

حَتَّى عَفُواْ : حتى كثروا ونموا في أموالهم وأنفسهم ومستهم العافية ، فالعفو أصله من العافية التى يتبعها النصاء والزيادة ، كما جاء في قوله تعالى : وَيَسْأَلُونَكُ مَاذًا يُعْقُونَ قُلْ إِلْسُفَوْ ، (البقرة : ۲۱۹) ومنه قوله إذ « لحفوا الشوارب واعفوا اللحي» أأ . أنى : قصّروا للشوارب واتركُوا لللحي حتى تكثر وتنمو .

ولما زاد مالهم وكثر عددهم؛ أبطرتهم النعمة، وأطفتهم الكثرة فلم يشكروا الله ولم يحمدوه. و قَالُهُ أَقَدْ مَسُّ عَانَيْنَا الطَّيِّ أَنْ مَا السَّرَةُ . أي: قالوا جحوبًا للنعمة وكفرانًا بالإحسان: قد أصاب آباءنا من قبلنا البأساء والنعماء ولسنا بدعًا منهم فما أصابنا على نمط ما أصابهم هذا شأن الدُّمر يداول السرَّاء والضراء بين الناس فليس ذلك إنذارًا لنا .

فَأَخَلْنَاهُم بَغْتَةٌ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ .

أى: فكان عاقبة بطرهم وأشرهم وغفلتهم أن أخذناهم بالعذاب فجأة ، من غير شعور منهم بذلك ، ولا عضور شيء من المكاره ببالهم .

لقد أسرفوا بدون تحرج وارتكبوا كل كبيرة تقشعر لها الأبدان بدون اكتراث ، وأرسل الله لهم العبر من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومع كل ذلك لم يعتبروا ولم يتعظوا ، وظنوا أَنّهم سيعيشون حياتهم في نميم ورغد بدون محاسبة لهم على أعمالهم القبيحة وأقوالهم الذميمة .

ثم شاجأهم العذاب بغتة بدون توقع منهم ولا استشعار لما يحيق بهم ؛ جزاء عدوانهم .

وني هذا المعنى قال تعالى: حُتَّى إِذَا قَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَلْنَاهُم بَعَتَهُ فَإِذَا هُم مُلِسُونَ . (الأنعام: 38) .

* * *

﴿ وَلَوَأَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَى اَمْدُوا وَاتَّقُوا لَفَنَحَا مَلَتِهِم بَرَكَتْتِ مِنَ السَّمَلِوا الْأَرْضِ وَلَكِنَ كَذَّبُوا فَأَخَذَ نَهُم بِمَاكَاثُوا يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَ مِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا مَن وَهُمْ آلِمُونَ ۞ أَوَلَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهُم بَأُسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْمَبُونَ ۞ آفَ أَمِنُوا مَكْرَا لِلْمَانَ مُعَكِراً لِلْهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ ۞ أَوَلَتَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدًا هَلِهَا آنَلُونَشَاءُ أَصَبْنَهُم بِلُن ثُوبِهِمْ وَنَظَمَعُ مَلَن قُلُوبِهِمْ فَهُمَ لا يَسْتَمُونَ ۞ ﴾

المقردات ،

المتحدا عليهم بركات من السماء والأرش: أي : ليسرنا لهم الخير من كل جانب.

بياتا ، أي : وقت بياتهم .

شيهي ، أي: شندوة التهار وهي أوله .

مكر الله ، المراد بمكره تعالى : إهلاكه لهم من حيث لا يحتسبون .

أولم ينهد للشنيس يبرشون الأرض: أقلم يصنع الهداية لهم ؟!

يرفون الأرض من بعد أهنها ، يخلفون من مضى قبلهم من الأمم المهلكة .

التطسيره

٩٣- وَلُوْ أَنَّ أَهْلُ ٱلْقُرَى ءَامَنُواْ وَٱتَّقُواْ لَقَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْض ... الآية .

بعد أن بين القرآن عاقبة المكذبين ، جاءت هذه الآية وما تلاها ؛ تعقيبًا على إهلاك الكافرين .

أى : ولو أن كفار مكة ، والذين أهلكوا قبلهم بسبب تكذيبهم آمنوا بالله ، وَالْقُواْ، المعاصى وابتعدوا عنها.

لْفَعَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتِ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ .

أى: لأتيناهم بالغير من كل وجه ، ويسرنا لهم سبل الأرزاق ، ويسعنا عليهم من كل باب فأنزلنا عليهم من السماء ماءً مباركاً ، فأتبت الزرع وأدر الضرع ، وأغرجنا لهم الكثير من كنوز الأرض ، وذللنا لهم ما على ظهرها من الدواب والأنمام .

وَلَكِن كُلُّهُواْ فَأَخَلْنَاهُم بِمَا كَاتُواْ يَكْسِبُون .

أى : ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا بل كذبوا الرسل الذين جاموا لهدايتهم شكانت نتيجة تكليبهم وتماديهم فى الضلال أن عاقبناهم بالعقوية التى تناسب جرمهم واكتسابهم المعاصى ، فتلك هى ستتنا التى لا تتخلف ، نفتح للمؤمنين أبواب الغيرات ، وننتقم من المكنبين بفنون المقويات .

٩٧ - أَفَأُمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَاتُمُونَ .

أرسل الله الرسل ، فأتزل الكتب ، وقمنَ علينا ما أصاب السابقين ؛ للعظة والاعتبار ، بيد أن هذه الأمم التي أملكت بعذاب الله لم تتعظ كل واحدة منها بما أصاب من تبلها من الأمم .

وكذلك كفار مكة لم يتعظوا ولم يعتبروا رغم تحذير الله لهم .

وهذا يوجه لهم هذا الإنذار الذي يقيد أن عذاب الله ليس له وقت يحدده ، فيمكن أن يصنيب العصاة ليلا وهم تائمون هادئون ، فيأتيهم العذاب المفيف ، فيصبحون أثرا بعد عين . فليمتير بذلك الكافرون .

ومعنى الآية : أغفل الله أهل القرى المكذبة بالرسل عما ينتظرهم من بأس الله ، أفأمنوا أن ينزل عليهم عذاب الله وقت بهاتهم في منازلهم وهم غارقون في النوع ؟!

٩٨- أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا ضُحيٌّ وَهُمْ يَلْعَبُونَ .

جاءت هذه الآية بأسلوب التوبيخ والتقريم كسابقتها.

و الأهى : هل عندهم ضمان أن عهد بعدم نزول العذاب يهم وأمنوا أن ينزل عليهم عذابنا في معدر النهار وقت الضحى عند لنتشار ضوء الشمس إذا ارتفعت .

وَهُمْ يَلْعُبُونَ . أي : وحالهم أنهم يلهون ويشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون لشدة غظتهم .

٩٩ - أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْعَاسِرُونَ .

مُكِّرُ اللَّهِ، ما يدبره الله لهم من العقوبة وهم لا يشعرون . وقيل : مكر الله هذا هو: استدراجه لهم بالشعمة والمسعة . أي: علام يعرَّل هزلاء القوم في تساديهم في الضائل واطمئنانهم إلى ما هم فيه ؟ أهناك من يدفع عنهم عذاب الله ويرد عنهم بأسه ؟ ذلك ضلال في ضلال ، وعمى بعد عمى ، وفقتة بعد فقتة .

لقد حديم الله من إنزال الحداب بهم ليلا وهم ناتمون أو نهازًا وهم مشتظون بشتون دنياهم ذاهلون عما ينتظرهم في العاقبة كأنهم يلمبون .

وما علموا أن الله تمالى يمهل ولا يهمل وأنه يستدرج العمماة حتى إذا رتحوا ويشعوا وزاد طفياتهم أغذهم بفتة .

فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ ٱلْقُومُ ٱلْخَاسِرُونَ .

وأي غسارة أكثر من أن يرى الإنسان نذر الطُرّ والهلاك مقبلة إليه ثم يخدع نفسه ويخيل إليه أن هذه النذر لن تتجه إليه ولا تنال منه .. ثم يظل هكذا يرتوي من هذا السراب الشادع ، حتى ينزل بساحته البلاء فلا يجد له مهرياً .

ألا تجد أن الله تمالى قد مضرهم وأندرهم ينزول العذاب ليلاً أن نهاراً كما حذرهم من بأس الله وانتقامه وقد جامهم على حين غفلة ، فقطع عليهم ما هم فهه من لهر ولعب ، وقلب بين أيديهم مائدة الحياة وما عليها من أدرات اللعد واللهو.

وصدق الله العظيم : وَكَذَلِكَ أَحْدُ رَبُّكَ إِذَا أَحَدُ ٱلْقُرَى وَهِي ظَالِمَةَ إِنَّ أَخْدَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ . (هرد: ١٠٢).

٥ - ١- أَوَلَمْ يَهُدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لُوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِلْنُوبِهِمْ وَنَطْيَحُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَتُونَ
 يَسْمَتُونَ

القرآن كتاب الحياة يأخذ بيد المؤمنين إلى أسباب النصر والتمكين ويحدِّر الكافرين من بأس الله وعقوبته ، والقرآن هنا كالطبيب الذي يأسو جراح القلوب ، إنّه أمام قوم قست قلوبهم من أهل مكة ، فهو يقول لهم ولأشباههم في كل رُمان ومكان ما يأتى: أولم يتبين لهؤلاء الذين يعيشون على تلك الأرض التي ورثوها بعد أهلها المهلكين.

هؤلاء الذين سكنوا مساكن القوم الظائمين الذين هلكوا ، وورثوا أرضهم وديارهم وأموالهم.

ألم يهد لَهُم وينكشف لأبصارهم ، أو بصائرهم ، أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لأخذهم بذنويهم كما أغذ القوم الظالمين قبلهم بذنويهم ؟

قما حجتهم على الله بعد أن معرف عنهم العذاب الذي ذول بأشباههم من الأمم السابقة ، وبعد أن عاقاهم من البلاء والأنتقام الذي يستمقونه.

إنه لا حجة لهم على الله ، ولا فضل لهم في أن عافاهم من البلاء وصرف عنهم العذاب؟

خما صرف الله عنهم العذاب إلا لمقام نبيه الكريم بينهم ، وقد وعده الله ألا يعنب قوبه وهو بين ظهرانيهم .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَلِّبَهُمْ وَأَلتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعلِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . (الأنفال: ٣٣).

وَلَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ .

أى : إن العذاب إما أنْرِيكون ظاهرًا ملموسًا، وإما أنْ يكون عقيًّا باطنيًّا، ومن هذا العذاب الفقى: البلاء الذي يفشى قلوب الظالمين فيحجب عنها الهدى فلا تهتدي إليه ، ويصرف عنها الغير ، فلا تعرف له وجها.

فُهُمْ لا يُسْمَعُونُ إنذارًا ولا يقديرون إرشادًا ؛ لأن آذان قلويهم لم تتفتح لسماح القرآن وهدايته .

قال تعالى: وَإِذَا قَرْأَتُ ٱللَّهُ مَانَ جَسُلْنَا بَيْلَكَ وَيُسَ ٱللِّينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآَعِرَة حَجَابًا مُسُعُورًا ه وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةُ أَنْ يَفْقُهُوهُ وَفِي عَلَيْلِهِمْ وَقُوْلَ . (الإسله: ١٥، ١٤) .

﴿ يَلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَفُشُ عَلَتَكَ مِنْ أَنْهَا بِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتُهُمْ وُسُلُهُم بِالْمِيَنَتِ فَمَا كَانُوا لِيُوْمِنُوا بِمَا كَذِّبُواْ مِن قَسَلُّ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَنْفِينَ ۞ وَمَا وَجَدْنَا لِإِنْكَثْمُ هِمِ مِنْ عَمَدٍّ وَإِن وَجَدَنَا ٱكْتَنْهُمْ لَفَنْسِقِينَ ۞ ﴾

المشردات :

بالبيئات ، أي : بالمعجزات الواضعة الدلالة .

وما وجننا د أي : رما علمنا .

من ههده أي : من وقام بعهد ، والمراد : ما عهد الله إليهم من الإيمان والتقوى .

وإن وجندًا : إن مخفقة من الثقيلة وإسمها ضمير الشأن ، والتقدير : وإنه وجدنا أى : وإن الشأن وجدنا . تضاسفين ، أى : لشارجين عن الإيمان والطاعة .

التفسين

١ - ١ - تِلْكَ ٱلْقَرَى تَقَصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاتِهَا وَلَقَدْ جَاءَتُهُمْ وَسُلُهُم بِٱلْبَيَّاتِ فَمَا كَانُواْ بِمُومُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ
 كَذَلْكَ يَشِيعُ ٱللَّهُ عَلَى لَمُوبِ ٱلْكَالِمِينَ .

أي : تلك القرى التي طال الأمد على تاريخها ، وجهل قومك - أيها الرسول الكريم - أحوالها ، وهي قرى قوم نرح وماد وقمود وقوم شعيب ، نقصرُ عليك ما فيه من العظات والعبر من أشبارها ؛ ليكون في ذلك تسلية لك ، وتلبيتا لفزادك وتأييدا لصدقك في دعوتك .

وَلَقَدُ جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيْنَاتِ .

أى: وتالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم التي خلت ؛ رسولُها الذي بعثه الله إليها بالمعجزة الضامعة به الواضحة الدلالة على معدق رسالته ، الموجبة للإيمان .

فَمَا كَانُواْ لِيُوْمِنُواْ بِمَا كَلَّهُواْ مِن قَبْلُ.

أى فما حدث لأمة من تلك الأمم الضالة الرجوع عمًّا هم عليه من كغر وضلال إلى هداية الرسل وإرشادهم ، بَل استمروا على التكذيب وعدم الإيمان طول حياتهم ولم تغنهم الآيات والنذر ؛ لكمال عتوهم وشدة طغيانهم ، فاستحقوا بذلك ما نزل يهم من العذاب . وقيل : إن المعنى : ما كاثرا لو أحييناهم بعد إهلاكهم وربدناهم إلى دار التكليف ؛ ليومنوا بما كذبوا به من قبل إهلاكهم .

قال تعالى : وَلُوْ رُقُواْ لَهَادُواْ لِمَا لَهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . (الأنعام: ٢٨) .

كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى لَلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ .

أي: مثل هذا الفتم الذي أغلق الله يه قلوب هؤلاء السابقين يسبب اختيارهم الكفر على الإيمان ، يهتم الله على قلوب جميع الكافرين ، ويجعل عليها سدًّا يغلقها ، فلا يسمع هؤلاء الضاابون نصماً ، ولا يبصرون حقا ، ولا تلين قلوبهم . إذ تركوا المق ، واتبعوا الهامل ، واختاروا طريق الفساد .

٠ ١ - وَمَا وَجَنْنَا لِأَكْتُوهِم مَّن عَهْدِ وَإِن وَجَنْنَا أَكْفَرَهُمْ لَفَاسِلِينَ .

أي: وما علمنا لأكثر الأمم التي مضت من عهد -- أي : رعاية لمرمة -- أو وفاه بعهودهم في الإيمان والتقوي .

والمراد بالعهد: ما عاهدهم الله عليه من الإيمان والثقوى والعمل الصالح.

وَإِنْ وَجَلْلًا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ .

أى: ما وجدنا لأكثر الناس من وفاء بعهودهم من الإيمان والتقوى بل المال والشأن. أننا علمنا أن أكثرهم فاسقون. أى: هارجون عن طاعتنا تاركون لأوامرنا منتهكون لحرمتنا.

جاء في التفسير الوسيط فيمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

« وإن الشأن معهم أنا وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن القهم الخلقية والدينية ، وما أمن وأصلح منهم إلا قليل » .

﴿ثُمُّ يَمَثْنَا مِنْ يَعْدِهِم تُومَىٰ فِايَتِنَاۤ إِلَىٰ فِرْعَوَدُومَا لِمُعْ فَطَلَمُوا بِهَاۚ فَانظُرَكَيْفَ كَات. عَنِقِبُةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞﴾

المفرداتء

مَلائِهِ، الملأ: رؤساء القوم .

التفسير

٣ - ١ - ثُمَّ يَعْلَنَا مِن يَعْلِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلِّي فِرْعَوْنُ وَمَلاِيسًهِ ... الآية .

أى: ثم أرسلنا من بعد نوح وهود وهمالح ولوط وشعيب الذين تقدمت أهبارهم ؛ موسى – عليه السلام – وآتيناه آيات ، أى: معجزات تسع تدل على صدق رسالته ، وهى العصا تنقلب حية ، واليد تخرج من جيبه بيضاء ، والسنون المجدبة ، وتقص الأنفس والثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمَّل ، والضفادح ، والدم، والمرا ، والمرا .

إِنِّي قُرِّعُونَ وَمَالِيمُّهِ: أَى : إلى فرعون مصر وروساء قومه ورجهائهم ، وخصوا بالذكر مع أن رسالته لفرعون وقومه أجمعين ؛ لأنهم يقومون بثنيير الأمور وغيرهم تبع لهم .

جاء في تفسير الثار: ولم يقل — سبحانه — إلى فرعون وقومه؛ لأن الملك ورجال الدولة هم الذين كانوا مستعبدين لبنى إسرائيل وييدهم أمرهم ، وليس لسائر المصريين من الأمر شىء ، ولأنهم كانوا مستعبّدين أيضًا ولكن الظلم على يضي إسرائيل الغرباء كان أشدً .

فَطْلُمُواْ بِهَا: أي : فكفروا بهذه الآيات ؛ تكبرًا وجمودًا فكان عليهم وزر ذلك .

أو المعنى : فظلموا أنفسهم إذ عرَّضوها للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة بسبب تكنيبهم بهذه الآيات، وظلموا غيرهم بمنعهم من الدخول في دين الله .

فَٱلظُرْ كُيْفَ كَانَ عَاقِبُهُ ٱلْمُفْسِلِينَ .

فتأمل بذكرك أيها الرسول الكريم ، أو أيها العاقل كيف كانت عاقبة فرعون وملك الذين أفسدوا في الأرض لقد أخذهم ألله يذنويهم فأغرفهم في اليم وموسى وقومه ينظرون إليهم ، وتلك عاقبة كل من طغى ويغي وظلم وفسد .

﴿ وَقَالَ مُوسَوْ يَنِفِرَعُونُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِ ٱلْعَلَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا ٱقُولَ عَلَىٰ ٱلله إِلَّا ٱلْحَقَّ ثَذَجِتْ لُحُمُ بِيَيِّنَةٍ مِّن ذَيْكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِى بَنِيَ إِسْرَة بِلَ ۞ ﴾

المفردات،

جئتكم ببيئة ، جئتكم بأيات واضحة الدلالة على نبوتى .

التضيره

٤ . ١- وَقَالَ مُوسَى يَا فَرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبُّ ٱلْعَالَمِينَ .

أجمل القرآن في بداية القصة مضمونها والعبرة منها وهي التحذير من عواقب الظلم والقساد.

وقريب من هذا ما حكاه القرآن في بداية سورة القصص حيث قال تعالى:

طستة و تلك عَايَاتُ آلْكِمَابِ آلْمُينِ و تَعْلَوا عَلَيْكَ مِن آلِم مُوسَى وَفِرْعُونَ بِآلْمَقَّ لِقُومٌ يُوتُونُ وَ إِنَّ فُرْعُونَ عَلَا فِي آلاَّ هِن وَجَمَّلَ أَطْلَهَا هِيمًا يَسْتَسْمُ عَالِمَةً مَنْهُمُ يُلَنِّعَ أَلَنَاكُمُ وَيَسْتَمُمُ يَلِيدُ أَن كُنُّ عَلَى ٱللَّيْنِ آسَتُعْمُورًا فِي آلاَرْ هِن وَتَجَعَلُهُمْ أَلِيمُةً وَتَجَعَلُهُمُ ٱلْوَارِينَ و وَلُمُكِنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلُوىَ فِرْعُونَ وَهَامَانَ وَجُشْرُ وَهُمَا عَنْهُم مَا كَالُواْ يَسْقَدُونَ . (العسمى ١٠ - ٢).

ومعنى الآية : قال موسى عليه السلام تفرعون فى أدب واعتزاز : إنى رسول من رب العالمين ، أرسلنى إنيك : لأدعوك إلى عبادته والخضوح له .

ه . ١ - حَقِيقٌ عَلَى أَن لا أَقُولُ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقُّ ...

أي : جدير بألاً أقول على الله إلاً للقول المق ، أن حريص على ألا أقول على الله غير المق والصدق فلا إممال ولا تفريط.

قَدْ جِنْتُكُم بِيِّيَّةٍ مِّن رِّيكُمْ: أي: قد جنتكم بحجة قاطمة من الله أعطانيها دليلاً على صدقي فيما جنتكم به.

ظُّرْسِلْ مَعَى َبَى إِسْرَّعِلَ: أى: هَأَطَلَق بنى إسرائيل من أسرك ، وأعتقهم من قهرك ، ودعهم أحرارًا يعبدون الله وحده ولا تعذبهم.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ حِنْتَ بِتَا يَتِوَفَأْتِ بِهَا ٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِوِقِينَ ۞ فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تُعْبَانُ ثُمِّينً ۞ وَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَلَهُ لِلنَّظِينَ ۞ ﴾

المفردات ،

المسان و هو الذكر من الحيات .

ميسيون ، بين ظاهر لا يشك أحد في أنه ثعبان .

ولــــزع يده من جيبه.

بيضاء النظرين ، أي: بيضاء بياضًا خارجًا عن العادة : يجتمع الناس عليه ؛ لينظروه ؛ تعجباً من شدته .

التفسيره

٩ - ١ - قَالَ إِن كُنتَ جَفْتَ بَآيَةِ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

أى: قال فرعون لموسى: إن كنت جلت من عند من أرسلك بآية فأتنى بها ، وأحصرها عندى لتصع دعواك ويثبت صدلك .

٧ ، ١ – فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي تُعْبَانٌ مُّينٌ .

أى: شألقى موسى عصاه على الأرض فور طلب فرعون ففاجأتهم بكونها تعبانًا عظيم البجئة مفزها لا ينثك أحد في أنه ثعبان يسعى ويتحرك حقيقة لا متغيلا كما في سحوهم ، وذلك لظهور أمره ووضوح شأنه، وقد أورد بعض المفسرين روايات عن ضخامة هذا الثعبان وأحواله ، وهي روايات ضعيفة ينبغي أن ينقى منها تفسير القرآن الكريم\\.

١٠٨- وَلَزَعَ يَلُهُ فَإِذَا هِي يَنْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ .

النزع: إشراج الشيء من مكانه أي : وأشرح موسى يده من جيبه بعد أن أدهلها فيه أمامهم على لونها الأصلىّ فإذا هي بعد إشراجها منه ، قد تغيّرت على الفور من لونها الأسمر إلى لون أبيض شارج عن العادة، جعل الناس ينظرون إليها ويتحجبون من أمرها . ﴿ قَالَ ٱلْمَلَا مِن قَدِهِ فِرَعَوْدَ إِن حَلَا السَيْرُ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُغْرِجَكُمْ مِّنَ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلَ فِ ٱلْمَدَ آبِنِ خَشِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِ سَنجٍ عَلِيمِ ۞ ﴾

المفردات ،

الساحر عليم؛ الساحر ماهر عاليم العلم في سحره يأتي بأفعال عجيبة .

أرجه وأغاده أي: أرجتهما وأخرجهما ؛ لتنظر في أمرهما .

المُدائـــــــــــن ؛ أي : المدن حيث يوجد السحرة .

حساهسريسن، جامعين.

التفسين

٩ • ٩ -- قَالَ ٱلْمَاذُ مِن قَوْم فِرْعُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ .

أى: قال الأشراف من قرم فرعون : إن هذا لساهر راسغ في علم السحر ماهر فيه يقرم سحره على علم رمعرفة ، وهو من أجل ذلك مصدر خطر عظيم على فرعون رعلى مكانته فى قومه .

١٠ - أبريدُ أَن يُحْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ .

إن موسى بدعوته هذه سيغير النظام ويجعل الضعفاء سادة أقوياء بإيمانهم بالله كما سيتحول السادة أقوياء بإيمانهم بالله كما سيتحول السادة إلى ضعفاء؛ لأن الناس لن تخضع لهم ، وسيقفرن في وجه الهرمه وظلمهم ، ويذلك يتغير نظام الدولة أن يقلب نظام المكم ، فينبقى أن نقف في وجه موسى قبل أن يخرجنا بدعوته هذه من أرض مصر .

فَمَاذًا تَأْمُرُونَ .

هو من كلام فرعون قاله للمالإ لما قالوا بما تقدّم ، أى : بأى شىء تأمروننى وتشيرون أن نفعل به، وقيل: هو من كلام الملإ أى : قالوا لفرعون : فهأى شىء تأمرنا ، وخطابوه بما يخاطب به الجماعة : تعظيمًا له، وكرن هذا من كلام فرعون هو الأولى بدليل ما بعده وهو : قَالُوا أَرْجِهُ رَأَخُولُهُ أَى : أَخْرِهِ ۞ . ٩ ١ ٩ – قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَنَاكِنِ حَاهِرِينَ .

أي: قال الملأ من قوم فرعون ، أخُر القصل في أمره وأمر أهيه ، وأرسل في مدائن ملكك جماعات من , حال شرطتك وجندك .

حَاشِرِينَ أَي : جِامِعِينَ لِكِ السحرة منها وساتقههم إليك .

مئن كتب التفسير

١ - جاء في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب:

وكانت أرض مصر تعرج بالكهنة فى شتى المعايد ، وكان الكهنة هم الذين يزاولون أعمال السحن ففى الوثنيات كلها تقريبا ، يقترن الدين بالسحر ، ويزاول السحر كهنة الديانات وسدنة الألهة ! وهذه الظاهرة فى التى يلتقطها وعلماء الأديان، ، فيتحدث بعضهم عن السحر كعرطة من مراحل تطور العقيدة!

ويقول الملحدون منهم : إن الدين سيبطل كما بطل السحر ! وإن العلم سينهى عهد الدين كما أنهى عهد السمر ! إلى آهر هذا الفيط الذي يسمونه : «العلم»⁽⁶⁾

٧- من تفسير المراشي الجزء الناسع ص ٢٧:

فذلكة في السحر وضروبه:

السحر أعمال غريبة ، وحيل تفقى حقيقتها على جماهير الناس ؛ لجهلهم لأسبابها ، وقد كان فذًا من الفنون التى يتعلمها قدماء المصريين فى مدارسهم الجامعة مع كثير من الطوم الكونية ، واقتفى أثرهم فى ذلك البابليون والهنود وغيرهم ، ولا يزال يؤثر عن الوثنيين من الهنود أعمال غريبة مدهشة من السحر ، اهتم الانجليز وغيرهم باللبحث عن حقيقة أمرها فعرفوا بعضًا وجهلوا تعليل الأكثر.

وهو لا يروج إلا مين المماهلين ، وله مكانة عظيمة في القبائل الهمجية ، والبلاد ذات الحضارة تسميه: بالشُّمَوَة والاحتيال والسُّبل وهو أنواع ثلاثة :

١ – ما يعمل بأسياب طبيعية من خواص المادة معروفة للساخر مجهولة عند من يستحرهم بها، كالزابق .
 الذي قبل: إن سحرة فرعون وضعوه في حبالهم وعصيهم فلما أرسلت الشمس أشعتها : هيلًا للمشاهدين أن الحيال والعصى تسعى وتتحرك .

٢ -- الشعوذة التي أمرها عفة اليدين وإعفاء بعض الأشياء ، وإظهار بعض ، وإراءة بعضها بغير صورها.

٣ - ما يكون مداره على تأثير الأنفس ذات الإرادة القوية في الأنفس الضعيفة القابلة للأوهام ومن ذلك ما
 يُسمى: بالتنويم المغذاطيسي.

وعلى الجملة فالسحر صناعة تتلقى بالتعليم كما ثبت بنص الكتاب الكريم ، ويالاختبار الذي لم يبق فيه خلك بين العلماء في هذا العصر⁽⁴).

ويمكن تقديم خلاصة عن الموضوع فيما يأتي:-

- (أ) ذهب الشيخ مصد عبده إلى أن السحر شيال ووهم لا حقيقة له ، والساحر لا يؤثر إلا في شفعن قلبه هواء وعقيدته هباء .
- (ب) وذهب بعض العلماء إلى أن السحر حقيقة تتلقى بالتحليم والتعلُّم ، وهو يؤثر حبًّا ويغضا ونزيفا ومرضا ... إلخ.
- (ج.) ورد في الحديث المسحيح أن النبي ﷺ سُحر وأنَّ رجالًا من اليهود قد لُخذ شيئًا في شعر رأسه ومشاطه وعقد فيه ١٩ عقدة ، ووضعه تحت حجر في بثر ذكران وأرشد الله رسوله إلى ذلك وأنزل عليه ١٧ أية في سورة الفلق وسورة الناس ، وأحضر عليُّ رضي الله عنه المشط والمشاطة من البئر وقرأ النبي ﷺ سورة الفلق وسورة الناس ؛ فيطل أثر السحر منها (٥٠٠) .
- (د) أنكر الشيخ محمد عبده صحة هذا العديث وقال : إنه حديث آحاد .ولعل الحديث أُصَيفت إليه زيادات في لفظه ليست صحيحة .
- (هـ) عند التأمل نرى أن السحر حقيقة لا خيـال وهـو ابتـلاء من الله يمتحن بـه بعض الناس قال تعالى: وَمَا هُم بِعَدُارُنَ بِه مِنْ آخَد إِلاَّ بِإِذْن اللَّه .

الوقاية من السحر

ما يحفظ المومن من السحر و الحسد و الأذي ما يأتن:

- ١ قراءة قل هو الله أحد ، والمعودتين .
- ٢ أن يقول بعد صلاة العبيح وبعد صلاة المغرب: لا إله إلا الله وبعده لا بثريك له ، له الملك وله الحمد ،
 يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير (١٠ مرات).
 - ٣ -- قراءة قوله تعالى:
 - وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا لَّيْزِلْقُولَكَ بَأَيْصَارِهِمْ لَمَّا صَمُعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . (العلم: ٥١).

إلا -- قراءة الأيات الأخيرة من سورة العشر:

من قوله تعالى : قَوْ أَلْوَكُ هَلَمَا ٱلْقُرْهَانُ عَلَى جَبَلِ لِّرَائِيَّهُ خَاهِمًا مُتَصَلَّمًا مِّن خَشْيَةِ اللَّهِ وَقِلْكَ ٱلأَمْثالُ لَضَيِّهَا للنَّاس لَمَلَّهُم يَتَعَكِّرُونَ . (الى آمر السرية) .

ه – إخراج مندقة .

٣ - قراءة قوله تمالى: مَا هَاءَ اللَّهُ لا قُرَّةً إِلا بِاللَّهِ ١٠١ (الكيف: ٣٦).

 ل - وأهم شيء هو اليقين الجازم بأن أحدًا لا ينفع أو يضر إلا بإذن الله : فهذه هي الصخرة العسماء التي تتكسر عليها نظرات الساهرين والماسدين ، ومن وجد في قلبه اليقين والثقة التامة بأن الله وحده هو النافع الضار : فقد وجد سبيل النجاة والمفظ ، قال تعالى : فَاللّهُ عُينٌ حَافِظًا وَهُو أَرْحُمُ ٱلرَّاحِمِينَ . (يومد: ١٤).

وعن عبد الله بن عباس قال: قال لى رسول الله ﷺ: « يا غلام ، لحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده . تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإعلم أن الأمة لن لجتمعت على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإعلم أن الأمة لن الجتمعت على أن يضرّوك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله على ، وقت المسحف "⁶⁰.

١١٧ - يَأْتُوكَ بِكُلِ سَاحِرٍ عَلِيمٌ .

أي: سيمضر لك رجال الشرطة من سائر المدن كل ساحر ماهر بلغ الفاية في إثقائه علم السمر.

* * *

﴿ وَجَادَ السَّحَرَةُ وَعَوْتَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا تَغَنُّ الْفَيْلِينَ ۖ قَالَ نَعَمَّ وَإِنَّكُمُّ لِينَ المُقَرِّبِينَ ﴿ ﴾

التفسيره

٩١٣ - وَجَاءَ ٱلسُّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنْ لَنَا لِأَجْرًا إِن كُنَّا لَحْنُ ٱلْفَالِينَ .

تحكى هذه الآية أن فرعون عمل بمشورة ملئه فاستدعى السحرة من المدائن ، فجاءوا إليه ثم أقبل السحرة على فرعون فقالوا له بلغة المحترف الذي يجعل هدفه الأول الأجر والعطاء .

قالوا: إن لنا لأجرًا عظيما إن كانت الغلبة على هذا الساحر العليم؟

يريدون بسؤالهم هذا أن يتحققوا من جزالة الأجر وضعامته .

١٩٤- قَالَ لَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرِّبِينَ .

أى: قال فرعون : استجابة لهم : نعم لكم ما طليتموه من الأجر، وإن لكم عندى زيادة على ذلك المكان القدس والمنذلة الدفيمة .

قهر يغريهم بالأجر المادي ، ويعدهم بالقرب المعنوي من قلبه ؛ تشجيعًا لهم على الإجادة .

روى أنه قال لهم : ستكونون أول من يدخل على وأخر من يخرج من عندى .

واهتلف السلف في عدد السحرة ، فقيل : كانوًا سبعين ساحرًا ، وروى عن بعض المفسرين أنهم كانوا سبعين ألفا .

* * *

﴿ قَالُوايَكُمُ وَمَعَ إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ لَكُونَ تَحَنَّ ٱلْمُلْقِينَ ﴿ قَالُ ٱلْقُوا فَلَمَّا ٱلْقُوا سَحَسُرُوا أَعَيُّسُ النَّاسِ وَأَسْتَرْ هَبُوهُمْ وَجَاهُ وبِسِحْ يَظِيمِ ﴿ فَالْمَا الْقُوا فَلَمَّا ٱلْقُوا

اللفر دات ،

واسترهبوهم: بالغوا في إرهابهم وتخويفهم.

التفسس

٥ ١ ٩ - قَالُواْ يَامُوسَى إِمَّا أَن تُلْقَى وَإِمَّا أَن تُكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ .

أي: قال السحرة عن مواجهتهم لموسى في ساحة التحدي.

أنت ها موسى مخير بين أن تلقى عصاك أولاً ، وبين أن تُلقى نحن أولاً ،وكان هذا التخيير في البدء ناشئًا عن ثقتهم بالغلبة ، سواء تأخروا عنه أم تقدموا عليه كأنهم يقولون له : وفي كلتا الحالتين فنحن على ثقة بالغيز والنصر فأرح نفسك واستسلم لنا مقدمًا .

و ذهب الزمخشرى: إلى أن تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه ، كما يقعل أهل المستاعات إذا التقوأ كالمتناظرين قبل أن يتفاوضوا في الجدال ، والمتصارعين قبل أن يتأخذوا في المراح ٣٠٠ . ١٩٠ - قَالَ ٱلْقُوا فَلَمَّا ٱلْقُواْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَائُوا بِسِحْرِ عَظِيم

أي: قال لهم موسى عليه السلام — استهانة بشأنهم ووثوقا بتأييد الله تمالى له . أَلْقُواْ : أي : ابدموا بإلقام ما تريدون إلقاءه .

فلما ألقوا ما كان معهم من الحيال والعصى، .

سُعُورًا أَقَائِنَ ٱلْقَاسِ. أَى: خيلوا إلى الأيسار أن ما قطوه له حقيقة في الغارج ، مع أنه لم يكن إلاَّ مجرد صنعة وخيال ، ولذا لم يقل سبحانه ، سحرها الناس .

وَٱسْتُرْهُمُوهُمْ : أي: خَوْفوهم وملثوا قلويهم رهبًا يخوفًا .

روى أنهم ألقوا حيالاً غلاظًا ، وهشيًا طوالاً ، فإذا حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا .

جاء في تفسير المنار: قيل: إنها كانت عصبيًا مجهّدة قد مُلَتت زينهًا وقد حفري اقبل ذلك تحت العراضع أسرابا ملتوها دارًا ، فلما طرحت عليها العصبي المجوفة المعلومة بالزندق حركها ؛ لأن شأن الزندق إذا أصابته الدار أن يطير فأخبر الله أن ذلك كان معها على غير حقيقته .. فعلى هذا يكون سحرهم لأعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية .

* * *

﴿ ﴾ وَأَوْمَيْنَا إِلَىٰ مُومَىٰ أَنَ آلِقِ مَصَىٰ اللَّهُ فَإِذَا فِى تَلْقَفُ مَا يَأْذِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَيَطَلَلَ مَا كَانُواْيِشَمَٰلُونَ۞فَشْلِجُوا هُمَالِكَ وَانْقَلَبُواْمُنفِينَ۞ وَٱلْفِي َالسَّحَرَةُ مَنْجِدِينَ ۞ قَالُواْ مَا مُنَا بِرَتِ الْمَلَدِينَ ۞ رَبِّ مُومَىٰ وَهَذُونَ۞﴾

المفردات:

تسلست ف أي: تأخذ وتبتلع بسرعة.

ما يـاهكون ؛ ما يكذبون ويمومون الحقائق بقلبها – والإنك في الأصل : قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب : أذاك ؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه المق إلى الباطل .

السوقسيع الحق البت وظهر .

ويطل ما كانوا يعملون : ظهر بطلان السحر الذي كانوا يعملونه .

والشفيوا صاغرين ، وعادوا من مبارزة موسى مستسلمين وصاروا أذلاه .

........................

١١٧ - وَأُوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلَّنِ عَصَالَكَ .. الآية .

بعد أن ألقى السحرة حبالهم وجاموا بسحر بارح استولى على خيال الناس وأرهبهم ، وتوجُّس موسى: خوفًا من أن يعلو جانب الباطل .

بعد ذلك أمر الله موسى -- عليه السلام -- بطريق الوجى ؛ تقوية لعزمه ، وتسكينًا لروجه -- أمره أن يلقى عصاه فألقاها .

فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ .

أي: قائقابت العصاحية عظيمة تلتقم حيال السحرة وتبتلع إنكهم وباطلهم.

114 - فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَيَطُلُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

أي: ثبت الحق وظهر ، وتبين أن عمل موسى حق واشيح وأن ما عمله السحرة تخييل وخداخ وباطل وتبين أن عمل موسى معجزة من الله له تزيده وتصديقه ، وأن عمل السحرة باطل لا يقف أمام المق .

١١٩ - فَعُلِبُواْ هُمَائِكَ وَٱلْقَلْبُواْ صَاهِرِينَ .

أي: وترتب على ذلك أن أممايت الهزيمة المنكرة فرمون وملأه وسحرته في ذلك المجمع العظيم ، واختلب الجميع إلى بيوتهم مساغرين أذلاء بعد أن أذزل بهم موسى الغذلان والفيية .

وتم ذلك في يوم العيد وفي وات الضمي على مالإ من الناس وترقب السمرة للنصر وتوقعهم أن يطب سعرهم ، لكنهم فرجتوا بأن ما جاء به موسى ليس سعرًا ولكنه معجزة من رب المالمين .

وفي هذا دليل على أن الباطل قد يقلب أو يتثلب ، وقد يسترهب قلوب الناس لساعة من الزمان حتى ليخيل إلى الكثيرين أنه غالب وجارف ـ ولكن ما أن يواجهه ألحق الثابت المستقرحتى يزهق الباطل ويزول، وينطفئ كشملة الهشيم ، وإذا بأتباع هذا الباطل يصيبهم الذلّ والصغار وهم يرون صروحهم تتهاوى أمام نور الحق المبين .

• ١٧ - وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِنِينَ .

أى : خر السحرة ساجدين شه ، مندفعين بقرة إلى إعلان خضوعهم للإيمان بالله حتى لكأن أحد قد دفعهم إليه دفعًا وألقامم إليه إلقاء

٩٢١ - قَالُواْ عَامَنّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

أى: أمنا وصدقنا بالله تعالى ، رب جميع الكائنات وإله جميم المخلوقات .

١٢٢ - رُبٌّ مُوسَى وَهَارُونَ .

والإله الذي آمنا به ومعاقناه : رب العالمين جميعًا ورب مرسى وهارون ، أرسلهما بالرسالة المقة وأيدهما بمعجزات صادقة .

وجملة : رَّبُّ وُسَى وَهَارُونَ . بدل من الجملة التي قبلها ، أو صفة لرب العالمين ، أو عطف بيان .

وفائدة ذلك : نفى تومّم من يتوهم أن ربّ الحالمين قد يطلق على غير الله تمالى ؛ كالول فرعون: أنّاً ربُحُمُ الْأَخْلَى .

من تفسير فتح القدير للشوكاني:

أخرج ابن جرير وأبو الشغيخ عن ابن مسعود وناس من الصحابة قال: التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جنت به حقّ؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يظلبه سحر، فوالله لئن غلبتنى: لأؤمنن بك ، ولأشهدن أنك على حق ، وفرعين ينظر إليهما وهو قول فرعين: إِنَّ هَذَا لَمُكُرِّ مُّ مُكْرَّتُوهُ فِي آلْمَنِينَةً .

والمتأمل يجد أن بشاشة الإيمان خالطت قلوب السحرة ، والعالم في فنَه : هو أكثر الناس استعدادًا للتسليم بالمقيقة حين تتكشف له ، ومن هنا ، فقد تحول السحرة من التحدى السافر ، إلى التسليم المطلق أمام صوبة الحق ؛ الذي لا يجحده إلا مكابر حقوب .

* * :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِمِعَبِّلَ أَنْ مَاذَنَ لَكُوَّ إِنَّ هَذَا لَمَكُرُّ مَكُرَّتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوامِنهَا أَهْلَهُ الْمَسْوَفَ تَعْلَمُونَ ﴿ لَا فَإِلَى الْمُؤَلِّقِي الْمُعْرَاقِ الْمُعَلِّمَةُ مِنْ خِلَافِئُمُ ٱلْمُ

لتفسده

١٢٣ - قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَتُهم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ .

قرئ بحذف الهمزة على الإخبار، وقرئ بإثباتها على الاستفهام التوبيخي من فرعون للسحرة.

فقد أنكر عليهم جرأتهم في إعلان الإيمان بموسى من قبل أن يأذن لهم فرعون .

فهو لغروره وجهله ظن أن الإيمان بالحق بعد أن تبين يحتاج إلى استئذان.

إِنَّ هَلَا لَمَكَّرُ مُكَرِّتُمُوهُ فِي ٱلْمَنبِينَةِ لِتُعْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا .

أى: إن ما صنعتموه من الإيمان بموسى وصدق رسالته لم يقع منكم؛ لوضوح حجته ، وصدق معجزته، بل هو حيلة اعتلتم بها ، وخديمة التذتموها بالاتفاق مع موسى فى مدينة مصر: لتخرجوا منها سكانها الأصليين – القبط – فيزول ملكهم ، وتزول دولتهم ، ويستقر لكم الأمر من بعدهم وقد قصد فرعون بهذا الأسلوب أن يلقى فرح أسماع عامة القبط بشهيتين .

الأولى: أن إيمان السحرة كان بناء على اتفاق سابق وتواطؤ مع موسى.

الطاقية : أن ذلك كان لإخراج أهل محسر من ديارهم ، وقصده تثبيت أهل محسر على ما هم عليه من عبادته والخضوع له ، وإذكاء نار عداوتهم لموسى وحقدهم عليه ، إذ ليس أشق على النفوس من مشار33 الأديان وترك الأوطان .

وهكذا يقف الطفاة ضد كل داعية مخلص ، وعندما أعان النبي ﷺ دعوته في أهل مكة ، قدم عليه بعض الوفود من العرب ، فقال له أحد الوافدين ، إن كلامك يا أشا قريش لمما تكريمه للملوك .

لأن دعوة الرسل المقة ، يترتب عليها إحقاق المق ، وإنهاق الباطل، والمكم بالعدل، وقطع دابر الظلم، ولذلك يحتال الطفاة الظالمون في سائر مراحل التاريخ ؛ لتشويه دعوة الرسل ، وإلماق التهم بالمصلحين. قال تعالى: :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لِرُسُلِهِمْ تُفْخِرِجَنَكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ تَصُودُنْ فِي مِلِّمَا فَاوْ حَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَيُفْلِكُنَّ ٱلطَّالِمِينَ . وَتُشْكِيْنَكُمْ ٱلْأَرْضَ مِن يَعْلِمِمْ ذَلِكَ لِمَنْ عَافَ مَقَامِي وَعَالَى َوَهِيْدٍ . (للهاهم: ١٤٠١)

فَسُوْفَ تَعْلَمُونَ .

أى: نسوف تعلمون الأهوال التي سأنزلها يكم جزاء إيمانكم بموسى وتواطئكم معه ، ثم فصل هذا الوعيد بقوله :

١٧٤ - لأَقَطَّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَكِ ثُمَّ لأُصَلَّبُكُمْ أَجْمَعِينَ .

أي : أقسم لأقطعن من كل شق منكم عضوًا مفايرًا للرَّخر.

أى: الرجل اليمنى واليد اليسرى، أو الرجل اليسرى واليد اليمني.

ثم أجعلكم مصلوبين في جنوع النخل ؛ زيادة في التنكيل وإفراطًا في العذاب والتشويه .

وغاية فرعون من ذلك التهديد والرعيد منعهم من الإيمان ثم أن يجعل منهم عظة وعبرة لغيرهم.

وفي الآية ٧١ من سورة طه نجد قوله تعالى:

قَالَ عَامَتُهُمْ أَنْ قَبَلَ أَنْ عَاذَنَ لَكُمْ إِلَّهُ لَكَبِيرُكُمْ اللَّهِي عَلَمْكُمْ السَّمْرُ فَالْأَفْلَعْنَ الْمِدِيكُمْ وَالْرَجْلُكُم مَنْ مِحارَّفٍ وَاصْلَيْتُكُمْ فِي جُدُّوعَ النَّخْلِ وَلَسُلُمْرًا أَنِهَا أَشْدُ عَلَيْهِا وَإِنْهِي .

* * *

﴿ قَالُوٓا إِنَّا إِلَىٰ رَبِنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَانَنِعِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْءَامَتَا إِنَائِكِ رَبِّنَا لَعَاجَلَةَ تُتَأْرَبُّنَا ۗ ٱلْمَرْخُ عَلَيْنَاصَةً/وَتَوَفَّنَا مُسْلِعِينَ۞﴾

المقردات ،

مشقليون، راجعون.

أطرخ علينا صيراء أفضه علينا وعُمَّنا به .

التفسيره

٩ ٢ - قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبَّنَا مُتَقَلُّونَ .

أى : خلا تبالى بالموت لانقلابنا إلى لقاء رينا ورحمته ، أو إنا جميمًا — يعنون أنفسهم وفرعون · نظلت إلى الله فيحكم بيننا .

فهو قد هددهم بعذاب الدنيا وهم هددوه بعذاب الأخرة .

لَقَد المَتَارِوا الموت في طاعة الله ؛ استَجابة لدعوته وإيمانًا برسالته ، وفي سورة الشعراء :

قَالُواْ لاَ ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبَّنَا مُنْقَلِمُونَ هِ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَنْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوْلَ ٱلْمُوْمِنِينَ .

٩ ٢ - وَمَا تَنْقَمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَلَا ... الآية .

أى: ما تكره منا وما تعييه وتنكره إلاّ خير الأعمال وأصل المفاخر وهو الإيمان بالله ، ومثل هذا لا يمكن العدول عنه مرضاة لك ولا طلبًا للزائمي إليك . وفيه تيئيس لفرعون ، وحسم طمعه في إيمانهم ، ثم أعرضوا عن مخاطبته وقالوا : ربّه أَقُر خُ مَيْهَا صَبْرًا ، وَمَقَا مُسْلِمِنَ .

أي : أهض علينا صبراً واسمًا تغرغه علينا ، وأيدنا بروحك ؛ حتى لا يبقى في قلوبنا شيء من خوف غيرك ولا من الرجاء في سرى نضلك .

وترفّناً إليك مذعنين لأمرك ونهيك ، مستسلمين لقضائك غير مفتونين بتهديد فرعون ولا مطيعين له في قرله ولا نمله .

ونلمط أن الإيمان بالله مصدر الشجاعة والمسر والثبات ومن ثم يحرمن زعماء الشعوب على بث النزعة الدينية بين رجالات الجيريش .

* * *

﴿ وَقَالَ الْكَلَاثُمِن فَوْ مِوْعَوَنَ أَنَذُرُمُوسَى وَقَوْمَمُولِيُفُسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَمَالِهَتَكُ قَالَ مَنْ تَغِيلُ آبُنَاتَهُ هُ وَنَسْتَتَى مِنسَاتَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَلِهِرُوبَ ۞ ﴾

المفردات

واستحيى تساءهم واستيلى نساءهم أحياء

التفسيره

١٢٧ - وَقَالَ ٱلْمَادُّ مِن أَوْمِ فِرْعَوْنَ ٱلْكُرُّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَلْرَكَ وَعَالِهَعْكَ .

أي : وقال الأشراف من قرم فرعون مخاطبين له أنترك موسى وقومه أمرارًا آمنين ، فتكون عاقبتهم أن يفسدرا عليك قومك بإدخالهم فى دينهم ، أو يجعلهم تمت سلطانهم ورياستهم ، ويتركك مع آلهتك ، فلا يعبدك ولا يعبدوها ، فيتلهر لأهل مصر عجزك وعجزها ؟!

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أمنت السحرة لتبع موسى عليه السلام ستمائة ألف من بنى إسرائيل .

والتاريخ المصرى المستمد من العاديات المصرية يدل على أنه كان للمصريين آلهة كليرة منها الشمس، ويسمونها : «رع» وفرعون عندهم سليل الشمس وإبنها .

قَالَ سَنَقَتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنُسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ.

أى: قال فرعون مجيبًا للملا; ستقتل أبناء قومه تقتيلاً ، كلما تناسلو) ، ونستبقى نساءهم أهياء كما كنا نفعل قبل ولادته : حتى ينقرضوا .

وَإِنَّا فُولَهُمْ فَلَهْرُوثُ . أى: غالبون ومستعلون عليهم بالغلبة والسلطان ، قاهرون لهم كما كنا من قبل، فلا يقدرون على أذانا، ولا الإفساد في أرضنا ، ولا الغروج من عبوديتنا .

* * *

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِفَوْمِهُ اَسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوٓ أَ إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهُ اَمْنَ يَسَاهُ مِنْ عِهَادِيَّهُ وَالْمَنْقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۖ قَالْوَا أُونِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَاحِثْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُعْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُلَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۗ ﴾

التفسير،

١ ٢٨ - قَالَ مُوسَى لِقُومِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُواْ ... الآية .

أى: قال لهم: ينا قوم ، اطلبوا معونة الله وتأييده على رفع ذلك الوعيد عنكم ، وإصبروا ولا تمزنوا .

فهو يحاول دعوتهم إلى التماسك والجلد أمام وعيد فرعون وتهديده.

إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَالِيَةُ لِلْمُعْقِينَ .

إن الأرض ليست ملكًا لقرعون وملقه ، وإنما هي ملك له رب العالمين ، وهو سبحانه بورثها لمن يشاء من عباده ، وقد جرت سنته — سبحانه — أن يجعل العاقبة الطبية ، لمن يغشاه ولا يغشى أحدًا سواه .

١ ٢٩ - قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمن بَعْدِ مَا جِنْتَنَا ... الآية .

كان بندر إسرائيل قبل مجيء موسى مستضعفين في يد فرعون يأخذ منهم إتارات مختلفة ، ويستعملهم في الأعمال الشاقة ، ويقتل أبنامهم ويستحيى نسامهم ، فلما بعث الله موسى لم يستملع أن ينقذهم من ظلم فرعون ، إذ كان يردّدهم ويظلمهم ويتهددهم ويترعدهم ، فاشتكوا إلى موسى ما يلقونه من سوء المعاملة وقالو) : أصابنا الأذي قبل رسالتك كما اشتد علينا بعد رسالتك !

قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَنُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ .

أى: قال موسى: إن رجائي من فضل الله أن يهلك عنوكم الذي ظلمكم، ويجعلكم خلفاء في الأرضر، أي: في أرض مصر أو في أرض فلسطين، وهو استخلاف مؤلّف، بدليل قوله تمالي:

فَيَظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .

أي : فيرى ربكم كيف تعملون في عبادته ومعاملة خلقه ، ليجازيكم على حسب أعمالكم ، فإن استخلافكم في الأرض من بعد هلاك أعنائكم ليس محاباة لكم ، وإنما هو استغلاف للاختبار والامتحان ، فإن أحسنتم : زادكم الله من فضله وإن أسأتم : كان مصيركم كمصير أعدائكم .

* * *

﴿ وَلَقَدَ أَخَذَنَا مَا لَذَا مَا لَوْمَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الشَّمَرَتِ لَمَلَّهُمْ يَدَّ حَكُرُونَ اللهُ الْمَالَةُ مَا أَخَدَا أَعَدَ أَخَذَا مَا أَنَّا مَا لَهُمُ الْمَا مَا اللهُ مَا اللهُ اللهُ مَا اللهُ اللهُ

المفردات ء

بالسنون : السنون : جمع سنة . والمراد بها هنا : القحط والجنب . يقال : أصابتهم سنة . أي: جَدَّبُّ .

الحسشة، كل غير والأقرب هذا هي السعة والقصب.

سينشه السيئة كل ما يسوء والأقرب هذا الجدب والقحط.

يطيرواه يتشاءموا.

كاثركم، يطلق الطائر على المظ والنصيب والعمل والرزق.

التفسيره

٥ ٣ - وَلَقَد أَخَلْنَا عَالَ فِرْعَوْنَ بَالسَّبِينَ وَنَقْص مَّنَ النَّمَوَات لَعَلَّهُمْ يَذَّكُرُونَ .

يخبر الله تعالى عن حكمته السامية ، حيث يأخذ المعرضين عن الهدى بألوان البلاء لعل ذلك يرشدهم إلى التضرح إلى الله والإيمان برسله . ولد أقسم القرآن بأن الله أخذ فرعون وقومه بالقحط الشيد والجدب وضيق المعيشة ، وأنقص زروعهم ويساتينهم بتسليط الأفات والأمراض التي فتكت بأكثرهم لعلهم يتعظون ويتدبرون في أمرهم . قيعلموا أن ما نزل بهم إنما هو بسبب كفرهم وطغيانهم فيرجعوا عما هم فيه من العثر والفساد ، ويؤمنوا بالله الواحد القهار ، فإن الشدة ترقق القلوب وتهذب الطباع ، وتوجه النفوس إلى مناجاة الرب سبحانه والعمل على مرضاته .

١٣١ -- فَإِذَا جَاءَتُهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَله ...

أي: فإذا جاءهم ما يستحسنونه من الغصب والسعة والرغاء ، قالوا بغرور وصلف: ما جاء هذا الغير إلا من أجلنا : لأننا أهل له ، ونحن مستحقون له يكننا ولجتهادنا وامتيازنا على غيرنا ، ناسين فضل الله عليهم ، ولطفه بهم غافلين عن شكره على تعمائه .

وَإِنْ تُصِيهُمْ سَيَّتُهُ يَطَيِّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ .

أى: وإن اتقل أن أصابتهم سيئة ، أى حالة تسوؤهم كالجدب والقحط أو مصبية فى الأبدان أو الأرزاق، تشاممها بموسى ومن ممه من أتباعه ، ونسبوا ذلك إليهم ، وقالوا : ما حلت بنا الكوارث وما أصابتنا النوائل إلا بشؤم موسى ومن ممه وار لم يكونوا معنا لما أصبنا ، وذلك لقسوة تلويهم وتركهم التدبر فى الأيات والنذر،

« والتطير : هو التشاوّم على عادة العرب من زجر الطير فكانوا إذا أطلقوا طائرًا فطار إلى اليمين تيامنوا به واستبشروا وسموه : (سانسًا) ، وإذا طار إلى اليسار تشاموا به وسمّوه : (بارسًا)^{(۱۱})

وقد نهى الإسلام عن التطير والتشاؤم وأباح التفاول والاستبشار.

روى البغاري في منحيمه أن رسول الله ﷺ قال :

«لا عدري ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. وقرّ من المجدّوم قرارك من الأسد» (١٠٠).

وفي الحديث: « لا طيرة رخيرها القاَّل: قالوا: وما القاَّل يا رسول الله ؟ قال: «الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم» ٣٠٠.

والأحاديث تنهى عن التشاؤم ؛ لأنه يضعف الهمة والعزيمة ، ويجعل الإنسان يتوقع المصائف ، فإذا رأى الإنسان ما يتشام منه قال : «اللهم ؛ لا يأتى بالغير إلا أنت ولا يذهب السوء إلا أنت ، اللهم اكننى السوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير *** ، ثم يمضى فى طريقه ولا يترك عمله .

وهذا معنى الحديث الشريف : «لا طيرة» .

أي: لا تتشامم ولا تترك أي عمل واستحد بالله من السوء ، ثم توكل على الله .

لكن هذاك الفأل المسن ، وهو أن تسمع كلمة تتفاءل بها .

كأن تذهب إلى مهمة أو مصلحة فتسمع من يقول: ناجع أو فالع أو رابع أو منتصر.

فيباح لك أن تتفاءل وتستبش وتتوقع خيرًا من ذلك العمل إن شاء الله .

أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ.

أي: إن ما ينزل بهم من خير أو شر ، وما يحل بهم من بلاء أو عافية هو من عند الله ، وأن ليس لموسى ولا لقومه شرء في هذا الأمر كله .

وكل من الشر والخير ابتلاء من الله لعباده ، قال تعالى: وَلَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْغَيْرِ فِسَةً . (الأنبياء : ٣٥)

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ .

أي: ولكن أكثر مؤلاء الطفاة الجبارين جهلاء ، لا يطمون أن ما حل بهم من الشدائد والنوازل ، ما هو إلا بلاء من عند الله وحده ، بسبب تنويهم واستعلائهم في الأرض بغير المق ، ليزيدجروا ، لا بسبب موسى ومن معه ، وما أسابهم من الفير ما هو إلا قتنة لعلهم يتذكرون ويشكرون ، لكنهم يجهلون حكمة تصرف الفائق في هذا الكون ، ويجهلون أسباب الفير والشر ، ويجهلون أن كل شيء في الكون بمشيئة الله وتدبيره.

* * *

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْنِنَا يِعِدِينْ وَايَقَ لِتَسْمَوْنَا بِهَا فَمَا غَنْ إِلَى بِمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾

التفسيره

١٣٧ - وَقَاتُواْ مَهْمَا ١٨٥ تَأْتِنَا بِهِ مِنْ عَايَةٍ لَّقَسْحَوْنَا بِهَا ...

أى : قال فرعون وقومه بعد أن عاينوا ما عاينوا من أمر العصا واليد والسنين ونقص الثمرات: أي آية تأتينا بها يا موسى ، وإن عظمت وكثرت لتسحر بها أعيننا وتموّه بها علينا فلسنا لك يمصدقين ولا برسالتك مؤمنين ؟!

فقد دلخلهم العداد والإمبرار، وإدعوا أنه لا فرق بين المعجزة والسجر.

لَهُمْ نَحْنُ لُكَ بِمُوْمِينَ . أي: بمصدقين لك ، ولا بمتبعين لرسالتك .

﴿ فَأَرْسَلْنَاعَلَيْهِمُ الشَّوَفَانَ وَالْمُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَاجِ ۚ وَالدَّمَ ۚ اَيْتِ مُفَصَّلَتِ فَاسْتَكَبْرُوا وَكَانُوا فَوْمَا نَجْرِمِينَ ۞ ﴾

التفسيره

٩٣٣ - فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَالْمَجَرَادُ وَالْقَمْلُ وَالصَّفَادِعُ وَاللَّمْ هَايَاتٍ مُفَصَّلاتِ فَاسْتَكَبُرُوا وَكَانُوا قَوْمًا صُعْرِمِينَ.

أى: فعاقبنا فرعون وقومه بأنواع العقوبات؛ لمَّا أُصرُّوا على الكفر ولم يعتبروا بما رأوا من الآيات.

وقد عند سبحانه هنا من الآيات خمسًا وفي سورة الإسرأء تسعُّا٣٠].

١ – ٱلْطُّولَانَ : أي : المطر الشديد الذي أغرق أرضهم وأثلف زرعهم وثمارهم ، وقريب من ذلك ما أصاب مصر في شتاء ١٩٩٧م ، حيث أثلفت مياه الأمطار كثيرًا من النباتات والجسور والبيوت .

٢ - ٱلْجَرَادُ : الذي أكل الزرع والفرس والثمار ، وألحق بأبواب بيوتهم وسقوقها التلف .

٣ - ٱللَّهُ مِلَّ : الذي ملا ثيابهم وأجسامهم وشعورهم وعيونهم ؛ وهر القمل المعروف. ويحتمل أنه البراغيث.

الشُّفَادِغ: فملأت المنازل والمضاجع والأطعمة والأشرية: حتى أقلقتهم ومماروا لا يطيقون الحياة
 معها.

ه – ٱللَّمُ: الذي اختلط بالماء ، فصاروا لا يستسيغون شربه ، أو ابتلاهم بالرعاف .

ءَايَاتٍ مُفْصَّلات : أي: مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله .

وقيل : إن تقميلها : هو تفريقها في أزمان مختلفة عن بعضها بحيث تظهر السابقة عن اللاحقة .

فَأَسْتَكُبُرُواْ وَكَالُواْ قُوْمًا مُجْرِمِينَ .

فامتنعوا وتعالوا ، وأنقوا من الإيمان بموسى عليه السلام ، وكانوا بكفرهم وعنادهم قوماً مُعَرِّضٍ . مهالغين في الكفر والعدوان وإيدائهم لموسى وللمؤمنين به . ﴿ وَلَمَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا يَعْمُومَى ادَّعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَاعَهِ مَعِندَكُّ لَمِن كَشَفَت عَنَّا الرِّجْزَ لَنُوْمِنَ لَكَ وَلَنْرِيلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِمْرَّ عِلَى فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰ أَكِيلٍ هُم يَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُنُونَ ۖ قَالَ الْمَنْفَاعِنَهُمْ فَأَغَرَقْنَهُمْ فِي الْمَيْ إِلَيْمُ كَذُولُوا يَانِينَا وَكَ الْوَاعْلَىٰ الْمَالِينَ فَي اللَّهِمُ كَذُولُوا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ

المقردات ء

الرجازة العذاب.

يتكثون، ينقضون العهد بعد توكيده وأصل النكث: فك الغزل ثم استعير ؛ لنقض العهد كما هذا .

التفسيره

٣٤ - وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجُزُ قَالُواْ يَامُوسَى آدَعُ فَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ثَيْن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرَّجَزُ تَلْوُمِيْنَ لَكَ وَقُرْسِلُوْ مَمْكَ بَيِي إِسْرَّعِلُ .

أى: ولمًا وقع ذلك العذاب عليهم ؛ اضطربوا وفزعوا أشد الفزع ، وقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك وتوسل إليه بعهده عندك ورسالته لك أن يكتفف عنا الرجز والعذاب ، وتحن نقسم لك لنن كتففته عنا لنزمنن لك ولمزيملن معك يني إسرائيل 1

وفي الثوراة : إن فرعون كان يقول الموسى حين نزول كل آية منها : ادع لنا ريك واشفع لنا عنده أن يرفح عنا هذه ، ويعده أن يرسل معه بني إسرائيل ؛ ليعيدوا ربُّهم ثم ينكث :

١٣٥ - لَلْمًا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَى أَجَلِ هُم يَالِفُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ .

أى: ظما كففنا عنهم ما نزل بهم من العذاب ، ورفعنا عنهم الشرّ ، ورحمناهم بذلك ؛ إجابة لدعاء موسى عليه السلام ، إلى أجل هم بالغوه ، ومنتهون إليه ، وهو الغرق الذي هلكي فيه ، إذا هم ينكلون في عهدهم ويمنثون في قسمهم في كل مرة .

١٣٦- فَٱلتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمَّ بِٱلَّهُمْ كَلَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَالُواْ عَنْهَا غَافلينَ .

كان فرعون وقومه يظهرون الإيمان عند كل آية من آيات المداب ، وفي كتب التفسير كالطبري وابن كثير : روايات تفيد : أن العذاب تتابع عليهم لوناً بعد آخر . فقد اشتد عليهم المطرحتي خافوا منه الهلاك؛ فقالوا لموسى: ادع لنا ربك أن يكشف عنا هذا المطر، فنوّمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا موسى ربّه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، ثم كثر النبات وكثرت الزروع والثمار، وأعرضوا عن الإيمان .

فسلط الله عليهم الجراد ، يتلف لهم الزرع والمحصول فاستفائوا بموسى ، فدعا ربه فكشفه الله عنهم فلم يؤمنوا !

غارسل الله عليهم القمل والسوس الذي أتلف القمح وأفسد الممصولات ؛ فاستفادوا يموسى وكشف عنهم العذاب ولم يزمنوا ا

فأرسل الله عليهم الضفادح تملأ بيوتهم وطعامهم وتقفر إلى أفواههم ، فاستفاثوا ثم لم يؤمنوا !

فأرسل الله عليهم الدم في طمامهم وشرايهم وأرعيتهم : ثم استفاثوا بموسى فدعا ريَّه فكشف علهم العذاب ثم لم يؤمنوا بموسى ولم يصدقوا في وعويهم ممه :

وهنا ينيد القرآن: أن الله أمهلهم كليرًا حتى إذا اشتد طفياتهم عاقبهم الله عقايا رادعًا بسبب نقض العهد وعودتهم إلى تكذيب الآيات وارتكاب المعاصى .

وكان هذا الانتقام هو إغراقهم فى البحر بإطباقه عليهم ، حين أرادوا اللحاق بموسى وهو يعيره بقومه إلى سيناء بعد أن انتقل له بضرية من عصاء .

والقرآن منا يسوق حادث إغراق فرعون وملئه يصورة مجملة ، فلا يفصل خطواته كما قصلها فى مواطن أغرى ، وذلك لأن المقام هنا هو مقام الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطويل ، فلا داعى إذن إلى طول العرض والتفصيل .

ولأن سررة الأعراف يغلب عليها الإنذار وتخويف المكذبين بما حل بالأمم السابقة فقد جاءت بهذه الآية رُجرًا لأهل مكة وسائر المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين لآياته، فكأنها تقول: تلك عقبى الذين ظلموا.. لقد أغرقهم الله بذنويهم ، بسبب تكذيبهم بآيات الله ، وغفلتهم عن موقع العبرة والعظة منها والسعيد من اتعظ بغيره . ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْكِوثَ الْأَرْضِ وَمَفَكِرِ بَهَا الَّيِّي بَــُرَكُنَا فِيهَ ۚ وَتَـمَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَقِيّ إِسْرَهِ بِـلَ بِمَا صَبَرُكا ۗ وَدَمَّرَنَا مَا كَانَ يَعْسَنَعُ فِرْعَوْثُ وَقَوْمُتُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ۖ ﴾

المفردات ،

وتبسيته، تعلقت رمضت.

كلمت ريك ، وعد ريك بالنصر.

العسلى: تأنيث الأحسن معقة الكلمة.

التفسيره

١٣٧ - وَأَوْرَكُنَا ٱلْقُومُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَعَدْعَفُونَ مَشَادِقَ ٱلأَرْضِ وَمَفَارِيَهَا ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ...

أي: بعد أن أغرق الله فرعون وقومه ، نجَّى موسى وقومه بنني إسرائيل الذين كانوا يستضعفون بلتل الرجال واستخدام الإناث وإذلائهم واستمهادهم .

أورثهم الأرض التى عبروا البحر إليها وهى فلسطين ، وقد أورثهم مشارقها ومغاربها ، أو أورثهم مشارق أرض الشام ومغاربها .

أن مشارق أرض فلسطين من حدود الشام ومغاربها من حدود مصر ، وقد بارك الله في هذه الأرض بركات مادية ومعنوية : فقد بارك الله فيها بالخصيب وسعة الرزق ، وجعلها موثل الرسالات والنبوات ويها السَّ جد الأقصى الذي نخله أعداد من الرسل والأنبياء .

قال تعالى : سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى يِعَيْدِهِ لَيْلاً مَّنَ ٱلْمُسْجِدِ ٱلْخَوَاهِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَلْصَا ٱلَّذِي يَارَكُنا حَوْلَهُ . (الإساء: ١)

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: وَنَجْهَاهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكُنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ . (الأنبهاء: ٧١)

وقال تعالى : وَلِسُلِّمُانَ الرَّبِعَ عَامِفَةً تَجْرِى بَأُمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكُنَا فِيهَا ... (الأنبياء : ٨١)

وَتُمَّتُ كُلِمَتُ رَبُّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَاهِيلَ بِمَا صَبَرُواْ .

أى: ونفذت كلمة الله ومضت على بنى إسرائيل تامة كاملة بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من فرعين وقومه ، وقد كان وعد الله تعالى إياهم مقرونا بأمرهم بالمسير والاستقامة ، وقد وعد الله العاملين بالنصر والتمكين .

قال تعالى : وُلْرِيدُ أَن لَمَنْ عَلَى اللِّينَ اَسْتَصْغُواْ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَلَهُمْ أَلِيَّةً وَنَيْسَلُهُمْ الْوَارِقِينَ ، وَلُمَكُن لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلُوكَ فِرْعُونُ وَهَامَاتَ وَجُلُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَالُواْ يُعَلِّرُونَ . (النسمين : ١٠ ه

قاديب من ذلك قوله تعالى : قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ آسَعَيْدُواْ بِاللَّهِ وَآصُبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِقُهَا مَن يَشَاهُ مِنْ صَادِهِ وَآلْمَالِلَّهُ لِلْمُنْقِينَ . (الأمراط: ١٧٨)

وَهُمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَفْرِشُونَ .

أي: وحريننا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعسوح والعمارات، وما كان يهتمون بغرسه من البسائين والجنات، وتلك نهاية عادلة لطفيان فرعون واستعلاقه في الأرض بغير المق.

تنبيه

تحدث القرآن عن بنى إسرائيل بأنهم عندما آمنوا بموسى واتبعوا أوامر القورة: : أعطاهم الله اللمسر والتمكين في الأرض فأورثهم فلسطين عندما كانوا مسلمين حقًّا ، ومؤمنين صادقين .

وفي هذا الإطار نجد أيات كريمة تتحدث عن تفضيلهم وإكرامهم ونصرهم .

مثل ثوله تعالى : يَا بَنِي إِسْرَامِيلَ آذْكُرُواْ يِعْمَنِي آلِّي أَلْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَصْلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. (البقرة: ٤٧)

ومثال الآية التي نشرحها حيث يقول تمالى : وَأَوْرَكُنَا ٱلْقَرْمُ ٱللَّهِينَ كَانُواْ يُسْتَعْشُفُونَ مَشَادِقَ ٱلأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا ٱلَّهِي بَارَكُنَا فِهِهَا وَمُثَّتَ كَلَمَتُ رُنِّكَ ٱلْعُسْتَى عَلَى بَنِي إِمْرَتِيلَ بِمَا صَبِّرُواْ . (الأعراف. ١٣٧٧)

وعندما قست تلويهم ، وحرَّفُوا الثوراة ، وأضافوا إليها ما ليس منها ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لعنهم الله، وكتب عليهم الذلة والمسكنة ، وسلّط عليهم أعدامهم في القديم والعديث ، فقد سلط عليهم بختنصر الهابلي قبل الميلاد ، وسلط عليهم الرومان والألمان والعرب المسلمين : عقوبة على نسادهم.

قىال تعالى: لَٰمِنْ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ مِن يَنِي إِمْرَاهِلَ هَلَى لِسَانِ دَاُودَ وَهِمِنَى ٱبْنِ مَرْهَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَالُواْ يَعْفُرُون هِ كَالُواْ لاَ يَقَاهُونَا هَنِ مُنْكَرُ لِعَلُوهُ لَيْسَ مَا كَالُواْ يَقْعُلُونَ . (العالمية ١٧٨ , ٧٧) وقال تعالى: وَقَضَيّاً إِلَى بَنِي إِسْرَاحِلَ فِي آلْكِتَابِ لَقْسِلْدُا فِي آلاَرْضِ مَرَتَّىنَ وَتَعَلَّى عُلُوا كَبِرا وَالِانَا جَاءَ وَعُدُ أو لاهُمَا بَشَكَ عَلَكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلِي بَأْسِ هَدِيدٍ فَجَاسُوا حِلالَ آلنَّهِ وَكَانَ وَعَنَا مُقْمَقٍ لا وَ قُمْ رَدَدْنَا كُمُّ آلكُرَةً عَلَيْهِمْ وَأَمَدُونَاكُم بِأَمُوال رَبَعِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكُثَرَ فَهِرًا و إِنْ أَحْسَتُم أَحْسَتُم الْأَنْسِكُمْ وَإِنْ أَسَلَّمُ فَلَهَا قَلَيْ عَلَيْهِمْ لِيسُوهُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيدَ عُلُوا ٱلْمَسْجِدِ كَمَا دَعُلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلِيُشَرُّواْ مَا عَلُوا تَنْبِرًا ه عَسَى ذَيْكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَلَيْمَ عُلْنَا وَجُوهَكُمْ وَلِيدَ عُلُوا ٱلْمَسْجِدِ كَمَا دَعُلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلِيُشَرُّواْ مَا عَلُوا تَنْبِرًا ه عَسَى ذَيْكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَلَيْمِ

وهذه الآيات تقيد أن بني إسرائيل سيفسدون في أرض فلسطين مرتين أي : مرة بعد أخرى .

وفي المرة الأولى يسلط الله عليهم عبادًا ينقدون أمره ولعل هذا الإنسان هو بختنصر البابلي ، وقد حارب بني إسرائيل في سنة ٢٠٦، وفي سنة ٥٩٩ ، وفي سنة ٨٨٥ ق. م . ثم ساعدهم قورش ملك الغرس سنة ٢٧٦ ق . م ، فعادوا لبلادهم وأعادوا بناء هيكلهم .

ولعل المسلط عليهم في المرة الثانية هم الرومان بقيادة تيطس سنة ٧٠ م .

وقد قتل منهم تيطس مليون قتيل وأسر منهم ماثة ألف أسير.

ثم تفرقوا في البلاد وأصبح تاريخهم ملحقًا بتاريخ الممالك التي نزلوا فيها .

ولم يرجع الهوي إلى فلسطين إلا في العصر الحديث ، بعد أن ظلت فلسطين في يد العرب المسلمين ١٩٠٠ سنة ، ومنذ ذلك الحين وفلسطين بلد من بلاد المسلمين علينا استرداده وتحريره بإذن الله ، والله مع المنتهن !

* * *

﴿ وَجَنُونَا بِمَنِيَّ إِسْرَهِ مِلَ ٱلْبَحْرَ فَٱثْوَا عَلَ قَوْمِ يَتَكُفُونَ عَلَّ أَصْنَامِ لَهُمَّ قَالُوا يَنْمُوسَى اَجْمَلُكُمْ إِلَيْهَا كُمَا لَمُهُمَّ الِهَدُّ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجَعَلُونَ ﴿ إِنَّهُ مُثَا فِيونَكِلِلِّ مَا كَانُوا إِصْمَلُونَ ﴿ ﴾

اللقردات ،

وجناوزته وعبرنا وقطعنا بهم البحر.

السائسواء مرواء

يعكشون، يقيمون ويلازمون.

منستير، هالك.

ويساطسل ، ومضمحل زائل .

التفسيره

١٣٨ - وَجَاوَلُنَا بِنِي إِسْرَاهِلُ ٱلْبَصْرُ فَالْوَاْ عَلَىٰ قَرْمٍ يَعْتَكُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لِلْمُ قَالُواْ يَاسُوسَى ٱلبَسُلُ لَنَا إِلَهَا كُمَا لَهُمْ عَالَمُهُ مَا اللّهُ مِنَاكِمَةً مِنَا اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ

تفهيده

بين سبحانه نعم الله على بنى إسرائيل ، فقد أنجاهم من عدوهم حين ضرب موسى بعصاه البحر الأحمر «بحر القائرم» فانقلق البحر وصار كل جانب من الدياه كالجبل العظيم وسار موسى مع قومه في طريق يابس بين المياه العالية ، وقد أتبعهم قرعون بجنوبه ليدركهم ، فتركه الله إلى أن خرج بنر إسرائيل من البحر ، ثم أطبق البحر على فرعون وجنوده وأغرقهم أجمعين ، وتركهم عبرة وعظة لهلاك الظائمين ، وخيلة المعتدين .

ويت أن شاهد بنن إسرائيل بأعينهم هلاك عدوّهم ونجاتهم من الغرق بلضل الله ، إذا بهم يعودون إلى طبيعتهم الرفنية في عبادة الأصنام .

وَجَاوَزُنَا بِينِي إِسْرَاهِيلَ ٱلْيَحْرَ ...

المحمى: وعبرنا ببنى إسرائيل البحر إلى شاطئه الشرقى وسلكناه بهم بعد أن انفلق وانشق بضرية موسى عليه السلام .

فَأَقُواْ عَلَىٰ قُومِ يَعْكُفُونَ عَلَيْ أَصْنَامِ أَهُمْ.

أى قدرٌ بنر إسرائيل على جماعة من الناس يقيمون على عبادة أسنام مستعوما بأيديهم ويالتزمون بتطيمها رتقديسها .

ولم يذكر القرآن شيئًا يمين شأن مؤلاء القوم الذين أتى عليهم بنو إسرائيل ، والراجح أنهم من العرب الذين كانوا يقيمون بقرب حدود مصر ، روى عن قتادة : أنهم من عرب لغم ، وعن ابن جريج : أن أسنامهم كانت تماثيل بقر من نحاس .

قَالُواْ يَامُوسَى آجَعَل لَكَا إِلَهَا كَمَا لَهُمْ مَالِهَةً .

أي : قال ينو إسرائيل لموسى: أجعل لنا إلها نختص به وتنفرد بعبادته يكرن مماثلاً نتلك الآلهة : التي اختص بها هولاء ، وانفردوا بعبادتها من دون الله .

قَالَ إِنْكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ .

أى: إنكم تجهلون مقام التوحيد ، وما يجب من تخصيص الله بالعبادة بلا واسملة ولا مظهر من المظاهر كالأصنام والتماثيل والمجل أبيس والتعابين -- فالله قد كرّم البشر وجملهم أهلاً لمعرفته ودعائه ومذاجاته بلا واسطة تقريه إليهم ؛ فإنه أقرب إليهم من حبل الوريد .

٣٩ - إِنَّ هَوُّ إِ مُعَيَّرُ مَّا هُمْ فِيهِ وَيَاطِلٌ مَّا كَالُواْ يَعْمَلُونَ .

إن هؤلاء الذين تبغين تقليدهم في عبادة الأوثان ممكوم على ما هم فيه بالدمار، ومقضى على ما يعملونه من عبادة الأصدام بالاضمملال والزوال ، لأن دين التوحيد سيظهر في هذه الديار ، وستصير العبادة اله الواحد القهار.

من كلام المفسرين

٩ - قال الإمام الرازي: والمراد من بطلان عملهم : أنه لا يعود عليهم من عبادة ذلك العجل نقع ولا دقع ضرب

٣ - قال الأستاذ سيد قطب - في ظلال القرآن - كلامًا طويلاً علاصته : إن موسى عليه السلام لا يواجه هذا طاغوت فرعون وملته ، وإكنه يواجه المعركة مع (النفس البشرية) فليس أفسد للنفس البشرية من الذل والمفسوع للطفيان طويلاً .

وقد عاش بنو إسرائيل في هذا العذاب طويلاً ؛ حتى فسدت نفوسهم وفسدت طبيعتهم ، والترت طبيعتهم ، وانحرفت تصوراتهم ، وامتلأت نفوسهم بالجين والذلّ من جانب، ويالحقد والقسوة من الجانب الأخر ، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية ، حيثما تعرضت طويلاً للارهاب والطفهان ...

٣- قال القرطي: ونظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة مضراه للكفار تسمّى: ذات أنواط - لأنهم كانوا يتوطون بها سلاحهم أي: يعلقونه - وكان الكفار يعظمون هذه الشجرة في كل سنة يوما ، قال الأعراب: يا رسول الله على النا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله على : «الله أكبر ، قلتم والذي نفسى بهده كما قال قوم موسى : آجَسُ لنا إنها كما تُهم غَرافها في التركين سنن من قبلكم حدو القذة بالله المنافذة (٣٠ حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، وكان هذا في مخرجه إلى حنين (٣٠).

عاء في تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغى:

وللمسلمين عبرةً فى هذا قان لهم ذات أنواط فى بلاد كثيرة كشجرة والحنفى» بمصر، وقد اجتلات أهيزًا، وشجرة وست المنضورة ونحو ذلك مما اتغذوه من القبير والأشجار والأحجار التى يعكفون عليها ويطوفون حولها ، ويقبّرنها ، ويتحرغون بأعتابها ، ويتمسحون بها ، خاشعين ضارعين ، راجين شفاء الأدواء ، والانتقام من الأعداء رحيل العقيم ، وردّ الضالة ، وغير ذلك من النفع ، وكشف الفحرّ ، وهذا مطالف لنصوص كتاب الله وسنة رسوله ؛ إذ هذا عبادة وإن كانوا لا يسمونها بذلك ، فلا فرق بينه ويين شوك الجاهلية وإلا بالتسمية» ؛ إذ حقيقة العبادة : كل قول أن عمل يوجّه إلى معظم يرجى نفعه أن يخشى ضرّه وحده الإ

* * *

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْمَنْكِينَ ﴿ وَإِذْ اللَّهِ اللَّهِ ال أَجْمِنَنَكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوّة ٱلْعَذَابِ يُقَيِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَعْيُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

المقردات ا

ابشيكم؛ أطلب لكم.

السمالين، جمع عالم وهو ما سوى الله . والمراد هذا : عالمو زمانهم وعصرهم ،

يسومونكم ، يلزمونكم إياه ، يقال : سامه الأمريسومه : كلفه إياه وألزمه به ، وأكثر ما يستعمل في العذاب. بسسسلام ، اختبار .

التفسيره

١٤ - قَالَ أَغَيْرُ ٱللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلهًا وَهُو فَعَشْلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ .

أى: كيف أطلب لكم غير الله إلها تعبدونه ؟! وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعضُ منها.

وهنا يذكّرهم موسى بأقرب النعم عليهم ، من إنقائهم من أسر فرعون وقهره ، وما كانوا فهه من الهوان والذُلّة ، وما صاروا إليه من الاستعلاء والمزة .

وَهُوَ لَطَمْلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ .

أي: على عالمي زمانكم ؟ بهدايتكم إلى الدين الحق ، وتفضيلكم على أهل زمانكم ممن كانوا أرقى منكم

مدنية وحضارة وسعة ملك وسيادة مثل فرعون وقومه ، حيث جعل رسالة موسى وهارون منكم ، وتُجديد. ملة إبراهيم فيكم .

وهذا التفضيل مُقَيِّد باتباعهم تعاليم السماء ورسالة الأنبياء.

لكنهم لم يصنونوا مذه الأمانة ، يتحريفهم كلام الله ، وعدوانهم فى السبت ، واتهامهم لمريم بالسوء، وادعائهم : أنهم تتلوا المسيح عيسى ابن مريم ، وغلوم فى حب المادة ، وإهمالهم ررح الدين وتحاليمه .

فحق عليهم اللعن والطرد ، وسلط الله عليهم من ينتقم منهم في تاريخهم الطويل .

1 \$ 1 - وَإِذْ النِّهِيَّاكُم مِّنْ وَالْ فِرْعَوْنَ يُسُومُونَكُمْ شُوءَ الْعَلَابِ لِلْتَلُونَ الْبَنَاءُكُمْ وَيُسْتَحَبُّونَ لِسَاءُكُمْ وَفِي ذَلِكُم بِلاَّهُ مِّن رَّكُمْ عَظِيْهُ .

لفت موسى نظرهم إلى أجل تعم الله عليهم ، فقد عاشوا زمنًا طويلاً أدلاء تحت عذاب فرعون وقومه ، فقد كانوا يذبحون الأطفال الذكور ، ويتركون الإناث للخدمة والاستغراش ، ثم أرسل الله موسى وأنقذهم به من العذاب والمهانة ، وعبر بهم موسى البحر ، وفي هذا الابتلاء ، اختبار من الله لهم ، بالشدة ثم بالنصر والنعمة ، ويجب عليهم أن يشكروا للله على ذلك ، وأن يخلصوا في عبادته .

وهكذا تدرج موسى فى تسفيه طلبهم أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، وذكَّرهم بأجلَّ النعم من الله عليهم؛ حتى يخلصوا فى عبادته ، ومتى يبتعدوا عن عبادة غيره .

هو اثث ۽

١ - جاء في ظلال القرآن ما يأتي:

نَكُرهم موسى بأقرب الأشياء [ليهم : لأنها أقرب المجبع عليهم ، وإلا فمثل موسى لا يطلب ربًا سوى الله ، ولا يدعوهم إلى رب سوى الله ، فضَّلهم أو لم يفضَّلهم ، أنجاهم من ظلم فرعون أن أبقاهم ، ظله الأمر من قبل ومن بعد .

ومن بداية الآيات نشعر كيف يتسرب الانحراف ، وكيف يبدأ ، وكيف يكرن ، فها هي أمة ترى المعجزات التي رأتها ، ومع ذلك فإنها تطلب أن يكون لها أسنام ، تعبدها من دون الله ، ورسولها بين أظهرها ، وأرجلها لم تكد تمارز البحر ، الذي رأت في سيرها فيه وانشقاقه لها أعظم معجزة !

٢- جاء في تفسير النسفي ، أن يهوديا قال لعلى رضى الله عنه : لمتلقتم بعد ذبيكم قبل أن يجف ماؤه «يظهر أن المراد : ماء القبر الذي يربقُ عليه حين الدفن لتسويته ۽ فقال ربًّا عليه: قلتم : لجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم . ﴿ وَوَعَدْنَا مُومَى ثَلَنْدِيكَ لَيُلَةً وَاتَّمَمْنَهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ وَأَرْبِعِينَ لَيُلَةً وَقَالَ مُومِنَ لَيَلَةً وَالْمَدِينَ لَيَلَةً وَقَالَ مُومِن لِأَخِهِ مِعْدُون كَلَمَةُ وَلَا تَلْبَعُ سَكِيلَ الْمُقْسِدِينَ اللَّهُ وَلَا تَلْبَعُ سَكِيلَ الْمُقْسِدِينَ اللَّهِ وَلَمَا اللَّهُ مَن اللَّهُ وَلَكِينَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَكِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَكِينَ اللَّهُ اللَ

المضردات ء

ميقات ريه: أي: الوقت الذي وقته ربه وحدده لمناجاته وتلقى ألواح التوراة.

تجا انكشف وظهر.

دكيييا، أي: مدكركا منهارًا مهدومًا .

عـــر، سقط.

مسمقيان مفشأ عليه

التفسيره

٢ ٤ ٢ - وَوَاعَدُنَا مُوسَى ثَلَاتِينَ لَيْلَةً وَأَتُمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ لَعَمَّ مِيقَاتُ رَبَّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... الآية .

روى أن موسى عليه السلام ، وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عديّهم ؛ أتاهم بكتاب من عدد الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون ؛ سأل موسى ربّه : الكتاب ، فبينت هذه الآيات كيفية نزول هذا الكتاب وهو القوراة .

من جملة ما كرَّم الله به موسى وشرَّفه ، ضرب هذه المدة موعدًا لمناجاة موسى ومكالمته .

وثفيه كتب التفسير : أن الأيام الثلاثين الأولى كانت شهر ذى القعدة ، والأيام العشر التي أكملت الأربعين كانت أيام عشر ذى الحجة .

وقد مكث موسى في هذه المدة صائصًا قائمًا مثبتلاً فوق جبل الطور ، وفي هذه المدة تربية روحية لموسى بالصفاء والنقاء والعبادة والتأمل وقوة الروح وصفاء النفس . وفي ختام هذه المدة ، ويعد أربعين ليلة من التحتّب والعبادة أنزل الله عليه التوراة وكلّمه عند انتهاتها . وأعطاه الألواح المستملة على أصول للشريعة .

جاء في العراة في سفر اخروج: دوقال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل وكن مناك فأعطيك لوحى المجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم ، فقام موسى ويخوع خادمه ، وصعد موسى إلى جبل الله المجارة والشريعة والوصية التي المبارة على جبل الله المبارة في المبارة في المبارة المبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة والمبارة المبارة والمبارة والمبارة المبارة والمبارة والمبارة

وَقَالَ مُوسَى لأَعِيهِ هَارُونَ ٱخْلُفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَعْبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِلِينَ .

استخلف موسى ألهاه هارون على رعاية قومه وإصلاح شئونهم وتفقد أحوالهم ، وزوده بالنصيحة المذيدة : فهو يعلم تمنّت بني إسرائيل وعنادهم ذقال لهارون :

كن خليفتى فى قرمى ، واعمل على إصلاح عيشهم وحياتهم وعقيدتهم؛ حتى أرجع إليهم ، ولا تسلك طريق الذين انفسسوا فى الغواية والفساد ، ولا تطمهم فى ذلك ، بل ردّهم إلى الحق والصنواب ، ويين لهم طريق الهدى والرشاد .

١ ٤٣ - وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنا وَكُلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبُّ أَدِلِي أَفَطُّرْ إِلَيْكَ ...

أى: ولما جاء موسى إلى الجبل لأجل ميقات ربّه.

وَكُلُّمَهُ رَبُّهُ .

أى: بلا واسطة ولا كيفية شكلام الله الأزلى ليس كمثله شيء ، وقال بعضمهم : إِنَّه كان يسمع الكلام في سائر الجهات الأربع ومن جنبات نفسه .

قال السفى: وَدَى الشيخ في التأويلات: أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تمالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتًا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك المسوت مكتسبًا لأحد من الغلق.

قَالَ رَبِّ أَرنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ .

عن أفادة: لما سمع موسى الكلام : طمع فى الرؤية – أى : اشتياقا – للجمع بين فضيلتى الكلام · والرؤية، فقال: رب أرضى ذاتك المقدسة ومكنى من رؤيتك بأن تتجلى لى حتى أراك .

قَالَ لَن تَرَالِي وَلَكِن ٱلطُّرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِن ٱسْتَقَرُّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَالِي .

أى: قال الله لموسى: لن ترانى فى دنياك هذه ، بالعين الفائية فى هذه الدنيا الفائية ، بل بعين باقية فى الدار الباقية .

قال الشوكاني في فعم القدير:

معناه : أنك لا تثبت لرؤيتي ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جرمًا وصلابة وقوة وهو الجبل فانظر إليه.

فَإِنْ ٱسْتَقَرُّ مَكَانَهُ ، ولم يتزلزل عند رؤيتي له ؛ فَسَوْفَ تَرَانِي .

وإن ضعف عن ذلك الجبلُ فأنت منه أضعف ، فهذا الكلام بمنزلة شرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل ، وقيل : هو من باب التعليق بالحجال ، وعلى تسليم هذا : فهو في الرؤية في الدنيا .

وقد تمسك بهذه الآية كلتا طائفتي المعتزلة والأشعرية:

فالمعتزلة استدلوا بقوله : أَن تُرَالِي ، وهأمره أن ينظر إلى الجبل .

والأشعرية قالوا: إن تعليق الرؤية باستقرار الجبل بدل على أنها جائزة غير ممتنعة.

ولا يخفك أن الرؤية الأخروية هي بمعزل عن هذا كله ، والخلاف بينهم هو فيها ، لا في الرؤية في الدنيا ، فقد كان الخلاف فيها في زمن المسماية وكلامهم فيها معروف[™].

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَهِلِ جَعَلَهُ دَكًّا .

تجلَّى : معناه : ظهر من قولك جلوت العروس : أي أبرزتها ، وجلوت السيف : أخلصته من الصدإ ، وتجلى الشيء : انكشف .

والمُعنى : فلما ظهر ربه للجبل جَعَلَهُ دَكًّا .

أي : جعله مدكركًا منعوقًا ، فصار ترابًا ، وفي حديث أنس مرفوعًا : فساخ الجبل .

وَحَرُّ مُوسَى صَعْقًا.

أي : سقط من هول ما رأى من النور الذي حصل به التجلِّي مغشيًّا عليه كمن أخذته الصاعقة .

فَلَمَّا أَفَاقَى قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أُوَّلُ ٱلْمُومِٰنِينَ.

أي: فلما أشاق من غشيته وعاد إلى وعيه وفهمه وذهبت عنه تلك الشدة قال تعظيمًا لله وإجلالاً لمقامه.

سُبْحَانَكَ : أَنزِهِكَ يِا رِبُّ عِن مِشَابِهِتِكَ لِشَيءَ مِنْ خَلَقْكَ .

تُبُّتُ إِلَيْكَ : أي : من الإقدام على السؤال بغير إذن منك ،

وَأَنَا أُوِّلُ ٱلْمُوْمِنِينَ : أي : من بني إسرائيل .

وفي رواية : عن ابن عباس : وأنا أول المؤمنين أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

والغلاسة ،

وأن موسى لما تال فضيلة التكليم بلا واسطة فسمع من عالم الغيب ما لم يسمع من قبل ! تأقت نفسه أن يمنمه الربّ شرف رزيّته فطلب ذلك منه وهو يعلم أنه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولكن الله تبارك وتعالى قال له : أن ترابي ، ولكى يخفف عليه ألم الردّ ، أراه بعينيه من تجليه للجبل ، ما فهم منه أن المائع من جهته ، لا من جانب الفيض الإلهي ؛ حينئذ نزّه الله وسبّحه ، وتاب إليه من هذا الطلب ؛ فبشره الله بأنه اصطفاه على الناس برسائته ويكلامه ، وأمره أن يأخذ ما أعطاه ويكون من الشاكرين له الله.

* * *

﴿ قَالَ يَنْمُوسَىٰ إِنِّى اَصْطَفَيْتُكَ عَلَ النَّاسِ بِرِسَلَتِي وَبِكَلِّي فَخُذْ مَا َءَاتَ يْتُكَ وَكُن مِرَ الشَّنكِرِينَ ﴿ ﴾

المطرداتء

اسطنیتک را خترتک .

التفسيره

\$ \$ ١ - قَالَ يَامُوسَى إِنِّي آصْطَفَيْتُكَ عَلَى آلنَّاس بِرسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ... الآية .

قال الله تمالى: يا موسى ، إنى اخترتك رسولاً وفضلتك على أهل زمانك ؛ بإرسالى إياك ، وأنزلت عليك التوراة تبيانًا نطريق الغير وإرشادًا للحلال والحرام ، كما آفرتك بكلامى إياك من غير واسطة .

فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّاكرينَ .

فتقبل ما أنعمت به عليك من شرف النبرة والرسالة ، وارض بنعمة المناجاة والكلام ، وطب نفساً بجعلك من المصطفين الأخيار الذين يبلغون رسالات ربّهم ، واندمج في عداد الشاكرين على تلك النعم ؛ حتى تنال المزيد من فضلى : كُن فَكِرُتُم لأَرِيمَنكُمُ مَ

وهارون کان رسولاً مع موسی ، لکنه کان مأموراً باتباع موسی ، ظم یکن صاحب شریعهٔ مستقله ، وام یکن کلیماً لله وقد طلب موسی من ریّه آن یجمل هارون معه رسولاً یشهٔ آزره ویصدّفه: مشافهٔ آن یکذبه قومه.

قال تعالى: وَأَحِي هَارُونَ هُوَ أَلْصَحُ مِنِّى لِسَانَ فَالْرَصِلَهُ مَعِى رِدْعًا يُصِنَقِي إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَنَّبُونِ هَ قَالَ مَسْشُدُّ عَضْدَكَ بَأَضِكَ وَنَجَعَلُ كُمُّ سُلْطًانا فَلاَ يَصِدُونَ إِلَيْكُما بِآيَاتِنَا أَنْعَا وَمِنْ ٱلْإِسَكُمَ . (القصمي: ٣٤ . (١٤ عصمية)

تعليق

تفيد هذه الآيات أن الله تعالى كلُّم موسى تكليمًا ، وهي آيات صريحة في إثبات صفة الكلام الله تعالى. ويقرل علماء الكلام : لو لم يكن الله تعالى متكلمًا لكان أبكمًا ، والبكم نقص ، والنقص على الله تعالى معال .

أما الرؤية ففيها آيات متعارضة ، كلوله تعالى : لأ تُنْرِكُهُ ٱلْأَيْصَارُ وَهُوَ يُنْرِكُ ٱلْأَبْصَارُ .

وقوله تعالى: أَنْ تَرَابِي . وهما أصدح فى النفى من دلالة قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَطِ نَاضِوهٌ ه إِلَى رُبُّهَا لَاهِرُةٌ . على الإلبات ، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير فى القرآن وكلام العرب ، كلوله تعالى : هُلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلُهُ . ، وقوله تعالى : مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِنَةً .

والمعتزلة يقولون : إن هناك آيات محكمة تغيد عدم الرؤية وآيات متشابهة ، فنحن تحمل المتشابه على المحكم . بيد أن فى الأحاديث المسحيحة تصريح بإثبات الرؤية بحيث لا تحتمل تأويلاً ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صممابيًّا .

ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة عن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها: يا أمّاه ، هل رأى محمد ﷺ ربّه لياة المعراج ؟ فقالت : لقد قفّ شعرى مما قلت ، أيَّ أنت من ... : وثلاث من حدُّكهن فقد كنب : من حدُّثك أنْ ه حدًّا ﷺ رأى ربه ؛ فقد كلب ، وهي رواية فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرآت : لا تُنوِّكُهُ الأَيْصارُ وَهُو يُعْرِثُ آلاَيْسارُ وَهُو اللَّطِفُ الْعَبِيرُ – وَمَا كَانَ لِبَشْرِ أَنْ يَكْلَمُهُ اللَّهِ إِلَّ مِن وَرَاّهِ حجَاب . ومن حدَثك أنه يعلم ما في غدِ : فقد كنب ، ثم قرأت : وَمَا تَدْوِى نَفْسُ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا . ومن حدثك أنه كنم شيئًا من الدِّين : فقد كنب ثم قرأت : كَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِيغًا مَّ أَثِلَ إِلَيْكَ .

قال مسروق: وكنت متكنًا فجلست وقلت: ألم يقل الله: وَلَقَدْرَعَاهُ نَزِلُهُ أَخْرَى . فقالت: أنا أول هذه الأمة. سُئِل رسول لله ﷺ عن ذلك فقال: وإنما هو جبريال» (**) .

ومن هذا نعام أن عائشة تنفى دلالة سورة النجم على رؤية النبي ﷺ لربّه بالحديث العرفوع ، وتنفى جواز الرؤية مطلقا ، أن في هذه الحياة الدنيا ، بالاستدلال بقوله تعالى: لاَّ تُدُوِّكُهُ ٱلأَبْعَارُ وقوله : وَمَا كَانَ لِبَشْرٍ أَنْ يُكُلُمُ ٱللّهُ إِلاَّ وَحَيَّا أُوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ .

وهذا الاستدلال ليس نصًا في النفي حتى يرجِّح على الأعاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصمابة .

والمثبتون للرؤية يقولون : إن استنباط عائشة إنما هو لنفي الرؤية في الدنيا فقط كما قال بذلك الجمهون

ولا تقاس طنون البشر في الأهرة على طنونهم في الدنيا: لأن لذلك العالم سننًا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الأمور العادية كالأكل والشرب، والعاكول والعشريب، فعام الجنة غير آسن، فلا يتغير كماء الدنيا بما يضالطه أو يجاوره في مقرّم أو جوّه، قال ابن عباس: لهس في الدنيا شيء مما في الجنة إلاّ الأسماء.

وجمهرة المسلمين: أن رؤية العباد لربّهم في الأخرة حق ، وأنها أعلى وأكمل للنعيم الروحاني الذي يرتقى إليه البشر في دار الكرامة ، وأنها أحق ما يصدق عليه قرله ﷺ: «قال الله عزّ وجل: أعدرت لعبادي المسالحين ما لا عين وأت ولا أذن سمحت ولا خطر على قلب بشر» (٣٠ ، وهي المعبّر عنها بقولهم : إنها رؤية بلا كهيد ٣٠٠.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ مَنْ وِ مَوْعِظَةً وَتَغْصِيلًا لِكُلِّ مَنْ وَفَخُذْ هَا . بِعُوَّةِ وَأَمْرُ قَوْمَكَ يَأْخُذُ وَا بِأَصَيْحٍ أَسَأُوبِيكُو دَارَ الْفَنسِقِينَ ﴿ ﴾

المفردات،

وكتبنا له في الألواح، أي : وخلقنا له الكتابة فيها : والألواح : الصحف التي كتبت فيها التوراة .

شختها بقوة ، أي : فتناولها وتقبلها بجد وعزيمة .

التفسيره

١٤٥ - وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلَّ هَيْءِ مَّوْعِظَةً وَتَقْصِيلاً لَّكُلَّ هَيْء ... الآية .

هل المراد بالألواح هذا التوراة أو ألواح أعطيها موسى قبل التوراة ؟ قولان للعلماء :

جاء في تفسير المار :

قال بعض المفسرين: إن الألواح كانت مشتملة على التوراة ، وقال بعضهم : بل كانت قبل التوراة ، والراجع: أنها كانت أول ما أوتيه من وهي التشريع ، فكانت أصل التوراة الإجمالي ، وكانت سائر الأمكام من العبادات والمعاملات العربية والعدنية والعقوبات تنزل يضاطيه بها الله تعالى في أوقات العاجة إليها أ⁰⁴

والمعنى: بينا لموسى فى الألواح والمصحف من كل شيء يمتاج إليه بند إسرائيل: لإصلاح طئونهم فى الدين والدنيا من المواعظ وتقصيل الأحكام ، وبيان الملال والحرام والحسن والقبيح وغير ذلك من أنواح الهداية والإرشاد.

فَخُلْهَا بِقُولِ وَأَمْرُ قُومَكَ يَأْخُلُواْ بِأَحْسَبِهَا.

أى: خذ هذه الأحكام بالعزيمة والجدّ، بدون تهاون أو تغريط، وهي دعوة إلى تقديم العزيمة على الرخصة ، وعدم محاولة التلاّت والانسلام من الأحكام الشاقة إلى أيسر الأحكام والتكاليف.

وليس في هذا غلو أو اعتساف ، فنحن نعام أن دين الله يسر لا حرج فيه .

ولكن هذه العقيدة تحتاج إلى الجدّ والهمة والصمم والصراحة ولا ينبغى أن ترَّخذ في رهارة ولا تميم ولا ترخيص، مم البعد أيضا عن التشد، والتعنت والتعقيد .

وَأَمْرُ قَوْمَكَ يَأْخُلُواْ بِأَحْسَنِهَا.

أى: وأمر قومك بالاعتصام بهذه الموعظة ، والأحكام المفصلة في الألواح ، الذي هي في منتهى الكمال والمصن ، وأن يختاروا أفريها إلى الممواب لو أن فيها حسنًا وأحسن ، كالقود والعفو ، والانتصار والصبر ، والمأمور به والمباح . فأمروا بأن يأخذوا بما هو أكثر ثوابًا .

سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ .

أي: سأرى قرمك بيار الهالكين من عاد وثمود وأمثالهم؛ ليشاهدوا ما حل بأهلها من الهلاك والدمار؛ لأن رؤية الديار خالية من أهلها ، خاوية على عروضها ، تدعى إلى مزيد من الحذر والاعتبار .

قال ابن كثير : أي : سترون عاقبة من خالف أمرى وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار.

وهوطب قرم موسى عليه السلام بقوله : سأروكم دون قوله -- سأرويم -- الثقاتًا إليهم بعد الغيبة : ليكون ذلك أبلغ من حملهم على الطاعة والامتثال ، وتخويقهم من اتباع طريق الظالمين .

وقيل : معنى : سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ . سأورثكم حكم الوفنيين فى تلك الديار التى هاجرتم إليها ، بدليل قراءة : سُلُورِكُكُمْ دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ .

* * *

﴿ سَأَمْرِفُ عَنْ اَلِيْنَ النِّيْنَ اَنْكَمَّرُوكَ فِى الْأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَـرَوُا كُلَّ الْيَق لَا يُؤْمِدُ الْبِهَا وَإِن يَرَوَّا سَيِلَ الرُّشْدِ لاَيَنَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَـرَوَّا سَبِيلَ الْفَيَ يَنَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَلِكَ بِأَيْبُمُ كَذَبُوا بِهَا يَعَايَنتِكَ وَكَانُوا عَنْهَا عَنينِينَ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ يَكَايَنَنَا وَلِلْكَنَّا وَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعَمَالُهُمُّ هَلَ يُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَسْمَلُونَ ﴿ ﴾

المقردات:

مريق الضلال.

صبطت أصمالهم ، بطلت أعمالهم فلم ينتفعوا يها .

التفسدى

١٤٦ - سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ ٱللَّذِينَ يَعَكَّبُرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...

يسر الله للإنسان طريق الهدى والرخاد ، ومنحه العقل والإرادة والاحتيار ، وهداه النجدين وبين له الطريقين ، فإذا اعتار الإنسان طريق الهدى : يسر الله له الرشاد وثبته وأعانه عليه ، وإذا تكبر عن الحق ويغى في الأرض وتعالى وتكبر عن دواعى الإيمان : فإن الله يسلب عنه الهدى ويحجبه عن مواقع رحمته ، بعد أن أهذ من آيات الله ومعجزاته هذا الموقف المعيب ثم بين صفات المستكبرين وأحوالهم نقال :

١ - وَإِنْ يُرَوُّا كُلُّ مَايَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا .

إن إعراضهم عن الحق هجيهم عن رؤية دلائل الإيمان ، ومعيزات الرسل ، وجمال التشريع الإلهي وسمُّوه ، فإذا شاهدوا آيات التنزيل أن معيزات الرسل عماهم الهوى عن الإيمان بهذه الأيات .

٢ - وَإِنْ يَرُواْ سَبِيلُ ٱلرُّهْدِ لاَ يَعْامِدُوهُ سَبِيلاً.

إذا شاهدوا طريق الحق والغير والإيمان والقلاح ؛ أبعدوا أنفسهم عنه وساروا في غيره.

٣ - وَإِنْ يَرُواْ سَبِيلَ ٱلْفَى يَعْجِلُوهُ سَبِيلاً .

أى : إنهم إذا شاهدوا طريق الضلال والشهوات والمحرمات ؛ هرعوا إليه وساروا قيه .

ثم علل ما سلف من صرفهم عن النظر في الآيات فقال:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كُلِّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَاثُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ .

لقد هجيم الله عن مواقع رحمته ، وصرفهم عن الاعتبار بأياته ؛ لأنهم أهذوا من آياته سيحاته موقفًا معاديًا ، فأغمضوا أعينهم عنها ، وكنبوا بها قبل أن ينظروا فيها ويعرفوا وجهها ولو أنهم تدبُّروا ما جئنا به وعقلوه ؛ لما فعلوا الأباطيل .

١٤٧ - وَٱلَّذِينَ كَذَّهُواْ بِآيَاتِنَا وَلِلْنَاءِ ٱلآخِرَةِ خَيِظْتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَالُواْ يَضْمَلُونَ .

إن الذين كذبوا بالرسل ، وكغروا بآيات الله وباليوم الآهر ، شنَّ سميهم ، ويطل ما عملوه في الدنيا من بر وصلة رحم ، وإغلاة ملهوف وغير ذلك : إذ الشرط في قبول أعمال الغير والإثابة عليها في الأخرج: تحقيق الإيمان بالله وشرائعه .

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

إنهم عملوا لغير الله ، وأتبعوا أنفسهم في غير ما يرضى الله ، فتممير أعمالهم وبالاً عليهم ، وقد مضت سنة الله أن يكن الجزاء من جنس العمل .

وإنهم لم يعملوا إلا شرا ولم يقدموا إلا سوءا وكفرًا ، فلم يكن جزاؤهم إلا ما يسوؤهم .

لقد شبل سعيهم في الحياة الدنها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

* * *

﴿وَرَاغَّذَ فَوْمُهُومَوْمِوْمِ الْمَقْدِمِينَ كُلِيَّهِ مُعِجَلاجَسَدُالَّدُخُواَزُّ الْدَوْرَوَا اَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلاَيْهِدِيهِ مُسَيِيلًا الْقَصْدُوهُ وَكَانُوا طَلَلِمِينَ ۖ ﴿ وَلَنَّا شَقِطَ فِى آيْدِيهِمْ وَرَاْوَا اَنَّهُمْ قَدْمَنَكُوا قَالُوا لَهِنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُنَا وَيَشْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ۖ ﴾

القردات:

سيناه جسد عجل مصنوعًا من الذهب لا روح فيه .

غـــــوار ۽ صوت اليقر .

سقت في اينههم : ندموا ندماً شديداً لأن النادم يعض يده ويسقط ذقته فيها غماً فتصير يده مسقوطًا فيها.

التفسيره

١٤٨ - وَٱلْتَحَدُ قَوْمُ مَوسَى مِن يَعليهِ مِنْ خُلْيَهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ... الآية .

نهب موسى إلى مناجاة الله تعالى ، واستمر غيابه عنهُم أربعين ليلة : واستطف موسى هارونُ على قرمه ، ودعاه إلى الإصلاح والابتعاد عن المفسدين وكان السامريُ مطاعًا في بنى إسرائيل وله منزلة جليلة بينهم ، فطلب منهم أن يجمعوا الطيّ التي استماروها من الأقباط ليلة عيد لهم ، ثم غرق فرمي وقومه ، ووقعه ، وكان ويقيت الطيّ عند بنى إسرائيل ، فطلبها منهم السامريّ ، بحجة أنها عارية لا يحق لهم أن يتملكوها ، وكان السامري فتانًا له غيرة بالنحت وصنع التماثيل بطريقة فائقة .

فوضع الحلى في النار ، وصاغ منها تعثالاً على صورة عجل ، فيه هيئة البسد ولا روح فيه ، ووضع فيه أنابيب تؤدي إلى إحداث صوت القوار ، عند دخول الربح فيه . فلما رأوا منظره ومدوت البقر ينبعث منه ، قال لهم السامري : هذا هو إلهكم ، وإله موسى ، ولكن موسى نسى هذا الإله وتركه فأليموا أنتم على عبابته ، فاتههوا إليه بالعبادة ، مثلَّدين قرم فرعون فى عبادة عبل أبيس ، ومقلَّدين ما شاهدوه من بعض العرب الذين أقاموا على عبادة تعثال ليقرة ، وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها يعبدونه ، كما يعبد هزلاء هذا التمثال : فقضب منهم موسى ، وقال لهم : كيف تعدون إلها غير الله الذي أنمع عليكم بالعديد من النمم .

وَأَتَّكَذَ أَوْمُ مَوسَى مِن يَعلِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِيضًلاَّ جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ...

أى: ومناخ بنو إسرائيل من بعد ما فارقهم موسى ماضياً إلى مناجاة ربه – من حلى القبط التى كانوا استماريها منهم . عِجْلاً جُسَفًا لَّهُ خُوَالًا . أَى: تمثالاً له مبورة العجل ويدنه ومبوته .

والذي فعل ذلك هو السامري ، وكان مطاعًا فههم ، وإنما نسب العمل إلههم : لأنه عمل برأى جمهورهم، . الذين طلبوا أن يجعل لهم إلهًا يعيدونه .

قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في ذلك العجل هل صبار لحما ودما له خوار.

أو استمر على كونه من نهب إلا أنَّه يدخل فيه الهواء فيمسُّوت كالبقر على قولين ، وإلله أعلم . ا هـ .

ويرى الرأى الأول قتادة والعسن البصرى في جماعة آخرين ، وتطيل ذلك عندهم ، أنّ السامريّ رأى جبريل حين جارز ببنى إسرائيل البحر ، راكبًا قرسًا ما وطئ بها أرشنًا إلا حلّت فيها الحياة ، واغضر تباتها، فأخذ من أثرها قبضة ، ثم نبذها بعد ذلك في تعقال المجل ، فحلّت فيه الحياة وصار يخور كما يخور العجل.

ويرى جماعة آهرون : أن السامرى منع تعثال عجل مجرِّفًا ، ووضع في جوفه أنابيب على طريقة فنيًّا مستمدَّة من دراسة علم المنوت ، فإذا دخلت الربح في جوف الثمثال ؛ انبعث منه صنوت يشبه خوار المجل.

أَلُمْ يُرَوْا أَلَهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ ولاَ يَهْلِيهِمْ سَبِيلاً.

إن هذا المجل فاقد لأممٌ صنة من صفات الإله الحق ، وهي الكلام والهداية والإرشاد للعباد ، وإذرال الكتب وارسال الرسل ؛ وهو استفهام إنكارى من هؤلاء الذين ساروا وراء أهوائهم المادية ، فصنعوا عجلاً : بأوديهم ،وعبدوه مع أنه لا يتكلم ، ولا يهديهم سبيل الرشاد ، ولا يرشدهم إلى ممالم دينهم وشرائعهم .

أَتَّكُدُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ .

كرر القرآن نسبة اتماذ المجل إليهم ، فهم مسانعوه بأيديهم ، ثم عبدوه من دون الله ، وكان طبعهم النظم ، وكانوا ظالمين حين عبدوا عجلاً من دون الله . ٤٩ - وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأُواْ أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّواْ قَالُواْ قِينَ لَمْ يَوْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَفَيْرِ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ .

أى : ولما اشتد ندمهم ، وزادت حسرتهم على ما فرط منهم فى جنب الله ، وعلموا أنهم قد ضلوا ضلالاً مبينًا بعبادة العجل ، وزُجْر هارون والرغبة فى قتله ، عندئذ ندموا ورغبوا فى التوية ، والتضرع والابتهال إلى الله وقال: فَن لُمْ يُرْحَمُنُ رَبُّ وَيُقُمْ لَنَا لَكُونَ مِنْ أَلْهُواسِرِينَ .

وكان ذلك بعد رجوح موسى إليهم ، ويصرهم بما هم فيه من شبلال مبين ، بدليل أنه لما تصحهم مارون بترك عبادة العجل قالو) :

لَن لَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَوْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

ولد جاءت هذه الآية — معترضة — قبل هقام القصة ؛ لتكون بمثابة الترجيه إلى أهل مكة ، بأنَّ بنى إسرائيل ندموا على عبادة العجل ، تأولي بكم أن تندموا على عبادة الأصنام ، التي لا تسمع ولا ترشد إلى الهدي

تمقيب

عبر سيجانه وتعالى عن شدة ندمهم بقوله تعالى:

وَلَمَّا سُقِطَ فِي آلِيْفِهِمْ: لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته ، أن يعض يده عُمًّا ، فتصير يده مسلوطًا فيها ؛ لأن فاه قد وقع فيها.

وبهذا تعبير لم يسمع به قبل القرآن ولا عرفته العرب ، وقد اتسع هذا التعبير فأصبح يطلق على كل فشل أن خيبة ، تقول : كلام ساقط وبسقطه الكلام ؛ لأنهم شههوه بما لا يمتاج إليه .

وقد ذكر الهد ؛ لأن الندم يحدث فى للقلب وأثره يطهر فى اليد قال تمالى: فَأَصْبَحَ يَقَلُبُ كُلُيْهِ عَلَى مَا أَفَقَىُ إِنْهَا ١٠٠٨. ﴿ وَلَنَارَجَعَمُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفَتُمُونِ مِنْ بَعَدِيَّ أَعَجِلَتُد أَثَرَ رَبِّكُمُّ وَٱلْفَى ٱلْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّعُ إِلَيْهُ قَالَ ابْنَ أَمْ إِنَّ الْقَوْمِ اسْتَضْعَفُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْقِبَ فِي الْأَعْدَاةِ وَلَا جَعَمَلْنِ مَعَ الْفَورِ الظَّلِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحَيْتِكُ وَأَنْتَ أَرْكُمُ ٱلزَّيْحِينِ ۞ ﴾

المقردات:

أسيطينا فديد الغضب أوحزينا

ينسما خاطتموني من يعدى ، أي : ينس ما فطنموه من يعد غيبتي .

أصحابات مأسر ويُنكم ، أي : أسبقتم ما أمركم به ربُكم من التوحيد فعيدتم العجل قبل أن يعود موسى من ميقات ربه : ليكون أمام الأمر الواقع ، يقال: عجل الأمر سبقه .

والسقسي الألسواح؛ طرحها على الأرض.

وأخست بسراس أخسيسه و أي : وأمسك يشعر رأس أخيه يجره به إليه .

هلا تشمت بي الأعداء ، أي: فلا تقعل ما يكون سببًا لشماتتهم بي .

التفسيره

١٥١ - وَلُمَّا رَجْعَ مُوسَىٰ إِلَى قُوْمِهِ خَطْبَانَ أَسِفًا ... الآية .

عاد موسى إلى قومه شديد الفضب والحزن ، شديد الأسف والهم ، حين علم أن قومه تركوا عبادة الله المق ، وعبدوا عجلاً من الذهب لا يملك الكلام ولا يقدم لهم سبيل الهداية : وكان الله سبحانه وتمالى قد أغبره وهو في مكان المناجاة بما أحدثه قومه :

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قُوْمَكَ مِن يَعْدِكُ وَأَضَلُّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ . (٤٠ : ٨٥)

قَالَ بِنْسَمًا خَلَفْتُمُونِي مِن يَعْدِيُّ .

لقد استخلف موسى هارونَ على قومه ، وكانت وصيته فهم : الاستمرار على عبادة الله ، ونبذ عبادة غير الله ، اكتهم لم يحسنوا خلافة موسى ، فإن من واجب الخلفاء أن يسيروا على نهج المستخلف ، فخاطب موسى جميع قومه بقوله :

بعُسَمًا خَلَقْتُمُونِي مِن يَقْدِيّ .

فالذين عبدوا المجل قد أشركوا بعبادة الله غيره من المطوقات التي لا تملك نفعًا ولا ضرًّا.

وهارون ومن معه من المؤمنين كان عليهم واجب هو أن يبذلوا جهداً أكبر لمنع هؤلاء المرتدين من عبادة المجل ، ويجوز أن يكون الفطاب لهارون والمؤمنين معه ، فاللّوم لهم إذ لم يمنعوا عبدة العجل مما فعلوا ، أى: يئس قيامكم مقامى ؛ إذ لم تراعوا عهدى .

أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبَّكُمْ.

أي : أسبقتم ما أمرتم به من البقاء على الترجيد أو استعجلتم قضاءه وعقابه .

أن استعجلتم موعده وميقاته ، حيث تركتكم إلى ميماد مؤقت . فسارعتم إلى مخالفة أمرى وغيرتم دينكم وعبدتم العجل ، قبل نهاية المدّة التى قضيتها في ميماد الله ومتاجاته .

وَأَلْقَى ٱلْأَلُواحَ وَأَعَدَ بِرَأْسِ أَعِيهِ يَجُرُهُ إِلَيْهِ .

طرح موسى ألواح التوراة جانبًا من الفضب ، أو وضع الألواح التى تعمل الوصايا والتوجيهات الإلهية، التى كتب الله له فيها المواعظ والتشريعات ، وهذه الألواح تعمل وصايا الله وتوجيهاته ، وكان موسى حريًّا أن يحافظ عليها ، لكن شدة الفضب جملته يلقى الألواح جانبًا ، وأمسك موسى بشعر رأس هارون يجذبه إليه منه : لظنّه أنه أهمل في توجية قومه ، وإرشادهم وإصلاح حالهم ، ونهيهم عن الإشراك بالله .

قَالَ آينَ أُمْ إِنَّ ٱلْقُوْمَ ٱسْتَصْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونِي .

كان هارون حليمًا حكيمًا ، وهنا بدأ يرفق قلب أخيه ، فخاطبه خطاب المسترحم المستعطف ، ولم يقل يا أهى ، ولا يا ابن أبى ولكن ناجاه بقوله : آبَن أُمَّ . أي : نحن أبناه أمَّ واحدة ، وشرح له موقفه حين اشتد هياج القوم واندفاعهم إلى المجل الذهب ، وقد بنل هارون قصارى جهده ، في ترشيدهم ونصحهم ، اكنهم قهروه واستضعفوه ، وهمّل بقتله ، والتربول وأوشكوا أن يؤذوه أن يقتلوه .

فَلاَ تُشْمِتُ بِيَ ٱلْأَقْدَاءَ .

أي: فلا تفعل بي أمام هؤلاء الأعداء، ما يكون سبب لشماتتهم وفرحهم فيما يصيبني.

وَلاَ تُجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقُوْمِ ٱلطَّالِمِينَ .

ولا تنظمني بغضبك على في عداد الذين ضلُّوا وكفروا بريهم الحق ؛ فأنا لم أضلُّ مثلهم ولم أكثر معهم،

وأنا برىء منهم ولكنى تريثت ، وتراجعت عندما رأيت اتجاه القوم شديدًا نحو عبادة العجل ، فلم أحارل التغريق بينهم ، بتمسيفهم إلى مؤمنين وكافرين ، ورجوت إذا رجمت من المناجاة أن تكون أقدر على هدايتهم ، ودعرتهم إلى الإيمان .

وفي سورة طه نجد هارون يقول:

قَالَ يَبْنُومُ لاَ تَأْخُذُ بِلِحَيِي وَلاَ بِرَأْسِيَ إِلَى حَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَوْلَتَ بَيْنَ بَينَ إسْرآ عِبل وَلَمْ تَرْقُب فَوْلِي. (طه: ٩٤)

عندان هدأت ثورة الفضي عند موسى ، والتمس العذر لأخيه ، وطلبٍ من الله المغفرة له ، ولأخيه ، وطلبٍ من الله الرحمة ، وهو سبحانه أرحم الراحمين .

١٥١ - قَالَ رَبَّ آغْفِر فِي وَلاَعِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَعِكَ وَأَلتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ .

وهو دعاء هين لين يطلب فيه المفقرة له ولاّحيه ، والمفقرة أعم موردًا من المعصية ، وكان النبي ﷺ يكثر الاستفقار وطلب المفقرة في كل يوم وليلة .

وفي هذا الاستغفار ترضية لهارون ، وإعلان للشامتين بتمام رضا موسى عما فعله هارون ، حتى تربّ شماتتهم إليهم كمرًا وحسرة .

ثم طلب موسى من الله أن يشمله مع أخيه ورحمته الواسعة ، التي وسعت كل شيء ، فهر أرحم بالخلائق من أنفسهم ، فالله هو الرحمن الرحيم ، وهو سبحانه أرحم الراحمين .

* * *

﴿إِنَّ النَّينَ اَقَنَدُوا الْعِجَلَ سَيِنَا أَمُّمْ غَضَبُّ مِن زَيِّهِمْ وَوَلَّقِ الْخَيْوَةِ الدُّيْأُ وَكَذَلِك جَوِى الْمُفْتَرِينَ ۞ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّعَاتِ ثُمَّ قَابُوا مِنْ بَسِهَا وَمَا مَنُوَّا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُرُّ دَّرَّصِدُ ۞ وَلَمَّا سَكَتَ عَن تُوسَى الْفَضَبُ أَخَذَا الْأَلُولَ ۖ وَفِ نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمُ لِللَّذِينَ هُمْ لِرَيِّمْ يَوَهُبُونَ ۞ ﴾

المقرداتء

غَصْبِ مِـنْ رِيِــهِــم، المراد يغضب ريهم: عذاب الأخرة .

التفسب

٢ ٥ ١ - إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلنَّحَدُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَّنَالُهُمْ غَصَبٌ مِّن رَّبَّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلنُّلُهُ ... الآية .

تأتى مذه الآية ، والآية التالية ، بمثابة الجملة المعترضة ؛ لتبين عقوبة المفترين ، وجزاء توبة التائبين.

والمعى: إن الذين اتحتوا العجل إلها ، وعبدوه من درن الله تعالى ؛ سينالهم غضب من الله عليهم ، وعقوبة في الأخرة وذلة ومسكنة وهوان في الحياة الدنيا ، أو غضب من الله وذلة ومسكنة لهم في الدنيا والأخرة .

قد ورد هذا المعنى في سورة البقرة وغيرها.

سيروتفيد آيات القرآن أن الله غضب على الهود لتحريفهم التوراة ، وإدخائهم فيها ما ليس منها ، وعدوانهم في السبت ، ودعواهم أنّهُم أبناء الله وأحياؤه وأكلهم الربا بعد أن نهاهم الله عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل .

مركما تغيد آيات القرآن أن الله لعنهم وسلط عليهم من ينتقم منهم ، و سيتكرر ذلك إلى يوم القيامة .

كما تفيد الأحاديث النبوية المسحيحة أن المسلمين سيقاتلون اليهود وينتصرون عليهم قبل قيام الساعة. وَكُذَلِكُ نُجُوى الْمُلْقِينَ .

ومثل ذلك العذاب والانتقام يصيب كل مفتر وينال كل ظالم ، في كل زمان ومكان .

قال ابن عباس: كذلك أعاقب من اتخذ إلها دوني.

وقال مالك ابن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة وقرأ هذه الآية .

وقال سفيان بن عيينة: كل صناحب بدعة ذليل .

١٥٣ - وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّعَاتِ ثُمَّ لَأُواْ مِن يَعْلِهَا وَعَامَتُواْ إِنَّ رَبُّكَ مِن بَعْلِهَا لَفَقُورٌ رَّحِيمٌ.

من عادة القرآن أن يقابل الأشياء بأضدادها ، فبعد أن ذكر جزاء الظالمين فتح باب الأمل أمام التاتبين.

والمعنى: والذين ارتكبوا المعاصى والذنوب وعلى رأسها الكفر والشرك، ثم تابوا عن الكفر والشرك، ، أو أقلعوا عن الذنوب والمعاصى، وأمنوا بالله إيمانًا صادقًا عن يقين ؛ فإن الله تعالى يفقر ذنويهم ، ويقبل تويتهم ويرحمهم برُّحمته الواسعة.

والآية عامة في توية الكافرين والمؤمنين.

وأن وبدت في سياق الحديث عن بني إسرائيل الذين اتخذوا العجل إلها ، ثم فتحت باب التوية أمام . التائبين منهم ، إلا أن العبرة بحموم اللفظ الوراد فيها .

سلل ابن مسعود عن الرجل يزنى بالمرأة ثم ينزوجها فقلا هذه الآية : وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيَّعَاتِ ثُمَّ تَأْبُواْ مِن يَعْلِمًا وَءَامَنُواْ إِنَّ رَبِّكَ مِن يَعْلِمُا لَعُقُورٌ رَّحِيمٌ.

فتلاها عبد الله بن مسعود عش مرات ، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها .

لكن يؤعمل من المحوى: أن من القلهاء من ذهب إلى أن من زنى بامرأة حرمت عليه ، ولا يجوز له الزواج منها ، ومذهم من ذهب إلى أن المسلم إذا تاب قبل الله توبته وأن الحرام لا يحرّم الحلال ، وذكروا أنه يشبه رجلا سرق فاكهة من بستان ثم اشتراه ، فيكون أوله حرام وأهره حلال .

ولعل قراءة ابن مسعود لهذه الآية ترجيح لقبول توبة التانب ، وتيسير للمسلم ، وتشجيع على التوبة الصادقة من الرجل والمرأة ، مع الإيمان الصادق والعمل الصالح.

٤ ه ١ - وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْفَصَّبُ أَخَذَ ٱلأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدَّى وَرَحْمَةٌ لَلْذِينَ هُمْ لِرَبَّهِمْ يَرَهَبُونَ .

فى هذا التمبير القرآنى بلاغة وبيان ، كأن الغضب كان يغريه بالانتفاح إلى معاقبة أهيه وتسفيه قومه، قلما هذأ غضبه وسكن ؛ عاد إلى طبيعته ، وكان موسى سريح الغضب ، سريع العوبة إلى الهدوء ، فلما عرف من أخيه أنه لم يقصَّر فى أداء الرسالة ، وأن الموقف كان أعتى منه وأكبر : هدأ غضبه ، وعاد إلى الأنواح فأخذها وبدأ يقروها ويشرحها ، وفيها الهداية والتشريع والرحمة والغضل للمؤمنين .

جاء في ظلال القرآن :

«والتعبير القرآنى يشكّم الفضب فكأنما هو حى ، وكأنما هو مسلط على موسى يدهمه ويحركه ... حتى إذا سكت عنه ، وتركه لشأنه ؛ عاد إلى نفسه ، فأخذ الألواح التى كان قد ألقاها بسبب دفع الغضب له وسيطرته عليه .

ثم يقرر السياق مرة أخرى أن في هذه الألواح هدى ورحمة لمن يخشون ربهم ويرهبونه .. ورهبة الله وخشيته : هي التي تفتح القلوب للهدى ، وترقظها من الغفلة ، وتهيئها للاستجابة والاستقامة.. إن الله خالق هذه القلوب ، هو الذي يقرر هذه المقيقة ، ومن أعلم بالقلوب من رب القلوب؟!» (**)

فقه الحياة أو الأحكام:

الحلم سيد الأعلاق ، فحينما هدأت نفس موسى وعاد إلى أثاثه وحلمه ، أخذ بتدارس الألواح ، فوجد فنها الربقاد والهداية ، لمن كان يخاف ربه ويخشى عقابه ..

وتلك هي فترة الاستقرار في حياة موسى على ما يظهر لنا ، بعد أن مرّ بتقلبات وأحوال شديدة التأثير، كاد بها يخسر إيمان قومه برسالته إلى الأبد ، لولا عويته إلى النصح والإرشاد بما ورد في هذه الألواح ، أو بما ويد في التوراة (**).

+ + +

﴿ وَاخْنَادَمُوسَىٰ فَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلالِمِيعَنِنَا فَلَمَّاۤ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْشِنْتَ ٱهۡلَكُنَهُم مِّن قَبْلُ وَلِنَّى اَّبُّلِكُاعِاٰ فَعَلَ السُّعَهَا يُمِنَّا إِنْ هِمَ إِلَافِنْنَكَ تُعِنلُ بِهَا مَن نَشَاهُ وَتَهْدِع مَن نَشَلَهُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْلَنَا وَارْحَمْناً وَأَنْتَ خَيْرًا لَعَنْفِيفَ ۖ ﴾

المفردات :

المقاتدًا، الميقات: المكان الذي حدده الله ليذهب موسى وقومه إليه.

الرجقة ، الزلزلة الشديدة .

التفسيره

٥٥ ١ - وَآخْمَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لَّمِيقَالِمَا ... الآية .

المسى: المقتار موسى من قومه سبعين رجلاً ، وأتى بهم الميقات الذي وقته الله تعالى ، وهو مكان فى جبل الطون طور سيناء ، حيث ناجى ربه ، وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ، ويطهروا ثهابهم ، وذلك ليكون سماعهم مناجاة ربه دليلاً على صدقه ، فلما أثرا إلى ذلك المكان قالوا : يا موسى ، لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فإذك قد كلمته ، ونريد أن نزاه ؛ فأخذتهم رجفة الجبل وصعقوا حين ألحوًا في طلب الرؤية وتختلف أقوال المفسوين في هذا المهقات إلى عدة أقوال 600.

لختار منها قولين :

أحلهما: أنه الميقات الذي وقته الله لموسى ؛ ليأخذ التوراة وأمره أن يأتي معه بسبعين رجلاً.

الثاني : أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى ؛ ليلقاه في ناس من يني إسرائيل فيعتنرون إليه من عبادة قومهم للعجل . فأما الرجفة وهي الزازلة للشديدة ففي سبب أعدها إياهم عدة أقوال أرجمها قولان . الأول: أن الزلزلة أصابتهم ؛ لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل ولم يرضوا .

قال قتادة وابن جريج: لم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر، ولم يزايلوهم.

الثاني: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى فلما سمعوه ؛ قالوا : أرنا الله جهرة .

قال تعالى : وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن لُوْمِنَ لَكَ حَتَىْ فَرَى اللّهُ جَهْرَةَ فَاَخَلَتَكُمْ الصّاعِقةُ وَأَشْمَ تَنظُرُونَ هَ ثُمْ بَعَشَاكُم مَّن بَعْدِ مُوتِكُمْ فَعَلَكُمْ تَسْكُرُونَ. (ليدي: ٥٠ ، ٥٠)

فَلَمَّا أَخَلَتْهُمُ آلُ جُفَّةً.

أصنابت الرجفة سبعين رجلاً من فضلاء بنى إسرائيل ؛ لأنهم قصُّروا فى نهى قومهم عن عبادة العجل، أو لأنهم قالوا لموسى : أرنا الله جهرة .

ولم تكن تلك الرجفة موثًا ، ولكن القوم لما رأوا تلك المائة المهيبة ، أخذتهم الرعدة ورجفوا وخاف موسى عليهم الموت ، فعند ذلك يكي وبـعا : فكشف الله عنهم تلك الرجفة .

قال وهب : ما ماتوا ولكن أخذتهم الرجفة من الهيبة ، حتى كانت أن تبين مفاصلهم ، وخاف موسى عليهم الموت .

قَالَ رَبِّ لَوْ هِفْتَ أَهْلَكُتُهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّاىَ .

أى: قال موسى راجيًا علو ربّه عنهم في هذا اليوم: يارب، إنك لو شنت إهلاكهم من قبل هذا اليوم، حين قَمْسُرًا في النهي عن عبادة العجل، وعدم مفارقتهم لعبنته. وكذلك لو شنت يا ربّ إهلاكي من قبلُ لفعات.

قَالَ الرِّجَاحِ: لو شئت أمتُّهم قبل أن تبتليهم بما أوجِب عليهم الرجفة .

وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياى ، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

أَتُهُلَكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسَّفَهَاءُ مِنَّا .

قال المود : هذا استفهام استعطاف .

أى : لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد وسوء الأدب.

إِنْ هِيَ إِلاَّ فِيْتَقُكَ تُصِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَلَهْدِي مَن تَشَاءُ .

وما هي إلا فتنتك أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك حين كلمتني ، فسمعوا كلامك وطلبوا الروية ، فليس الأمر إلا أمرك ، وما الحكم إلا لك ، فما شئت كان .

أو ما كانت عبادتهم العجل إلا ابتلاء منك واختبارًا ، حين سمعوا خوارًا في جوف العجل ، فمنهم من ضلً رعبد العجل ، ومنهم من هذاه الله وثبته .

قال صاحب الظلال:

وهذا هو الشأن في كل قتنة ، أن يهدى الله بها من يدركون طبيعتها ، ويأخذونها على أنها ابتلاء من ربهم رامتحان يجتازونه مساحين عارفين .

وأن يضل بها من لا يدركون هذه الطليقة ، ومن يمرُّون بها غافلين ، ويخرجون منها ضالين .

أَلتَ وَلِينَا فَآهُهِرْ لَنَا وَآرْحَمْنَا وَأَلتَ خَيْرُ ٱلْفَافِرِينَ .

هنا يلجأ موسى إلى ربُّه طالبًا ولايته وعرنه ، راجيًا مفقرته وستره ، مستفيقًا يطلب رحمة الله ، وهو غير الفافرين ؛ لأنه يفقر لمحض الجود والكرم ، أمّا المخلوق فقد يفقر لأسباب عديدة ، كحب الثناء ، أو طلب النفع ، أو دفع الضرر .

وقد كان المقام مقام اعتذار فناسبه حسن التضرُّع والثناء على الله بما هو له أهل وطلب المغفرة والرحمة منه سبحانه ، حيث لا يملك ذلك إلا الله . قال تعالى : وَمَن يَغْمُرُ ٱلنُّنُوبُ إِلاَّ ٱللَّهُ .

وأما عقو الميد قهو نقسه يتوقيق من الله تحالي .

﴿ ﴿ وَأَحْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَة إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكُ قَالَ عَذَافِي الْمَسِبُ بِهِ مِنْ الْسَنَةُ وَلَهُ عَنَى وَسِعَتَ كُلَّ فَيْ وَسَاَحَتُهُمَا لِلَذِينَ يَنَقُونَ أَمِيبُ بِهِ مِنْ الْسَنَّةُ وَرَحْمَقِ وَسِعَت كُلَّ فَيْ وَسَاَحَتُهُمَا لِلَّذِينَ يَنَقُونَ وَهُو فَهَا الْنِينَ يَتَبُعُونَ الرَّمُولَ النِّي وَفُورَنِي اللَّهُ مِن اللَّيْ مَن اللَّهُ مَا النَّي اللَّهُ مَا النَّي اللَّهُ مَا اللَّهِ مَن اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ مَا اللَّهِ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المفردات :

والتبالنا في فلام الفنيا حسلة الدنيا : ما يعم العيشة الراضية ، والعمل الصالح ، والدراد بكتابتها: تقديرها وإبرازها : عبر عنها بالكتابة مجازًا ، أو الكتابة على حقيقتها ، فإن ما يقدر الله تنفيذه يكتب في اللوح الممفوظ ، أو عند الملائكة المذبرات أمرًا .

هـــدنــا السيك، تبنا إليك ورجعنا.

إسمـــــرهـــــــم ، الإصر في اللغة : الأمر الثقيل ، والمراد به منا : التكاليف الشاقة على اليهود بسبب خلامهم، كتحريم بعض الطيبات عليهم .

التفسيره

١٥٦ – وَٱكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ ٱلدُّنيَا حَسَنَةُ وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ... الآية .

تلطف موسى في دعاء ربه وفي تقويض المشيئة إليه وفي إظهار المُضوع والتجرد لله تعالى فيما سبق من آيات وهنا يدعو ربه أن يعطيه حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة . والمعنى: أوجب لنا وأثبت لنا بفضلك ورحمتك حسنة ، أى : حياة طبية في الدنيا بتوفير نعمة الصحة . والمافية ، وسعة الرزق والتوفيق في العمل والهداية إلى الغير ، ولجعل لنا في الآخرة حسنة بدخول جنتك والظفر برضوانك وفيض إحسانك ، وذلك كقوله تمالى:

رَبَّمَا عَالِهَا فِي ٱللَّذِيَا حَسَنَةُ رَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِهَا عَلَمَابَ ٱلثَّارِ . (البقرة: ٢٠١)

إِنَّا هُنَكَا إِلَيْكَ . أي : تبنا إليك ورجعنا وأنبنا . أي : ندمنا على ما فعله قومنا من عبادة العجل أو قولهم: أِنَّا لَللَّهُ جَهُرَةً . ونحو ذلك من فعل السفهاء ، ورجعنا إلى الإيمان المقرون بالعمل .

جاه في تفسير القاسمي: يقال: هاد، يهود إذا رجع وتاب فهو هائد، ولبعضهم:

يا راكب الذنب هُدُ ، هُدُ السَّعِد كأنك مُدَّهُ لِي

وقال آخر: إنى امرق مما جنيت هائد.

قَالَ عَلَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَطَاءُ.

أَى: قال اللهُ تعالى إن هذابى أصيب به من أشاء من الكفار والعصاة ، مع عدالة الله ويعده عن الظلم. قال تعالى: وَ لاَ يُطْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

وفي الحديث القدسي يقول الذبي ﷺ: يقول الله عز رجل : هيا عبادى ، إنّى حرمت الطلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تطالمواء ٣٠٠ .

وَرَحْمَتِي رَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ .

أما رحمة الله فقد شملت كل شىء فالله تعالى ينعم على البرّ والفاجر ، ويخص بالثواب المؤمن ولولا عموم الرحمة : لهك العصاة والكفار عقب عصيانهم وكفرهم ، قال تعالى : وَلَوْ يُوْاَحِدُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسُ بِمَا كَسُوْاً مَا تُرَكُ عَلَى ظُهُرهَا مِن كَابَّة . (فاعل: 23)

جاء في تفسير القاسمي عن الجشمي:

ومن تأمل هذا السؤال والجواب : عرف عظيم محل هذا البيان : لأنه عليه السلام ، سأل نعيم الدنيا والدّين عقب الرجفة ، فكان من الجواب أن العذاب خاصة يصاب به من يستحقه ، فأما النعم فما كان من باب الدنيا يسع كل شىء يصمع عليه التنعم وما كان من باب الآخرة يكتب لمن له صفات ذكرها .

فَسَأَكُتُهُمَا لِلَّالِينَ يَتْقُونَ ويُوتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ .

تفضل الحق سبحانه على عباده بهذا البيان فبين صفات من يستحق الرحمة من عباده وهم:

- ١ -- الذين يتقون الله ويراقبونه ويؤدون فرائضه ويتركون ما نهى عنه .
- الذين يخرجون زكاة أموالهم طيبة مها نفوسهم والمال طقيق الروح ، وإشراجه يحتاج إلى جهاد وإيمان ويقين بثواب الأخرة ، ولذلك نص عليه ، حيث كان اليهود يعبدُون المادة وكانت نفوسهم شمهمة بإخراج المال في سبيل الله .
- ٣ الذين يؤمنون بالإسلام والقرآن وسمو تشريعاته وعموم هدايته وصلاحيتها للعمل والتطبيق، وصدق رسلنا.

١٥٧ - ٱللَّذِينَ يَعْبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱللَّيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱللَّهِي يَجِدُونَهُ مَكُوبًا عِندَهُمْ في ٱلقُورَاةِ وَٱلإنهل ...

١ - الصفة الأولى لهذا النبي:

تتابع هذه الآية صفات هزلاء الذين يستحقون الرحمة فتذكر أن هزلاء المؤمنين قد آمنوا بالنبى الأمى الذى أرسل فى أمة أمية ، وكانت الأمية آية ومعجزة له : فقد جاء بكتاب منزل عليه اشتمل على أكمل العلوم وأجداها : فى العقيدة والعبادة والسياسة والاجتماع والالتصاد والأهلاق والأعمال .

٢ - والصفة الثانية لهذا النبي:

أن هذا الرسول الأميّ مصد ﷺ قد وردت صفاته فى الثوراة والإنجيل ، ويعرفه أحيار اليهود كما يعرفون أبنامهم ، ولذلك آمن به بعض علماء اليهود ، مثل: عبد الله بن سلام ، ويعشى علماء التصاري مثل: تنبع الدارى .

جاء في الباب الثالث و الثلاثين في التوراة في سفر تثنية الاشتراع:

حجاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستطى من جبال قاران ، ومعه ألوف الأطهار في يمينه قبس من ناره .

ومجيئه من سيناء : إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل لعيسى ، واستعلاؤه من جبال شاران : إنزاله القرآن : لأن شاران من جبال مكة .

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: مُصَلِّقًا لَمَا يَشَ يَدَىٌ مِنْ ٱلْقُورَاةِ وَمَشَّرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِن يَعْدِى آسَمُهُ أَحْمَدُ (الصف: ٢٠). وروى البشارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى نالله عنهما قال: قرأت فى الثوراة صفة النبى : همحمد رسول الله عبدى ورسولى سميته : المتوكل ، ليس يفظ ، ولا غليظ، ولا صمغاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ريصفح ، وإن أقبضه حتى أقيم به الملة العرجاء؛ بأن يقولوا لا إله إلا الله، ""،

وقد جاء في كتب التفسير قديما وحديثا جانب كبير مما نقله العلماء للدلالة على صدق محمد ஆ وصحة رسالته (١٠٠٠ .

٣ -- والصفة النافة لهذا النبي أنه :

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ .

إن هذا الرسول يأمر الناس بالمعروف هيث يدعوهم إلى الإسلام والإيمان ومكارم الأخلاق والعبادات والمعاملات والشرائع . وَيَتْهَاهُمْ مُن إِلْمُنكَرِ . الذي يتناول الكفر والمعاصى وما تنكره العقول والقلوب من مساوئ الأخلاق وقبيم الأفمال والأقوال .

و المبقة الرابعة لهذا النبي:

وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطُّلِيَاتِ وَيُحَرَّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْعَبَائِثُ .

أي: أنه يحل لهم ما تستطيبه الأذواق من الأطمعة وفيه قائدة في التغذية ، وهاصة ما حرّم على بنى إسرائيل من الطيبات كالشحوم وغيرها بسبب ظلمهم وقسوقهم ؛ عقوبة لهم .

وُيُحَرِّمُ عَلَهِمُ ٱلْجَائِثُ . أى : ما تستقده النفوس كالميتة ، والدم المسقوح ، والمنزير في المأكولات، وكأهذ الربا والرشوة، والنصب والفيانة في المعاملات .

والصفة الخامسة لهذا النبي:

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَآلِأَهْلالَ آلْتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ .

الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه ويحبسه عن الحركة.

الأفلال : جمع غل وهو ما يوضع في العنق أن اليد من الحديد . والمراد : أن الرسول محمدا ﷺ قد أرسله الله بشريعة سمعة سهلة لا حرج فيها ولا مشقّة ، وهذا الرسول جاء ؛ ليرفع عن بني إسرائيل ما ثقل عليهم من تكاليف كلفهم الله يها ، يسبب ظلمهم كاشتراط قتل الأنفس في صحة التوية والقصاص في القتل المعد أو الشطراء من غير شرع الدية ، وقطع الأعضاء الفاطلة ، وقطع موضع النجاسة من الثوب ، وتحريم العمل يوم السبت .

قال الإمام ابن كثير: أى: إنه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد فى الحديث: «بُعثت بالحنيفية السمحة.. (٢٠ وقال ﷺ لمعاذ بن جبل، وأبى موسى الأشعرى، حين أرسلهما إلى اليمن: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا، وتطارعا ولا تمتلفا، ٢٠٠ .

والمعارضة: أن بنى إسرائيل كانوا قد أهذوا بالشدة في أحكام العبادات، والمعاملات الشهمية والمدنية والمعتربات، والمعاملات الشهمية والمدنية والعقربات، فكان مثلهم مثل من يحمل أثقالاً يكن منها، وهو موثق بالسلاسل والأغلال في عقله ويديه ورجليه، وقد مفف المسيح عليه السلام عنهم بعض التمقيف في الأمور المادية، وشدد في الأحكام الربحية، إلى أن جاءت الشريعة السمحة التي أرسل الله بها مصداً ﷺ 80%

ثم بين الحق سبحانه وتعالى صفة أتباعه عليه المبلاة والسلام نقال:

فَٱلَّذِينَ عَامَتُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُّوهُ وَٱلْكُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِينَ أَنزِلَ مَعَهُ أَوْ لِبَكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ .

فَٱلَّذِينَ وَامْتُواْ بِهِ . من اليهود أو من العرب أو من سائر الناس وصدقوا برسالته وأطاعوه فيها .

وَعُزْرُوهُ : أي : عظميه وولِّروه وأعانوه يعدم أعدالته عنه .

وَنُصَرُوهُ . يكل وسائل النصر ، باللسان والسنان .

وَ ٱتَّبُواْ ٱللَّوِرَ ٱللَّذِي ۚ أَتْزِلُ مَعَهُ . أي : اهتدوا بهدى القرآن وهو نور وهداية ، وهو أيضنا ظاهر واضح ، يهدى متبعه إلى العقيدة السليمة والعمل العمالح ، كما يهدى النور العسىّ من يتبعه إلى سواء السبيل .

أُوْلِيكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ .

أى: هزلاء الموسَّوفون بتلك الصفات الجليلة ، هم وحدهم دون غيرهم الذين يلغوا غاية الفوز بسعادة الدنيا ونميم الأغرة .

﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِي رَسُولُ اللَّهِ التَّكُمُّ جَمِيعًا الَّذِي لَشُمُلُكُ السَّكَوَتِ وَالاَرْضِّ لاَ إِلَهَ إِلَّاهُورَ يُعْيِ وَيُمِيثُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَيُسُولِهِ النَّيِّ الْأَيِّيِ الَّذِي يُؤْمِثُ وَاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالتَّبِمُوهُ لَعَلَّكُمُ مَنْ اللَّهِ وَكَلِمَتَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهِ وَاللَّهِ وَلَا

اللقردات :

الأمى ، المنسوب إلى الأم : لأنه لا يقرأ ولا يكتب ، فهو على فطرته التى ولدته أمه عليها ، من حيث عدم القرامة والكتابة .

التفسيره

٨٥٨ – قُلْ يَأَلِّهَا آلنَّاسُ إِلَى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيمًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاواتِ وَآلَا ُ هُو إِلَّهُ إِلَّا هُو يُعْمِى وَهُمِيت ...

أَهْادتِ الآية السابقة: أن التوراة والإنجيل بشرت برسول الله 森.

وتنيد هذه الآية : عموم رسالته ﷺ للناس أجمعين .

فليست رسالته قامسة على أمة من الأمم أو على وقت من الأوقات ، أو جيل من الأجيال ، بل رسالته عامة للعرب والمجم بالإنس والجن ، وجميع الناس إلى يوم القيامة .

والمعنى: ألنَّ يا مصد لجميع البشر كافة من عرب وغيرهم ، بيض أو سود : إنى رسول الله إليكم جميمًا لا إلى قومى خاصة ، والإله الذي أرسلنى هو إله كل شيء ومليكه ، وله ملك السماوات والأرض ، ويهده الملق والأمر والإمانة والإحياء .

والآية نص في عموم رسالته ﷺ، وهي تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من بعثته ﷺ إلى الناس أجمدين، قال تعالى: وَمَا أَرْسَلَاكُ إِلاَ كَالْقُهُ لِلْمَاسِ بَطِيرًا وَلْمِيرًا . (سها: ٢٨).

وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَلْمِينَ . (الأنبياء: ٧٠٧).

وجاءت الأحاديث الصحيحة مؤكدة عموم رسالته ﷺ مثل حديث الصحيحين والنسائى: عن جابر ابن عبد الله عن النبى ﷺ قال: وأعطيت خمسًا لم يعطهن نبى قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجملت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أمركته المسلاة فليصلً، وأحلت لى الفنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان الذي يبعث إلى قرمه خاصة، ويعثت إلى الناس عامة، ٣٧ فَأَمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱللَّهِي أَيْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱلْبِحُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون .

أذاد المقطع الأول وحدائية الألوهية فائلا تعالى إله واحد ليس معه إله غيره ، هو الذي يملك الموت والحياة وله ملك السماوات والأرض .

ولمى هذا المقطع رتب على ذلك دعوة الناس جميمًا إلى الإيمان بالله ربًّا بخالقًا ، والإيمان بالرسول محمد ﷺ : وهو النبى الأمن ، ومعجزته في أنه كان أميًّا ، وأنزل عليه كتاب علم البشرية قواعد المياة ، وأصول التشريح والأداب ، وهذا الذبي يؤمن بالله وبرسالاته وكتبه ، واتّباعه مصدر الهداية المقة، ومصدر المعدادة والفلاح .

وما على الغلق إلاّ الإيمان بوحدانية الله ويوبيته ، واتباع كلماته وتشريعاته ، وليس من التشريع أمور النائعة فتلك متروكة أمور الدنيا العادية من تدبير شئون الزراعة والمساعة والتجارة المباحة والعلوم النائعة فتلك متروكة لمقول الناس ومعارشهم وغيراتهم لما ورد في العديث المسحيح عند الشيشين^(۵) : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» (⁰⁾.

* * *

﴿ وَمِن قَوْ مِر مُوسَىٰ أُمَةً يَهْدُونَ وَالْمَقِ وَمِدِيهَ لُونَ ﴿ وَقَطَّمَتُهُمُ اثْنَقَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَنَا وَأَوْ حَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ السّسَقَنَةُ قَوْمُهُ وَأَنِ اَضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرِ فَالْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةً عَيْنَا قَدْعَلِمَ كُلُّ أَنَاسِ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْفَمْنَمُ وَازَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَى وَالسَّلُويِ الْمَالُولِي الْمَالِمِي اللَّهِ الْمَالِمَ وَمَا ظَلْمُهُ وَاوَلَيْكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اللَّهِ الْمَالِمُونَ اللَّهِ الْمَالِمُونَ اللَّ

المفردات :

يهنون بالحق ، برشونهم بكلمة العق .

ويه يعمد أون ، وبالمق يعدلون في الأحكام .

أسبيساط امعًا: أي : قيائل صارت أممًا ، وأصل السبط : ولد الابن أو البنت .

المائي جست؛ فانفجرت.

وظللنا عليهم القمام؛ وجعلنا السحاب يظلهم من الشمس.

الان والسياسوي ؛ المن : صمقة حلوة ، والسلوي : السُّماني .

٩٥٩-- وَمِن لَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ .

جاءت هذه الآية استدراكًا لتبين أن الضلال لم يكن شاملاً لبنى إسرائيل ، بل منهم أمة منصفة آمدت بموسى واتبعت تعاليمه فى عصر موسى ويعد عمىره كما اتبعوا من جاء يعده من الأنبياء ، وهم أهل هداية بالحق وعدل بالحق .

قال تعالى: مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةً قَالِمَةً يَظُونَ عَايَاتِ ٱللَّهِ وَالْآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجِئُونَ . (إل عمران: ١١٣)

وقال تعالى: وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ آلْكِتَابِ لَمَن أَوْمِن بَاللَّهِ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْتُمْ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْهِمْ عَاشِيعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآلِياتِ اللَّهِ فَمَا قَلِيدًا أَوْلِكَ فَهُمْ أَجْرُهُمْ مِنَدَ رَاهِمْ إِنَّ ٱللَّهُ صَرِيعٌ ٱلْحِسَابِ. (ال عدران: ١٩٩)

وخلاصة معنى الآية :

إن من بنى إسرائيل من آمن بموسى عن يقين صدادق وصداروا دعاة للحق يرعدون الناس إليه ، وهم أيضا يعدلون بالحق بينهم فى الحكم ولا يجورون ، قال تعالى: وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِيِّسْأَلِ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِهْمُ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِسِّارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَاكِمْتَ عَلَيْهِ النِّمْ . (ال عمران : ٧٥) .

• ١ ٩ - وَقَطُّعْنَاهُمُ ٱلْنَعَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًّا .

تفهيده

تعود هذه الآية إلى الحديث عن بنى إسرائيل فتصف ما أنعم الله به عليهم من النعم المتعددة ، ومع ذلك كان منهم الهجود والعناد ، ولمل ذلك أن يكون تحذيرا لأمة الإسلام ؛ حتى لا تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تعريف للتوراة ، وهروج على هدى السماء ، وانحراف عن روح التشريع .

المحمى: يخبر الله تعالى عن بنى إسرائهل أنه صيرهم اثنتى عشرة أمة ، كل أمة منهم ترجع إلى ولد من أولاد يعقوب الاثنى عشر : فكانوا لهذا أسباطًا له ، أى : أولادًا لأولاده .

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ آسَتَسْفَاهُ قُومُهُ أَنِ آصْرِب بَعَصَاكَ ٱلْحَمَّرَ فَالْبَحَسَتْ مِنْهُ آلَتَنَا عَشْرَةَ عَيْنَا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مُشْرَبُهُمْ

أصاب بنو إسرائيل العطش في التّيه ، وهم في منطقة صحرارية بين مصر والشام ، فطلبوا من موسى تيسير الماء لهم حتى لا يهلكهم العطش ، فدعا موسى ريه في خضوع وتذلل ، فألهمه الله أن يضرب بعصاه أيّ حجر فينفجر منه الماء بعدد قبائل بني إسرائيل؛ لتعرف كل قبيلة مكان شريها ويكون.ذك أمناً لهم ، وأدعى إلى عدم التزاهم .

ويشهم من ذلك أنّ كل سيط منهم كان عدد أفراده كثيرًا ، حتى جعل لهم هذا العدد من العيون بعدد أسباطهم .

وقد وردت في التوراة روايات متحدة حول هذه العادثة منها ما ورد في الإصحاح السابع عشر:

«وعطش مناك الشعب إلى الماء ، وتذمّر الشعب على موسى ، ققال الربّ لموسى: مَرّ قدّام الشعب ، وهذ متك شهرخ بنى إسرائيل ، وعصاك التي ضريت بها خذما في ينك واذمب . ما أنا أقف أمامك مناك على المسفرة في حوريب، فتضرب المسفرة فيشرج منها ماء ليشرب الشعب ، فقعل موسى هكذا أمام عيون شهوخ بنى إسرائهل ...٣٠٤ .

ومن المفسرين من رجح أن المراد : هجرً معينُ اعتمادا على ما ورد في التوراة أو الإسرائيليات . ومنهم من رجح أن المراد : أيُّ هجر يقابل موسى .

قال الحسن: ما كان إلاّ مجرًا اعترضه ، وإلا عصًا أخذها . ولمل المق سيحانة أراد بذلك أن يكون معجزة ظاهرة لموسى: حتى يزدادوا بندوته استيقانًا ، ويقبلوا على العمل بما حام في القدر إلا

وَظَلَّكَ عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَلزَلُنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلُوئُ كُلُواْ مِن طَيَّبَاتٍ مَا رَزَقْناكُمْ .

أى : جعلنا الغمام يلقى ظلاله عليهم ويقيهم حرارة الشمس ، حيث أرسل الله السحاب قوق مقامهم وسيرهم ، فحال درن وسول أشعة الشمس إلى حيث يقيمون أو يسيرون .

ويقيت مشكلة الغذاء ، الذي لا مصدر له في الصحراء ولا يصل إليهم به أحد .

فتفضل الله تعالى بإنزال المنَّ والسلوى ؛ ليكون طعامًا لهم .

والْنُ : مادة صمقية تسقط من الشجر ، تشبه حلاوته حلاوة العسل .

والسارى : مائر رِبِّيٍّ لذيذ اللحم سهل الصيد ، يشبه السمّان ، كانت تسوقه لهم ربيح الجنوب كل مساء فيمسكرنه قبضًا بدون تعب

وتظليلهم بالقمام وإنزال المن والسلوى عليهم ، كان فى مدة تيههم بين مصر والشام ، المشار إليه · بقوله تمالى :

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَعِيهُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاصِقِينَ . (الساندة: ٢١) .

جاء في تفسير ابن كثير:

قال السلّى : ولما دخل بند إسرائيل التيه قالوا لموسى — عليه السلام — : كيف لنا بما ها هنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المنّ فكان ينزل على شجر الزنجبيل ، والساوى وهو طائر يشبه السنّانى فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه الصجر فضريه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فشرب كل سبط من عين ، فقالوا : هذا الشراب فأين الظل ؟ فظل الله عليهم بالفمام ..

فذلك قوله تعالى : وَظَلُّنَا حَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَلزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلُوئِينَ ٢٠٠

كُلُواْ مِن طَلِيّاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ.

أى: وقلنا لهم: كلوا من هذه الطيبات التى أنزلها الله لكم، حيث يسر الله لكم الطعام والحلوى والمام والغمام الذى يظللكم به ، ويسر لكم سبل السعاش والإقامة فينبشى أن تعترفوا لله بذلك الفضل وتقوموا بواجب الشكر.

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

أى: وما ظلمونا بكفرهم بهذه النعم ، ولكن ظلموا أنفسهم بهذا الجمود والكفران ، وقد كان هذا دأيهم ومادتهم آنًا بعد آن .

وقد روی مسلم عن آبی تر مرفوعا : «یا عبادی ، إنی حرمت الظلم علی نفسی وجملته بینکم محرمًا فلا تظالموا ، یا عبادی ، إنکم لم تبلغوا ضری فتضرونی وان تبلغوا نفعی فتنفمونی ...» (۱۰۰).

* * *

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اَسْكُنُوا لَمَنِوا الْفَرْكِ فَوَكُنُوا مِنْهَا حَيْثُ شِنْتُمْ وَقُولُوا حِظَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَسُجُكَ انَفْفِرْ لَكُمْ خَطِلِتَنْ حِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۖ فَهَدَّ لَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ اللَّيْ قِيلًا لَهُمْ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْـزًا قِنَ السَّكَةَ مِمَاكَ انْوَا يَظْلِمُونَ ۖ ﴾

المفردات

هنده النقبرينة : هي بيت المقدس أن أريحاء — على ما قيل .

وقدولوا حسطة ، من الحط وهن الوضع والطرح ، والمراد بها : أن يطلبوا حط ننويهم وطرحها عنهم يتطران الله لهم .

ولاتحلوا الباب سهدًا : وانتظوا بأب القرية التي أمرتم بدخولها خاشعين خاضمين لله : شكرًا له على تمكينكم من نخولها .

التقسين

١٦١ - وَإِذْ فِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَلِهِ ٱلْقَرَاةَ رَكُلُواْمِنْهَا حَيْثُ فِنْقُمْ وَقُولُواْ حِمَّلَةً وَآدَخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّمَاءُ الْفُوْرُ لَكُمْ خَطْمِهِ لِكُمْ سَنَوِيةً ٱلْمُحْسِينَ .

يعدد الله طائفة من النعم التى أنمم بها على بنى إسرائيل ، فقد أكرمهم فى التيه ، حيث أنزل لهم المنًّ والسلوى، وفجَّر لهم ينابيع الماء ، وأظلَّهم بالغمام من حر الشمس ، وبعد أن مكثوا فى صحراء التهه أربعين سنة، قادهم ويشع بن نون ، وأخرجهم من المسحراء إلى العمران ، والقرية تطلق أيضًا على المدينة ، وإملها عاصمة لما حولها من القرى أو منازل الأعراب ، ومن يقتح العاصمة يستطيع السيطرة على ما حولها وما يتبعها من القرى الصغيرة أو مساكن البدر .

والحسى: والدكروا أيها المعاصرون للعهد النهوى من بنى إسرائيل ، وقت أن قبل لأسلافكم : اسكنوا قرية بيت المقدس أن «أريحاء بعد خروجهم من التيه ، وقبل لهم كذلك : كلوا من خيراتها أكلاً واسمًا كغيرًا ؛ من أيّ مكان شئته ؛ وينبغى أن تشكروا الله كغيرًا ، على هذا النصر المؤزر على أعدائكم ، قلا تسملوا مقرورين ولا متبطرين ، بل الدهلوا متواضعين مستفرين ، واسألوا الله يحط عنكم سيئاتكم ، وأن يفقرها لكم ، والدخلوا أيضًا من باب القرية خاضعين شكرًا لله تعالى ، فإنكم إن قملتم ذلك قبلنا دعامكم وزيدناكم نممًا وفضلاً.

الأيات 21-21 من سورة المائدة

يتصل بهذه الآية ومضمون ما اشتملت عليه آيات سابقة في سورة البقرة ، هي الآية ٥٨، ٥٩ من سورة البقرة .

وكذلك الآيات ٢١-٢٦ من سورة المائدة.

أما أيات سورة اليقرة ففيها قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا آدْخُلُواْ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ هِشَمْ رَغَنَا وَآدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجُنَا وَقُولُوا حَقَّةٌ نَفْقُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ

وَمَشَوِيدُ اللَّمُحْسِينَ * فَيَدَلَ اللَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَالوَلْمَا عَلى اللَّذِي ظَلَمُواْ رَجُوًا مَّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَالُواْ يَفُسُلُونَ. (لِعَنْدِينَ ٥٠، ٥٥)

آييات المائدة

وتغيد آيات سورة المائدة جبن بنى إسرائيل وتقاعسهم عن الجهاد ، وخوفهم من المشركين سكان بيت المقدس ، فقد رغبوا أن يجلسوا بميدًا ، حتى يخرج أهل بيت المقدس تطوعًا فإذا خرجوا دخل اليهود بدون تعب أو مشقة .

وقد تطوح رجلان بنصمهم ، وترجيههم إلى الجهاد ، فإذا نطوا من باب المدينة مجاهدين مغلمين: انتصروا على عدوهم ، لكن الههود تقاعسوا عن ذلك ، واستفاث موسى بالله أن ينقذه من هؤلاء المتقاعسين: شُحرُّم الله عليهم دخول بيت المقدس أريمين سنة ؛ عقابًا لهم .

نص الآيات

يَاهُوْمِ ادْشُواْ الأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ اللِّي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرَثَّدُواْ عَلَى أَذَاتِ كُمْ فَتَقَدُواْ عَلَى الْمُوسَى
إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبُّارِينَ وَإِنَّا لَنَ لَنُحُلَهَا حَتَى يَخْرَجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَحْلُواْ مِنْهَا قَإِنْ مَا مُوسَى
إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبُّارِينَ وَإِنَّا لَنَ لَنُحْلَهَا حَتَى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَحْلُونَ مِنْهَا فَإِنْ مَلْمُوسَى
أَنْهُمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَسَلَتُمُوهُ فَإِنْكُمْ فَالِونَ وَعَلَى اللّهِ فَلَتِهَا وَالْمَانَ عَلَيْهِمُ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهِ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ الْعَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

ولما أنتهت مدة التيه ، دعاهم يوشع بن نون لقتال الجبارين بعد وفاة موسى «على الراجع» فاستجابوا له فنصرهم الله تعالى .

١٦٢ - فَبَثَلُ ٱللَّذِينَ ظَلْمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً خَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَالُواْ يَطْلِمُونَ.

طلب الله من بني إسرائيل الاعتراف فله تعالى بالفضل، والسجود فله تعالى بحد النصر، ولكنهم خالفوا ذلك.

شخلوا متكبرين يزحفون على إستاهم رافعين رموسهم ، ولم يطلبوا من الله مفقرة ذنويهم ، بل بدُّلوا ذلك بأقوال أخرى ليس فيها مضمون الشكر ولا مضمون التواضع .

قأرسل الله عليهم عذاينًا شديدًا من السماء ، والرجز : هو العذاب الذي تضطرب له القلوب ، أن يضطرب له الناس في شتونهم وممايشهم .

بِمَا كَانُواْ يُطْلِمُونَ .

أي: يسبب ظلمهم وعثادهم وعثرُهم! عاتبتاهم بالعذاب.

ولد كان ﷺ يشكر ربه كليرًا عقب النصر والفتع ، فعندما بيض مكة فاتمًا منتصرًا انحنى على راحلته حتى أربك أن يسجد عليها ، وهو يقول: ثانبون حامدون آيبون لرينا شاكرون ، ثم بيض البيت الحرام فصلى ركعتين ثم طعن الأمنام بقضيب في يده وهو يقول: دجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهويًّا، (٥٠)

وذكر بعض الفقهاء أن رسول الله ﷺ صلَّى ثماني ركعات بعد فتح مكة ، وهي صلاة الفتح .

ومن هذا استحب العلماء للفاتمين من المسلمين إذا فتحوا بلدة : أن يصلوا فيها ثماني ركمات عند أول دخولها : شكرًا الله على نعمة الفتح ، وقد فعل ذلك سعد بن أبي وقامى ، عندما دخل إيوان كسري ، فقد ثبت أنه مشّى بداخله ثماني ركمات .

لكن بني إسرائيل بعد النمس ودخول بيت المقدس ، شالقوا أمر الله ، وقالها كلامًا لا يحمل معنى البشكي

قال الزعشرى: أي: وضعوا مكان حطة قولا غيرها ، يعنى : أمروا بقول معناه التوية والاستغفار ، فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ، ولم يتمثلوا أمر الله ، وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينا، وهو لفظ العملة ، فجاءوا بلفظ آخر لأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به ؛ لم يؤهذوا به ، كما لو قالوا مكان حملة : نستغفرك ونتوب إليك ، أو اللهم اعل عنا ، وما أشبه ذلك .

وقال ابن كلو: هرحاميل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق ، أنهم بدلوا أمر الله من الخضوع بالقول والفعل ، فقد أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا ، فدخلوا يزحفون على إستاهم رافعى رءوسهم ، وأمروا أن يقولوا : حظة – أى : لمطلط عنا ننوينا – فاستهزموا وقالوا : حنطة فى شعيرة ، وهذا فى غاية ما يكون فى المخالفة والمعاندة ، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بنستهم وخروجهم عن طاعته . ا هـ . ﴿ وَسَمْلَهُمْ عَنِ ٱلْقَرْكِةِ ٱلْتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْدِ إِذْ يَهْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ ا إِذْ كَأْتِيهِ مِّ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيُوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمُّ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَهْسُفُونَ ﴿ ﴾

المفردات :

السقسريسة ، مدينة أيلة .

حاضرة البحرء قريبة مله .

يمنون في السبت : يتجارزون حدود الله بالصيد يوم السبت .

صي<u>ت السم</u> ، المراديها : أنواح السمك المختلفة .

شبيرًه الماء عمم شارع أي: ظاهرة على وجه الماء ، من شرع عليها إذا دنا وأشرف.

التفسيره

١٦٣ - وُسْقَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَالَت حَاضِوَةَ ٱلْبَحْرِ ... الآية .

لا يزال الحديث مستمرًّا عن سيئات اليهود وأفامهم ، فقد أخبر القرآن عنها ، وهو منزل على نبى أميًّ، لم يقرأ القرراة ولا كُتب اليهود ، وليس في القرراة ذكر لهذه المادثة ، لكنها كانت معروفة متداولة بين اليهود. فذكُرهم القرآن بما حدث لأمل قرية أيلة ، وهي قرية بين مدين والطور على خليج العقبة ، وقد أحها اليهود اسمها فسمًوا مدينتهم على خليج العقبة إيلات .

ملاحظة: كانت أوامر الله للههور، بتعظيم يوم الجمعة ، فاهتاروا يوم السبت ، فأثرمهم الله باحترامه وعدم العمل فيه .

جاء في تفسير الفخر الرازى :

قال ابن عباس: «اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به ، وهو يوم الجمعة ، فتركوه واعتاروا السبت: فابتلاهم الله تعالى به ، وحرَّم عليهم الصيد فهه وأمرهم بتعظيمه ، فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انتقضى السبت ذهبت وما تعود إلا في السبت المقبل ، وذلك بلاء ابتلامم الله به ، فذلك معنى قوله تعالى : وَيَرْمُ لاَ يُسْبُونُ لاَ أَكُوهِمْ ، ا هـ . ويذيد سياق الآية أن الله تمالى أمر اليهود بالتفرغ للراحة والمبادة يوم السبت يحرِّم عليهم الاشتغال بغير ذلك ، وكانت إحدى الفرى على خاطئ البحر ، ترى السمك فى يوم السبت يتهادى على الشواطئء آمنا، حيث أدرك بغريزته هدوء حركة الصيد ، وكأن الله تمالى يبعث الحيتان على الظهور على وجه الماء : لتكون كثيرة أسامهم ، فيختبر مدى التزامهم .

كَذَلِكَ لَبُلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفُسُقُونَ .

أى: مثل هذا البلاء بظهور السمك تبتليهم وتعاملهم معاملة المعتبر لصال من يراد إظهار حاله ليرتب الجزاء على عمله ، يسبب فسقهم المستمر على أمر ربهم وإعتدائهم على حدود شرعه .

قال الشوكاني في فتح القدير:

ابتلامم الله تعالى بسبب ظهور الفسق فيهم ، بأن تأتيهم الأسماك يرم السبت ظاهرة على وجه البحر قريبة من المأخذ يسهل صيدها ، وفى سائر الأيام لا تأتى ولا يقدرون عليها ، وفى ذلك امتحان لمدى قدرتهم على المبير عن محارم الله .

وقال الإمام القرطبي :

«وررى فى قصص هذه الآية : أنها كانت فى زمن دارد عليه السلام ، وأن إيليس أرحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أعذها يوم السبت ، فاتفلوا الحياض ، فكانوا يسوقون الميتان إليها يوم السبت فتبقى فيها فلا يمكنها الخررج منها لقلة الماء ، فيأهلونها يرم الأحد، . ا هـ .

وفى الآية تقريع لليهود ، وتذكير بعقاب الله لمن خالف أمره ، وتذكير للأمة الإسلامية بألا تتحايل على أمر الله ، وتستمل مصارمه بحيلة ما .



﴿ وَإِذَ قَالَتَ أَمَّةً مِنْهُمْ لِمَ مَعِظُونَ قَوَمُّا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْمُدَيْهُمْ عَنَابَا شَدِيدًا إِلَىٰ رَبِّهُ وَلَقَلَهُمْ رِمَنَقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِمِنَا بَشِينَا الَّذِينَ يَنْهُوكَ عَنَالشَّوَهِ وَأَخَذَ فَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِمَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوَا عَنَ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا كُنُمْ كُونُوا فِرَدَةً خَسِعِينِ فَلَكُمْ أَنْفُلُهُ وَكَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَالْمَعْمُونَ مَا مُوا عَنْهُ

المقردات

مستسواه تكيروا وأعرضوا.

مساسيون ، أذلاء مناغرين .

التفسيره

١٩٤ - وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةً مَّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمَا ۖ آلَلُهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَلِّبُهُمْ عَذَابًا طَلِيدًا ۗ ... الآية .

قَالَ الْقُصرونُ: الدّرق أَمَل الدّرية ثلاث فرق ، فرقة صادت وأكلت ، وفرقة نهت ورَجِرت، وفرقة أمسكت عن الصيد . ا هـ .

لقد امتحن الله أهل مذه القرية ، يظهور السمله كثيرًا جميلاً سمينًا يوم السبت واهتفائه أو تلّنه في الأيام الأغرى ، ثم وسوس الطيطان لجماعة منهم ، فاصطادوا السمله بالحيلة ، حيث تركره يتقدّم عند مدًّ الماء ، وعملوا أصواحًنا لمنعه من العودة إلى البحر عند جزر الساء .

وعندئذ تصدّى لهم العلماء المهلميون بالنصبح والتحدير ، فقالت فقة ثالثة وقفت على المياد واعترات الفريقين :

لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُمَلَّبُهُمْ عَلَابًا طَدِيدًا

أى: أن الله قد تقسى بإملاكهم فى الدنيا : لتمريهم وعصيانهم ، واسغر لهم عدايًا طديدًا فى الأعدع: جزاء مخالفتهم لأمر الله وعدواتهم فى السبت : فهو يوم عبادة وتفرغ فاحتالوا على صيد السمك ، واستحقوا الهلاك أو المداب .

قَالُواْ مَعْلِرَةً إِلَىٰ رَاكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

أجاب الواعظون للمعترضين على الوعظ والتنبيه: إنا تعظهم لنبرئ أنفسنا من السكوت على المنكر، ونعتنر إلى ربنا بأننا أدينا واجبنا في الإنكار عليهم ، ونحن لا نيأس من مسلاحهم وعودتهم إلى الحق ، ولطهم بهذا الإنذار يتقون ما هم فيه ويتركونه ، ويوجعون إلى الله تانبين ، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

٩٦٥ – فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكُرُواْ بِهِ أَلْتِينَ اللَّهِنَ يَفَهُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَعَلَنَا اللَّهِنَ ظَلْمُواْ بِعَلَابٍ بَعِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُلُونَ .

أى: ظلما أبى الفاعلون قبول النصيحة ، واستمروا في المعاصى ، أنجينا الذين ينهون عن السره وهم فريق الواعظين : الذين أنكروا على إخوانهم ، وأخذنا الذين ظلموا واعتدوا في السبت وخالفوا أوامر الله ونواهيه بعذاب شديد لا رحمة فيه ، بسبب استمرارهم على الفسوق والعصيان ، والغروج عن طريق الله تعالى.

١٦٦- فَلَمَّا عَتُواْ عَن مَّا تُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةٌ خَاسِينٌ .

أى: فلما تمردوا على أوامره واستمرت مخالفتهم نلك ، ومفارقتهم لما نهو عنه ؛ غضب الله عليهم ومسفهم تردة ذليلة صاغرة .

وجمهور المفسرين: أن المسم هنا حقيقى لمفاطقهم الأوامر وتماديهم فى العصيان ، لا لمجرد. اصطياد الحيتان ، وهل هذه القردة من نسلهم ، أو هلكوا وانقطع نسلهم ؟ لا دلالة فى الآية عليه .

وذكرت روايات في التفسير: أنهم مسفوا قردة ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام.

ومن العلماء من يرى أن ذلك من باب التمثيل ، فكأن الله تعالى قال لهم : كونوا مثل القردة في عدم الفهم والإدراك وسوء تقدير العراقب .

تنبيهات

١ -- أشادت الآية أن الله تعالى نجِّي الراعظين الذين نهوا عن السوم ، وأهلك المعتدين .

وسكت الآية عن الفرقة الثالثة الذين لاموا الواعظين ، ومن المفسرين من ذهب إلى أنهم هلكوا مع الهالكين.

والراجع أنهم نجوا مع الناجين .

فالمعدون : استحقوا العذاب الشديد والمسخ .

والناصحون: استحقوا النجاة.

وأصحاب الموقف السلبى ، كان موقفهم أقل منزلة ممن جهر بالنصيحة فسكت عنهم القرآن : لأنهم لا يستحقون مدحًا ، ولا يستحقون قدحًا ، فقد أنكروا بقلوبهم واعتزولوا قومهم ، فسكت عنهم القرآن ، والراجع نجاتهم .

- ٢ الإخبار بالقصة علامة لصدق النبي ﷺ إذ أطلعه الله تعالى على تلك الأمور من غير تعلم منه .
- ٣ -- إبطال الميل الممنوعة المؤدية لتعطيل شرع الله ، وهدم مبادته ، وتجاوز أحكامه ، ومخالفة أوامره .
- ع ــ قال نجاهد: أصبحوا كالقردة في سوء الطباح والطيش والشر ، والإفساد بسبب جنايتهم ، وقال جمهور. المفسرين : مسخوا قردة على الحقيقة .
 - ه جاء في تفسير القاسمي ما يأتي:

قَالَ الإمام ابن القيم في «إغالة اللهقات» :

ومن مكايد الشيطان وأمله ، الميل والمكر والمداع ، الذي يتضمن تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما غرضه ، ومضائدته غي أمره ونهيه ، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه ...

والحيل نوعان:

دوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى وتراك ما نهى عنه ، والتخلص من الحرام ، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغى نهذا الدوح محمود يثاب شاعله ومطمه .

ونرع يتضمن إسقاط الواجبات ، وتحليل المحرمات ، وقلب المخلوم ظالمًا ، والطالم مظلومًا ، والحق باطلاً والباطل حقًّا ، فهذا الذي تتقل السلف على دمّه .

روى أبو عبد الله بن يخُة عن أبى مريرة قال: قال رسول ل像 ﷺ : «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود ، وتستعلوا معارم الله بأدنى الميلي» (٥٠ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِبَعَهُنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِينَ مَوْمَنَ يَسُومُهُمْ سُوَءَ ٱلْمَذَابُ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْمِقَابُ وَإِنَّهُ لَفَفُرَّ رَحِيدٌ ۞ وَقَلَّمْنَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْمَاً مَّ مِنْهُمُ ٱلصَّنَالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَلَوْنَهُم بِٱلْمُسَنَنَةِ وَٱلسَّيِّعَاتِ لَمَلَّهُمْ يَرْجِمُونَ۞﴾

المفردات ،

سن يسومهم و من يذيقهم .

التفسيره

١٩٧ – وَإِذْ تَأَذَّنْ رَبُّكَ لَيَهَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلِّي يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ الآية.

الحق سبحانه عادل غير ظالم ، بيد أن اليهود تلاعبت بشريعة الله ، وأكلت السمك بالحيلة ، وأكثرت من التحايل على الأوامر والنواهي ، لذلك سلط الله عليهم جماعات متعددة ، في تاريخهم القديم والمديث :

وَإِذْ تُأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَعْفَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَلَابِ ٢٠٠٠

الأذان : لغة الإعلام ، ومعنى تَأَذَّنَ رَبُّكَ : أعلم ربك أسلاف الههوي على أنسنة أنبياتهم : لثن غيروا وحرُّفوا كلام الله : ليسلطنَ عليهم إلى يوم القيامة من يذيقهم العذاب ، ويلحق بهم الذلَّ والمسَّفار ، ويفرض عليهم الجزية ويبدّد ملكهم ، حتى يصبحوا أذلة مشردين .

إِنَّ رَبُّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفَقُورٌ رَّحِيمٌ.

أى: إن الله سريع العقاب لمن خالف شرعه ، واستمرأ المعصية ، واطمأن إلى حلم الله .

وَإِنَّهُ لَقَفُورٌ رَّحِمٌ . لعن تاب وأناب ورجع إلى طاعة الله ، واستففر وندم ؛ فإن الله يففر له ، ويرحمه برحمته الواسعة .

فهو سبحانه حكيم ، ينزل عقويته بالجاحدين المكابرين ، وينزل رحمته بالطائعين التائبين .

وقد تحقق مضمون هذه الآية ، قسلط الله عليهم اليونانيين والكشدانيين ، والكلدانيين والبابليين ثم الروم النصارى ، ثم المسلمين ثم الألمان بقيادة متلر في العصر العديث ، الذي قتلهم وشرّدهم في البلاد .

وطبيعة اليهود من الظلم والعدوان تقلب عليهم كما حدث في حرب سنة ١٩٦٧م ، حيث استواوا على مساحات شاسعة من أرض جيراتهم من عرب فلسطين والأردن وسوريا ومصر، ثم سلط الله عليهم العرب المسلمين بقيادة مصر وسوريا ، في العاشر من رمضان سنة ١٩٣٣هم ، الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣م ، في كرب هاطفة ، أذهلت أمم العالم ، وحملتهم على تأبيد العرب ضدهم، وذلك مصداق قوله تعالى :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيْنَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِنِّي يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَشُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابُّ

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى هي صدر سورة الإسراء : وَلَعَنَيْنَا إِلَىٰ نَبِي إِسْرَاءِولَ فِي ٱلْكِتَابِ لَلْفَسِدُنَّ فِي ٱلاَّرْضِ مُرْتِينَ وَلَعَفْلُ عَلَمًا كِيمًا ... إلى أن قال تعالى : وَإِنْ غَنْتُم خُذَنَا وَجَعَلنَا جَهَتَم لِلْكَافِرِينَ حَمِيرًا . (الإسراء ٤-٨).

ومعنى مُرَّيْتِراَى: كرتين . أي: مرة إثر مرة ، فكلما أفسوا فى الأرض ؛ سلط الله عليهم من ينتقم منهم، وأشهر من سلط عليهم فى المرة الأولى هو يمتنصر البابلى المجوسى الذى خرَّب ديارهم وقتل مقاتليهم، وسبى نسافهم وذراريهم ، وضرب للجزية على من بقى منهم ، وقد غزاهم ثلاث مرات الأولى سنة ٢٠٦ ق.م والثانية سنة ٩٩٩ ق.م والثالثة سنة ٨٨٥ ق.م .

أمًّا فسادهم الثانى فكان بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، حيث سلط الله عليهم الرومان بقيادة تيطس سنة ٧٠م ، فشردهم وهدم هيكلهم ، وتتل منهم خلقًا كثيرًا ، حتى يلغ عدد القتلى منهم مليون قتيل ، ويلغ عدد الأسرى مائة ألف أسير .

وهذا مجرد اجتهاد في تفسير أشهر مرتين ، وأشهر من سلط عليهم .

ثم أخبر القرآن أنهم كلما عادوا إلى الإنساد ، أعاد الله عليهم التعذيب والإذلال .

أما وجود اليهود الآن في فلسطين فهو أمر عارض مؤلت زائل بإذن الله ؛ الثلثنا بوعد الله وكلامه .

وقد ربى البخارى فى مسميحه أن رسول الله ﷺ قال: «لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهور. فيكتبئ أحدهم وراه الحجر، فيقول الحجر يا عبد الله هذا يهودى ورائي فاقتله، (١٠). والحديث فيه كناية عن كراهية العالم لهم، حتى الأرض والحجارة تربثذ العسلم إلى سبيل النصر على الهجود، ولعل في ثورة الحجارة التي استمرت يضع سنين ، ما يحقق بشارة النبي ﷺ لأمته بالتصر على الهجود.

١٩٨ - رَفَعُلْتُنَاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكٌّ .. الآية .

توعدهم الله تعالى في الآية السابقة أن يسلط عليهم إلى يوم القيامة – من يسومهم سوم العذاب .

وفي هذه الآية ذكر المق سيصانه العقاب الثاني : وهو تغريقهم وتدزيقهم جماعات وطوائف وفرقًا في أنحاء الأرض ، فلا يكاد يطو منهم قطر من الأقطار ، فيهم المنالع وغير الصالم .

فالصالحون المجسنون منهم هم الذين آمنوا يموسى عليه السلام ، وآمنوا بالأنبياء بعد موسى وآمنوا بمحمد ﷺ وآثروا الأخرة على الدنيا ، مثل أولئك الذين نهوا عن الاعتداء عن السبت ، ومثل عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا .

ومنهم من هو دون ذلك في الصلاح، ومنهم النسقة الفجرة الذين كانوا يقتلون الأدبياء بفير حق، و ومنهم السمّاعون للكذب الأكّالون للحست ، كالرشا والربا لتبديل أحكام الله، والقضاء بفير ما أنزل الله، و وفي المِملة : معنى: رَمِنْهُم دُُونَ فَلِكَ ۗ . أي: منحسّلون عن العملاح، وهم كفرتهم وفسقتهم .

وَبَلُوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيَّاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أي: وامتحنًاهم بالنعم المقتلفة من مال وخصب وعافية وولد وغير ذلك من العسنات.

كما امتحناهم بالمحن المتنوعة من الجدب والتشريد ، والقتل والأسر ، وغير ذلك من السيئات التي تسوءهم .

لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم ، ويتوبون عن فعل السيئات ، وينتقلون إلى فعل المسنات .

﴿ فَفَلَفَ مِنْ يَقْدِهِمْ خَلَقْ وَرِثُوا الْكِنْبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدَّنَى وَيَقُولُونَ سَيْفَفُرُكَ وَ وَاللَّهُ اللَّهُ فَي وَيَقُولُونَ سَيْفَفُرُكَ وَإِن اللَّهِ مَعْ مَن اللَّهُ وَلَوْا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَرَسُوا مَا فِيهُ وَاللَّهُ الْمُحَقَّ وَرَسُوا مَا فِيهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ مَن اللَّهِ عَلَيْهِ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ مَا اللَّهِ مَن اللَّهُ عَلَيْهِ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا اللَّهُ مَنْ مَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

المفردات :

هرهن هذا الأنتيش : التُخرَشُ : ما لا ثبات له ، وفي النهاية : العَرضَ -- بالقتح -- متاع الدنيا ومطامها . والمراد بهذا الأدنى : الدنيا . وأشير إليها دبهذاء وهن للمذكر ، على تقدير : هذا الشيءُ الأدنى

مسشاق الكتباب، المراد بالكتاب: التوراة. ويميثاقه: عهده الوثيق المؤكد.

یمسکون بالکتاب؛ یتمسکون به .

التقسب

١٦٩ - فَعَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَابَ يَأَخُلُونَ عَرَضَ هَلَا ٱلأَذْنَىٰ ... الآية .

أى: قجاء من بعد الصالحين والطالحين الأولين من بنى إسرائيل ذرية خلفهم ، ورثوا كتاب الثوراة عن أسلافهم ، وهم الذين عاصروا النبيّ – ﷺ – ولكنهم هجروا الثوراة ، وأثروا الدنيا ومتاعها وزينتها ، وتقانوا في جمع حطامها ، لا يهالون حلالاً كان أو حرامًا ، أى : من غير طريق شرعى ، كالسحت والرشوة والمحاباة في الحكم ، والاتجار في الدين ، وتحريف الكلم عن مواضعه .

وَيَهُولُونَ سَيُفَكُرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مَظْلُهُ يَأْضُلُوهُ . زعموا أنهم أبداء الله وأحيارته وأن الله لا يعنبهم على أعمالهم ، ومع هذا فإنهم مقيمون على المعامسي ، مصرون على الذنوب ، لا يتورَّعون عن ضم الحرام إلى غيره ، فإن يأتهم عرض أخر من عروض الدنيا مثل الذي أخذوه أولاً بالباطل ، يأخذوه بلهف دون تعفف ، فهم يعلمون أن وعد الله بالمففرة مضَّمرُهم بالتاذيين ، الذين يقلمون عن ذنويهم .

أَلَمْ يُوْخُذُ عَلَيْهِم مِّينَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لا يُقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقِّ.

أى: إن الله تعالى ينكر علهم مستيعهم هذا ؛ لأنه قد أخذ عليهم العهد والميثاق ، ألا يقولوا على الله إلا الحق ، فكيف يطمعون في مفقرة ندويهم مع إصرارهم عليها ، وتكور وقوعها منهم ، بدون ندم أن إقلاع وتوية.

وهذا هو المذكور في التوراة: من ارتكب ذنبًا عظيمًا ؛ فإنه لا يغفر له إلا بالتوية ، ومن جملة الميثاق أن يبينوا للناس المق ولا يكتمونه ، وألا يحرُّفوا الكلم ، وألا يغيروا الشرائع لأجل أهذ الرشوة ^[14].

وَدَرُسُواْ مَا فِيهِ .

أى: والحال أنهم قد درسوا التوراة دراسة تامّة ، فعرفوا ما فيها من تحريم أكل مال الغير بالباطل ، والكذب على الله .

إنها سراسة نظرية لم تتغلفل في وجداتهم ، ولم تؤثر في قلوههم .

وهذا شأن كل منافق عليم اللسان ، يسخَّر علمه ودراسته ومعرفته ، لإنباس الباطل ثوب الحق .

وَٱلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ .

إِنْ قُرابِ الأَهْرِةَ أَبِقَى ، ونعهم الأَمْرةَ أُدوم ، فكيف يليق بعاقل أن يبيع الباقى الدائم ، ويشتري المُسيس القليل .

واي كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآهرة من خزف يبقى : لوجب إيثار ما يبقى على ما يفنى ، فكيف والمال أن الآهرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى .

إن مقيدة الإيمان بالآخرة هي التي صنعت الرجال الأيطال ، الذين مارسوا الجهاد في العيدان ، وفي الفقه والتشريع والقضاء ، وإن إيشار العاجلة هو الذي يوسوس للضعفاء ولذلك يقول القرآن لليهود ، تحريضًا لهم على العودة إلى حكم التوراة :

أَفَلاً تَعْقِلُونَ ، فإن متاح الدنيا قليل ومتاع الآخرة كثير دائم .

• ١٧ - وَٱللَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَلْعَلُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ تُصِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ.

أى: والذين يتمسكون فى أمرهم كله بكتاب الله تعالى ويعملون بما فهه ، ويعتصمون بحبله فى جميع شلونهم ، واهتموا بالصلاة خاصة فأقدامها فى أوقاتها بأركانها وشروطها ؛ إذا لا نضيع أجرهم ، لأنهم قد أصلحوا دينهم ودنياهم ، والله لا يضبع أجر المصلحين .

يقول الأسعاد سيد قطب في ظلال القرآن:

طِن الصيفة اللفظية يُمَسَّكُونَ ، تصوَّر مدلولا كاملاً ، يكاد يُحسُّ ويرى ، إنها صورة القبض على الكتاب بقوة وجد وصرامة .. المسورة التي يحب الله أن يأخذ بها كتابه وما فيه ، في غير تعنت ولا تنطع ولا تزمته .

وجاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

وَالْلِينَ يُمَسِّكُونَ وِالْكِتَابِ . أي : يتمسكون في أمور دينهم ، يقال مسك بالشيء وتمسك به ، قال مجاهد: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه . تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام، فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة ، وقال عطاء : هم أمة محمد ﷺ ١٩٠٧ هـ .

ولعل الأنسب أن يقال:

كل من تمسك بكتاب الله تعالى ، من اليهود أو المسلمين أو غيرهم ، وأقام الصلاة محافظًا على شروطها وأدابها ، مؤمدًا بالله ، صالحًا في ظاهره وياطنه ، فإن الله يحسن مكافأته ، قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّهِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ تُعْمِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. (الكهف: ٣٠).

من كتب التفسير ،

١ - قال الدكتور وهبة الزحيلي في الفسير المنير ٩ / ٧ ه ١ ما يأتي :

خص الصلاة بالذكر ، مع أن التمسك بالكتاب شامل لأداء كل عبادة - ومنها إقامة الصلاة - لكنه نص على الصلاة فقال : وَٱللَّهِنَ يُمَسَّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَٱلْمَاوُا الصَّلَاةَ ، إظهارًا لعلنَ مرتبتها ، وأنها أعظم العبادات بعد الإيمان ، وأنها عماد الدين والفارقة بين الكفر والإيمان .

٢ - وقال القرطبي في تفسير الآيتين السابقتين:

وهذا الرصف الذي دَمُ الله تعالى به هزلاء موجود فينا ، أسند الدارمي أبو محمد عن معاذ بن جبل قال: «سيبلي القرآن في صدور أقوام كما سيبلي الثوب فيتهافت ، يقرمونه لا يجدون له شهوة ولا لذة ، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذكاب ، أعمالهم طمع لا يضالطه خوف ، إن قصروا ؛ قالوا : سنبلغ ، وإن أساءوا ؛ قالوا : سيُففر لنا ؛ إنا لا نشرك بالله شيئا» .

﴿ ۞ وَإِذْنَفَقَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَهُ ظُلَّةٌ وَظُنُّواۤ أَنْهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَآءَ اتَّيَنَكُم بِفَوَّةِ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ لَمَلَكُمْ فَنَعُونَ ﴿ ﴾

المفردات :

فتقتاء رفعنا.

عرب في الخللة : ما أخلك .

يــقـولا، بجد رعزيمة.

وظلتواء أي : تيقنوا – وكليرًا ما يستعمل الظن بمعنى التيقن .

التفسيره

١٧١ - وَإِذْ نَشْنَا ٱلْجَبَلَ قَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةً وَظُنُوا أَنَّهُ وَاقعٌ بِهِمْ ... الآية .

تذكر هذه الآية طرفاً من رذائل اليهود ؛ فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن ياتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان للتشريعات وتوضيع لمعالم العلال والحرام ، وقد جامهم موسى بالتوراة مكتوية في الألواح، أن بنصاف وتشريعات وآداب ، قال تعالى : وَكَثِنَا لَهُ فِي آلاَّ وَاحِرْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوْمِقَةً وَتَفْمِيلاً لَكُلُ شَيْءٍ فُخَلْهَا بِقُوْةً وَأَمْرُ أُوْمُكُ يَأْصُلُواْ بِأَحْسَبَهَا . (الأمواف: ١٤٥) .

فلما قرأ عليهم موسى التوراة ، أو لما أهبرهم بالومسايا والتعاليم التى فى الألواح ؛ بادريا نبيهم بأن ما فيها لا يتحملونه ؛ لأنه إصد وحمل ثقيل عليهم لا يطيقونه ، وكان هذا منهم عنادًا ، قمعلهم الله على العمل بما فى التوراة ، بأن نتق الجبل فوقهم ورفعه رفعًا حقيقيًّا كأنه ظلة .

قَالَ مجاهد : أخرج الجهل من الأرش ورفع فوقهم كالطُّلُّة ، فقيل لهم : لتؤمنن أو ليقعن عليكم .

وقال قعادة : نزلوا في أصل جيل مرتفع فوقهم فقال : لتأخُذُنَّ أمرى ، أو لأرمينكم يه ⁽⁻⁴).

والمعنى : واذكر أيها النبى : إذ رفعنا فوقهم جبل الطور ^(١١) وأصبح كأنه سقيفة أو سحابة تظلّهم ، لما أبوا أن يتقبلوا التوراة للثقلها .

وَهُلُوا أَلَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ . وعلموا وتيقنوا أن الجبل سيسقط عليهم ، لأن الجبل لا يثبت في الفضاء .

خُلُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَآذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقُونَ .

أى : قلنا لهم في هذه الحالة المخيفة : خذوا ما أعطيناكم من أحكام الشريعة بجد واجتهاد ، وحزم وعزم على احتمال المشاق والتكاليف .

وَآذَكُرُواْ مَا فِيهِ مِن الأوامر والنوامي ، وتدارسها تعاليم الثوراة وأحكامها واعملوا بما فيها حتى لا تنسوها : فإن القوة في أحكام الدين ، والعمل يتشريع الله ، والبعد عن مخالفة الله : يزكيّ النفوس ويطهرها، ويحقق لها الهداية والتقوى ، كما أن التهارن في احترام الذين؛ يُعرى النفوس باتباع الشهوات .

قال تعالى : وَلَقْسِ وَمَا سَوَّاهَا هِ فَٱلْهَمَهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا هِ فَذَ ٱلْفَحَ مَن زُكَّاهَا ه وَقَذْ خَابَ مَن دُسَّاهَا . (الشعب ٧ - ١٠)

روى عن ابن عباس وغيره من السلف : أنّهم راجعوا موسى فى فرائض التوراة وشرائعها ، حتى رفع الله الجبل فوق رءوسهم ، فقال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربى عز وجل 9 لكن لم تقبلوا التوراة بما فيها، لأرمينكم بهذا ؛ فضرًا مردًا ، فرثًا من أن يسقط عليهم — رواه النسائى "".

وجاء في ظلال القرآن :

لقد كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق ، قأعطوه في ظلّ خارقة هائلة .. ولقد أمروا في ظل تلك الخارقة القوية ، أن يأخدوا مهثاقهم بقوة وجدية ، وأن يتمسكوا به في شدة ومسرامة ، وأن يظلوا ذاكرين لما فيه ، لعل قلوبهم تحشع وتتقى ، وتظل مومسولة بالله لا تنساء ("").



﴿ وَإِذَّ أَخَذَ رَبُكَ مِنْ بَنِيَ مَا دَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّةُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَيَكُمْ قَالُوا بِأَنَّ شَهِدْ تَأْأَلَتَ تَقُولُوا يَهُمُ الْقِيَنَمَةِ إِنَّا كُنَا عَنْ هَذَا غَنْفِلِينَ ﴿ وَالْقُولُوا إِنَّمَا أَشَرُكُ مَا الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَقَافُولُوا إِنَّمَا أَضَرُكُ مَا الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَقَافُولُوا إِنَّا الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَكَانَالِكَ مَا الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَهُولَا إِنَّا الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَلَاللَّهُ مِنْ مَنْ فَعَلَى الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَهُولَا إِنَّا الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَهُولَا إِنِّا الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ الْمُنْظِلُونَ اللَّهُ مَا الْمُنْظِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُنْفِقُ اللَّهُ اللَّ

المفردات :

من تقهورهم ، من أصلايهم .

الميطلون، المتبعون للباطل.

التفسي

١٧٧- وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَينَ ءَادَمَ مِن هُهُورِهِمْ ذُرَّتَهُمْ وَأَشْهَدُمْ عَلَى ٱلصَّبِهِمْ ٱلسَّتُ بِرَبَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِلْنَا .. الآية .

تمهيد:

تأتى هذه الآيات بعد قصة موسى مع قرمه ، وحديث عن بنى إسرائيل ، ومن هذه الآية إلى آخر السورة نجد حديثا موضوعه : الربوبية والتوحيد ، والعبودية والشرك ، ويبدأ كل ذلك ببيان ما أودح الله في فطرة البشر ، وعقولهم ، من الاستعداد للإيمان بالله وتحييده وشكره .

وَإِذْ أَخَذَ رَأُكَ مِن بَنِيٓ خَدَمَ مِن هُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدُمْ عَلَى الْفُسِهِمْ أَنسْتُ بُرَيَّكُمْ قَالُواْ بَلَيّ شَهِنْكَ ...

لهذه الآية عند المفسرين طريقان أحدهما لفظى ، والثاني معنوى .

التفسير الأول :

مسح الله ظهر آدم فأخرج منه ذريته كالدِّر، وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك الإترار، ثم أعادهم إلى ظهر أبيهم .

قال الشوكاني في فتح القدير:

إن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ، وهؤلاء هم عالم الذر . وَأَشْهَاهُمُ عَلَى الشَّهِمُ . أي : أشهد كل واحد منهم ألْسَتُ بِرَيَّكُمْ . أي : قائلاً : الست بريكم ؟ .

قَالُواْ بَلَى خَهِدُنَا . أَى : على أنفسنا بأنك ربنا .

التفسير الثاني :

الكلام على سبيل المجاز التمثيلي لكون الناس قد فطرهم الله تمالى على معرفته ،والإيمان به ، وجعلهم مستمدّين جميمًا للنظر المرّدى إلى الاعتراف بوحدانيته ، ولا إخراج للذرية ، ولا قول ولا إشهاد بالقعل ، بل الأمر تعيير عما أودع الله في القطرة الإنصانية من ركائز الإيمان .

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وقوله : أَلَسْتُ بِرَبَّكُمْ قَالُواْ بَلَى مِن ياب التمثيل :

ومعنى ذلك : أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته والهدت بها عقولهم ويصائرهم التي

ركبها فههم ، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقدرهم ، وقال : أَنَّسْتُ بِرَبَّكُمْ وكانهم قَالُواْ بَكِيَّ أَنت رِينا صَهِلْنَا على أنفسنا ، وأفررنا بوحدانيتك ، وياب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى، وفى كلام رسوله ﷺ ، وفى كلام العرب ، ونظيره قوله تعالى : إِنَّمَا قُوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرْدَنَاهُ أَنْ نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيْكُونُ وقوله تعالى : قَالَ لَهُمَ وَلِلْأُرْضِ الْتَهَا فَرَعًا لُو كُرَفًا قَاتَكَ أَيْهَا طُالِعِينَ .

مقمله

قالت له ريح المبيا فرقبار 🗝

إذ قالت الأنسام للبطن الحـق

ومعلوم أنه لا قول ثمَّ وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى .

وقد أيد كل قريق رأيه بأدلة متعددة :

فأصحاب الرأى الأول: أيدوا رأيهم بأحاديث واردة في الصحيحين كما في تفسير أبي السعود وغيره:

جاء في تفسير أبي السعود :

ووقد حملت هذه المقاولة على المقيقة ، كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه لما خلق الله تمالى آبرم عليه السلام، مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هر خالقها إلى يوم القيامة ، فقال ألست بريكم؟ قالوا بلى : فثُودى يومئذ : جِف القلم لما هو كائن إلى يوم القيامة (٥٠٠) .

ابن كثير جمع بين التقسيرين:

ابن كثير لم ير أن آيا من التفسيرين يمارض الآخر ، من حيث المبدإ ، فقد جبل الله الفطرة على الترميد، كما استخرج ذرية آمم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم .

جاء في تفسير ابن كثير :

يخبر الله تعالى أنه استخرج نرية بنى آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربُهم ومليكهم وأنه لا إنه إلا هر ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .

قال تعالى: فَأَلِمْ وَجُهَكَ لِلدِّينِ حَيِمًا فِطْرَتَ آللَّهِ أَتَّى فَطَرَ ٱلنَّاسَ صَلَّهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخُلْق آللَّهِ (الدوم: ٣٠)

وفي الصحيمين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يوك على القطرة فأبواه يهودانه وينصّرانه ويمجّسانه ، كما ترك البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء اك (^^) وفي رواية : «كل مواود يولد على هذه الملَّة ،

وفي صمحيح مسلم عن عياش بن حمّان قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تمالى : إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم ، وحرَّمت عليهم ما حللت لهم» (**)

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام ، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ريهم .

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبيّ ﷺ قال : «يقال للرجل من أمل النار بوم القياما: أرأيت لن كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به ؟ قال : فيقول : نمع ، فيقول : قد أردت منك أمين من ذلك، قد أُخذت عليك في ظهر آمم أن لا تشرك بي شبكًا فأبيت إلا أن تشرك بي» " . أخرجاه في المسميحين.

ودوى الإمام أحمد أيضًا عن مسلم بن يسار الجهنىُ أن عمر بن الفطاب سئل عن هذه الآية : وَإِذْ أَخَذَ نَاكُ مِن بَييَ عَادَمُ مِن خُهُورِهِمُ فُرْبَتِهُمْ وَٱلْمُهَامُوعَلَى أَنْفُسِهِمْ ٱلسَّتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَيْ ... الآية .

قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ ستل عنها ققال: وإن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح ظهره ، ظهره بهمينه ، فاستضرج منه ذرية ، قال خلقت هزلام للجنة ، ويعمل أمل الجنة يعملون .. ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلام للذار ، ويعمل أمل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله، فقيم العمل؟! قال رسول الله ﷺ : إذا خلق الله العبد للجنة ، استعمله بأعمال أمل الجنة ، حتى يعوت على عمل من أعمال أمل الجنة ، فيدخله به الجنة ، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بأعمال أمل النار حتى يعوت على عمل من أعمال أمل النار حتى يعوت على عمل من أعمال أمل النار حتى يعوت على عمل من

وقال الإمام ابن الليم في كتاب الروح ما خلاصته :

إن الله سبحانه استخرج صور البشر وأمثالهم ، فميّز: طقيهم وسعيدهم ، ومعافاهم من مبتلاهم ، والآفار متظاهرة به مرفوعة ، وإن الله أقام عليهم الحجة حينئذ وأشهدهم بربوبيته ، واستشهد عليهم ملائكته ، كما تدل على ذلك الآبة .

قال أبو إسماق: جائز أن يكون الله سيمانه جعل لأمثال الذر التي أهرجها فهما تعقل به ، كما قال: لَّالْتُ نُبِلَةٌ يَاأَيُّهَا ٱلْمُثَلُّ ٱلْأَمُّلُ ٱلْأَمُّولُ امْسَاكِكُمُّ . (النمل: ١٨) وقد سخر مع داود الجبال تسبح معه والطير، وقال ابن الأنبارى : مذهب أهل الحديث وكبراء العلم في هذه الآية: أن الله أهرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم في صورة للذر فأغذ عليهم المهناق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون له ، فاعترفوا بذلك وفعلوا . وذلك بعد أن ركّب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلاً حين خوطب ، وكما فعل بالبعير لما سجد ، وبالنخلة حتى سمعت وانقادت حين نُعِيت (١٠٠ هـ .

وقد نقل الإمام ابن كثير طائفة كبيرة من الأحاديث النبوية في تفسير الآية وما يتصل بها ، ثم قال: «ومن ثمّ قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإشهاد : إنما مو فطرهم على التوحيد كما تقدم في الأحاديث النبوية الشريفة وقد فسر الحسن الآية بذلك» ١٠٠١ هـ .

ومجمل معنى الآية:

إن الله تمالى نصب للتاس فى كل شىء من مطلوقاته – ومنها أنفسهم – دلائل توحيده وربوبيته ، وركز فيهم عقولاً ويصائر ، يتمكنرن بها تمكنًا تامًّا من معرفته ، والاستدلال بها على التوحيد والربوبية ، حتى صاريا بمنزلة من إذا دُعى إلى الإيمان بها ؛ سارم إليه ،

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

ليس بعجيب أن يكون بيننا وبين الله هذا الموقف ، الذي شهدته أرواحنا ، ولم تشهده أجسامنا .. كما شهدته المخلوقات جميعًا من حتى وغير حتى ، كما قالت السماوات والأرض أيّنًا طُالِعينٌ .

وهذه الشهادة إقرار سابق بولائنا جميمًا لله وإيماننا بوحدانيته.

وإن من شأن هذا الإقرار أن يقيم وجوهنا إلى الله بعد أن نلبس هذه الأجساد التي نميش فيها.

فهذا الإقرار رصيد من الإيمان نستقبل به الحياة ، ونتلاقى به على طريق الإيمان مع دعوة العقل الذي أرجده الله قينا ، ومع دعوة الرسل الذين أرسلهم الله إلينا .

أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .

أى: ليقطع عليكم العدر أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن الإيمان بالله والتعرف عليه غاظين ، فذلك عدر غير مقبول .. إذ كيف تفقدون وفيكم داع يدعوكم إلى الإيمان بالله ، وهي تلك الفطرة التي أشهدها الله عليكم .

وقد نصب الله لكم في كل شيء وفي مخلوقاته ما يدل على وحدانيته ، وأرسل لكم الرسل مبشرين ومنذرين : لُعِلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجِلَّةً بِمُثَا الرَّسُلِ . (النساء: ١٦٥) .

فقد بطل عذركم وسقطت حجتكم ، ثم بين سبحانه سببًا آخر لهذا الإشهاد فقال :

١٧٣ - أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ عَابِمَا وَثَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن بَعْدِهم .. الآية .

أى: فعلنا ذلك : حتى لا تعتنروا بأن تقولوا: إنما أشرك أبناؤننا من قبلنا ، وكنا نرية لهم من بعد شركهم، فأشركنا بشركهم ، ونشأنا نقتدى بهم ~ كما قالوا – إِنَّا وَجُلُفًا ءَابَاءَنَا طَلَيْمَ أُمَّةٍ وَإِنَّا طَلَيْ ءَالَاهِمِمْ مُقْتُدُونُ. (فزخرهـ ٧٣).

أَفْتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُمْطِلُونَ .

أى: أترَّا هُذَا عَدْ أَن مَا المشركون من أبائنا ، والذنب ننبهم ، وتجعل عذابنا مثل عذابهم ، مع قيام عذرنا بتقليدنا لهم ، وحسن الطّن بهم ١٢

ولكن مذا الاعتذار لا يجديهم.

إذ التقليد بعد قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها ، مما لا يركن إليه عاقل ، إذ كنتم ومعكم فطرتكم ، وكنتم ومعكم عقولكم ، ثم كنتم ومعكم دعوة الرسل الذين يدعونكم إلى الله .

فإذا أملككم الله فإنما يهلككم بأفعالكم لا بأفعال آبائكم.

١٧٤ - وَكَذَلِكَ لَفَصَّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أى : رمثل هذا البيان البليغ الواضع ، نيين الآيات ونوضعها ، وتكشف للناس عن شمائر الإيمان المطموسة في كيانهم ، والتي أهملوها ، وغظوا عنها .

وذلك لعلهم يرجعون إلى أنفسهم ، ويحسنون الانتفاع بتلك القرى ، التى أودعها الله فيهم ، فيكون لهم إلى الله عودة من قريب ، أو لعلهم يرجعون عن جهلهم ، وتقليد آبائهم وأجدادهم ، ويعودون إلى الرحد والهداية المسحيحة . ﴿ وَاتَدُّ مَلَيْهِمْ بَنَا أَلَّذِى َ التَّيْنَةُ عَلَيْنِنَا فَاسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِينَ ﴿ وَاتَدُّ مَنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِينَ ﴿ وَالْمَالِينَ فَكَانَ مَنَا الْفَوْمِ لَلْمَا الْمَالِينَ فَكَالَ الْمَالِينَ فَكَالَ الْمَالِينَ وَالْبَعْمُ الْمُلَهُ مَنَا الْمَالِمُ مَنَا اللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَال

المقردات:

واتنان صليبهم؛ والرأ عليهم.

السسيسا، خبر.

فالسلخ سنهاء فغرج منها وتركها.

فأتبعه الشيطان؛ أدركه وتمكن من الوسوسة له.

السفاويان؛ المبعدين في الضلال.

أشلد إلى الأرض ، مال وسقط .

التفسير

١٧٥ - وَآثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيَّ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ... الآية .

أى: واتل على الههود ذلك الذبأ العجيب ، نبأ ذلك الذي آتيناه حجج التوحيد ، وأفهمناه أدلته حتى صار عالمًا بها ، فانسلج منها وتركها وراء ظهره ، ولم يلتفت إليها ليهتدى بها .

فَالسَلَخَ مِنْهَا.

أى: انظع منها بالكلية ، بأن كثر بها ونبذها وراءه ظهريا ، ولم ينتفع بما اشتملت عليه من عظات وإرشادات . وفي التعبير بالانسلاخ إيماء إلى أنه كان متمكنًا منّها ظاهرًا لا باطنًا ، كالحية حين تنسلخ عن جلدها وتتركه وتمضى .

فَأَتُبُعَهُ ٱلشَّيْطَانُ .

أى: لحقه فأدركه وصدار قريفًا له يوسوس له بالشر ، أو مسار هذا العدالم الضمال إمامًا للشهطان حتى إن الشيطان يتبع خطواته ، وهي مبالغة تبين مدى الضمائل والشر والمثرّ ، على حدّ قبل الشاعر :

، فارتقى به الحال حتى مبار إبليسُ من جنده

وكان فتى من جند إبليس فارتقى

فَكَانُ مِنْ الْغَاوِينَ . أي : فعدار من الضالين المفسدين .

و المُحلاصة : أنه أوتى الهدى فانسلخ منه إلى الضلال ، ومال إلى الدنيا فتلاعب به الشيطان ، وكانت عاقبته البوار ، والخذلان ، وخاب في الأخرة والأولى .

جاء في تفسير المعار للسيد رشيد رضا :

هذا مثل ضريه الله تعالى ، للمكلبين بآيات الله ، المنزلة على رسوله محمد — ﷺ — وهو مثل من آتاه الله آياته مُكان عالمًا بها ، حافظًا لقواعدها وأحكامها ، تادرًا على بيانها والجدل بها ، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم ، بل كان عمله مخالفًا تمام المخالفة لعلمه ، فسلب هذه الأيات : لأن العلم الذي لايعمل به، لا يلبث أن يزول، فأشبه المية التي تنسلخ من جلدها، وتخرج منه وتتركه على الأرض، على حد قول الشاعر:

> فكأنهم خلقوا وما غُلقوا فكأنهم وزقوا وما رزانوا

خُلِقُوا ، وما خُلِقُوا لمكرمة رزقوا ، وما رزقوا سماح يد

١٧٦ - وَلَـوْ هِفُنَا لَرَقَعْنَاهُ بِهَا وَلَكُنَّهُ أَخْلَهُ إِلَى الأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ... الآية .

أى: ولو شلننا لرفعنا هذا الإنسان إلى منازل الأبرار ، بسبب تلك الآيات ، فالعمل بالعلم يوفع القدر ويُعلى شأن صاحبه ، قال تعالى: يُرِنُع اللَّهُ اللَّذِينَ وَاشَوْرُ مِنكُمُ وَاللَّذِينَ أُوثُواْ الْعَلْمَ وَرَجَاتٍ . (المجانلة : ١١) .

ولكنه مال إلى الدنيا ورغب فيها وآفرها على الأخرة والتعبير بقوله: أَخَلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، يفيد: أنه رغب في لذائذ الأرض الفائية ، وترك أفاق العلم والمعرفة ، وإهتار الأدنى على الأعلى .

فَمَقُلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكُلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَعْزُكُهُ يَلْهَثْ .

أى : إن صفته فى حمل العلم والانسلاح منه إلى شهوات الدنيا ، كصفة الكلب الذى يندلع لساته ، فهر دائم اللهث لأن اللهث ؛ طبيمة فيه ، إن شدرت عليه وأثبعته لهث ، وإن ترككه لهث .

قال الشوكاني:

أي: إن هذا العالم الضالُ إن حمل الحكمة لم يحملها ، وإن تُرك لم يهتد لخير .

وقيل : المعنى : إن وعظته شلّ ، وإن تركته شلّ ، فهو في شنلال ملازم لائسلاهه عن ريّه ، فهو كالكاب إذ كان رابضًا لهث ، وإن يطرد فهث .

ذُلِكَ مَعَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنا .

أى: ذلك المثل المفسيس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود وغيرهم ، بعد أن علموا بها وعرفهما، فحرّفوا ويدُّلوا وكذبوا بها.

فَأَقْمُ صِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .

أي: فاقصص أيها الرسول الكريم ، قصص ذلك الرجل ، الذي تشهه حاله حال أولئك المكلبين ، بما جلت به من الآيات رجاء أن يحملهم ذلك على التفكر والتأمل ، والنظر في الآيات بعين البصيرة ، لا بعين الهرى والعدارة .

١٧٧ - سَاءَ مَعْلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَلَّبُواْ بِآيَاتِنَا ... الآية .

أي: قبح مثلاً حال المكذبين لآياتنا ، التاركين لها ؛ عنادًا واستكبارًا .

وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَطْلِمُونَ .

أى: ما ظلموا بالتكليب إلاّ أنفسهم دين غيرهم ، حيث عرضوا أنفسهم للحذاب ، بسبب ما لمتاروا من التكذيب والمصيان ، والمراد من هذه الآية : المبالغة في ذمّ هؤلاء الذين جمعوا بين التكذيب بالآيات ، وظلم أنفسهم بالمماصى .

في أعقاب الآيأت:

لم يعين القرآن الكريم اسم من شُرب به المثل ولا جنسه ولا وطنه ، ولا جاء في السنة الصحيحة بشيء من ذلك وارواة التفسير بالمأثور روايات كثيرة في شأنه .

جاء في فتح القدير للشوكاني:

عن أبن عباس قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بنُّم ، تطمُ اسم الله الأكبر ، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمّه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كليرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا قادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال : إنّى إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ، مضت دنياى وأخرتى، فلم يزالوا به حتى دعا الله فسلخ ما كان فيه ، وقيل : هو أحد علماء بنى إسرائيل .

وكانت الأنصار تقول : هو ابن الراهب الذي بنني له مسجد الشقاق .

وقيل: هو أمية بن أبى الصلت ، كان قد قرأ الكتب ورأى قرب ظهور نبى ، فقوقع أن يكون هو ، فلما بُمث النبي ﷺ يش ، ولم يؤمن بالرسول ﷺ : حقدًا وحسدًا ، فأنزل الله فيه هذه الآيات ، والله أعلم .

وقد روى عن أمية بن أبي الصلت أنه كان يجلس بجوار الكعبة متحدثًا وبقول:

مجُّدوا الله وهدو للمحمد أهل رينا في السماء أمسى كهيرًا

ويقول أيضًا:

بالخير صبحنا ريّي ومسانا

الحمدثة ممسانا ومصيحنا

فلما ظهر النبي تلكاً في الإيمان به ؛ حقدًا وحسدًا ، ولما اقترب موت أمية قال :

رأى عسيد لك لا ألسما

إن تنفقر اللهم تفقر جمًا

ولد ذهب الأستاذ عبد الكريم المطيب في تفسير الآية : إلى أن أقرب رجل تشهر إليه الآية مو والوليد ابن أن أقرب رجل تشهر إليه الآية مو والوليد ابن ألمفيرة الذي أوفدته قريش إلى النبي ﷺ الآيات الأولى من سورة فصلت ، فلما سمع الوليد القرآن : خشع وضرع ، وقال لأهل مكة : لقد سمعت من محمد آنفا كلاماً ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، وإن أعلاء لمثمر ، وإن أسظه لمعدو ، وإن أسظه أمعدق ، وإن فرعه لجناء ، وما يقول هذا بشر .

فقول له أهل مكة : سحرك محمد ، وهيُّجوه حتى عدل عن إيمانه ، وادعى أن محمدا ساحر .

وفيه نذل قوله تعالى : إِنَّهُ لَكُرُّ وَقَلَرْ هَ قَقْبِلَ كَيْفَ قَلَرْ هُ فَّمِ قُلِلَ كَيْفَ قَلَرْ هَ فُمْ أَفْهَرْ رَآمُسُكَكُرْ هَ فَقَالَ إِنْ هَلَنَا إِلاَّ سِحَرٌّ فَإِلَرْ هِ إِنْ هَلَمًا إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشِو قَلَرُ هَ لَوَاحَةً لَلْهَبْدِ هِ هَلَيْهَا لِشَمَةً صَفَرَ (العنفر ، ١٨ – ٣٠).

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

إن أحدًا من المفسرين لم يقل بهذا القول ، ولا أشار إليه ، وساق الأستاذ عبد الكريم الخطيب عددًا من الأدلة ترجح في رأيه أن المشار إليه في قوله تعالى : وآثلُ عَلَهِمْ بَأَ الَّذِي عَاتَيْتُهُ مَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَلَيْمُهُ الطَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْفَاوِينَ . هو الوليد بن المفيرة .

ولستُ في المؤيدين للأستاذ الفاضل المرجوم عبد الكريم الضغيب: لأن تحديد الأشخاص التي أمهمها القرآن يمتمد على الروايات القرآن يمتمد على الروايات الوايات المرادة في النظل لا على المقل ، وهذا موضوع لا مجال فيه للاجتهاد ، فرامًا أن نعتمد على الروايات الواردة في تعيين هذا الشخص أو نقول : هو نموذج عام لكل عالم ينسلخ من رداء العلم ويؤثر العاجلة على الأحلة .



﴿ مَن يَهْ لِمَالِلَّهُ فَهُوَ الْمُهْ تَلِيَّ وَمَن يُصَّلِلْ فَأُولَيْكَ هُمُ الْخَنِيرُونَ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأَنَا لِجَهَنَّ مَا اللَّهُ وَلَكُمْ الْمُؤْتُرِينَ الْمُعَالِّقُوبُ لَا يَفْقَهُونَ يَهَا وَلَمُّمُ أَعْنُ لَا يُشْعِرُونَ يَهَا لِجَهَنَّهُ الْمُؤْتُوبُ اللَّهُ مُعَالِّذَا فَلَا الْمُعَالِقُونَ اللَّهُ اللْمُنْفِلْمُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللْمُنَالِمُ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْعُلُمُ اللْمُنْ اللْمُنَ

المقردات

ذرائسيسيار علقذا .

الا يسط قد به وق ، لا يفهمون ولا يدركون .

السفسافسلسون، التاركون ثما ينفعهم السامون عنه.

التفسين

١٧٨ - مَن يَهْدِ اللَّهُ مَهُوَ ٱلْمُهُمَّدِي وَمَن يُطْلِلْ فَأُوْلِيكَ هُمُ ٱلْحَاسِرُونَ ... الآية .

معنى هذه الآية مستفاد من معنى الآيات السابقة في قصة الذي آتاه الله الآيات فتركها ؛ عنادًا واستكبارًا ومفسون الآية ما يأتي :

من يوفقه الله للإيمان والخير واتباع الشرع والقرآن ، ياستعمال عقله وحواسه ، فهر المهتدى حقًا لا سواه ، ومن يخذله ولا يوفقه ، ولا يهديه إلى الخير واتباع القرآن بسبب تعطيل عقله وحواسه في فهم آياته الكونية والشرعية ، فهر الخاسر البعيد عن الهدى ، الذي خسر الدنيا والآخرة . ويما أن الهداية الإلهية نوع واحد والضلالة أنواع متعددة أفرد إلله المهتدى ، وجمع الخاسرين ، فقال: غُهُوَ ٱلْمُعْتَذِى ثم قال : قُلُو قُلِكُ هُمُ آلْعَاسُونِ ثَنَ

جاء في تفسير المناز للسيد رشيد رضا ما يألي :

و حكمة إفراد الأوّل : الإنشارة إلى أنّ الحق العراد من الهداية الإلهية : نوع واحد ، وهو الإيمان العقعر للعمل الصنائع .

و حكمة جمع الثاني : الإنشارة إلى تعدد أنواع النسلال كما تقدم بهانه مفصلاً في تفسس تهله تعالى : في سورة الانعام : وَأَنَّ هَذَا مِرَاطِي مُسْتَخِيماً قَاتُهُو وُ وَلاَ تَعْبُوا السُّيْلَ مَشَوِّقَ بِكُمْ مَنْ سِيِله . (الأعام : ١٥٣). وتفسير قوله تعالى في سورة البقرة : آللَّهُ وَلِيُّ آللِينَ عَلَيْقُ أَيْضُو جُهُم مِّنَ آلَهُلُمَاتِ إِلَىٰ آلْفُور ٣٠٠ ... الآية (فيدو: ٢٩٧).

١٧٩ -- وَلَّقَدْ ذَرَأُنَا لِجَهَدَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْحِنَّ وَٱلإِنسِ لَهُمْ لُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بها ... الآية .

خلق الله الإنسان بقدرته ، وأودع فيه وسائل الهدى وعوامل التبصر ، وأكرمه بالإرادة والاختيار .

قال تعالى : إِنَّا هَنَهْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا هَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا .

أى : بينًا له الطريق وأوضحنا له الصراط المستقيم ، فمن الناس من اعتار الضلالة ، وغلب عليه الهوى ، قال تعالى : وَأَنَّ هُذَا صِرَاطِي مُسْتَهِمًا فَاتَبُعُوهُ وَلاَ كَثِمُوا الشَّبِلُ فَشَوْقٌ بِحُمْ تَن سِيله . (الانداء: ١٥٠٣).

وآيات القرآن في هذا الموضوع كثيرة جدًّا ، منها المحكم ومنها المتشابه ، والمؤمن مطالب بالإيمان بالمحكم ، والتفويض إلى الله في المتشابه .

ومما أحكمه القرآن وبينه ، عدالة الله للحكيم للعليم، فهو سيمائه قد بين للناس طريق الفير وطريق الشر ، ووضَّع أسباب الهدى والضلالة ، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ، وأودع في الإنسان العقل والإدراك والضمير ، ومن الناس من يستخدم بصره ويصيرته في التأمل والهدى فيعينه الله ويوققه ، ومن الناس من يؤثر العاجلة على الآجلة ، ويهمل ضميره ، ويغلق بصره ويصيرته ، ويغرق في الشهوات ، ويصم أتنه عن دراعى الهدى ، وهذا هو الذي يسلب الله عنه هداه وتوفيقه ، فتراه أمم لا يسمع بسمع قلبه وضميره ، أعمى لا يبضر بهمر قلبه وهداية ضميره . هذا المعنى تكور كليرًا في القرآن الكويم مثل قوله تعالى : إنَّ الْلَيْنَ لاَ يُوْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الذَّلُهُا وَآطَنَالُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ حَايَاتِهَا عَالِلُونَ ﴿ أُوْلِيكَ مَاوَاهُمُ آثَنَارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ وَاصْرُواْ وَعَبِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْلِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَائِهِمْ . (يونس: ٧ - ٩) .

وقد نقل السيد ريشيد رضا في تفسير المشار كالأمّا نفيسًا عن تفسير روح المعانى ، فم قال السيد ريشيد رضا ما يأتي :

والاحتجاج بالآية على الجبر غفلة وجهل ، بل هي كسائر الآيات الدالة على نوط الجزاء بالعمل .

ومعناها : أن مؤلاء المكلّفين من الجن والإنس ، قد تركوا استعمال عقولهم ومشاعرهم الباطئة والظاهرة في علم الهدى ، الذي يترتب عليه الأعمال المركية للنفس ، فكانوا يذلك أمل جهنم ، وليس فيها أنه تعالى نرأهم لجهنم للواتهم ، فإن دوات الجنسين كلها متطابهة ، ولم يقل : إذه خلقهم عاجزين عن استعمال تلك القوى في أسباب الهدى ، بل قال : إنهم لم يستعملوها في ذلك .

قال تمالى : وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ . (لمك : ١٠٠٩) .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَلَّمَ كَلِيرًا مِّنَ ٱلْحِنَّ وَٱلإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا .

أي: وإنله لقد خلقنا خلقا كثيرًا من الجن والإنس ، مستعدين لعمل يستحق صماحيه دخول جهنم .

وأسباب استحقاقهم دخول جهنم ، هي أنهم لا يستعملون عقولهم استعمالاً مسعيمًا للوصول إلى حقيقة الإيمان ، وإدراك لذة السعادة الدنيوية والأخروية ، وأن الخير فيما أمر الله به ، وأن الشرَّ فيما نهي الله عنه

قال ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير:

لَّهُمْ أَلُوبٌ لاَ يُفَقُّونَ بِهَا . لما أعرض القوم عن الحق والتفكُّر فيه ، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يبصر ولم يسمع .

وقال محمد بن القاسم النحوى : أراد يهذا أمر الآخرة ، فإنهم يعقلون أمر الدنيا . ا هـ.

كما قال تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱللَّيُّ وَهُمْ عَرِ ٱلْاَعِرَةِ هُمْ عَاقِلُونْ. (الروم: ٧) فهم بمنزلة من لا يفقه: لأنهم لا ينتفعون بقلوبهم الواعية ، ولا يعقلون ثوابًا ولا يضافون عقابًا . وَلَهُمْ أَهْيُنَّ لا يُعْمِرونَ بِهَا وَلَهُمْ عَاذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا.

إنهم لم يستخدموا عقولهم في فهم الحجج والأيات التي أنزلها الله إليهم ، وهم أيضًا لا ينظرون بأعينهم نظر تبصر واعتبار وإمعان ، في آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية التي ترشدهم إلى ما فيه سعادتهم ، ولا يسمعون بأنانهم سماع تدبر وإصفاء : آيات الله المنزلة على أنبيائه ، ولا يسمعون أشبار التاريخ والأمم الفابرة ، وكيف كان مصيرهم بسبب إعراضهم عن هداية الله وإرشاد الرسل .

وليس الغرض من نقى السمع واليمس ، نقى الإدراكات عن حواسهم ، وإنما المقصود : بيان حجبها عن أبصار الهدى وسماح المواعظ ، ولد يكون الإنسان سليم اليمس ، لكنه أعمى للبصيرة .

قال تعالى : أَفَرَقَيْتَ مَنِ الْفَقَدَ إِلَيْهَهُ هُوَاهُ وَأَشَلُهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْهِهِ وَقَالِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ يَصَرِهِ ﴿ عَشَاوَةً فَمَن يَهُدِيهِ مِن يَعْدِ اللَّهِ ٱلْفَرْ فَلَاكُورُودُ . (المِلاية : ٢٧) .

وقديمًا قال الشاعر العربي:

عن الرشد فماذا تفيده العينان

وإذا كسان السقساب أعسمسي

أُوْلِيكَ كَآلِأَتُعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلِيكَ هُمُ ٱلْعَافِلُونَ .

أي: أولكك الموصوفون بما ذكر من تعطيل عقولهم ، وحواسهم كالأنعام : (البقر والإبل والفقم) ، لا همّ لهم إلا الأكل والشرب والتمتع بملذات السياة الدنيا ، بل هم أضل سبيلاً منها ؛ لأن الأنمام تحرص على ما ينقعها ، وتنفر مما يضرها، ولا تسرف في أكلها وشربها ، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ، وهم مسرفون في جميع اللذات ، ولا يهتدون إلى ثواب .

ولا قدرة للصيوانات على تحصيل الفضائل ، وأمّا الإنسان فأعطى القدرة على تحصيلها ، أوانك هم كامل الففلة عن آيات الله ، وعن استعمال مشاعرهم وعقولهم ، فيما خلقت من أجله ، وهو الاستفادة من المسموعات والانتقاع من المبصرات و لقد غللها عن اللدير ، وأعرضوا عن الأخرة .

أما العقلاء الفطنون منهم ، الذين عملوا للدنيا والأعرة ، كما قال تعالى : وَاتَهُمْ فِيمَا وَاتَكُ اللّهُ النّارَ الاَّعْرَةُ وَلاَ تُعَسَّ مُعِينَكُ مِنَ الدُّنَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْعِ الْفَسَادُ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللّهُ لِلْ يُعِبُّ الْمُفْسِدِينَ. (القمس: ٧٧)

قال النسلي : كيف يسترى المكلُّف المأمور والمخلى المعذور ، فالأممى روحانى شهوانى ، سماوى أرضى ، فإن غلد روحه هواه : فاق ملائكة السماء ، وإن غلب هواه روحه ؛ فاقته بهائم الأرض .

﴿ وَلِلَّوَالْأَنْمَآ } الْمُسْتَىٰ فَادَعُوهُ مِهَ ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ٱسْمَنَهِ مِنْ سَيُجَزَّوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ﴾

تتفسيره

. ١ ٨ - وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَآدْهُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِنُونَ فِي ٱسْمَالِهِ ...

أي : ولله دون غيره ، جميع الأسماء الدالة على أحسن المعانى ، وأكمل الصفات ، فاذكروه ونادوه بها: إمّا للثناء عليه ، نحو آللّهُ لا إِلَّهُ إِلاَّ أَمُّ ٱلْحَمُّى ٱلْقَبُومُ ، وإما لدى السؤال وطلب الماجات مثل : «يا حى يا قيوم برحمتك أستفيث ، أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين» ١٣٨.

وَيْكِنُّ اللهُ تعالَى دواء للنفوس ، وشفاء لقسوة القلوب ، قال تعالى: أَلاَّ بِلرِّكْرِ ٱللَّهِ تَطْعَوْنُ ٱلْقُلُوبُ . (الرعد: ٢٨).

وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى أن رسول الله ﷺ قال: «من نزل به عَمَّ أَو كرب أَو أَمر مهمًّ طيقل: لا إله إلا الله العظيم السليم ، لا إله إلا الله رب المرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم» .

مختصر من تفسير الشوكاني

وَلِلَّهِ آلَا أَسْمَاءُ ٱلْعُسْنَىٰ ، أَى : قد أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمَّى وأشرف مدلول من الرحمة والقدرة والعلم والحكمة والخبرة والعزة رغيرها .

فَّاذَمُوهُ بِهَا . قائلين : يا رحمن يا حليم يا عليم ، فإنه إذا دُعى بأحسن أسمائه : كان ذلك من أسباب الإجابة .

وَكُرُوا آلَّذِينَ يُلْسُولُونَ فِي ٓأَشْمَالِهِ. أَى: يحرَفون لقطها أو معناها والإلحاد في أسمائه يكون على ثلاثة أوجه: إما بالتقيير كما قطه المشركون فإنهم أعلاوا اسم اللات من الله، والعزّى من العزيز، ومناة من المنان ، أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها ، أو بالتقصان منها بأن ينكروا بعضها .

قيل : نزات في رجل من المسلمين ، كان يقول في صلاته : يا رحمن يا رحيم ، فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد وأصحاب أنهم يعيدين ربًا واحدًا فما بال هذا يدعر ربين الثنين ١٢ وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : وإن لله تبدعة وتسعين اسما : مائة إلا ولحدا ، من أحصناها: بدخل الحنة إنه وتر بحد الذكر » الأسلام المن و إذا الشدخان .

قال الآلوسي في تفسير الآية :

والذي أراه أنه لا حصر لأسمائه - عزّت أسماؤه - في التسعة والتسعين، ويدل على ذلك ما أخرجة البيهقي عن أبن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «من أصابه همَّ أن حزن فلهقال : أللهم إني عبدك رابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماش في حكمك ، عدل في قضماؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أن أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم اللهيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلمي، ونور صدري ، وذهاب همّي وجلاء حزني ... عن الله المديث صريح في عدم المصد .

وحكى النورى اتفاق العلماء على ذلك ، وأن المقصود من الحديث : الإغبار يأن هذه التسعة والتسعين، من أحصاها : دخل الجنة ، وهو لا يتنافى أن له تعالى أسماء غيرها (^^)

وخلاصة المعدر:

نله أحسن الأسماء ، الدالة على أحسن المعاني ، هادعوه بها ، واتركها الذين يسدُّرته بأسماء لا تناسب العظمة الإلهية ، اتركها مرّلاء فإنهم سيلقين جزاء عملهم من الله رب العالمين .

من كتاب التفسير المنير للدكتور وهية الزحيلي:

أسماء الله ترقيفية ، فلا يسمى باسم لم يرد في القرآن والسنة ، كالرفيق والسفى والعاقل ...

وأسماء الله تعالى يجوز إطلاقها كلها على غير الله تعالى ، ما عدا اسمى الله والرحمن .

وهذه الأسماء ومنها ما يمكن ذكره وحده ، مثل يا الله ، يا رحمن ، يا حكيم ، ومنها ما لا يجون إفراده بالذكر ، بل يجب أن يقال : يا محيى يا ممهت ، يا شمار يا تافع .

وقد أورد ابن العربي مائة وستة وأريعين اسمًا من أسماء الله تعالى للتضرع والابتهال ، وذكر في موضع آخر زيادة ثلاثين اسمًا ™ فصار المجموع : مائة وستة وسبعين ، مثل : الطيّب ، والمعلّم ، والجميل وهو الذي لا يشبهه شيره .

وجاء في السير المائز : إجمعاء بما ورد في القرآن الكريم من أسماء الله الحسنى ، واستفرق تفسير هذه الآية خمس عشرة صفحة فيها نقول مفيدة لمن أراد الرجوع إليها .

﴿ وَمِثَنَ خَلَقَنَا أَمُثَةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَلَّبُواْ بِعَايَشِنَا سَنَسَتَدَرِجُهُم مِينَ حَيْثُ لاَيْعَلَمُونَ ۞ وَأَمْلِ لَهُمُّ إِنَّ كَيْدِى مَنِينُ ۞﴾

التفسيره

١٨١- وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْلُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِ يَعْلُونَ ...

مناسبة الآيسة:

أخبر الله تعالى في الآية السابقة أنه خلق لجهنم كثيرًا من الجن والإنس ؛ لأنهم أهملوا طاقات المعرفة لديهم من العقل والحواس.

ثم ذكر منا انتسام من وصلتهم الدعوة المحمدية إلى فريلين: فريق المهتدين الذين يقضون بالحق والعدل ، وفريق المكذبين الضنائين .

معنى الآيسة:

من بعض الأمم التي خلقها الله جماعة تمسكرا بالحق وعملوا به ، ودعوا الناس إلى اتباعه والنزام طريقه ، فكانوا كاملين في أنفسهم مكملين لغيرهم .

وَهِهِ يَقْدِلُونَ .

أى: يقضون بالعدل دون ميل أو جور ، وهم أمة محمد ﷺ ، بدليل ما ورد فى الأحاديث المحيمة ، فى تأييد ذلك ، منها ما رواه الشيفان فى المحيمين عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من هذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم على ذلك» ٢٩٠ .

من زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي :

وَمِيْنُ خَلَقْنَا أُنَّةً يَهَدُونَ بِٱلْحَقَّ . أي : يعملون به وَهِ يَعْدُلُونَ . أي : ويالعمل به يعدلون ، وفيمن أريد بهذه الآية أريمة أقوال :

أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأسة ، قــاله ابن عبـاس ، وكـان ابن جريج يقول: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال:

همذه أمتى بالحق بأغذون ويعطون ويقضون» (١٠٠).

وقال قنادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطى القوم مثلهاء (٣٠٠).

هم يقرأ : وَمِن قَوْم مُوسَى آمَةٌ يَهْدُونَ بَالْحَقّ وَبِهِ يَعْدَلُونَ . (الأعراف: ١٥٩).

والثالي : أنهم من جميم الخلق ، قاله ابن السائب .

والثالث : أنهم الأنبياء .

والرابع: أنهم العلماء ، نكر القولين الماوردي .

١٨٢ - وَٱلَّذِينَ كُذَّبُواْ بَآيَاتِنَا سَنَسْعَنْرِجُهُم مَّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ .

أى: والذين كذبوا بالقرآن وهم أهل مكة ، تتركهم فى ضدلالهم ، وتستدرجهـم إلى العـذاب من حيث لا يطمون ما يراد بهم ، وتقريهم إلى ما يهلكهم ، بإمدادهم بالنعم ، وفتح أبواب الرزق والخير ، وتيسير سبل المماش ، كلما ارتكبرا ثنبًا أو فعلوا جرمًا ، فيزدادون بطرًا وانفماسًا فى الفساد (⁷⁷⁾ .

من زاد المسير لاين الجوزي :

قوله تعالى : سُنَسُعُنْرِجُهُم قال الخليل بن أحمد : سنطرى أعمارهم في اغترار منهم .

وقال البزيدى: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم.

وقال الأزهرى : ستأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبرن ، رذلك أن الله تعالى ينتج عليهم من النّم ما يغيطهم به ، ويركنرن إليه ، ثم يأخذهم على غرّتهم أغفل ما يكونون .

قال الضحاك : كلما جددوا لنا معصية ؛ جددنا لهم نعمة ا هـ.

وقد روى الشيخان عن أبي موسى: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (١٠٠).

وقال تعالى : فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكُرُواْ بِهِ فَسَحَنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلُّ هَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَوِحُواْ بِمَا أُرِثُوا أَعَلَىٰهُمْ بَلِكُهُ لَإِذَا هُم مُّلِيسُونَ ه لَعُملِعَ دَامٍ القَوْمِ اللَّينَ طَلَكُواْ وَالْحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ (الأنماء : ٤٤ - ٥٤) .

وقال عزشات: أَيَّحَسُونَ أَلْمَا لُمِنْتُمْ هِ مِن مَّالِ وَيَهِنَ مُسَارِعٌ لَهُمُ فِي ٱلْحَمُّرَاتِ بَلِ لاَ يَشْعُونَ أَ. (الدومنين: ٥٠، ٥٠). وقد تحقق ذلك بكفّار قريش الذين هُرَموا في بدر والخندق وقتح مكة وغيرها من المعارك، وأظهر الله رسوله عليهم . قال عمر لما حُملت إليه كنوز كسرى : «اللهم إنى أعوذ بك أن أكون مستدرجا ، فإنى سمعتك تقول : سَتَسْتَدْرِجُهُم مَّرْ حَيْثُ لاَ يَطْمُونَ .

١٨٣ -- وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَعِينٌ .

وَأُمْلِي لَهُمْ .

أي: سأملى وأطول لهم ما هم قيه ، وأمهل هؤلاء المكتبين وأمدّ لهم في حيل النعم .

إِنْ كُيْدِي مُعِنْ . إن تدبيري الفقىُ شديد قوى ، قال ابن فارس : الكيد : المكر ، فكلُ شيء عالجته فأنت تكيده .

قال المفسرون: مكر الله ركيده مجازاة أهل المكر والكيد فيكون الجزاء من جنس العمل ، حيث يأتيه على حين غظة ، فينزل يه بأس الله يَهَا أَوْ هُمْ قَالِكُونَ .

أي: ليلاً وهو مستفرق في نومه وراحته ، أو نهارًا في وقت القيلولة والأمن والطمأنينة .

جاء في تفسير المنار:

* * *

﴿ ٱوَلَمْ يَنَفَكُرُواْ مَا يِصَاحِيهِم مِّن جِنَّةً إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيَّرُ ثَبِينُ ۞ ٱوَلَمْ يَظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَاخَلَقَ النَّهُ مِن ثَقَ مِ وَأَنْ عَسَىٰ آن يَكُونَ قَدِ ٱفْرَبَ ٱجَلُهُمْ فَإِ آ بَعَدُ ثُدُيُّةٍ مِثْوَنَ ۞ مَن يُعْذِلِلِ ٱلنَّهُ فَ كَلَا هَادِي لَذُّهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغَيْنِهِمْ مِّمْ فُونَ۞

المف دات :

ملكوت السماوات والأرش: أي : العوالم التي اشتملت عليها السماوات والأرض.

يسترهم، يتركهم.

ي م م م م م م م

التفسيره

١٨٤ - أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ...

سيب التزول ،

جاء في تفسير الطبري ، وابن كلير ، والدر المنفور للسيوطي ، وغيرهم ، أن سبب نزول هذه الآية ، هو أن رسول الله . ق أن رسول الله ﷺ ، صعد على الصفا لهاة ، ويما قريشًا فغذا غفذا : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني فلان أن المنف فحدُّرهم بأس الله وعقابه ، فقال قائلهم : إن صاحبكم لمجنون ؛ بات يصوَّت حتى الصباح ، فنزات هذه الآية. ومعنى الآية :

أغفلوا عما امتاز به الرسول — 樂 – بينهم من رجاحة العقل ، وصدق القول ، والأمانة الكاملة ، فقد عرفوه بالمسادق الأحين ، والمفكر السليم ، وقد مساحبوه قبل الرسالة أريمين سنة ، ومساحبوه بعد الرسالة ، يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده ، كما دعاهم إلى إصلاح طلونهم ، وتنظيم حياتهم الدينية والمدئية والاجتماعية .

وكل ذلك لا يصدر من مجنون ، بل الذي يقتضيه العقل ، ويسرع إليه الفكر ، أن ما قدَّمه هذا النهى من قرآن وهداية وتشريع ونظام ، وهو أمَّى لم يناظر ولم يجادل ولم يفاخر أحدًا فهما مشى ، إن هو إلا وهي من الله ، نزل به الروح الأمين ، والله يفتص بفضله ورحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

إِنْ هُوَ إِلاَّ نَلْبِيرٌ مَّبِينٌ .

أى: إنه لهى بمجنون بل هو منتر ناصح ومبلغ عن الله، فهو ينتركم ما يحل بكم من عتاب الدنها والآخرة ، إذا لم تستجيبوا له ، وقد دعاكم إلى ما فيه صلاح حال الفرد والمجتمع فى الدنها ، وصلاح أمركم فى الآخرة .

في أعقاب الآية :

تكرر اتهام كفار مكة للنبي ﷺ بالجنون ؛ اصرف الناس عن دعوته ورسالته .

قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةَ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . (المردون: ٧٠)

وقال سبحانه : وَقَالُواْ يَا أَيُهِا ٱلَّذِي ثُوْلُ عَلَهِ ٱلذَّكْرُ وِلْكَ لَمَجْنُونٌ هَ لُوْ مَا تَأْتِنَا بِٱلْمَلَاكِكَةِ إِن تُحتَ مِنَ ٱلصَّافِقِينَ. (المجر: ٢٠٠١) وقال عز شأنه : وَيَقُولُونَ أَلِنَّا لَكَارِكُواْ ءَالِهَتَا لِشَاعِرٍ مُّحِثُونِ . (المسافات: ٣١) .

وقد جرت عادة الكفار أن يرموا رسلهم بالجنون؛ لأنهم ادعوا أن الله خمنهم برسالته ووحيه مع كونهم بشرًا لا يمتازون عن سائر الناس بزعمهم .

فقد حكى الله عن قوم نوح أنهم التهموه بالجنون فقالوا:

إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِئَّةً لَقَنَّاهُواْ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ. (المؤمنون: ٢٥) .

وقال في شأنهم : كَلَّبَتْ قَيْلُهُمْ قُوْمُ لُوحٍ فَكَلَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْتُونٌ وَآزَدُجِرَ . (القمر: ٩)

وقال حكاية عن فرعون في موسى عليه السلام : قَالَ إِنَّ رَسُولُكُمُ ٱلنَّابِيّ أَرْسِلُ إِلَّكُمُ لَمَجْتُونٌ . (الشعراء : ٢٧). وقد بين سبحانه ذلك على وجه عام ٢٠٠ فقال :

كَذَلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولِ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . (الداريات: ٥٧) .

ه ١٨ - أَوْ لَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلْسُمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا حَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ...

أي: أكنيوا الرسول الذي علموا صدقه وأمانته وقالوا: إنه مجنون ولم ينظروا نظرة تأمل واستدلال ، في هذا الملكوت العظيم ، ملكوت السماوات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ، وفي ملكوت الأرض في البحار والجبال والدواب وغيرها ، ولم ينظروا كذلك في مخلوقات الشجميمًا ، التي لا يحصرها العدد ، ولا يحيط بها الوصف ، مما يشهد بأن لهذا الكون خالقًا قادرًا ، هو المستحق وحده للعبادة والخضوع .

بقوله سبحاده : وَمَا خَلُقَ ٱللَّهُ مِن هُيَّهٍ . تنبيه على أن الدلالة على القرحيد غير مقصورة على السماوات والأرض بل كل ذرة من ذرات العالم دليل على توحيده :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَد ٱلْعَرَبَ أَجَلُهُمْ.

أى: أن لم ينظروا - أيضًا - في اقتراب آجالهم وتوقّع طولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت لهم ، ونزول العذاب بهم ، وهم في أنعس حال .

فَيَأْىٌ خَدِيثٍ بَعْدَهُ يُوْمِنُونَ .

أى: إذا لم يؤمنوا بالقرآن ، وهو أكمل كتب الله بيانًا ، وأقواها يرهانًا ، فمن لم يؤمن به ، فلا مطمع في إيمانه بغيره .

قال تعالى: وَٱلْجِنُواۤ أَحْسَنَ مَآ أَنزِلَ إِلَكُم مِّن رَكُكُم مِّن لَبَلٍ أَن يَأْتِكُمُ ٱلْعَلَابُ بَعُهُ وَأَتُمُ لاَ تَشْعُرُونَ . (الزمر: ٥٥).

١٨٦ - مَن يُصْلِل ٱللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ... الآية

أي: إن الله قد جمل هذا الكتاب أعظم أسباب الهداية للمتقين لا للجاحدين المعاندين ، وجعل الرسول المبلغ له أقرى الرسل برهانًا ، وأكملهم عقلاً ، وأجملهم أهلاقًا ، فمن فقد الاستعداد للإيمان بهذا الكتاب وهذا الرسول ؛ فهو الذي أضله الله ، أي : الذي قضت سنته في خلق الإنسان ، وارتباط أعماله بأسباب تترتب عليها مسبباتها ، بأن يكون ضالاً راسفًا في الضلال ، وإذا كان ضلاله بمقتضى تلك السنن ، فمن يهديه من بعد الله ١٢ ولا قدرة لأحد من خلقه على تغيير تلك السنن وتبديلها .

وَيَلَرُهُمْ فِي طُفْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .

أي: ويتركهم في تجبَّرهم الذي جازوا به حدود الله . يَعْمَهُونُ يتحيرون ويتخبطون .

شال تعالى : وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ آللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُودٍ . (النود : ٤٠) .

من تفسير المراغي :

والشخلاصة: أنه ليس معنى إضلال الله لهم ، أنّه أجبرهم على الضلال ، وأعجزهم بقدرته عن الهدى، فكان ضلالهم جبراً لا اختيارًا ، بل المراد: أنه لمّا مرنت قلويهم على الكثر والضلال ، وأسرفوا فيهما ، حتى وصلوا إلى حدّ العمه فى الطقهان ؛ فقدوا بهذه الأعمال الاختيارية ، ما يضادَها فى الهدى والإيمان ، فأصبحت نفوسهم لا تستثير بالهدى ، وقلويهم لا ترعوى لدى الذكرى (٥٠٠).

بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ . (المطننين : ١٤) .

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ آيَّانَ مُرْسَعَهَا قُلْ إِنِّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَيُحَلِّهَا لِوَقِهَآ إِلَّا هُوَ تَقَلَتْ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَالأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ لِلَّابِشَنَّةُ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِقُ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَاللّهِ وَلَيْحِنَّا كَثَرَالنَّاسِ لَا يَسْلَمُونَ ۞﴾

المشردات ،

· المراد بها هذا: يوم القيامة وقد يراد بها لغةً: جزء من الزمن .

أيسان مسرسساهها ، أي : متى حصولها . أو متى وقوعها ؟

الاستواليسيسها و لا يظهرها ويكشفها على وجه التحديد.

فقت في السعارات والأرش: عظم أمرها على أهل السمارات والأرض؛ لما فيها من الأهوال.

يستسيدر نجاة

حسقسى عستسهاه بالغ العلم يها.

التفسين

١٨٧ - يَسْتَلُونَكَ عَن ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ...

سبب النزول :

كانت اليهود تقول للنبي ﷺ ، إن كنت نبيًّا فأخبرنا عن الساعة متى تقوم ؟

وقَالُ قَادَةَ : إِنْ قريشًا قالت : يا محمد بيننا وبينك قرابة ، فبين لنا متى الساعة ؟

وقال حروة : الذي سأله عن الساعة ، عتبة بن ربيعة .

ورجح الحافظ ابن كلير أنها نزات فى قريش ؛ لأن الآية مكية ، وكاترا يسألون عن وقت الساعة ؛ استبعادًا لوقومها ، وتكنيبًا لوجودها . أو اغتبارًا لصدق نبِّرة الرسول .

المعنى: يسألك الناس يا محمد ، عن وقت مجيء الساعة التي يموت فيها الناس جميعًا .

أَيَّانُ مُرْ سَاهًا .

أى: متى يكون وقرعها ومجيئها وثبوتها وفى التعبير بالإرساء الدال على الاستقرار والانتهاء ، إشارة إلى أن قيام الساعة إنهاء لحركة العالم ، وانقضاء عمر الأرض . قال أبو عبيدة : أي : متى مرساها ، أي : منتهاها . ومرسا السفينة : حيث تنتهي .

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ...

استأثر الله تعالى بأمر الفيب ، وأمر الإنسان أن ينصرف إلى عمله مجتهدًا فيه ، فلو تأكدنا من موعد الساعة ، فريعًا أممل المهملون ، وربما اشتد الفوف والروح على المؤمنين ، ولذلك المتص الله نفسه بعلم الساعة ؛ حتى يكون هناك مجال للالمتبار والإبتلاء والامتحان ، وحتى يكون هناك توقع للموت في أي المعالمة ، وساعة الإجابة ، وهم الجمعة ، وليلة القدر في شهر رمضان ، كما غياً معرفة الساعة ؛ ليجتهد الناس في الطاعة والعبادة ؛ فريما جاء الموت بفتة .

هال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَلَيْزَلُ ٱلْفَيْتُ وَيَقَلُمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَعْدِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ خَدًا وَمَا تَعْرِى نَفْسُ بِأَى أَرْضِ تَعُوتُ إِنَّ ٱللَّهُ عَلِيمَ جَبِيرٌ . (النسل: ٢٠) .

لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ.

أى: علم السامة عند الله رحده ، ولا يظهرها ، ولا يأتي يها في وتنها غير الله تعالى وحده ، وهي هذا القول تأكير بليغ ، وزيادة تقرير لما سبق من اهتصاص علم الله تعالى يذلك .

لَقُلَتُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ.

هذه الجملة لها معنيان :

المحتى الأرل : على علمها على أهل السماوات والأرض ، ولم يطم بها أحد من الملاككة المقربين ، والأثبياء المرسلين ، فجميع من فى السماوات والأرض لا يطمون متى يكون حدوثها ووقوعها ، وكل ما خفر، علمه فهو تقيل على الفرّلاد ، وهو قول السدِّى .

المعنى الثانى : عظم أمرها واشتد وقمها على أهل السماوات والأرض ؛ بعد أن أعلمهم الله تعالى بما سيكون فيها من الشدائد والأهوال ، وهو قول ابن عباس : ووجهه : أن الكلّ يشافونها محسنهم ومسيئهم .

لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَعْقَةً .

قضى الله تحالى أنها لا تأتى إلا فجأة ، وعلى حين غفلة ، وحينئذ تشعرون باثقلها لهول المفاجأة ، قاولي بالإنسان أن ينصرف عن السؤال عن الساعة روقتها ، فإن ذلك لا يفيد . ويتقرخ للعمل بما يغيده ويقع في دائرة لختصاصه ، وهو الاستعداد للساعة والعمل المسالح ، والتسابق في اغتنام لحظات الحياة ، فالموت يأتي بغتة ، وفي الحديث الشريف «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وفراغك قبل شفلك ، ومسحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك» (٢٠٠

وررى البخارى في صحيحه أن رسول الله على الله الله الله الله الله عنه تطلع الشمس من مغربها فإذا المساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا المسبح والمسبح أن المسبح في المسبح والمسبح المسبح ا

يَسْعَلُو لَكَ كَأَلُّكَ حَلَيًّا عَنْهَا.

أي : كأنك دائم السؤال عنها ، مكلف أن تُكَثَفُ عن موعدها .

قَالَ مجاهد : أي استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها .

وقَالَ ابن هباس : كأنك عالم بها ، وقد أخفى الله علمها عن خلقه .

أَمْلُ إِنَّمَا مِلْمُهَا مِندَ ٱللَّهِ .

لا يملم وقت مجىء الساعة إلا الله وحده دون سواه ، وهى هذا تأكيد وتعميق للمعنى المستفاد من الردُ الأول ، مع ما يفيده ذكر لفظ الجلالة من هيبة ورهبة ، فى مقابلة جهلهم ، وتعنتهم فى طلب أمور لا يعلمها إلا الله وحده ، ولم يُطلع عليها أحدًا من خلقه .

وَلَكِنَّ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون لمتصاص علمها به تمالى ولا حكمة ذلك ، ولا أدب السؤال ، ولا غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام ، وإنما يعلم ذلك القليلون ، وهم المؤمنون بما جاء من أشبارها فى كتاب الله تمالى وسنة رسوله ﷺ .

روى الشيخان عن عمر بن الخطاب أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ فقال الرسول ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، سأنبئك عن أشراطها ، (علاماتها) : أن تلد الأمة ريتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رعاء الشاء والإبل يتطاولون فى البنيان، أ^{دا} .

و ذهب الأستاذ سيد قطب : إلى أن معنى هذه الفقرة : أن أمر الغيب كله لله وحده ، لا يطلع على شيء منه إلا من شاء ، بالقدر الذي يشاء ، وفي الوات الذي يشاء ، لذلك لا يملك العباد لأنفسهم نفعًا ولا شراً ؛ فقد يفعلون الأمر يريدون به جلب الخير لأنفسهم ، ولكن عاقبته تكون هي الضرّ لهم ، وقد يفعلون الأمر يريدون به. رفع الضرُّ عنهم ، ولكن عاقبته المغيبة تجره عليهم ، وقد يفعلون الأمر يكرهونه فإذا عاقبته هي الخير ريفعلون الأمر يحبونه فإذا عاقبته هي الضّر.

وَعَسَيْ أَن تَكُرُهُواْ هَيُّنَا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى ٓ أَن تُحَيُّواْ شَيْنًا وَهُوَ شَرٌّ لّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْمُ لاَ تَعْلَمُونَ .

وقال سيحانه وتعالى: وَعِنلَهُ مَفَاتِحُ ٱلْفِيبِ لاَّ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُو ...

من كبلام المفسرين

١ - قال الآلوسي في تفسير الآية :

وإنما أغفى سبحانه أمر الساعة ؛ لاقتضاء المكمة التشريعية ذلك ، فإنه أدعى إلى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ، كما أن إغفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك .

٢ - جاء في تفسير المنار:

لهذه الآية كلام طويل عقب عليه السيد رشيد رضا في آخره يقوله : (قصل فيما ورد في قرب الساعة وأشراطها وما قيل في عمرها) وفي هذا القصل أقاد بالآتي:

أخرج الحافظ السيوطي عدة أحاديث ، في أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة .

ونقل محاجب المنار نقولًا عن العلماء : بأن القول بتعيين مدة الدنيا من أولها إلى آخرها بأنه سبعة ألاف سنة لم يثبت فيه نص يعتمد عليه ، وإنما هي نقول مأخوذة عن أهل الكتاب .

قال صاحب المنار:

وكذك الإمام أبو محمد على بن حزم (المتوفي سنة ٤٥٦ هـ) .

لم يعبأ بشيء من هذه الروايات في هذه المسألة على طول باعه وسعة حفظة للآثار ، وقد سبق القاضي عياضًا ، والقاضي أبا بكر ابن العربي ، وابن خادون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا .

قال ابن حزم:

وأما نحن - يعنى المسلمين - فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ، ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل؛ فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ لفظة تصح ، بل صح عنه ﷺ خلافه ، بل نقطم على أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله تعالى. قال الله سبحانه وتعالى : مَّنَا أَشْهَانتُهُمْ خُلْقَ ٱلسُّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَلفُسِهِمْ . (الكهف: ٥١) .

وبعد أن نقل السيد رشيد رضا كلام الإمام ابن حزم قال:

هذا كلام الأثمة المحققين ، فالذين حاول تحديد عمر الدنيا ، ومعرفة وقت قيام الساعة إرضام لشهرة الإتيان ، بما يهم جميع الناس ، لم يشعروا يأنهم يحاولون تكنيب آيات القرآن الكغيرة ، بأن الساعة من علم الغيب ، الذي استأثر الله به ، وأنها تأتههم يفتة وهم لا يشعرون ، وهذا البلاء كله من دسائس رواة الإسرائيليات .

ثم يقولُ صاحب المنار في موضع آعر:

وأما علماء الكون في هذا العصر : فلهم منهج في عمر الأرض في الماضي ، ومنهج آهر في تاريخ البطر وآفارهم في القرين الخالية .

وهم يجزمون أن عمر الدنيا الماضي ، يعدُّ بألوف الألوف من السنين ، وقد وجدت آفار للبشر فيها منذ مئات الألوف منها ، وذلك ينقض ما في سفر التكوين في المسألتين ، ولكنه لا ينقض من القرآن كلمة ولا حرفاً.

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ فَهُرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱلْحِيلَاقَا كَثِيرًا . (النساء: ٨٧).

انتهى كلام السيد رشيد رضا .

مؤتمر عالمي عن عمر الكون

نقل إلى المديق الباحث الأستاذ الدكتور محمد الشبينى – عميد كلية التربية والعليم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بمسقط (سلطنة عمان) – أنه قرآ في مجلات عالمية ، بأن مؤتمرًا لعلماء الطبيعة والفيزياء والغلك قد انعقد في واشنطن في شهر أبريل سنة ١٩٩٧ م ؛ لمناقشة دراسة علمية متخمسمة عن أصل الكرن ، واستقر المؤتمر على الآتي :

- ١ -- تشير المشاهدات والحفريات والدراسات إلى أنَّ عمر الكون يتراوح ما بين ١٥ بليون سنة ، ٢٠ بليون سنة.
 - ٢ -- الكون يتسع لتحرك الكواكب ويزداد في اتساعه وحركته ؛ لأن هناك المزيد من الكواكب.
 - ٣ عمر المجموعة الشمسية الآن خمسة بالايين سنة وأنها يمكن أن تبقى خمسة بالايين سنة أخرى.
- الشمس ستمرق كل المواد المطتعلة التي فيها ثم تخمد ، وتصبح من النجوم القرمة ، وعند انتهاء عمر
 الشمس ، ينتهي عمر الكون ، ما لم تدخل إرادة إلهية عليا بأمور ليست في العسبان . ا هـ .

أشراط الساعة وأماراتها

قسم العلماء أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام:

١ - ما وقع بالفعل منذ قرون خلت ، كاتال اليهود ، وفتح بيت المقدس ، والقسطنطينية .

٦ – ما وقع بعضه وهو لا يزال في ازدياد كالفتن والذسوق وكثرة الزنا وكثرة الدجائين وكثرة النساء،
 وتشبههن بالرجال ، والكفر والشراء حتى في بلاد العرب .

 ٣ – ما سيقع بين يدى الساعة من العلامات المعفرى والكبرى ؛ وتجد ذلك مطولاً في تفسير المنار وتفسير المرافع.

المهدى المنتظر

أشهر الروايات أن اسمه محمد بن عبد الله ، والشهمة يقولون : إنه محمد بن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالحجة والقائم والمنتظر ، والمشهور في نسبه أنه علوى فاطمى من ولد الحسن ، وهذاك رواية مصرحة بأنه من ولد العباس .

وأكثر العلماء يتكرون هذه الأحاديث ويقولون: إنها موضوعة لا نصبيب لها من الصحة، ومن ثم لم يعتد بها الشيمان، ومن هؤلاء ابن خلدون، نقد مُسكَ هذه الأحاديث، وضعَّت أساديدها، وبين أن 4 سنتًا في النَّصر هي الوحدة والقوة، والقتال والاستعداد كما فعل الرسول الأمين ﷺ.

* * *

﴿ قُل لَا آمُلِكَ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَاضَرَّا إِلَّا مَاشَلَةَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَحْلُمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَحَثَّرْتُ مِنَ الْغَيْرِوَمَاسَةِ فِيَالشُّومُ إِن ٱنَّا إِلَّا يَلِيرُونِيثِيرُ لِقَوْرِيُونُونَ ۖ ﴾

المقردات :

تستيسر و منذر برعيد الله للعصباة والكافرين .

ويشير: وميشر بوعد الله لكل من يوَّمن بالله.

التفسيره

١٨٨ - قُلْ لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ... الآية .

تمهيد:

بينت الآية السابقة أن علم الساعة عند الله وحده ، وفي هذه الآينة بينان لأساس من أسس العقيدة ،

إذ بينت حقيقة الرسالة وقصلت بهنها وبين الربويية ، وهنّمت قواعد الشرك ، واجتنت جذور الوثنية ، فالرسول بشر يوحى إليه ، وبلايقته التبليغ والتبشير للطائعين ، والإنذار للعصاة والمشركين ، ولا يعلم الغيب إلا بمقدار ما يريد الله إطلاعه عليه .

قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي لَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا هَاءَ ٱللَّهُ.

أي: قل أيها الرسول لمن سألك عن الساعة ظائباً أن عندك علم بالغيب، وإطلاع على شئون المستقبل -قل لهم: إنى بشر مثلكم، وإنى لا أملك لنفسى ولا لفيرى، جلب نفع ولا دفع ضر مستقلاً بقدرتى على ذلك، وإنما أملكهما بقدرة الله، فإذا أقدرنى على جلب النفع؛ جلبته بفعل أسبابه، وإذا أقدرنى على منع الفسّ؛ منعته بتسخير الأسباب كذلك.

وقد كان المسلمون ولا سيما حديث العهد بالإسلام ؛ يظنون أن منصب الرسالة يقتضى عِلمُ الساعة؛ وغيرها من علم الفيب ، وأن الرسول يقدر على ما لا يصل إليه كسب البشر من جلب النفع ومنع الضرّ عن نفسه ، وعين يعيدُ أو عمن يشاء ...

وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْفَيْبَ لِآسْتَكُتُوتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ ٱلسُّوَّةُ.

أى: لو كنت أهرف أمر المستقبل: لكانت هالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير ، واجتناب السرة والمضارُّ : حتى لا يمستى شيء منها ، ولم أكن غالبًا مرة ، ومغلوبًا أخرى .

قال الشوكاني:

أي: لاشتريت حين يكون فيما أشتريه الربح ، وبعت حين يكون الربح في البيح ؛ فيكثر مالي ولا أخسر في بيع ، ولتعرضت لما فيه الخير فجلبته لنفسى ، وتوقّيت ما فيه السوء ؛ متى لا يمسَّني .

قال ابن كثير:

أمره الله تعالى أن يفوّض الأمر إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب في المستقبل ، ولا اطلاع له على شء من ذلك ، إلا ما أطلعه الله عليه ، كما قال : عَالِمُ ٱلْفَهِبُ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَيْ هَأَسِمَا أَحَدًا . (الجن ٢٦) . إِنْ أَلَا إِلاَّ لَلَيْرَ وَيُضِرِّ لَّفُوْمِ يُوْمِيُون. أَى: لست إلا مبلغًا عن الله لأحكامه ، أنذر بها قومًا ، وأيشر بها آخرين، ولست أعلم بغيب الله سيحانه . أي: وليس الإخبار بالغيب من مهمتي ، ولا العلم به من مسفتي .

لِقُوْمٍ يُومِيُونَ ؛ لأن المؤمنين هم الذين ينتفعين بالإنذار والتبشير ، فنصّ القرآن على محل النفع والفائدة على حدّ قوله تعالى : هُدَّىً لِّلْمُقِينَ .

وقوله سبحانه : فَلَكُرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدٍ.

* * *

﴿ ﴿ هُوَالَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَجَمَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنُ إِلَيْما أَفْلَنَا مَثَنَا وَوَجَمَلَ مِنْهَا وَوَجَمَا لِيسَكُنُ إِلَيْما أَفَدَ مَنَا اللّهَ وَيَهُمَا لَهِنَ التَّيْسَا صَلِحًا لَتُسْفَى مِنْ الشَّكِرِينَ اللّهُ مَا اللّهُ مُنْ وَاللّهُ مُنْ مَنْ الشَّكِرِينَ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ وَلَا اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ وَلَا اللّهُ مُنْ وَلَا اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ م

المف دات ،

اليسكن إليهاء ليطمئن إليها.

تـــ غشـــاهــــا، غشيها وهو كثاية عن الوقاع.

حبلت حملا عُشيشا، أي : كان حملها خفيفا لا يمنعها من القيام والقعود وقضاء المصالح .

فسمسرت بسه، فمضت به وتربدت في قضاء مصالحها من غير مثقة ولا كلفة .

دمــــواالله؛ تضرُّعا إليه.

التفسيره

١٨٩ - هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تَفْسِ وَاحِنَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زُوْجَهَا ... الآية .

إن الله العلى القدير ، هو الذي يستحق العبادة والخضورع والذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هر ، ومن دلائل قدرته وموجبات توحيده ، وإفراده بالعبادة أنه خلقكم من نفس واحدة ، هي نفس أبيكم آدم .

وَجَعَلَ مِنْهَا زُوْجَهَا .

أي : خلق حواء من جسد أدم من ضلع من أضلاعه .

لْيُسْكُنَ إِلَيْهَا . لتكون حواء سكنًا وأمنًا وأنيسًا ومصدرًا للذرية وعمارة الكون .

. وهذه الفقرة تبين السكنة من الزواج ، فالزواج مصدر للمنان ، والسكن والأمان والعطاء ، فم هي من جنس الرجل والجنس إلى الجنس أميل ، خصوصًا إذا كان يعضا منه ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ، ويحبّه حصة نفسه ؛ أكرنه بضمة منك .

وقريب من هذه الآية ما ورد في صدر سورة النساء حيث قال تعالى :

يَا لِهَمَا النَّاسُ النَّفُواْ رَبُّكُمُ ٱللِّي مُلْقَكُمُ مِن لَفْسِرِ وَاحِنَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا وِجَالاً كَجِيرًا وَيَسْلَمُ ... (النساء ١٠)

ى قول سىدىنانە : وَمِنْ عَاتِاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَلْفُسِكُمْ أَزُواجًا لَفُسْكُنْواْ إِلَهَهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مُوَّدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فَي ذَلِكَ لايّاتِ لَقَوْمِ يَفَكُمُّونَ \$. (الدوم : ٢٧) .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

وَجَعَلَ مِثْهَا زَوْجَهَا لِيسْكُنَ إِلَيْهَا.

أى: ليجتمع إليها، وليطمئن لها، ويستقر معها ..

وقد أشرنا من قبل في قصة آنم ويطقه $^{(A)}$ إلى أن حواء $^{(A)}$ التى قيل $^{(A)}$ إنها خلقت من ضلعه لم تكن إلا مرحلة من مراحل التطور في خلق آدم $^{(A)}$ وأن عملية التكاثن ألحى نفسه $^{(A)}$ كانت بانفسام الكاثن ألحى نفسه $^{(A)}$ كانت بانفسام الكاثن ألحى نفسه $^{(A)}$ كانت بعض المخلوقات الدنيا من الدينان $^{(A)}$.

فَلَمَّا تَعَشَّاهَا .

أى: فلما غشى الزوج منكم زوجته ، والتفشّى : كناية عن الجماع ، مثل الملامسة ، وغَشَى الشيءُ وتفشاه : عشّاه ، ومنه قوله تمالى : وٱلَّهْلِ إِلّا لِمُشَى ، أي : تُعَمَّى ظلمته الأشياء .

وكذلك الرجل حين يتصل بزوجته ، يفشاها أي: يغطيها ويسترها ، ويقدم لها المودة والرحمة ، وبرى في هذه الجملة ، سُمو القرآن في تعبيره ، وأدبه في عرض الحقائق ، إن أسلوب القرآن يلطف ويدق ، عند تصوير العلاقة بين الزوجين ، فهو يسوقها عن طريق كناية بديعة ، تتناسب مع جو السكن ، والمودة بين الزوجين ، وتتسق مع جو الستر، الذي تدعو إليه الشريعة الإسلامية ، عند المياشرة بين الرجل والمرأة ، ولا تجد كلمة تزدى هذه المماني أفضل من كلمة تُفَقَّاهًا .

حَمَلَتُ حَمَّلاً خَفِيفًا لَمَرَّتْ بِهِ.

أى : لما تشش الذكر الأثلى : علقت منه ، وكان الحمل فى أول أمره خفيفًا لا يمنعها من القيام والقعود. وقضاء المصالح ، فإن كرنه نطقة ثم علقة ثم مضنة : أخف مما يكون فى المراتب التى بعد ذلك.

فَمَرَّتُ بِهِ .

أي : استمرت بذلك الحمل ، تقرم وتقعد وتمضى في حوائجها ، ولا تجد به ثقلاً .

لَلْنَا أَقْلَت .

أى : قلما صنارت ذات ثقل ، يسبب نمن الحمل في يطنها ، واقتراب الارضاع ، وأشقق آدم وحواء من أن يكون الممل غير سريٍّ ، وإمتمًا يهذا الأمر الذي لم يعهداء من قبل .

دُّعُوا ٱللَّهُ نَّهُمَا قَينْ ءَاتَيْقَا صَالِحًا لَّتَكُولَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ .

تضرع آمم وهواء في دعاء متبتل ، وأقسما قائلون : والله لثن أعطيتنا واندًا مبالحًا سويًّا ، مستقيم الطقلة : لتكونن من المخلصين لك في الشكر على نعمائك التي لا تحصى ، ومن أعظمها تلك النعمة الجليلة، نعمة الولد العمالج .

١٩٠ - فَلَمَّا ءَاتَهُمًا صَالِحًا جَعَلاً لَهُ شُوكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا .

أى: ظلما استجاب الله تعالى دعاء الزيجين من ذرية آدم رحواء : وأعطاهما ولدا صالمًا أى : كامل التكوين والطلقة ، أهلا بالشكر في مقابلة منه النصة أسراً إهلال ، حيث نسبوا هذا العطاء إلى الأصناع والأوثان، أن إلى الطبيعة كما يزعم الطبيعيون ، أن إلى غير ذلك مما يتنافي مع إفراد الله تعالى بالعبادة والشكر.

فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أى : تعاظم وتنزُّه سبحانه أن يكون له شريك .

في أعقاب الآية ١٨٩ ، ١٩٠ :

الآية ١٨٩ كانت حديثًا عن نفس واحدة جعل الله منها زوجها وهي نفس آدم وحواء.

أما الآرة ١٩٠٠ ، نقد انتقل عندها الكلام عن آدم وجواء إلى ذريتهما رجلاً وامرأة .

و المعنى: جعل أولادهما له شركاء ، في الولد الصالح في تكوينه ، حيث نسباه لبركة أوثانهم مع الله و الله تعالى من لدية آدم وحواء .

جاء في تفسير الشوكاني فتح القدير :

قالت جماعة من المفسرين : إن الجاعل شركاء فيما آتاهم هم جنس بنى آدم ، كما وقع من المشركين منهم ، ولم يكن ذلك من آنم وحواء .

وجاء في تفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

ويجوز أن يكون التأويل في قوله : جَعَلاً لَهُ هُرَكَاءَ يتقدير مضاف محدوف ، أي : جعل أولادهما لله شركاء ، وجعل الكلام على حذف مضاف كلير ومعهود ، ومنه قوله تعالى : وَاسْأَلُو الْقُرْيَةُ . أي : واسأل أهل القرية ا هـ.

معارك بين المقسرين:

هذا المكان من التفسير ، مما تدور حوله معارك كلامية كليرة :

فيعض المفسرين ٥٠٠ ذهب إلى أن العراد بقوله تعالى : فَلَمَّا ءَاتَاهُمًا صَالِحًا جَعَلاً لَهُ شُرَكَاءً فِيمًا وَاتَاهُمًا : آلم وجواء .

واستدارا على ذلك بما رواه الإمام أهمد بسنده : عن النبى ﷺ قال : لمّا طاف إبليس بحواء : وكان لا يعيش فها ولد ، فقال لها : سمّيه عبد الحارث : قرّنه يعيش ، فسمته عبد الحارث : فعاش ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره (٤٠٠).

وقد أثبت الصافظ ابن كلير فى تفسيره ضمف هذا الحديث من عدة وجوه .. ورجع أنه من آثار أهل الكتاب. ثم قال : قال المصن اليمسرى : عنى الله تعالى بيذه الآية : ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده .

وقال قنادة : كان الحسن البصري يقول : هم اليهود والنصاري ، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا .

قَالَ ابن كَثِير: وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ونحن على مذهب الحسن البصري في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ؛ وإنما المراد من ذلك : المشركون من ذريته ، ولهذا قال: فَعَالَى ٱللّٰهُ عُمّا يُشْرِكُونَ . ثم قال : فذكره آدم وحواء ؛ أولاً كالتواطئة لما بعدهما من الوالدين ، كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس ا هـ . وقال صاحب الكشاف : إن المراد بالزوجين : الجنس لا فريان معينان ، والغرض بيان حال البشر فيما طرأ عليهم من نزعات الشرك الجلى والشفى في هذا الشأن وأمثاله ، والجنس يصدق ببعض أفراد. ا هـ

* * *

﴿ أَيْشَرِكُونَ مَا لَا يَعْلَقُ شَيَّنَا وَمُ يُطْلَقُونَ ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْمُ نَصْرًا وَلَا أَفْسُهُمْ يَصُرُونَ ﴾ وَلَا يَشْرُونَ اللَّهُ عَلَيْكُو أَدْعَوْنُمُوهُمْ أَمُ أَنْتُدْ يَعُمُونَ اللَّهُ عَلَيْكُو أَدْعَوْنُمُوهُمْ أَمُ أَنْتُدْ مَعْدِينُونَ ﴾ وَاللَّهُ عَلَيْكُو أَدْعَوْنُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُدْ مَعْدِينُونَ ﴾

المفردات :

سامتون ، تاركون دعوتهم .

التفسيره

٩٩ - أَيُشْرِكُونَ مَالاً يَخْلُقُ هَيُّنَا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ... الآية .

تفيد الآية السابقة أن من ذرية آدم وحواء من جمل فه شركاء تنزه الله وعلا وتمجد من أن يكون له شركاء يعملون ممه ، ويشاركون في تدبير ملكه .

ثم حمل القرآن على الشرك والوثنية حملات ماحقة ، وحاكم المشركين إلى الحس والواقع ، فهذه الأصدام لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تجيب ، وهي حجارة مسّاء : ليس لها يد أو رجل أو بحسر ؛ وحتي إذا رغب عاقل دعوتها إلى الهدى فلا تملك الاستجابة ؛ لأنها لا عقل لها ولا إرادة ، فكيف تعبد من دون الش١٢

أَيُشْرِكُونَ مَالاً يَخْلُقُ شَيُّنَا وَهُمْ يُخْلَقُونَ .

أى : بعد أن منح الله هؤلاء المشركين العقل ، وأرسل إليهم رسوله مصدا ﷺ داعيًا إلى توحيد الله ، وسراجًا منيزًا ، أبعد هذا كله يشركين معه فى الألوهية ، صنمًا أن غيره من المخلوقات ، مما ليس له قدرة على أن يملق شيئًا ولو كان ذبابًا وُمُمْ يُعْلَّقُونَ .

أي : والحال أن ما عبدوهم يُخلقون ، ولا يلوق بذى العقل السليم ، أن يجمل المخلوق العاجر شريكًا شه القادر .

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا آلنَّاسُ شُرِبَ مَثَلُ قَاسَمُعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن فُوهِ ٱللَّهِ أَن يُخْلُقُواْ ذُيَّابًا وَلِي آجَنْمُقُواْ لَهُ وَإِن يُسْلَيُهُمُ ٱللَّبَابُ شَيَّا لاَّ يُسْتَقِدُوهُ مِنْهُ صَفَفَ ٱلطَّالِبُ وَآلْمَعْلُوبُ هِ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهُ حَقَّ قَدْره إِنَّ ٱللَّهَ لَقُوىً مِنْ ذِيْ ﴿ (المدي: ٢٤، ٧٤) . ٩٩٧ - وَلاَ يَسْتَعَلِيعُونَ لَهُمْ تَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ.

أى: ولا يستطيعون لعايديهم معونة ، إذا حزيهم أمر مهم ، أن خطبٌ ملمٌ ، كما لا يستطيعون لأنفسهم نصرا على من يعتدى عليهم ، بإهانة لهم أن أخذ شيء معا عندهم ؛ من طيب أن حلى ، كما قال تعالى : فَإِنْ يُسْلِنُهُمُ ٱلنَّبِابِ كُنِيَّا لِلَّهُ يَسْتَعَقَلُوهُ مِنْهُ مُنْهُنَّ ٱلظَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (الديج : ٧٧)

وفي هذا بيان لشدة عجزهم ، ومن عجز عن نصر نفسه ؛ كان عن نصر غيره أعجز.

فالأصنام تحتاج إليكم في تكريمهم وفي النضال عنهم ، وأنتم لا تحتاجون إليهم .

١٩٣ - وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لاَ يَعْبِعُوكُمْ .

أي: وإن تدعوا هذه الأصنام إلى ما هو هدى ورشاد ؛ لا يجيبوكم إلى ذلك .

ويجوز أن يكون المعنى :

وإن تدعوا هذه الأصنام إلى أن يهدوكم : إلى ما تحصلون به رغباتكم ، أو تذجوني به من المكاره التي تميق بكم ، لا يتبعركم ، فلا يستجيبوا لكم ولا ينفعوكم .

سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْ تُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِعُونَ .

فعالهم واحدة عند ندائكم ، وعند بقائكم على صمتكم وسكوتكم ؛ لأنهم مجرد أحجار منحوتة جامدة.

وهكذا حاكمهم القرآن إلى الحسُ المنقاهد : فكيف يعبد الإنسان صنعًا جامدًا لا يسمع ولا ينفع ، وهو مجرد حجر جامد ، وإنما الرب المعبود هو الناقع من يعبده ، الضار من يعصيه ، التاصر وليَّه ، والشاذل عدمًه ، الهادئ إلى الربقان من أطاعه ، السامع دعام من دعاه . ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُوكَ مِن دُونِ اللَّوعِبَ اذَّا أَمْثَا أُحَثَمُّ فَادَّعُوهُمْ فَلَيسَتَجِيبُوا آڪُمْ إِن كُنتْرَصَدِ قِنَ ۞ آلَهُمْ آرَجُلُّ يَمْشُونَ بِهَا آَمْ لُمُمُّ آيْدِ بِبَطِشُونَ بِهَا آَمْ لَهُمْ آعَيُنُ بَقِيرُونَ يَهِمَا اللَّهُ مَاذَاتُ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ آدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا نُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِيْنَ اللَّهُ الذِّي نَزُلُ الْكِنَا قُلْ وَمُؤْمِنَةً فَى الصَّلِومِينَ ۞ ﴾

المفردات :

تىدمىون، تەبدون.

واين افله ، متولى أمرى وناصرى .

التفسيره

١٩٤ - إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْخُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَشَالُكُمْ فَٱذْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِلِينَ ... الآية .

في الآيات السابقة طائفة من الحجج والبراهين : لإبطال الشرك ، وتسفيه عقول المشركين ، ونظرًا لتأمُّل عادة الشرك في نفوس المشركين بتقليد من قبلهم ، واتباعهم إياهم .

استمرت هذه الآيات تقدّم طائفة أخرى من الحجج والبراهين، والأدلة الملموسة المحسوسة المشاهدة: تتستثير عقولهم وتفكيرهم ، ولتؤكد على أن الترحيد يكرن الله وحده ، والولاء يكون للإله الخالق القادر ، قال تماثى : إِنَّا الَّأْمِينَ تَدَافُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِهَادُ أَمْفَاكُمُ ...

الدعاء : هن النداء لبضع المُثر ، وجلب النفء ، الذي يرجَّه إلى من يعتقد الداعى أن له سلطانًا يمكنه أن يجيبه إلى ما طلبه ، إمّا بذلته وإما يحمله الربُّ الضائق على ذلك .

وقد اتجه المشركين بدعاتهم إلى هذه الأصنام ، فقالت لهم الآية : هزلاء الذين جعلتموهم آلهة هم من عباد الله ، كما أنتم من عباد الله وأطلق القرآن عليها لفظ عَبادٌ مع أنها جماد ، وفق اعتقادهم فيها ؛ تبكيدًا لهم وتوبيشًا ، أى : وإذا كانوا مثلكم عبادًا خاضمين الله مثلكم ؛ فإنه يمتنع عقلاً ، أن تطلبوا منهم ما قد عجزتم عن مثله ، مع أنكم أكمل منهم ؛ لأنكم أحياء تنطقون وتعشون وتسمعون وتبصرون ؛ وهذه الأصنام ليست كذلك ؛ وأكنها مثلكم في كرنها معلوكة الله مصفرة لأمره .

فَآدْعُوهُمْ فَلْيَسْعَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُعْمُ صَادِقِينَ .

وهذه جملة مقصود منها التعجيز والسغرية والتهكم بالمشركين .

أى: إن كنتم مسادقين في زعمكم قدرة الأصنام على النفع والضر؛ فادعوهم فليردّوا عليكم الجواب، إن كانوا أحياء.

ه ٩ ٩ - أَلَهُمُ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَنَّهِ يَعْفِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَصْنَ يُنْمِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَاذَانَ يَسْمُعُونَ بِهَا .

هذا استفهام إنكاري .

والمعنى: إن هذه الأصنام التي تزعمون أنها تقريكم إلى الله زلفي ، هي أقل منكم مستوى ؛ لفقدها الحواس التي هي مناط الكسب ، إنها ليس لها أرجل ؛ تسمى بها إلى دفع ضر أو جلب نفع ، وليس لها أيد تبطش بها ، أي : تأخذ بها ما تريد أخذه ، وليس لها أعين تبصر بها شئونكم وأحوالكم .

وليس لهم أذن تسمع بها أقوالكم ، وتعرف بواسطتها مطالبكم ، فأنتم أيها الناس تَفْضُلون هذه الأصنام ؛ بما مذهكم الله تعالى من حواس السمع واليصر وغيرها ، فكيف يعبد الفاضل المفضول ، وكيف ينقاد الأقوى للأضعف ١٤.

قُل آدْهُواْ شُركَاءَكُمْ ثُمَّ كيدُون فَالاَ تُعطرُون.

كان الكفار يخوفون النبيُّ ﷺ من بطش هذه الآلهة ، فأمره الله أن يتحداهم .

والمعنى: قل أيها الرسول الكريم لهوَّلاء المشركين:

نادوا شركاءكم الذين زعمتموهم أولياء ، ثم تعاونوا أنتم وهم على كيدى ، ولا تتأخروا عن إنزال الضرر بى ، إن كنتم أنتم وهم قادرين على شىء من الضرر ، فإنى أنا معتز بالله وملتجئ إلى حماه ومن كان كذلك : فلن يضفى شيئًا من المخلوقين جميمًا .

وهذا نهاية التحدى من جانب الرسول ﷺ والحطُّ من شأنهم وشأن آلهتهم . وقريب من ذلك ما فعله الرُّسل السابقون مع أقوامهم .

قال تعالى : قَالُواْ بِاهُودُ مَا حِنْتَنَا بِيَنَّةٍ وَمَا نَحْنُ بِعَادِكِيّ عَالِهُمْنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لِكَ بِمُؤْمِنِينَ ، إِن تَقُولُ إِلاَّ آهَرَاكَ يَمْفُنُ عَالِهُمِنَا بِسُومٍ قَالَ إِنِّى أَهْمِهُ ٱللَّهُ وَآهْ لِمُعْدُواْ أَنَّى بَرِيَاهٌ مُّمَا إِلَّى قُومُكُلْتُ عَلَى اللَّهِ زَنِّى وَزَبْكُمْ مَا مِن دَاتَةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاحِدُ بِمَا صِيْعِهَا إِنْ زَنِّي عَلَى صِرَاطُ شُسْتَطِيمٍ . (من ٣٥ – ٢٥). ١٩٦ - إِنَّ وَلِينَ آللُهُ ٱلَّذِي نَزُّلُ ٱلْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ .

أي : إن متولى أمري ونامبري هو الله الذي نزل عليّ الكتاب ، المرّيد ليحدانيته ، ويجوب عبادته ويعانه ، عند الشدائد والملمات .

وُهُوْ يُعَرِّلُ ٱلْعَالِحِينَ . وقد جرت سنته تمالى ، أن يتولى وحده رعاية المسالحين من عباده ، وحفظهم، وأن ينصرهم ولا يخذلهم .

* * *

﴿ وَٱلْذِينَ مَدَّعُونَ مِن دُونِهِ لايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا ٱلْفُسُمُّمْ يَصُرُونَ ۖ ﴿ وَٱلْذِينَ مَدُّمُونَ اللهِ الْمُسْمَمُ الْمُعْمِرُونَ اللهِ وَهُمَّ لايُتِمِرُونَ ﴿ ﴾ وَإِن مَنْعُولُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمَّ لايُتِمِرُونَ ۞ ﴾

المفردات ،

تدمون ۽ تعبدون.

التفسيره

٩٧٠ - وَٱلَّذِينَ تَدْعُونُ مِن دُونِه لاَ يَسْتَعَلِمُونَ نَصْرَكُم وَ لاَ أَنْفُسَهُمْ يَعَمُرُونَ ... الآمة .

أى: والأسنام التى تعيدونها أيها المشركون من دون الله ، لا تستطيع نصركم في الشدائد والنوازل ولا تستطيع دفع الضر عن نفسها إذا هو لحق بها .

فقد كسُّر إبراهيم عليه السلام الأسنام فجعلهم جِدْاذًا، فما استطاعوا أن يدفعوه عن أنفسهم ، ولا أن ينتقموا منه .

وقد روى عن معاذ بن الجموح، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما وكانا شابين من الأنصار قد أسلما:-لما قدم النبى ﷺ المدينة - أنهما كانا بعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ، ويتخذانها حطبًا للأرامل؛ ليعتبر قومهما بذلك، ويهجروا عبادة الأصنام .

وكان لعمرو بن الجموح - وكان سيد قومه - صنم يعبده . فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ، ويلطفانه بالعذرة فيجيء عمرو فيرى ما صُنع به فيفسله ويطيبه ، ويضع عنده سيفًا ويقول له انتصر ، ثم يعودان لمثل ذلك ويعود إلى صنيعه أيضًا ، حتى أغذاه فقرناه مع كلب ميّت ، ودلّياه في حَبّر في هذه خالم ، فقدناك ، طما جاء ورأى ذلك ؛ علم أن ما كان عليه من الدّين باطل وأنشد :

تالله ليو كنتَ إلهًا مستدن لم تك والكلب جميمًا في تُرَن

ثم أسلم وحسن إسلامه (١٠٠ وقتل يوم أحد شهيدًا . رضي الله عنه ا

١٩٨ – وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْعِيرُونَ .

تكرر هذا المعنى فى القرآن الكريم ، وهذا التكرار للتأكيد . وهو مطلوب ؛ لاقتلاع جذور الشرك التى تأصلت فى المشركين .

فهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تعقل شيئًا ، ولا تطرق بين خير وشر ، فإذا دعاها داح إلى ما فيه خير وهداية ، لم تسمع ولم تعقل ، ولم تعرف ما هو هذا الخير الذي تدعى إليه .

والآية كلوله تعالى : إنْ تَلقُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ فُقَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ . (فاطر: ١٤).

وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُتَعِيرُونَ .

أي : وتراهم أيها المضاطب ينظرون إليك بما وضع لهم من أعين صناعية ، وهدق رجاجية أن جوهرية: موجهة إلى من يدهل عليها كأنها تنظر إليه ، وهم لا يبصرون بها ؛ لأن حاسة الإبصار لا تحصل بالصناعة ، وإنما هي من هوامن المهاة التي استأثر الله بها .

وهم إذ فقدوا السمع لا يسمعون نداء ولا دعاءً : ممن يعيدونهم ولا من غيرهم ، وإذ فقدوا البصر لا يبصرون حاله ، فكيف يرجى منهم نصر أو خير : أو نضر شر وضرر ؟

ويجوز أن يكون الخطاب في الآية للنبي ﷺ والحديث فيها عن المشركين ، فهم إذا دماهم النبي إلى الإيمان لا يسمعون سماع فهم وإدراك وتيمسر في الهدى ، وهم ينظرون للنبي بعيرتهم ، ولا يبصرون الهدى ببصيرتهم : لأن قلويهم قد طعس تورها وغاب فقهها .

وقويب من ذلك قوله تعالى : وَمِثْهُم مِّن يَسْتَعُومُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا حَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ بِلَلْبِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمُ مَاذَا قَالَ مَائِفًا أَوْلِيْكَ ٱللَّذِينَ طَيْمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلْوِيهِمْ وَٱلْتُحْوَّ الْغَوْرَاكُمْ . (مسد : ١٦) .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

قد یکرن المشار إلیه بضمیر الجمع هنا هم أولئك المشركون ، أو تلك الأسنام التي يعبدونها ، أو هم هزلام وأولئك جميمًا ، فالمشركون وما يشركون بهم سواء ، في أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون .

﴿ خُذِ ٱلْمَنْوَوَأَمْرُ بِٱلْمُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَنْهِ لِينَ 👚 ﴾

المقردات :

العشو : السهل اليسير من أخلاق الناس .

والعراف وبالمعروف وهو ما شرعه الله لعباده وعرف حسته شرعًا وعقلاً من عادات الناسي

التفسيره

٩٩ - خُلِهَ ٱلْتَفْوَ وَأَمُرْ بِٱلْمُرْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ .

المناسبة :

في آيات سابقة نهي القرآن عن عبادة الأوثان ، وندد بعبادة الأصنام.

وتجيء هذه الآية رسا يعدها إلى آهر سررة الأعراف دعوة إلهية كريمة لرسول 仙 拳 ، ولمن معه من المؤمنين ، إلى منهج سمح سهل لين في معاملة المشركين .

غُلِهِ ٱلْتَعْفُوَ وَأَمُرٌ بِٱلْتُعَرِّفِ <u>.</u>

جمعت هذه الآية أصول الفضائل ومكارم الأهلاق.

عن عبد الله بن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أغلاق الناس ا هـ.

ونجد في هذه الآية ثلاث فضائل:

١ – الأخذ بالعفو :

وهن اليسير والسهل من أنفلاق الناس وأممالهم ، دون تكليفهم بما يشق عليهم ، ومن غير تجسس ، وإنما يؤهذ بالسمع السهل ، واليسر دون العسر .

جاء في ظلال القرآن : هذه العلق الميس الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والعمدية ، ولا تطلب إلههم الكمال ، ولا تكلفهم الشائق من الأحلاق ، وإعف عن أهطائهم وضعفهم وتقصيم ...» .

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : «يسُّروا ولا تعسروا ويشروا ولا تنقرواه 👊 .

ويدخل في العفو صلة القاطعين أرحامهم ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين .

وهذا هو الصنف الأول من الحقوق التي تستوفي من الناس ، وترُخذ منهم يطريق العساملة والمسامحة . ويشمل ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية ، والتخلُق مع الناس بالخلق الطيب ، وترك الفظة والفظاظة .

قال تعالى : وَلَوْ كُنتَ فَظًّا خَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لِآنفَتُواْ مِنْ حَوْلِك . (ال عمران : ١٥٩) .

رمن هذا القسم: الدعوة إلى الدين الحق بالرفق واللطف.

كما قال تعالى : وَجَادِلْهُم بِٱلَّهِي هِيَ أَحْسَنُ . (النعل : ١٢٥) .

٧ -- الأمر بالعرف :

وهو المعروف والجميل من الأفعال: وهو كل ما أمر يه الشرع، وتعارفه الناس من الخير، واستحسنه الطلام؛ فالمعروف اسم جامم لكل خير.

ولا يذكر المعروف في القرآن إلا في الأحكام المهمة : مثل قوله تعالى في وصف الأمة الإسلامية : كُتُتُم شَوِّ أَلَةٍ أَشْرِجَتْ لِلْنَاسِ كَامُرُونَ بِالْمُورُفُ وَتَقُونَ ثَنِ الْمُمكُرِ وَتُوْتُونَ بِالله (ال معران ١٠٠٠).

وفي تبيان السقوق الزيجية قال تعالى : وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرَّ بَالر عَلَيْهِنْ دَوَجَةٌ . (البقرة : ٢٢٨).

وأمر بالمعروف حتى في حالات الفرقة والطلاق. قال تعالى: فَإِسْسَاكُ بِمَقُووهُمْ أَوْ تُسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . (البقرة: ٢٧٩).

وريشمل المعروف الخير الواضع الذي لا يحتاج إلى مناقشة أن جدال ، والذي تلتقى عليه النطر السليمة، والنفوس المستقيمة : والنفس حين تعتاد هذا المعروف : يسلس قيادها بعد ذلك ؛ وتتطرع لألوان من الخير درن تكليف» ^(١١).

٣ - الإعراض عن الجاهلين :

ريشمل تجاهلهم ، وعدم الردَّ عليهم ، أو الدخول معهم في خصومة وجدل ، كما يشمل كظم الفيظ والمقابلة بالصفح والعفو .

قال تعالى هي وصف المؤمنين : وَالْكَاهِينَ ٱلْفَيْطَ وَالْعَاهِينَ مَرْ ٱلْلَّاسِ وَٱللَّهُ يُسِبُّ ٱلْمُحْسِينَ . (ال عمران: ١٣٤). وقال تعالى هي فضيلة العفو : وَأَنْ تَشُورُ ٱلْمُرْبُ لِلْتُقُونَ وَلاَ تَسَوَّا ٱلْقَطْرُ ٱلْتُكَدِّر ، (الدفر: ٤٣٧) .

من كالام المفسرين

١ - جاء في تفسير المنار:

فأنت ترى أن المعروف فى هذه الآية معتبر فى هذه الأحكام المهئة ، وأن المعروف هو المعهود بين الناس فى المعاملات والماءات ، ومن المعلوم بالضرورة أنه يضتلف باختلاف الشعوب ، والبيوت والبلاد والأوقات ، فتحديده وتعيينه باجتهاد يعش الفقهاء بدون مراعاة عرف الناس ؛ مضالف لنعس كتاب الله تعالى ، ولشيع الإسلام ابن تيمية ، وغيره من فقهاء الحديث والحنابلة أقوال حكيمة فى المعروف ، مفها : أنه يجب على كل من الزوجين من أعمال البيت والأسرة ما جرى العرف به .

وأنَّه إذا كان من المعروف عن بعض البيوت أنَّهُن لا يزوجن بناتهن لمن يتزوج عليهن ويضارهنَّ ، كان هذا كالطُرطُ : فلا يجوز للرجل أن يتزوج على المرأة منهن ⁴⁰⁰ .

٢ - جاء في هامش زاد المسير لابن الجوزى نشر المكتب الإسلامي ما يأتي :

روى البخارى ۲۲۹/۸ : أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصين ابن حديقة ، فنزل على ابن أهيه الحريقة ، فنزل على ابن أهيه الحديث قبس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولاً كانوا الحرية المنافرة والمنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة والمنافرة المنافرة والمنافرة المنافرة المنافرة والمنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة والمنافرة المنافرة المن

٣ - من التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي :

وهذه المبادئ الثلاثة هي أصول الفضائل ومكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير

قَالَ عكرِمة: لما نزات هذه الآية ، قال عليه المسلاة والسلام : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : إن رباء يقول: هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفى عمن ظلمك (٠٠٠) .

وروى الطبرى وغيره عن جابر مثل ذلك :

وقال جعفر المبادق رضى الله عنه : أمر الله نبيّه عليه المبلاة والسلام بمكارم الأخلاق ، وليس في القرآن أية أجمع لمكارم الأخلاق منها (١٠٠) . قال القاضى أبو يكر بن العربى فى أحكام القرآن : قال علمازنا : هذه الآية من ثلاث كلمات ، قد تضمنت قواعد الشريعة فى المأمورات والمنهيات ، حتى لم يبق فيها حسنة إلا أوعتها ، ولا فضيلة إلا شرحتها ، ولا أكرومة إلا افتتحتها ٣٠٥ .

* * *

﴿ وَإِمَّا يَرْغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطِينِ نَدَّةً فَأَسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِعُ عَلِيدُ ٥٠ ﴾

التشيين

، ﴿ ٧ - وَإِمَّا يَتِزَهَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ تَزْعٌ فَآسْتِهِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِعٌ عَلِيمٌ .

جاء في تفسير الطبري وابن كثير ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أمثم قال :

لما نزات خُدِ ٱلْعَفْرُ قال النبي ﷺ: «يا رب كيف بالفضب ؟» (١٠٠ فنزات عده الآية .

و المعنى: وإن يوسوس لك الشيطان أيها المؤمن وسوسة شديدة ، ويدهمك إلى همل الشر والإفساد دهمًا قريًّا فَآسَسُولْ بِاللَّهِ أَى: هَالتَجَيْ إلى اللهُ ، وتحصن واستعن به ، على دهم وساوس الشيطان ونزغاته ، إِنَّهُ سَمِيعٌ طَلِحُ ، يسمع دعاه الدامين ، ويستجيب المؤمنين .

وهن سبحانه عليم يسقاهة الجاهلين ، وحسب المرّمن أن الله يسمع دعاءه وتداءه ويحيط بكل ما حركه : فإن العبد إذا التجاً إلى الله ، دخل في مقام العبودية الخالصة : فيتحمسن بها من الشيطان .

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّتَمِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١) .

وقال سبحانه وتعالى : إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَان .

و الدخظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : وَإِمَّا يَنزَ فَنَكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَآسْتُعِدْ بٱللَّهِ .

إنه ما من مرة ورد الأمر بالاستعادة من شيطان الجنّ : إلا وكان في سياقها الإرشاد إلى معاملة العاصى من الإنس بالمعروف ، أي : بالتي هي أحسن ، فإن ذلك يكفّ عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ، ثم يرشد تعالى إلى الاستعادة به من شيطان الجنّ ، فإنه لا يكفّه عنك الإحسان ، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية ، فإنه عدو لك ولأبيك من قبلك .

جاء في تفسير المتار:

النزغ كالنسغ والنفس والنفز والنكز والوكز والهمز : ألفاظ متقارية ، وأسله : إصابة الجسد برأس شيء محدد ، كالمهماز والرمح .

والمراد من نزخ الشيطان: إقارة داعية الشر والقساد: في غضب أو شهوة حيوانية ، أو معنوية ؛ بحيث تتقحم مناحبها إلى العمل بتأثيرها ، كما تنفس الدابة بالمهمان لتسرم .

وحكمة إخبار الله تعالى إيانا على ألسنة رسله بهذا العالم الغيبي المعادى لنا ، الضار بأرواهنا ، أن نراتب أنكارنا وخواطرنا ، فعتى قطنًا بعيل من أنفسنا إلى الشر أو الباطل ، عالجناه بما وصفه الله تعالى يتوله : أَنْشَعِدْ بَاللّهُ إِنَّهُ سُجِعٌ عَلِيسٌ .

أي: الجأ إلى الله بقلبك ولسانك ، فإنه تمالي يستجيب لك ويصرف عنك وسوسة الشيطان .

قال تعالى : فَإِذَا قَرَأَتْ ٱلْقَرْوَانَ فَآسَتِهَدْ بِآللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّحِيمِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ وَاعْتُوا رَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْرُكُونَ . (المدل ١٩٠ ٩٠) .

والتمطاب في هذه الآية وأمثالها من آيات التشريع : موجه إلى كل مكلف وأواجه الرسول ﷺ ، ومن المطسرين من يقول : إنه هذا الذبي ﷺ ؛ والمراد : أمته .. والمختار عندى الآن : عصمته ﷺ من نزخ الشيطان بدليل ما ورد في صحيح مسلم : هما منكم أحد إلا وقد وكُل به قرينه من الجنّ : قالوا : وإياله يا رسول الله؟ قال : وإياله يا رسول الله؟ قال : وإياله عليه ناسلمه أنه أ

* * *

﴿إِنَ ٱلَّذِيرَ اتَّغَوَا إِذَا مَسَّهُمْ طَتَبِقُ مِّنَ ٱلشَّيَطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۖ وَإِخْوَنَهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّلَا يُقْصِرُونَ ۖ ﴾

المقردات ،

مسهم : أي : أصابهم .

طائف، أي : خاطر.

القسىء الضلال والفساد .

الأشسب

٠ . ٧ - إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلْقُواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفَ مِّنَ ٱلطَّيْعَانِ تَذَكُّرُواْ فَإِذَا هُم مُتَّصِروُنَ .

إنَّ من الشيطان ظلمة ، والالتجاء إلى الله نور وهداية ، والإنسان في هذه الحياة فيه لمّة للملك يأمره والنفير ويساعده عليه ، ولمّة للشيطان يوسوس له بالشر ويحقه عليه .

قال تعالى : ٱلطَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مُعْفِرةً مِّنَهُ وَمُطْلاً وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . (العدد : ۲۵۸)

وتفيد الآية : أن الذين اتقوا ربهم ، وامتثلوا أوامره ؛ من عادتهم أنهم إذا نالهم خاطر من خواطر الشيطان : وأصابتهم منه وسوسة وتزيين للمعاصى ، تذكروا مقام ربّهم ، واستحضروا هيبته وجلاله ، ووعده ووعيده : فإذا هم مبصرون بذور ربّهم طريق الهدى والرشاد .

وإن الإنسان ليشعر بتنازع دواعي الخير والشرّ في نفسه ، وقويُّ الروح بالإيمان والتقوى غير قابل لتأثير الشيطان في نفسه ، لكن الشيطان دائمًا يتحين الفرص ، وعروض بعض الأعراء النفسية ، من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام ، حتى إذا وجد الفرصة سائحة افترصها ، ولابس النفس واتُوى فيها داعي الشرّ

قإذا تنبّه المؤمن لذلك؛ استعاد بالله من الشيطان الرجيم ، ولاذ بمعمن الله واستعان بالدعاء والإيمان. ومن دعاء النبوة : واللهم أت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، ^[60].

٢ . ٢ - وَإِحْوَالُهُمْ يَمُدُّونَهُم فِي ٱلْفَيْ ثُمُّ لاَ يُقْمِرُونَ .

بعد أن نبه الله تعالى ، وحدر من وسوسة شهاطين الجنّ ، جاءت هذه الآية للتحدير من إخوانهم شهاطين الإنس .

أى : وإخواتهم طياطين الإنس ، مثلهم فى الإفساد ، يساعدونهم فى الإغواء فما يزالون يعضدونهم بتزيين المعامى لبعض الناس .

ثُمُّ لاَ يُقْمِرُونَ .

أى: لا يسكرن عن إغوائهم ، حتى يصرّ من وقع فى حبائلهم على تنفيذ غوايتهم ، وسلوك طريق الضلال. جاء فى ظلال القرآن :

«راخوانهم الذين يمدونهم فى الفىّ هم شياطين الجنّ ، وقد يكونون هم شياطين الإنس أيضنًا .. إنهم يزيدون لهم فى الشلال ، لا يكلُّون ولا يشأمون ولا يسكتون ، وهم من ثمّ يحمقون ريجهلون ، ويظلّون فيما هم هيه . وجاء في تفسير المراخي: وهو مختصر من تفسير المنار - ما يأتي:

وَإِحْوَانُهُمْ يَمُلُونَهُم فِي ٱلْفَيِّ ثُمَّ لاَ يَقْعِيرُونَ .

أى : أن إخوان الشياطين – الذين لا يتقون الله – يتمكن الشياطين من إغوائهم ، فيعدونهم في غيهم وإفسادهم ؛ لأنهم لا يذكرون الله إذا شعروا بالذورع إلى الشر ، ولا يستعيدون به من نزغ الشيطان ومسه .

والخلاصة : أن المؤمنين إذا مسهم طائف من الطيطان يحملهم على المعاصى ؛ تذكروا فأبصروا. وحذروا فسلموا وإن ذكّوا ؛ تابوا وأنابوا .

وإن إهوان الشياطين ، تتمكن الشياطين من إغوائهم ؛ فيمدونهم في غيّهم ، ولا يكتُون عن ذلك ، ومن ثمُّ تراهم يستمرون في شرورهم وآثامهم لققة الوازع النفسي ٣٠٠.

* * *

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم إِنَافِوْ قَالُوا لُوْلَا الْمَنْتَنَتُهَا أَقُلْ إِنْمَا أَتَّيْمُ الْوُحَوَ إِنَّى مِن تَقِ مُعَدُ اِنَصَالُورُ مِن زَيِّكُمْ وَهُدَى وَرَحَمُّ لِلْقَرِمِ يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا فَرِكَ الْفُسْرَةِ أَنْ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ و وَأَنْمِينُوا لَمَلْكُمُ تُرْحُمُونَ ۖ وَإِذَا كُرْزَيْكَ فِي نَفْسِكَ تَعَمُّرُ عَا وَخِيدَةً وَدُونَ الْجَهْرِمِنَ الْقَوْلِ بِالْفُدُورُ وَالْآمَه الِولَا مَا لِولَا تَكُن مِنَ الْفَنِيلِينَ ۚ إِنَّ اللَّهِ مَنْ مَن دَوَلِك لَا يَسْتَكَمُّرُ وَنَ عَنْ عِنَا مَعْ وَلِمُنْ يَعْمُونَكُ اللَّهِ مَنْ الْمُنْفِلِينَ ﴾ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَالْمُنْفِقِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مَنْ مُنْدُونَا الْمُعْلِق اللَّهُ اللَّهُ مِنْ وَلَيْسَالُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْعُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْلِكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعِلَالِينَالِينَالُونَ الْمُنْفِيلِينَ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْفِيلِينَ الْمُنْفِيلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفِيلُونَ الْمُلْمُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفِيلُونِ الْمُنْفَالِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفِيلُونُ الْمُلِلْمُنْ الْمُنْفِيلُونَ الْمُنْفَالِمُ الْمُنْفَالِمُ الْمُنْفِيلُونِ الْمُنْفِيلُونِ الْمُنْفَالِمُ الْمُنْفَالُولُونُ الْمُنْف

المقرداتء

اجتبيتها طلبتها .

بمسائس، ما تبصر به عقراكم من الآيات.

فاستمعواء فاقصدوا سماعه.

وانستوا، واسكتوا متأملين معناه.

تضرماء تذللا.

وشهشة؛ وخرفا.

السقيدو ، أول النهار .

الأصسال ، جمع أصيل: وهو أخر النهار والمقصود من الغدو والأصال هذا: جميع الأوقات .

اتفسب

٣ ، ٧ - وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بَآيَةٍ قَالُواْ لَوْلا ٱجْتَيْتَتُهَا ... الآية .

كان المشركون لا يكتُون عن طلب الشوارق من رسول اش 義 ، والآية تحكى بعض أقوالهم : الدالة على جهلهم يطبيعة الرحى والرسالة : فقد كانوا يتصورون أن في مقدرة النبي معرفة القيب : أو الاقتراح على الله أن يُنزل بعض المعجزات ، أو بعض الآيات من القرآن .

ومعنى الآية :

وإذا لم تأت أيها الرسول أهل مكة بآية مما اقترحوا حدوثه ، أو بآية من القرآن .

قَالُواْ لَوْلا ٱجْتَنِيتُهَا .

أي: لولا ألحمت على ريك حتى ينزُلها!...

أو هلا قعلتها أنت من نفسك ؟ ألست تبيًّا ١٢

قُلْ إِنْهَا أَلْمِعُ مَا يُوحَنَّى إِلَىٰ مِن رَّأَى .

أي: إنما أنا بشر يتلقى الوحى ، ولا يطلب ولا يقترح ؛ فإن الله هو الذي ينزل الوحى وهو العليم الحكيم . الغبير بما يحتاج إليه العباد .

ونظير ذلك قوله تعالى: وَإِذَا ظُفَى عَلَهُمْ مَاهَاتُنَا لَيْنَاتِ قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يُرْجُونَ فِقَامَنَ آلتِ بِقُومَانِ ضَيْرٍ هَلَا أَوْ بَدَلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ آنَ أَبْدَلُهُ مِن بِلْقَالِى نَفْسِى إِنْ أَلْبِيمُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِنْي إِنِّى أَضَافُ إِنْ صَمَيْتُ زَبِّي هَذَابَ يَوْمِ طَيْمِو (يونس: ١٥)

ثم نبههم المق تعالى ، إلى أن هذا القرآن أعظم المعجزات ، وكأنه يقول لهم : ما لكم تطلبون شيئًا لا يفيدكم ؟ وإنما لديكم هذا القرآن الذي يشتمل على آيات الله الكونية ويرشد إلى الهدى ، وينير الطريق للسائكين .

هَلَا يَصَالِرُ مِّن زَّلِكُمْ وَهُلَى وَرَحْمَةٌ لِقُوْمِ يُولِمِنُونَ .

أي: هذا القرآن بمسائر ومجع ناهضة من ربكم ؛ يعود من تأملها وعقلها بمبير العقل بما تدل عليه من المق ؛ إذ هي أدلُ عليه من الآيات الكونية التي تطلبونها .

قال تمالى: قَدْ جَاءَكُم يَمَالِرُ مِن رَبَّكُمْ فَمَنْ أَيْمَرَ فَلِتَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِمَنْهِيظٍ. (الأنمام: ١٠٤).

وَهُدُى وَرَحْمَةٌ لَّقَوْم يُؤْمِنُونَ .

وهذا القرآن هدى للحياري إلى طريق الاستقامة ؛ وهو أيضًا رحمة في الدنيا والآخرة لدن يؤمن به ، فمن آمن به وعمل بأحكامه ؛ فهو من المقلحين .

قال تعالى : وَهَلَا كِتَابٌ أَوْزُلْنَاهُ مُبْارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَالنَّاوْأَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . (الأنعام: ٥٠٠) .

جاء في التفسير المنير للدكتور وهية الزحيلي :

هذا القرآن أعظم المعجزات ، وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات فهو متصف يخصائص ثلاث :

١ - منصِّرٌ بالحق في دلالته على التوحيد والنبوة والمعاد، وتنظيم الحياة بأحسن التشريعات.

٢ -- هناد ومريث إلى طريق الاستقامة .

٣ - رحمة في الدنيا والأخرة للمؤمنين به .

وجاء في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ما محلاصته: .

إنه هذا القرآن بصائر تهدى ، ورحمة تفيض .. لمن يؤمن به ويفتتم هذا الخير العميم .

إنه هذا القرآن الذي لا تبلغ شارقة مائية من الإعجاز ما يبلغه.. من أي جانب من الجوانب شاء الناس.

هذا جانبه التعبيري كان وما يزال إلى اليوم ممجرًا لا يتطاول إليه أحد فى البشر، تحدَّاهم الله به وما بزال هذا التحدّي قائمًا ..

ويبقى وراه ذلك السر المعجز في هذا الكتاب الفريد ... ويبقى ذلك السلطان الذى له على القطرة ، متى خانى بينه ويبنها لمطة ...

منهج هذا القرآن العجيب في مضاطبة الكيترنة البشرية بمقائق الوجود ، وهو منهج يواجه هذه الكيترينة بجملتها ...

منهج هذا القرآن العجيب ، وهو يتذاول قضايا الرجود ، فيكشف منها ما تتلقاه فطرة الإنسان وقلبه وعقله بالتسليم المطلق .

منهج هذا القرآن العجيب في النظرة الكلية في هذا الوجود وطبيعته ، وحقيقته ونشأته ، في النظرة الكلية إلى الإنسان ونفسه وأصله ونشأته ، وطبيعة تركيبه وإنفمالاته واستجاباته وأمواك ، تلك الموضوعات التي تطرق جوانب منها علوم الحياة والنفس والتربية والاجتماع والعقائد والأديان ... (14)

\$ • ٧ - وَإِذَا أَوْعَ ٱلْقُرْعَانُ فَآسْتَعِقُواْ لَهُ وَأَنعِيثُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

المعنى: وإذا قرئ القرآن فأصفها إليه أسماعكم لتفهموا آياته وتتعظوا بمواعظه ، وأنصتوا له عن الكلام ، مع السكون والخشوع ؛ لتطلوه وتتدبروه ، والتوصلوا بذلك إلى رحمة الله ، يسبب تفهّمه ، والاتعاظ بمواعظه .

والآية تدل على وجوب الاستماع والإنصات ، سواء أكانت التلاوة في الصلاة ، أم في خارجها ، وهي عامة في جميم الأوضاع وكل الأحوال ، ويتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة ، إذا جهر الإسام بالقرارة .

القراءة خلف الاميام

تغيد الآية رجوب الإنصات للقرآن ومحاولة الفهم والتعبر؛ حتى يخطع القلب ويستقر الإيمان ، وهذه الأمور من وسائل رحمة الله وهدايته ، سواء كانت القراءة فى المسلاة أم فى خارجها . لكن اختلف العلماء على ثلاثة آراء فى قراءة المأموم خلف الإمام : هل يسقط عن المأموم فرخس القراءة فى المسلاة الجهرية والسرية ، أو يجب ، ومل للوجوب خاص فى للسرية دون الجهرية .

- ذهب التحقية: إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام مطلقاً ، جهزاً كان يقرأ أم سرًا ؛ لظاهر الآية ، ولما
رياه مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : وإنما جُعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبّروا ، وإذا
قرأ فأنصتواء.

وفي كتب الفقه عند المنفهة «ولا يقرأ المؤتم بل يستمع وينصت وإن قرأ ؛ كره تحريمًا».

٢ - المالكية والعنابلة : رأوا أن المأموم يقرأ خلف الإمام إذا أسرٌ ولا يقرأ إذا جهر .

وهر قول رسط يزيده الواقع ولقه الحديث ، وأنا شفصيا أطبقه في صلاتي ، وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد والزُهري .

 ٣ - الشافعية: يقرأ المصلى بفاتحة الكتاب مطلقًا ، سواء كان إمامًا أن مأمومًا أو منفرنًا ، في صلاة جهرية أن سرية .

لما رواه الجماعة وأحمد وأصحاب الكتب الستة ؛ عن عبادة الممامت أن رسول الله ﷺ قال : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (٩٠٠).

القسرآن اليسوم

إن المسلمين في أمس الحاجة إلى تلاوة القرآن وتدبره ، وتدريب أبنائهم وبناتهم ويزيجاتهم على تلاوة القرآن الكريم ، ساعة في كل يوم : وهذا طريق للهداية والإيمان : كما يجب الإنصات إلى القارع في المحافل والمآتم ، وبما يفعله جماهير الناس في المحافل التي يقرأ فيها القرآن : كالمآتم وغيرها ، من ترك الاستماع والاشتغال بالأحاديث المختلفة ، فمكروه كراهة شديدة ، ولا سيما لمن كانوا على مقربة من القارع اساء.

ووپچپ علی کل مژمن بالقرآن آن پحرمی علی استماعه عند قرامته ، کما پحرمی علی تلاوته ، وأن پتانب فی مجلس التلاوة ..» .

وتستحب القراءة بالقرتيل والنغم الدالة على التأثير والخشوع من غير تكلُّف ولا تصنع.

روى الطيفان أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنز الله لشيء ما أنن لنبي حسن الصوت يتغني بالقرآن، (*** وأنن هنا بمعنى: استمع أن سمع . وروى البخارى عن أبى هورية مرفوعًا وليس مدًا من لم يتفنّ بالقرآن، (*** ويستحب البكاء عند القراءة والمشوع ، وإلاّ فالتباكى والتخشع ، وأن يستعيذ بالله قبلها ، ويدعو الله في أثنائها ، بحسب معانى الآيات . كسرًال الرحمة عند ذكرها ، والاستعادة من العذاب عند ذكره . «وكان أنس رضى الله يجمع أهله وولده عند هتم القرآن، فاستحبوا الاقتداء به *** .

في أعقاب الآية :

جاء في ظلال القرآن ما خلاصته:

«تمتلف الروايات المأثورة في موضع الأمر بالاستماع والإنصات: إذا قرئ القرآن .. بعضهم برى أنّ موضع هذا الأمر مو الصلاة المكتوبة حين يجهر الإمام بالقرآن ، فيجب أن يستمع المأموم وينصت .

ويعضهم يرى أن هذا كان توجيهًا للمسلمين : ألا يكرنوا كالمشركين ؛ حين قالوا : لاَ تَسَمَّعُواْ لَهُذَا آلَّهُوَانَ وَالْقُوْا فِيهُ لَمُلِّكُمُ تُقَلِّمِنَ ((مسلت : ٢٠).

ويعضهم يرى أنها في الصلاة وفي الخطبة ، كذلك في الجمع والعيدين .

وقال القرطي في الفسير: قال النقاش: أجمع أهل التفسير، أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة، ونحن نرى أن العبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السبب؛ والأقرب أن يكون ذلك عامًا لا يخصصه شيء: فالاستماع إلى هذا القرآن، والإنصات له حيثما قُرِئَ، هو الأليق بجلال هذا القول، ويجلال قائله سبحانة (١٠٠١). ه . ٧ - وَآذْكُر رُبُّكَ فِي نَفْسِكَ مَضَوَّعًا وَحِمَةً وَدُونَ ٱلْمَحْفِرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْفُدُوِّ وَٱلآصَال وَلاَ تَكُنُ مَّنَ ٱلْمُغَلِلينَ.

تكمل هذه الآية مع ما سبقها منهج حياة المسلم ، وكيف سما القرآن بنفوس العرب ، فجعل حياتهم وسلوكهم في هدى القرآن وذكر الرحمن .

والآية السابقة أمرت المسلمين بالاستماع والإنصنات للقرآن ، فلمل آية واحدة يتأمل فيها المسلم أو يستمع ويُنحت ، تفتح له أبوابًا من فضل الله ورحمته .

والآية التي معنا توصي بالآتي :

ينبقي أن يذكر المؤمن ربِّه سرًا في نفسه بذكر أسماته وصفاته ونعماته وفضله حتى يعترف بشكره، كما ينبغي أن يذكره ضارعًا متذللاً : شائفًا راجيًا ثوابه وفضله ، وينبغي أن ينوَّع ذكره لله : فمرة سرًا وفكرًا، ومرة ذكرًا متوسطا بين الإسرار والجهر، وفي كل حال ينبغي أن يكون ذكر اللسان مقروبًا باستحضار القلب، وملاحظة المعانى ، فذكر اللسان وحده ضعيف الأثر، والواجب الجمع بين ذكر القلب وذكر اللسان ، وأن يكون الذاكر راغبًا في الثواب راهبًا من العقاب .

ولحى معنى الآية يقول الله تعالى : وَلاَ تَعَهَّرُ فِسَادَيكَ وَلاَ تُصَافِت فِهَا وَآبَتَعَ آَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . (الإسراء : ١٠). وقال سبحانه وتعالى : يَا أَيُّهَا آلَكِينَ مَتَوَا آذَكُرُو آاللَّهُ لِآخُرًا كَلِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ يُكْرُةً وَأَصِيلاً . (الأحزاب: ٤١ : ٤٧). وقال سبحانه : وَآذَكُر آسَمْ رَبِّكَ يُكُرةً وَأَصِيلاً (الإنسان: ٢٠) .

الفدؤ والأصال

الغادو : جمع غدوة : وهي ما بين صالة الغداة (الفجر) إلى طلوع الشمس .

الآصال : جمع أصيل : وهو العشى ما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، والمقصود : الذكر أواثل النهار وأواهره ، أى : فى كل وقت .

إن القرآن بذلك يحرّك القلوب للنظر في ملكوت السماوات والأرض ، ولذكر الله عند بروق الفجر وانتشار الضوء وظهور النور في الأفق، وهذه آية يذكر المؤمن فيها ربه.

هَال تعالى : وَسَبِحُ بِحَمْدِ وَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْقُرُوبِ ، وَمِنَ ٱلَّهْلِ فَسَبَّحَةُ وَأَدْبَازَ ٱلسُّجُودِ . (ق: ٢٩ - ٤٠).

أي: الذكر ربك في كل حين خصوصًا عند انبلاج الصبح قبل شروق الشمس وعند الأصبل قبيل الغروب و في ظلام الليل ورؤية النجوم ، وبعد الصلاة والسجود .

ويهذا يظلُّ قلب المؤمن متعلقًا بفضل الله فالذكر نعمة وتذكر.

قال تعالى: وَٱللَّاكِرِينَ ٱللَّه كَلِيرًا وَٱللَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مُعْفَرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا . (الأحزاب: ٣٠) .

في أعقاب الآية:

روى عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدود: صلاة الفجر، والأصال: مبلاة العصر، اهم،

وقد ورد في الصحيح : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة العصر وفي صلاة الفجر ، الرووا إن طلتم قول الله تعالى : إِنَّ لُرْعَانَ اللَّمِّرُ كَانَ مُشَهِّرُ قًا ا^{نتاق}ر (الإسراء : ٧٧) .

الأفضل في الذكر التوسُّط وعدم الجهر، وكذلك في الدعاء.

قال تمالي في الآية : وَ دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقُولِيرِ. يقال : رجل جهير الصوت ؛ إذا كان صوته عاليًا .

روى الشيشان عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: كنا في سفر مع النبي ، فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ؛ «أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إنكم تدعون سميمًا قريبًا وهو معكم» (١٠٠٠ ، وفي الأثر «غير الذكر الفضّ».

٢ . ٧ - إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكُبُّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُلُونَ .

إن الملائكة المقربين من الله تمالى ، لا يتكبرون عن عبادة الله ، وينزهونه عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه ، وله وحده يُسلُون ويسجدون فلا يشركون معه أحدًا .

وهذا تذكير بفعل الملائكة ؛ لنقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم .

إن العبادة وذكر الله عنصر أساسى فى منهج هذا الدين ، إنه ليس مجرد معرفة نظرية ، إنه منهج حركة واقعية ، ولذلك يحتاج إلى العبادة والذكر والصبر والسلوك والإيمان ، فإنها زاد الطريق إلى مرضاة الله رب العالمين ،وقد شرح الله لذا السجود عند تلاوة هذه الآية الأغيرة ؛ من سورة الأعراف أو عند سماعها: إرغامًا لمن أبى ذلك من المشركين ، واقتداء بالملائكة المقربين .

ومثلها آيات أخرى في القرآن مجموعها ١٤ آية : ينبغى للمسلم أن يسجد للتلاوة عند قرامتها أو سماعها . وقد كان النبى ﷺ يقول في سجود. التلاوة : «اللهم لك سجد سوادي ، ويك آمن فؤادي ، اللهم ارزقني عامًا ينفعني ، وعملا يرفعني، السم

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الأعراف

- ١ توجيد الله تعالى إيمانًا وعبادة وتشريعًا ، وصفاته وشئون ربوييته .
 - ٢ الوحم والكتب والرسالة والرسل.
 - ٣ -- الأغرة والبعث والجزاء.
 - أمول التشريع ويعش قواعد الشرع العامة .
 - ه آيات الله وسننه في الخلق والكون.
 - ٦ سننه تمالى في الاجتماع والعمران البشرى .

والحمد لله الذي ينعمته تتم المبالحات تم تنسير سورة الأعراف ويليها تنسير سورة الأنفال إن شاء الله

* * *



دروس من سورة الأنفال

أهبداف السبورة

من الأسباب المباشرة لنزول سورة الأنفال معالجة طنون حدثت بين المسلمين في غزوة بدر ، منها: كراهتهم للخروج إلى بدر حين دعاهم الرسول إلى الغروج وكراهتهم للقتال حين وصلوا إلى بدر وتحتم عليهم أن يقاتلوا .

ومنها: اختلافهم بعد تمام النصر في قسمة الغنائم.

ومنها: اعتلاف الرأى في معاملة الأسرى أيقيلون منهم القداء أم يقتلونهم ؟

وفى جو هذه الشئون عرضت السورة لما يجب أن يكون عليه المسلمون فى هاصة أنفسهم من جهة المتثال الأمر والإمالي و المسلمين والمسلمة والمطرمان الأعداء ، وتذكّر نعم الله عليهم ، والآداب التى يجب مراعتها أثناء القتال ، وفيما يتصل به ، من إعداد العدة ، والمحافظة على المهود ، وعلاقة بعضهم ببعض : حتى يكونوا أملاً لما وعدهم الله من النصر والتأييد ، وحتى يفوزوا بدرجات المففرة والرضاعات الله .

ولا يقهم من ذلك أن كرامة القتال كانت طابعًا عاماً ، بل كانت رغبة فريق قليل ونفر محدود كان يفضل الفنيمة والمصول على التجارة عن القتال ، لكن بقية الجيش كان على استعداد للتضحية والفداء ، وكان القرآن يوحد الهدف ويربعد الجميع إلى أن القتال أفضل ؛ لأن فيه انتصافًا للمؤمنين وإعلاء لكلمة الله، ويحرًا للطفيان وتصطيمًا لطوافيت الكفر وردعًا للمشركين ، وقد استشار النبي المسلمين قبل بدء المعركة هل يقدم على القتال ؟ أم يعود إلى المدينة ؟

فأدلى أبن يكن وعمر برأيهما ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن ممك والله لا تقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : لذهب أنت وريك فقاتلا إنا ماهنا قاعدون ولكن نقول: انصب أنت وريك فقاتلا إنا محكما مقاتلون .

ثم قال النبي ﷺ: وأشيروا على أيها الناس، الأحم فقام سعد بن مماذ زعيم الأنصار وقال: يا رسول الله، أمنا بك وصديدنا ومواثيقنا على السمع الله، أمنا بك وصديدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنمن معك فوالذي بعثك بالحق نبيًا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضتك لخصناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غذا ، إنا لمبير في الحرب ، صدق في الناس على الله يريك منا ما تقر به عينك ، وعندئذ أشرق وجه الرسول بالمسرة ، وقال لأصحابه : «سيروا

وأبشروا فران الله وعدنى إحدى المستيين العير أو التفير اء وقد فرت العير فلم يبق إلا النفير فسار المسلمون وكلهم أمل في النصر .

مسورمن معركة بدر

نزات سورة الأنفال في غزرة بدر ، وهي الموقعة الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، بل في تاريخ البشرية كلها إلى يوم الدين ، الموقعة التي قدر المسلمون أن تكون غايتها غنيمة أموال المشركين ، وقدر رَبُّ المسلمين أن تكون فيصلاً بين المق والباطل ، وأن تكون مفرق الطريق في تاريخ الإسلام ، ومن ثم تكون مفرق الطريق في خط سير التاريخ الإنساني العام ، والتي ظهرت فيها الآماد البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الفير، وتدبير رب البشر لهم واو كرموه في أول الأمر.

نزلت سورة الأنشال في غزية بدن فتضمنت الكثير من دستور السلم والمرب ، ودستور الفنائم والأسرى، ودستور الفنائم والأسرى، ودستور الفنائم والأسرى، ودستور الفنائم بتضمنها لأسباب النصر والهزيمة ، ولواجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ، ثم ترك الأمر بعد ذلك شه وما النصر الأسباب النصر والهزيمة ، ولواجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ، ثم ترك النفوس قبل المعركة وفي ثناياها وبعدها ، شها لعمد حيركات النفوس قبل المعركة وفي ثناياها وبعدها ، شهاده حد تعدد إلى المشاعر وقع المعركة ومورها وسماتها ؛ كأن القارئ براها . وإلى جوان المعركة المنازع براها . حين كانرا قليلاً مستضعفين في الأرض يشافون أن يتشطفهم الناس ، وصور من حياة المشركين قبل هجرة الرسول - همال الله عليه وسلم - من بين ظهرانيهم ومن بعدها ، وأمثلة من مصائر الكافرين من قبل - كان الفرعون والدين من قبلهم - والدأب : معناه : المصفة والشأن أي : أن شأن الكافرين واحد في تكذيب الرسول ، وستحقاق المقاب ، ويذلك نظرر السورة سنة الله التي لا تتفلف في نصر الدومينين وهذرية المكذبين .

الفتائم

لقد افتتح الله السورة بالصديث عن الأنفال ، وهى الفنائم التى يفنمها المسلمون في جهادهم لإعلام كلمة الله ، وقد تاربين أهل بدر جدال حول تقسيمها بعد النصر في المعركة فردهم الله إلى كلمته وحكمه فيها ، ردهم إلى تقواه وطاعته وطاعة رسوله واستجاش فيهم وجدان التقوى والإيمان ، ثم أخذ يذكرهم بما أرادوا هم الأنفسهم من الفنيمة وما أراده الله لهم من النصر ، وكيف سارت المعركة وهم قلة لا عدد لهم ولا عدة وأعداؤهم كثرة في الرجال والعتاد ، وكيف ثبتهم الله بعدد من الملائكة ، وبالمطر يستقون منه ويثبت الأرض تصت أقدامهم فلا تسوخ في الرمال ؛ وبالنماس يفشاهم ؛ فيسكب عليهم السكينة والاطمئنان ويلقي الرعب في قلوب أعداثهم وينزل بهم شديد العقاب . قال تعالى : إِذْ يُعَمَّيكُمُ ٱلتَّمَاسُ أَمَنَهُ مِّنَهُ وَيُتَوَّلُ عَلَيكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءُ كَيْفَهُرَكُم بِهِ وَيُلْهِبَ عَنكُمْ رَجْزُ ٱلضَّيْعَانِ وَلِيوْبِطَ عَلَى الله بكُمْ وَيُكْبَ به آلاَلْفَامَ (الأحدار ١١).

الصرب والسلام

تضمنت سورة الأنفال مراسة كاشفة وتصويرًا ملموسًا للمواقف الناجِمة والحروب الهادفة ، كما رسمت السورة -- مع سور أخرى في القرآن الكريم -- أسباب النصر في الميدان ، ومن هذه الأسباب ما يأتي:

١-- إخلاص النية والرغبة في الشهادة وإيثار الآخرة على الدنيا وتحمل تبعات الحرب وآلام القتال.

٢- الثيات في اللقاء وتذكر الله في العسر واليسر وعدم الفرار من الميدان وبذل النفس والنفيس في سبيل الله.

٣- إعداد العدة وتجهيز أدوات القتال والتدريب عليها مع وحدة الصف وتماسك القرى وترابط المقاتلين ،

التوكل على الله والالتجاء إليه بعد الأخذ في الأسباب وطاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على
 النظام وأحد المدر.

ه— البعد عن التنازع والاعتلاف في حال القتال وما يتعلق به ؛ فإن النزاع والملاف من أكبر الأسباب في إذهاب القوة وتمكين الأعداء .

وَلاَ تَتَازَعُواْ لَتَفْشَلُواْ وَتَلْعَبَ رِيحُكُمْ.

أي : لا تختلفها ؛ فإن الغلاف يؤدي إلى الضعف والهزيمة وضياع القوة والدولة .

 المدينة الإشامات والأراجيف ومصاولة اليأس والقنوط والقضاء على أساليب العدو وعلى الحرب النفسية التي يشنها رغبة منه في تثبيط الهمم والتيئيس من النصر.

* * *

ومن ثم يأمر الله المرمنين في سورة الأنفال أن يثبتوا في كل قتال مهما خيل إليهم في أول الأمر من قوة أعدائهم : فإن الله هو الذي يقتل وهو الذي يرمى وهو الذي يدبّر ، وما هم إلا أسباب ظاهرة لتنفيذ إر ر الدة الله .ويسَخْنَ القرآن من المشركين الذين كانوا قبل للموقمة يستفتحون ، فيطلبون أن تدور الدائرة على أَصْلُ الفريقين وأقطعهما للرحم فيقول :

إِنْ تَسْتَفْعِحُواْ لَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ .

ويحدر المسلمين أن يتشبهوا بالكفار والمنافقين الذين يسمعون بآذانهم ولكنهم لا يسمعون بقلويهم: لأنهم لا يستجيبون ولا يهتدون . ثم تدعى السورة المسلمين إلى الاستجابة لله والرسول إذا دعاهم لما يحييهم ولى خيل إليهم أن فبه اللقتل والموت ، وتذكرهم كيف كانوا قليلاً مستضعفين يخافون أن يتضلفهم الناس فأعزهم الله ونصرهم ، وأنهم إذا اتقوا الله : جمل لهم فرقانا من النصر الكامل ذلك فوق تكفير السيئات وغفران الذنوب وما ينتظرهم من فضل الله الذي تتضامل دونه المفانم والأموال .

وكما وضعت سورة الأنقال صفحة في كتاب الإسلام عن الجهاد، فإنها قابلتها بصفحة أهرى عن السلم لمن يجنح إليه ويختار الهدنة ، ويتضح لنا من السورة أن السلم هو القاعدة في الإسلام ، أما الحرب فطارئة لدفع الباطل وإقرار الحق ، ومن ثم يدعو الإسلام إلى السلم دعوته إلى الجهاد ، ويحافظ على العهد ؛ ما وفي به المعاهدون ويؤمّن المشالفين للإسلام في العقيدة من كل اعتداء غادر ، ويحصر الحروب في أضبيق نطاق تقضى به ضرورة تأمين السلم والحق والعدل ، ويَحدُ الناقضين للعهود من عالم الحدوان لا من عالم الإنسان .

يقول سيحانه وتعالى :

وَإِن جَنْحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْتَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . (الأنفال: ٦١)

والتمبير عن الميل إلى السلم بالمِنرح تعبير لطيف يلقى ظل الدمة الرقيق فهى حركة جناح يميل إلى السلم ويرخى ريشه في وداعة واطمئنان ؛ فإذا المِر من حوله طمأنينة وسلام .

وهناك حالة استثنائية واحدة هي حالة جزيرة العرب التي سيجيء في سورة براءة نبذ عهود. النشركين فيها جميعًا وتطليصها من الشرك كافة : لتكون موطئًا خالصًا للإسلام .

ميضات المذينين

تعرضت سورة الأنفال لبيان صفات المؤمنين كما ورد تحديد هذه الصفات في أول سورة البقرة وأول سورة المؤمنين ، وفي سورة الفرقان ، وفي كلير من السور .

وإذا استرعبنا هذه الآيات وجدناها تدور حول تحديد المؤمن -- الذي يريده الله - بمن يجمع بين سلامة العقية وسلامة الخلق ، وصلاح العمل ، ويمن يكون في ذلك كله مثالاً صادقًا وصورة مسيحة لأوامر الله وإرضاداته .

وقد وصف الله المؤمنين في سورة الأنفال بخمس صفات هي: وجل القلوب عند ذكر الله ، وزيادة الإيمان عند تلاوة آياته ، والتوكل على الله وحده ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق مما رزق الله . ثم بين أنهم بهذه الصفات يكونون أهل الإيمان حقا وأن لهم عند الله درجات عالية في الجنة . فالمؤمن حقًا يراقب مولاه ، ويرجو رحمته ، ويخشى عقابه ، ويخشع عند تذكر آياته ، وهو في خشوعه وخضوعه وعبادته مخلص القلب ، ثابت البقين .

ومن صفة المؤمن زيادة إيمانه ورسوخ عقيدته عند تلاوة القرآن وتدبر آياته ، ومحرفة أحكامه وأسراره ، كما أن إقامته للصلاة وأداءه للزكاة ، وعمله بمقتضى هذه الإيمان سلوكًا وتطبيقًا ، مما يزين الإيمان في القلب ويزيده ثقة ويقيئًا .

فالصلاة في حقيقتها مناجاة ومناداة ومضوح وخضوح وقراءة ودعاء . ومن ثمرتها: طهارة المؤمن من الفحشاء والمنكر وتهذيب الغرائز وتقويم السلوك وتربية الضمير . والزكاة فيها تكافل المجتمع وترابط الأغنياء والفقراء .

وفي سررة الأنفال حث على الإنفاق من كل ما رزق الله وهو يشمل - كما فصلًا الفقهاء - زكاة الأموال وزكاة الزروع واللمار وزكاة الماشية وزكاة الركاز وكل ما يستغرج من باطن الأرض ، وزكاة التجارة ، ولا نكاد نجد آية عرضت للمسلاة إلا وتذكر الإنفاق في سبيل الله ، كما أنا لا نكاد نجد آية تعرضت لأوصاف العربدين وتهملهما أو تهمل أحدهما .

فقد جعل الله إقامة المسلاة مثالاً ليذل النفس في سبيله وجعل الإنفاق مثالاً لبذل المال في سبيله .

ويذلك يتسم الإيمان بطابع تهذيب النفس وطهارة القلب ، كما يتسم بأنه دائم عملى إلى السلوك النافع والعمل الممالح الذي يؤدى إلى إصلاح المجتمع وتماسك الأمة وتقوية روابط المودة والرحمة والألقة بين الناس .

تداءات إلهية للمؤمنين

أخذت سورة الأنفال تنادئ العرمنين ست مرات بوصف الإيمان ، في الفداء الأول : تأمرهم بالثبات في المداء الأول : تأمرهم بالثبات في العيداب في المدان والشجاعة في القتال ، وتنهامم عن الفرار من المعركة وتتوعد الفار من مدان القتال بعذاب السعون وغضب الله العلى القدير ، واقعاء الثاني : يشتمل على الأمر بطاعة الله ورسوله ، وقد امتثل المسلمون لذلك الأمر فانقادوا لأحكام الله وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، وهذا الطريق هو طريق النصر للسابقين واللاحقين:

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ أَطِيعُواْ آللهُ وَرَسُولُهُ . (الأنهال: ٧٠)

و الغذاء الغائث : الاستجابة نقا وللرسول وتغليب أمرهما على كل ما سواهما من أوامر وفى الحديث الشريف : «ثلاث من كن فيه : وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب العرم لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار» ٩٠٠٩. النداء الرابع: دعوة إلى ترك الشيانة والبعد عن إنشاء أسرار الأمة :

يًا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ لاَ تَحُونُواْ آلَهُ وَٱلرَّسُولَ وَتَحُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَلْتُمْ تَعْلَمُونَ . (الأنفال: ٢٧)

البنداء الخامس: دعوة إلى تقوى الله في أحكامه وسننه وبيان أن التقوى شجرة مثمرة ، وأعظم ثمارها النور الذي يبصر مساحبه بالحق والعدل وطريق الصلاح والهدى .

النداء السادس: يأمر بذكر الله وتلاوة كتابه وينهى عن الفرقة والتنازع والاختلاف ويحث على الصبر والتمسك بالوحدة والجماعة ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ إِذَا لَقِيعُمْ هِنَّهُ فَالنَّتُواْ وَاذْكُرُواْ آفَةً كَثِيرًا لَمَلَّكُمْ تُغْلِحُونَ . (الاندال: ٤٥)

* * *

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَتَفَالِ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ بِقِواَلرَّسُولِ فَاتَقُواْ الله وَاصْلِحُواْ ذَاتَ يَنْفِكُمْ وَالْمِيمُواْ الله وَاصْلِحُواْ ذَاتَ يَنْفِكُمْ وَالْمِيمُواْ الله وَرَسُولُهُ وَانَّهُ وَاللهِ وَالرَّسُولِ اللهِ وَالْمَيْمُ وَاللهِ وَاللهِ وَالْمَيْمُ وَاللهِ وَاللهِ وَمَا اللهِ وَاللهِ وَمَا اللهِ وَاللهِ وَمَا اللهِ وَاللهِ وَمَا اللهِ وَاللهِ وَمَا اللهِ وَمَا اللهُ وَمِنْ اللهُ وَمَا اللهُ وَمَنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ ا

المفردات :

الأنسط من الغنائم وإحدها: نقل بتحريك الفاء، وقد تطلق على ما يعطى زيادة على السهم من المغنم. فعالمقوا السفه ، فأجعلوا لأنفسكم وقاية من عقوبة الله تعالى بالإيمان والعمل المسالح.

واسلحوا ذات بينكم ، وأصلحوا الأحوال التي بينكم بالمساواة والمساعدة ، وقال الزجاج: معنى ذات بينكم: حقيقة وصلكم ، والبين: الوصل أي: فاتقوا الله وكرنوا مجمعين على ما أمر الله ورسوله.

وجنات قبلويهم: خافت وفزعت.

زادتهم إيمائه تصديقًا ويقيدًا .

يت وكاون، يثقون بالله لاغيره.

التفسير

١- يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالَ ۗ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ أَهُ وَٱلرَّسُولِ ... الآية .

سبب النزول ،

روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول اللهﷺ لكى لا يمديد العدو منه غَرَة ، حتى إذا كان الليل وفاه الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم: ندن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق منا ندن نفينا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا ندن أحدقنا برسول الله ﷺ مفافة أن يصيب العدو منه غرة فاشتقلنا به ؛ فنزلت : يُسْئُونَكُ عَنِ ٱلأَشَالِ ۚ قُلُو آلَاَشَالُ فَ وَآلَوْسُولِر ... فقسمها رسول الله – ﷺ - بين المسلمين (١٠٠٠).

وهناك روايات أخرى تفيد أن نزاعًا ما ، قد ظهر بين المسلمين حول ترزيع الغناكم فأنزل الله هذه الآيات لبيان حكمه فيها .

والأنفال: جمع نقل وهو الزيادة ، وإذا قيل للتطوع: نافلة؛ لأنه زيادة على الأصل ، وقيل لولد الولد: نافلة ، لأنه زيادة على الولد . قال تعالى: وُوَجِّنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَهُفُوبٌ لَالِفَّةُ . (الأنبياء ٧٢) .

وإطلاق الأنشال على الغنائم باعتبار أنها زيادة على ما شُرح الجهاد لـه ، وهــو إعـلاه كلمة الله ، أ. باعتبار أنها زيادة هص الله بها هذه الأمة .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «أعطيتُ خمسًا لم يعطهنَ نبى قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لنبى قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأعطيت الشفاعة ، وأرسل كل نبى إلى قومه خاصة ويعثت إلى الناس عامة " (١٠٠٠).

وجمهور العلماء على أن المقصود من سؤال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ – أي : الفتاكم – إنما هو عن حكمها وعن المستحق لها .

فيكون المعنى: يسألك بعض أصحابك ها محمد عن غنائم بدر كيف تقسم ومن المستحق لها ؟ قل لهم: الأنقال شد يحكم فيها بحكمه ، ولرسوله يقسمها بحسب حكم الله فيها ، فهو سبحانه العليم بمصالح عباده، المكيم في جديم أقراله رأفماله .

ويعض العلماء يرى أن السؤال للاستعطاء ، وأن حرف «عن» زائد ، أو هو بمعنى من ، فيكون المعنى: يسألك يعض أصحابك يا محمد إعطاءهم الأنفال ، ويطلبون منك توزيح الغنائم عليهم .

وقد رجح جمهور العلماء أن السؤال هذا للاستفهام عن حكم الأنفال وعن طريقة توزيعها ، وذكر الألوسي في تفسيره طائفة من الأمور ترجح رأى جمهور العلماء .

وقد ورد في أسباب النزول روايات تفيد أن الشباب سارعوا إلى قتال الكفار ، وأن الشيوخ وكبار السن وقفوا تحت الرايات ردمًا يعونًا أشهه بالخط الثاني للمقاتلين . وأن الشباب كانوا يرون أنهم أولى بالغنائم؛ لأنهم باشروا القتال ، والشوح يرون أن لهم حقًّا يماثل حقّ الشباب ؛ لأن الشباب لو انهزموا لانحازوا للشيرخ وصار الشيوخ حماية وعونًا للشباب ، وكان النبى على الشباب أنه الشباب المقاتل يستحق أن يغنم غنيمته من الكافر الذي قتله ، فظن الشباب أن هذا يجعلهم يستولون على الغنائم وحدهم .

ثم بين الله تعالى حكمة ترزيع الغنائم على جميع جيش المسلمين سواة الشباب الذين باشروا القتال، أو الشيوح الذين كانوا عرباً وردءًا ، أو المجموعة التي تجصنت لحماية الرسول ﷺ والدهاع عنه ، فكل فئة كان لها ضلع في نجاح المعركة .

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

فإن قلتَ : ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله : قُل ٱلأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

قلت : معناه : أن حكمها مختص بالله ورسوله ، يأمر بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ، ويمتثل الرسول أمر الله فيها ، وليس الأمر فى قسمتها مفوضًا إلى رأى أحد ، والمراد: أن الذى اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله ، أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات ، فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم ، فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحابً

فَاتَّقُواْ آلَهُ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ يَيْدِكُمُّ وَأَطِيعُواْ آللهُ وَرَسُولَهُ إِن كُتُم مُّولِيينَ .

أى: إذا كان أمر الفنائم شه تعالى ورسوله ، فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والامتلاف الموجب لسخط الله تعالى ، أو فاتقوه تعالى فى كل ما تأتين وتذرون من النيات والعقائد والأعمال .

وَأُصَّلِهُواْ ذَاتَ يَسِّكُمُ ۗ . أى : وأصلحوا ما بينكم من الأحوال والصلات التى تربط بعضكم ببعض وإصلاحها بالوفاق والتعاون والمساواة وترك الأثرة : لأن إصلاح ذات البين واجب ، يتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها ، وتحفظ به وحدتها .

وَأَهْبِهُواْ ٱللهِ وَرَسُولُهُ إِن كُتُم مُّوْمِينَ . أي : الزموا طاعة الله وطاعة رسوله طاعة مطلقة وتسليمًا مطلقًا فذلك هو شأن المؤمنين ؛ إذ لا إيمان بغير طاعة وتسليم .

وفي التعبير بقوله : إِن كُتُم مُّولِينِينَ . تنشيط للمضاطبين وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال .

عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : «فينا معشر أصحاب بدر ، ززلت حين اختلفنا في النقل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه عن بواء – يقول على السواء» (١١١).

وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسموا غنائمكم بالعدل.

ولا يقهم من ذلك أن الاختلاف على الغنائم كان أمرًا عامًّا شمل جميم المسلمين ، بل كان بين فئات منهم ، وكانت هذه أول غزوة ولم يكن قد نزل حكم بشأن الفنائم ، فأنزل الله كتابة الكريم ليبين لهم أن الغنائم الله سبحانه يحكم فيها بما يشاء، ورسوله مبلغ عن الله، وعلى المسلمين أن يراقبوا ربهم وأن يعودوا إلى طريق المودة والمعبة والصلح ؛ فإن كمال الإيمان يدور على امتثال هذه الأوامر.

وقد عاد المسلمون فعلاً إلى الإيمان والتسليم ، ووزع رسول الله ﷺ الفنائم بين جميع من شهد بدرًا من الشباب والشيوخ ، ومن جمع الفنائم ومن انشغل بأي أمر آخر ، فالكل كان يؤدي واجبه بطريقة مًا ، ولا غنى لأحد فيهم عن الآخر.

وقد أتم الله التشريم في شأن الفنائم ، بالآية ٤١ من سورة الأنفال ، وفهها بين الله تعالى أن الفنائم تقسم إلى خمسة أخماس ، خمس لليتامي والمساكين وابن السبيل ، والأربعة أخماس الباقية من الغنيمة تقسم على الغائمين الذين حضروا المعركة.

قال تعالى: وَاغْلَمُواْ أَلْمَا غَيِمْعُم مِن هَيْءِ فَأَنْ فَهُ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْتَفَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَأَأْن ٱلسِّبيلَ إِن كُنتُمْ وَامَنتُم بِآلَةُ وَمَا أَلزَلْنَا عَلَى عَبْلِنَا يَوْمَ ٱلْفَرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْبَعْمَانِ وَٱللهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ لَلبِيِّر.

قال الشاشي: إن الفمس يقسم على خمسة ، وإن سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف في مصالح المرَّمنين، والأربعة الأحماس على الأربعة الأصناف المذكورة في الآية.

وقال أبو حنيفة: إنه يقسم الشمس على ثلاثة : لليتامي والمساكين وابن السبيل ، وقد ارتفع حكم قرابة رسول الله على بموته كما ارتفع حكم سهمه .

٧- إِلَمَا ٱلْمُوْمِنُونَ ٱللَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتَ قُلُومُهُمْ وَإِذَا تُلِيَّتْ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَعَلَى رَاهُمْ يَتَوْكُلُونَ. هذه الآية تحريض على التزام طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ فيما أمر به من قسمة الغنيمة . ومعنى الآية :

إنما المرُّمنون الصنادقون الذين إذا ذكر الله وذكرت صفاته أمامهم ؛ شافت قلوبهم وفزعت، استعظامًا لجلاله ، وتهيياً من سلطانه ، وحذراً من عقابه ورغبة في ثوابه ؛ وذلك لقوة إيمانهم وصفاء نفوسهم ، وشدة مراقبتهم فله عز وجل ووقوقهم عند أمره وتهيه .

وَإِفَا تُلِيَّتُ عَلَهُمْ مَايَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا. أَي: ومن صفات المؤمنين أنهم إذا قرئت عليهم آيات القرآن أو الأدلة على رجود الله ؛ قرى إيمانهم وتصديقهم وتيقنهم بريهم ، ، ونشاطهم في أعمالهم وُعَلَى رَبِّهِمْ يَعَرَّكُونَ.

فهم يعتمدون على الله ، ويقوضون أمورهم إليه ويتوجهون إليه بالدعاء مع الأخذ بالأسباب وعدم تركها ، ومراعاة سنن الله في الكون التي لا تتبدل ، ولا تتفير ، ومن تركها ؛ كان جاهلاً مؤاخذاً .

ويتعلق بهذه الآية ما يأتي :

إ - جمهور العلماء: على أن الإيمان يقبل الزيادة والنقص، وهو مذهب الجم النفير من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين، وذهب الإمام أبو حنيفة وكثير من المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واختاره إمام
الحرمين، محتجين بأنه اسم التصديق البالغ حد الجزم والإذعان، وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان.

وإذا تأملنا الأمر؛ وجدنا أن رأى جمهور العلماء فى هذه المسألة أولى بالقهول؛ لأنه من الواضع أن إيمان الأنبياء عليهم المسلاة والسلام ، أرسع وأقرى من إيمان آحاد الناس ، ولأنه كلما تكافرت الأدلة؛ كان الإيمان أشد رسوحًا فى النفس ، وأعمق أثرًا فى اللال .

جاء في تفسير أبي السعود ما يأتي :

واكثهُمْ إِكَالًا. أي : يقيدًا وطمأنينة نفس ، فإن تظاهر الأدلة وتعاشد المجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة الهقين ، وقيل : إن نفس الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما زيادته باعتبار زيادة العرفين به ، فإنه كلما نزات آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عددًا وأما نفس الإيمان فهو بحاله، وقيل : باعتبار أن الأعمال تجعل من الإيمان فيزيد بزيادتها ، والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة ، وهي التي عبر عنها بالزيادة ، للفرق الواضح بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ، ويقين آحاد الأمة، وعليه مبنى ما قال على رضى الله عنه : لو كشف الفطاء ما ازددت يقينا ، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد ، وما قامت عليه أدلة كثيرة ٥١٥ .

- قال الإمام التووى: إن كل أحد يعلم أن ما فى قلبه يتفاضل حتى يكون فى بعض الأحيان أعظم يقينًا
 وإخلامًا منه فى بعضها ، فكذا التصديق والمعرفة يتفاضلان بحسب ظهور البراهين وكثرتها .
- ٣ قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبُّ أَرِنِي كَيْفَ تُسْخِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تَقْيِن قَالَ بَلْي وَلَكِن لِيُطْمَيْنَ قَلْنِي (البقرة: ٢٩٠).
 فهذه الآية دليل على أن مقام الطمأنينة في الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق وشبيه بهذه الآية في الدلالة على قبول الإيمان للزيادة والنقصان قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِينَ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُولِينِينَ لِيزْدَادُواْ إِيمَانًا مَّعْ إِيمَالِهِمْ . (الفتع : ٤) .

وقوله تعالى:

وَلَمْنَا رَمَا ٱلْمُوْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَلَمَا مَا وَعَلَنَا أَلَهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَى آلَهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتُسْلِمُنَا (الأحزاب: ٢٧)

٣ - ٱلَّذِينَ يُقِيمِونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَّلْتَاهُمْ مُنفِقُونَ . في هذه الآية استكمال للصورة الكريمة للمؤمن .

فلا يكتمل إيمانُ المرَّمن حتى يقيم الصلاة على وجهها ويؤديها في خشوعها وخضوعها ، ولا يكمل إيمانه حتى يكون مع إقامة الصلاة – من المنققين منا رزقهم الله في وجوه البر والإحسان .

وقد تحدث العلماء عن المسلاة وخشوعها وخشوعها ورجوب حضور القلب فيها حتى يكون أمارها. كاملاً كما تحدثوا عن فرضية الزكاة ، وعن فضل المعدقة والإنفاق والعطاء .

وقد قرنت المسلاة بالزكاة في كثير من أيات القرآن ، فالمسلاة وسيلة لطهارة القلب وتعميق الإيمان، والإنفاق في سبيل الله وسيلة للعطف على الفقراء والمساكين ومساعدة المحتاجين وتسفير المال فيما علقه الله من أجله . قال تعالى : وَأَلْهُمُ وا مِنَّا جَمَعَكُمُ مُّسْتَعْلَقِينَ فِيهِ .

والصفات السابقة كلها متكاملة تؤدي إلى شخصية سويه ونفس مطمئنة وقلب عامر بالإيمان.

الْوَلِيكَ هُمُ ٱلْمُولِمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبُّهِمْ وَمَشْلِرَةٌ دَرِدْقٌ كَرِمٌ .

أى : أولئك الذين ذكرت صفاتهم المميدة ، هم المؤمنون حيث جمعوا بين أفاضل الأعمال القلبية ، وأعمال الجوارح .

وفي التعبير بقوله تعالى: أَوْلَهُكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًا .

إشارة إلى علو مكانة أولئك المؤمنين المتصفين بتلك الصفات ، وانحصار الإيمان فيهم حتى كأن من سواهم ليسوا بمؤمنين ؛ لأن الإيمان بالا ثمرة ، هو والعدم سواء وقوله : حَقًّا . منصوب على أنه صفة لمصدر محدوف ، أى : أولئك هم المؤمنون إيمانًا حقًّا .

لُّهُمْ دُرَجَاتٌ عِندَ زَبُّهُمْ.

أي: لهم درجات عالية ومنازل عالية من الكرامة والزلفي والمنازل العالية في الجنة.

وقوله: عِندُ رَبُّهِمْ. إشارة إلى أن هذا الوعد متيقن الوقوع؛ لأنه وعد من كريم لا يخلف وعده. سبحانه!

وَمُطْوِرٌةٌ وَرِدْقٌ كُومٌ، أَى : مَعْفَرة لذنويهم وعطاء كريم لا يتقضى أمده ولا ينتهى عدده ، وهو ما أُعد لهم في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر والكريم من كل شيء أحسنه .

تعليقات

- هذه الآيات الكريمة في فاتحة سورة الأنفال تربية ريانية للمؤمنين ، وتوجيه لهم إلى ما يسعدهم،
وإرشاد لهم إلى أن المؤمن الصادق في إيمانه هو الذي يجمع بين سلامة العقيدة ، وسلامة الطاق
وصلاح العمل وأن المؤمن متى جمع بين هذه الصفات ارتفع إلى أعلى الدرجات وأحس بحلاوة الإيمان
في قليه...

روى المافظ الطبراني عن المارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: كيف أصبحت
يا حارث ؟ قال أصبحت مرّمنا حدًّا، فقال له الرسول ﷺ: انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة
إيمانك ؟ فقال الحارث : عزفت نفسى عن الدنها ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش
يبها باريًا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها فقال ﷺ:
يا حارث ، عوفت فالزع و ثلافًا (١٩٠٩).

٧ – من سنة القرآن الكريم في ذكر القصم والوقائع أنه لا يمرض لها مرتبة حسب وقوعها وذلك لأنه لا يذكرها: لما فيها من العبر والمواعظ، ولما تتطلبه من الأحكام ولذلك لم تبدأ سورة الأنفال بالصديث عن الغزوة ، وإنما بدأت بالحديث عن الأنفال مع أنها أمر لاحق الغزو والجهاد! لأن القرآن أراد أن يتجه مباشرة إلى تربية العرميين ، وعلاج الفلاف الذي حدث بسبب الفنائم ، وتوجيه القلوب إلى الإهلام فله والتجدد من حب المال والتطلع إلى المادة ، ولا ريب أن حب المال والتطلع إلى المادة ، والضعف أمام إغراء المال من أكبر أسباب الفشل ، لقد كانت تربية القرآن تربية سليمة في تطهير الروح ، وترجيه النفوس إلى التكامل والتوازن والسلوك القويم .

﴿كَمَا أَخْرَجُكَ رُنُكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِ وَلِنَّا فَرِيقَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُوهُونَ ۞ يَجَدِدُلُونَكَ فِ الْحَقِّ بَعْدَكُمَ النَّبُنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمُوْتِ وَهُمْ يَظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَمِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّابِهَنَا إِنَّا الْمُكُمِّ وَقَوْدُوكَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُوثُ لَكُو وَيُويِدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقِّ بِكِمْنَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرُ الْكَفِرِينَ ۞ لِيُحِقِّ الْمُقَّ وَبُهُلِلَ الْبَطِلَ وَلَوْكُوهُ الْمُجْرِثُونَ ۞﴾

المفردات د

كمالغرجك ربك من بيتك، أي : أخرجك من بيتك بالمدينة إلى بدر.

ي الحسنة ، أي: بالحكمة والصواب.

يحسادات وتك، يراجعونك.

هنا: القتال وسيأتي بيانه

إحدى الطائفتين، العير أو النفير.

غير ذات الشوكة: الشوكة: الشدة والقوة ، ويقال: السلاح ، وغير ذات الشوكة: العير التي ليس فيها قتال .

يحسق الحسق : يظهره ويعلنه . يكسف السه : بأمره لكم بالقتال أن بوعده لكم بإظهار الدين وإعزازه .

M. Mr. b. 4

المستحدة الوحق اليظهر الإسلام . ويبيطن الباطن المراد بإيطال الباطل : أن لا يجعل له شركة .

ويبيعس اسب

التفسيره

ه- كَمَّا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن يَشِيكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ .

تتحدث هذه الآية مع آيات تالية عن خروج المسلمين إلى غزوة بدر الكبرى .

وكان رسول الله ﷺ قد علم أن تجارة قريش في طريق عوبتها من الشام ، وستمر قريبًا من المدينة فقال عليه المسلاة والسلام الأمسحابه : هذه عير قريش اخرجوا إليها علّ الله أن ينظكموها ، فخف بعض الناس للخروج مع الرسول ﷺ وتالل بعضهم لطمهم أن الرسول ﷺ لن يلقى حريًا ، فالتجارة يحيط بها حراس قليلون ، وخرج عليه الصلاة والسلام في ثلاثمائة وأربحة عشر رجلاً معهم فرسان فقط ، وسبعون بعيرًا يتعاقبون عليها ، ويلغ أهل مكة خير خروجهم ، فنادئ أبو جهل فوق الكعبة : يا أهل مكة ، النجاء النجاء على كل صعب وذلول ، عيركم أموالكم إن أصابها محمد : لم تظحوا بعدها أبدًا ، فضرج أبو جهل يجمع أمل مكة ، فقيل له : إن العير أخذت طريق الساحل وتجت فارجع بالناس إلى مكة فقال: واللات والمرَّى لا يكن ذلك أبدًا حتى ننحر المجزو ونشرب المعمر ونقيم القينات والمعازف بهدر ، فيتسامع جميع العرب بخروجنا ، وإن محمدا لم يصب العير ، وإنا قد أهفناه فعضى يهم إلى بدر ، وهى قرية في الطريق بين مكة والمدينة على مقربة من المدينة ، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد : إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير ، وإما النفير — أى مشركي مكة – فاستشار النبي الله المعيد أحد الله قال: ما تقولون ؟ إن القوم قد خروجوا من مكة ، فالعير أحب إليكم أم النفير .. ؟ فقالوا : بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فتغير وجه

ثم رد عليهم فقال: «إن العبر قد مضت على ساحل البحر ، ومذا نفير قريش قد أقبل» ، فقائوا:
يا رسول الله ، عليك بالعير ودع العدو، فقام أبو بكر فقال وأحسن ، وبكلم عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد
ابن عمرو رضى الله عنه فقال: يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فإنًا معك حيثما أحببت ، لا نقول لك كما
قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : المب أنت وريك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . ولكن المها أنت وريك
فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فوالذى بمثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ؛ لجالدنا معك من دونه حتى
تبلغه ، فقال له ﷺ خيرًا ودعا له . ثم قال : «أشيروا على أيها الناس» (٢٠٠٠ – وهو يزيد الأنصار – فقام سعد
بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله . قال : أجل ، قال: أمنا بك، وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو
المقر، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة .

خامض با رسول الله لما أربت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وإنا لعمبر عند الحرب ، مسنق عند اللقاء ، ولعل الله بريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ففرح رسول الله على وسره قول سعد ابن معاذ ثم قال : وسيروا ، وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارح القومه ثم دارت رحى المعركة وانتصر المؤمنون ، وهزم المشركون .

كَمَا ٓ أَخْرُجَكَ رَبُّكَ مِن يَنْعِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ .

هنا تشبيه بين حالين ، حال المسلمين في مواجهة العدو ، بعد أن دارت رموسهم وإضطريت قلويهم . وحالهم في الغنائم بعد أن اختلفت آراؤهم فيها ، وإضطريت مشاعرهم حيالها . وانظر كيف أمسكت كلمات الله بكل خالجة كانت تختلع ^أفي نقوس القرم هنا وهناك في مواجهة العدو ، ثم في مواجهة الغنائم .

قال الم د في معنى الآية :

الأنفال ثابتة لله ورسوله وإن كرهوا ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا .

و قال غيرة: امض لحكم ريك في الغنائم وإن كرموا ، كما مضيت لأمر ريك في الغروج من البيت لطلب العبر وإن كرموا .

و ذكر د. محمد سيد طنطاوي : إنَّ معنى الآية:

حال بعض أمل بدر في كراهتهم تقسيك الفنائم بالسويّة ، مثل حال بعضهم في كراهة الغروج للقتال مع ما في هذه القسمة والقتال من خير، ويركة .

والملاحظ أن الله تمالى أضاف خروج النبى من بيته إليه سبحانه أى: أن الخروج إلى بدر كان بأمر الله وتوجيهه ، حتى يخرج المسلمين خفافًا للقاء العير ، ثم تقلت العير ، ويقف المسلمين حجبًا لوجه أسام النفير ، وهو حرب المشركين ، وقد كانها يكرهون ذلك في أول الأمر ؛ لأنهم خرجرا للعير ، وأراد الله أن تفلت العير ، حتى تتم المواجهة ويتم الاستعاد للحرب ، ويتم إخلاص النبة ، والامتثال لأمر الله .

وتلمظ أن الخروج بالحق أى: أغرجك الله إغراجاً متنبسًا بالحق ، الذى لا يحوم حوله باطل ، والبيت. الذى خرج منه الذى ﷺ هو بيته فى العدينة ، أن هى العدينة كلها ، فقد تحولت من يشرب إلى مدينة الرسول ﷺ ، بعد أن نظمها وغططها وأتم إعمارها ، وأشاع فيها الأمن والنظام ومعارت العدينة دار الإسلام فقال ﷺ : وإن الإسلام ليأرز إلى العدينة كما تأرز الحية إلى جحرهاء (***).

قال الشوكاني :

يذكر الله في هذه الآية وما يحدها: أن الفضل في النصر في غزوة بدر إنما هو الله تعالى ، ولذا فالفنائم له ولرسوله ، ومن ذلك أنه أخرجهم من المدينة لحرب المشركين ، وأكثرهم كارهون ، وصرفهم إلى قتال جيش الكفار وكان أكثرهم لا يريدون ، وأحدهم بالملائكة إلى غير ذلك مما توضعه السورة .

وقال الآلوسي: وقوله : رَإِنَّ فَهِيفًا مَنَ الْمُوسِينَ لَكَارِهُونَ . أي: للغروج ، إما لعدم الاستعداد ، أو الميل للغنيمة ، أو للنفرة الطبيعية عنه ، وهذا مما لا يدخل تمت القدرة والاختيار ، فلا يرد أنه لا يليق بمنصب المحماية ، والجملة في موضع الحال، وهي حال مقدرة ؛ لأن الكراهة وقعت بعد الخروج ..

٣- يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْمَحَقِّ بَعْدَما تَبَيْنَ كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى ٱلْمُؤْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ .

المعنى: براجمونك فى الحق – وهو لقاء النفير – أى: جيش العدو – ويؤثرون عليه لقاء العير للاستيلاء على تجارتهم بُغَدًا ما بُيِّنَ . من بعدما أخبرتهم أن النصر سيكون حليفهم ، فقد وعدهم الله إحدى الحسنيين: المير أن النفير، وقد فرت المير فلم يبق إلا النفير ، لكن نفوس بعض الصحابة كانت قد تعلقت بالاستيلاء على المير وفضلت ذلك على القتال ، فلما فرض القتال ، وصار هو الغيار الوحيد ، كرهوا القتال كراهة من يساق إلى الموت سرقا لا مهرب منه ، وهو ناظر إليه بعينه ومشاهد لأسهابه .

وهي قوله تعالى : كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ .

تصوير معجز، لما استولى على هذا الغريق من عوف وفزع من القتال بسبب للله عَدهم وعُددهم، وفيه بيان لفضل الله على هذه الفنة المؤمنة ، كيف من الله عليها بالإيمان ؟ ودريها على الشجاعة والتضمية والغداء ، فانتصرت عليها نفسها ، وتخلصت من الخوف وكراهية القتال ، ثم صبارت بعد ذلك تحارب أضعافها من الكفار ، وتنتصر عليهم بفضل الله تعالى ، كُم مِّن فقة لَلْبِكَ فَلْبَتْ شَدَّ كَلِيزَةً بِلَّذِيّ آهُ وَآلُهُ وَآلُهُ مُعَ ٱلصّابِرِينَ .

ويقول الله سبحانه وتعالى ممتنًا على عباده المؤمنين.

وَآذَكُووْاْ إِذْ اَلْعُمْ قَالِيلٌ مُّسْمَطْمَعُونَ فِي آلاَرْضِ وَخَالُونَ أَنْ يَتَعَطَّقُكُمُ آلثاسُ فَآرَاكُمْ وَأَيْدَكُم بِمَصْرِهِ وَرَزَقُكُم مَّنَ آلطَّيْهَاتُ تَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ . (الانطال: ٣٧) .

وَإِذْ يَشِدُكُمُ آلَا إِخْدَى ٱلطَّائِفَتْنِ أَلْهَا لَكُمْ وَتَوْلُونَ أَنَّ هَنْنَ ذَاتِ ٱلشَّوْ كَذِ كُونُ لَكُمْ وَأَوْلِهُ أَنْ يُعِينُ ٱلْحَقْ
 بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَعُ دَائِز ٱلْكَافِينَ .

هذا كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين مع ما هم فيه من الجزع وقلة الحزم.

جاء في تفسير أبي السعود :

أَنَّهَا لَكُمْ .

بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي : يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيها كيف شتتم . ١ هـ .

والطائفتان: هما العير أن النفير ، أي : طائفة أبى سفيان ومعها التجارة ولم يكن فيها إلا أربعون فارسًا ورأسُهم أبر سفيان ، وطائفة النفير والحرب ورئيسها أبو جهل ، وهم ألف مقاتل والمراد بدات الشوكة: النفير، والشركة في الأصل : واحدة الشواك وهو النبات الذي له حدثم استعيرت للشدة والمدة ، ومنه قولهم : رجل شائك السلاح أي : شديد قوي .

والمعنى: واذكروه -- أيها المؤمنون – وقت أن وعدكم الله على لسان رسوله ﷺ بأن إحدى المائفتين لكم وهي العير أو النفير، وأنتم مع ذلك تودون أن تظفروا بالطائفة للتي ليس معها سلاح وهي العير : وُيُريلً آلهُ أَنْ يُوحِّيُّ الْحَقِّ بِكُلِمُ اللهِ وَيُقَطَعُ نَابِرُ ٱلْكَالِرِينَ . يريد الله أن يستدرجكم إلى القتال وفيه العزة والكرامة لكم ، وفي هذا القتال يظهر الله الدق ، ويعليه بآياته المنزلة على رسوله تبشر بالنصر ، ويإنزال الملائكة ، ويقضائه الذي لا يتخلف بمعونة المؤمنين وهزيمة المشركين، وقطع دلبرهم .

والدابر : التابع من العلف ، يقال دير فلان القوم يدبرهم ديوزً) ، إذا كان آخرهم في المجيء ، والمواد: أنه سيحانه يريد أن يستأصلهم عن آخرهم .

قال أبو السعود :

والمعنى: أنتم تريدون سفاسف الأمور والله يريد معاليها ، وما يرجع إلى على الكلمة وسمورتبة الدين وشتان بين المرادين .

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وَيُو يِدُ آللَهُ أَن يُحِقُّ ٱلْحَقُّ بِكُلِمَاتِهِ ...

يعنى أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور ، وإن لا تثلقوا ما يرزوكم فى أبدائكم وأموالكم ، والله عزو جل يريد معالى الأمور ، وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الدق ، وعلو الكلمة والفوذ فى الدارين، وختان مابين المرادين ، ولذلك المتار لكم الطائفة ذات الشوكة ، وكسر قوتهم بضعفكم ، وغلب كثرتهم بقلتكم، وأعزكم وأذلهم ...

٨ - إيْجِق ٱلْحَق وَيُهْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ .

قال الشوكاني:

ليثبت الإسلام في الأرض ويعلى بنيانه ، ويمحق الشرك حتى يبطل وينتهي . وَلَوْ كَرِهُ ٱلْمُخْوِمُونُ . هم المشركون من قريش أن جميع طوائف الكفار ؛ لأن كراهيتهم لاونن لها ولا تعويل عليها .

وليس في الآية تكرار ، فالحق الأول هو القتال لطائفة النفير مع ضمان النصر ، والحق الثاني هو الإسلام فالآية السابقة تمهيد ووسيلة لهذه الآية .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمُ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُعِدُّكُم بِأَلْفِ مِنَ ٱلْمَلَتَ كَوْمُرْوفِينَ وَ وَمَاجَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ مَن وَلِتَظْمَيْنَ بِمِعْلُوبُكُمٌّ وَمَا النَّصَرُ إِلَّامِنَ عِندِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَزِيزُ مُكِيدُ ۞

بلغردات:

تستفيثون - تطلبون الغوث والنصر على عدوكم ، والغوث : التخليص من الشدة .

هاستجاب؛ فأجاب يعامكم.

مسردهون ، متبعين بعضهم بعضًا ، مأخوذ من أردقه إذا أركبه وراءه .

والتطمشن والسكن.

صريسر، لايغالب في حكمه.

حكيم : يقعل ما تقتضيه الحكمة.

التفسيره

٩- إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَآسْتَجَابَ لَكُمْ أَلَى مُمِلَّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ.

أي: اذكروا وقت استغاثتكم لربكم ، حين رأيتم أنه لابد من قتال النفير.

قال أبو السعود في تفسيره:

وذلك أنهم لما علموا أنه لابد من القتال ، جعلوا يدعون الله تمالى قائلين : أي ربِّ ، انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا ! وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف ، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة ويضعة عشر ، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو : «اللهم ، انجز لى ما وعدتنى ، اللهم ، إن تَباك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» . فمازال كذلك حتى سقط ردارة ، فأخذ أبر بكر رضى الله عنه فألقاء على منكبيه والتزمه من ورائه ، وقال : يا نبى الله ، كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (١٠٠٠).

إِذْ نَسْتَغِيغُونَ رَبُّكُمْ فَٱسْتَحَابَ لَكُمْ أَنَّى مُمِدُّكُم بِأَلْفِ مِّنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ.

اذكروا أيها المؤمنون – وقت أن كنتم – وأنتم على أبواب بدر تَسْعَخِفُونَ زَبَكُمْ وتطلبون منه القوث والنصر على عدوكم ، الذى جاء بخيله ورجله ، فأجاب الله دعاءكم واستغاثتكم ، وأخير نبيكم – ﷺ – بأنى ممدكم بألف من الملائكة ، مردفين أى : متتابعين ، بعضهم إثر بعض ، أوإن الله تعالى جعلهم خلف المسلمين لتقويتهم وتثبيتهم . وقد وردت استفاثة الرسول ﷺ باش يوم بدر في همجيح البخاري ومسلم وفي كتب السدن والسير.

جاء في تفسير المذار عن ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ قال : واللَّهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تهادل وتكذب رسوك ، اللَّهم فنصرك الذي وعدتني» .

كما روى سعيد بن منصور من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم ، وإلى المسلمين فاستقلهم فركع ركمتين وقام أبو بكر عن يمينه ، فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته : «اللهم لا تورّع منى ، اللهم لا تخذلنى ، اللهم لا تترتى – أى : لا تقطعنى عن أملى وأنصارى ، أو لا تنقصنى شيئًا من عطائك – اللهم أنشدك ما وعدتنى، ١١٧٥.

سؤال وجبواب

إن قيل : إن هذه النصوص يؤخذ منها أن هذه الاستفائة كانت من رسول الله ﷺ ، فلماذا أسندها القرآن إلى المؤمنين ؟ فالجواب : أن المؤمنين كانوا يؤمّنون على دعائه ﷺ ، ويتأسون به في الدعاء فنسبت الاستفائة إلى الجميع .

وإن قيل : إن الله تعالى ذكر هنا أنه أمدهم بألف من الملائكة وذكر في سورة آل عمران أنه أمدهم بأكثر من ذلك فكيف الجمم بينهما ؟

أجيب بالآتي:

١ -- جاء في تفسير أبي السعود:

وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ، ووجه القوفيق بينه وبين المشهور: أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم ، أو من قاتل منهم ، واعتلف في مقاتلتهم وقد روى أهمار تدل على وقوعها (١٠٠٠)

٢ - جاء في سورة آل عمران في الآيات ١٢٣ - ١٢٥ .

أن الله أمد المؤمنين بثلاثة آلاف ثم صار المدد بخمسة آلاف من الملائكة .

قىال تىمىالى : وَلَقَدْ لَعَمَرَكُمُ آلَهُ بِهَدْرِ وَأَشَمُ أَلِلَّةٌ فَالْقُواْ آلَهُ لَعَلَكُمْ تَشْكُوْوَ * وِذَ تَقُولُ لِلْمُوسِينَ أَلَّن يَكُيْبُكُمْ أَن يُهِلَّكُمْ وَكُمْعُ بِفَلَاقِهِ مَالْافَ مِنْ ٱلْمُعَارِّكِيْنَ * مَلِيْنَ * مَلِيَّةٍ إِن تَصْبُوواْ وَتَظُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَلَنَا يُمْدِذُكُمْ زَنْكُم بِعَمْسَةٍ عَالاَف مِنْ آلْمَلِوكَةُ مُسَوِّعِينَ . ولا منافاة بين ما ورد في سورة الأنفال وما ورد في سورة أل عمران ، فقد كان المدد أولا بألف مردفين ، أي : يتبعهم ويردفهم ملائكة أخرين .

وقد بينت سورة آل عمران أن العدد كان بثلاثة آلاف ، ثم رفع إلى خمسة آلاف .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المدد المذكور في سورة أل عمران كان متطفًا بغزوة أحد ، فلا إشكال بين ما ورد في السورتين .

قال الحافظ ابن كثير في التفسير : «واختلف المفسرون في هذا الموعد : هل كان يوم بدر أو يوم أحد على قولبن :

أحلهما : أن قهله تعالى : إِذْ تَقُولُ لِلْمُوامِينِ أَلَنْ يَكُفِيكُمْ أَنْ يُولِكُمْ زَلْكُمْ بِفَاتَةِ وَالآفو مَنْ ٱلْمَارَّكِكَةِ . متعلق بقوله : وَلَقَلْدَ تَصَرَّكُمُ آلَهُ بِلَدُرٍ . (ال معران : ١٧٣)

وهذا قول الحسن والشعبي والربيع بن أنس وغيرهم .

فإن قبل فكيف الجمع بين هذه الآيات – التي في سورة آل عمران ، وبين قوله في سورة الأنفال : إِذْ تُمتَعِيفُونَ زُكُمُ الْمَسْتَوَابَ لَكُمْ أَلَى مُبدُكُم بِٱلْفِي مِنْ ٱلْمُلاَئِكَةِ مُرْفِقِينَ .

فالجواب أن التنصيص على الآلف منا ، لا ينافى الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله تعالى : مُرْدِفِينَ . بمعنى : بردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أهر مثلهم ، قال الربيع بن أنس ، أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا همسة آلاف .

والقول الثانى: يرى أصمعابه أن هذا الوعد وهو قوله تعالى : إِذْ تَقُولُ لِلْمُوْسِينَ أَلَن يَكُلِيَكُمْ أَنْ يُهِلَّدُمُ زَيُّكُم بِفَلاَلَةِ عَالاَسْرِ مِّنَ ٱلْمُلاَكِكَةِ . متعلق بقوله – قبل ذلك : وَإِذْ ضَدُوتَ مِنْ أَفْلِكَ يُوَّى ٱلْمُؤْمِدِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِبْالِ وَآهُ سَمِيمَ عَلِيمَ . (ال عمران: ٢١١)

وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم.

لكن قائوا : لم يتم الإمداد بالشمسة الآلاف : لأن المسلمين يومئذ فروا ، وزاد عكرمة : ولا بالثلاثة الآلاف ، لقوله : بَنَّى إِنْ تَصْرُواْ وَكُواْ قلم يصدروا بل فروا قلم صُدوا بملك ولحد . ١ - وَمَا جَعَلَهُ ٱللهِ إِلا بُشْرَىٰ وَالتَّطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ... الآية .

آي : وما جعل الله إمدادكم بالملائكة عهانًا لأمر من الأمور إلا ليبشركم بأنكم منتصرون ولتطمئن به تلويكم وتسكن به نفوسكم ، ويزول خوفكم واضعارابكم ؛ فتلبتوا ويتم لكم النصر .

وفى قصد الإمداد بالملائكة على البشرى والطمأنينة ، إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال ، وأن الفرض منه هو تقوية قلوب المؤمنين المقاتلين، وتكثير عددهم أمام المشركين كما هو رأى بعض السلف⁰¹⁰. وَمَا آتَهُمْرُ إِلاَّ مِنْ عِبْدِ آَهْ .

أى: لهس النصر بالملائكة أو غيرهم إلا كائن من عند الله وحده ؛ لأنه سبحانه هو الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء ، وأن الوسائل مهما عظمت ، والأسباب مهما كثرت ، لا تؤدى إلى النتيجة المطلوبة والغاية المرجوبة إلا إذا أيدتها إرادة الله وقدرته ورحايته .

إِنَّ آلَهُ عَزِيزٌ خَكِيمٌ . أى : غالب لا يقهره شيء ، ولا ينازعه منازع حَكِيمٌ يفعل كل ما يفعل حسيما التضيه المكمة والمصلحة .

والجملة تعليل لما قبلها متضمن للإشعار بأن النصر الواقع على الرجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة (١٠٠٠).

* * *

﴿إِذْ يُسَقِيكُمُ النَّمَاسَ اَمَنَةَ مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءَ لِلْفَلَهَ كُمْ بِهِ وَيُدَّهِبَ عَنَ كُرُحِرَ الشَّيَعَ اللَّهَ الْمَاءَ لِلْفَاعِدَ كُمْ بِهِ وَيُدَّهِبَ عَنَ كُورِجَرَ الشَّيَعَ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَرْنَكِهَ اللَّهَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَرَنَكُ اللَّهَ عَلَى اللَّهِ عَلَى المَنْوَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعْمَى عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِمُ عَلَى الْمُؤْمِعُ عَلَى الْمُعْمِعُ عَلَى الْمُعَلِمُ عَلَى الْمُعْمِعُولُولَ عَلَى الْمُعْمِعُولُولُولُولُولُولُكُمْ عَلَى الْمُعْمِعُ عَلَى الْمُعْمِعُ عَلَى الْمُعْمِعُ عَلَى الْمُعْمِعُ عَلَى الْمُعْمِعُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْمِعُ اللْمُعِلَّا عَلَمْ عَلَى الْمُعْمِ

المفردات ،

يغشيكم اللعاس: أى: يقطيكم الله ويشلكم بالنعاس ، والنعاس : فتور فى الحواس وأعصاب الرأس ، ويعقبه الذوم ، يضعف الإدراك ولا يزيله .

رجيز الشيطان: أي: وسوسته وتخويفه لهم.

وليربط على قلوبكم ، الربط: البقد ، ويقال لكل من صبر على أمر ربط على قلبه .

السيسيرهياء القوف والقرم.

هَاَهُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ * الْمَشَاقَةُ : الْمَعَادِلَةُ وَالْمَعَالَفَةُ .

التفسيره

٩ ١- إِذْ يُفَشِّيكُمُ ٱلتُّعَاسَ أَمَنَةً مَّنْهُ وَيُمَرِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَّيَطَهْرَكُم بهِ ... الآية .

يمن الله تعالى على المؤمنين في هذه الغزرة بطاقفة من النمم ، منها ما سبق إمدادهم بالملاتكة للبشري بالنمسر ، وهنا ذكر منه أغرى ، وهى إرسال النماس عليهم ليلة المعركة ؛ حتى تبدأ نفوسهم، وتستريح أبدانهم، وقد كانوا في حالة قلة من العدة والعدد أمام عدو كثير العدة والعدد ، ومن شأن هذه الحالة أن تذهب النماس وأن تترك الإنسان يضرب أهماسًا في أسداس فيحارب ليلة في غير حرب ، ثم يصبح عند لقاء العدو ضعيف للقوة واهن البدن ، فكان من نعمة الله عليهم إرسال النماس والنوم عليهم ليلة المعركة.

عن على بن أبى طالب رضى اشعنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود ، ولقد رأيناه وما فينا إلا نائم ، إلا رسول (ش 義 يصلى تحت شجرة حتى أصبح .

وفي تفسر ابن كتر : رجاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ ، لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق، وهما يدعوان ، أهذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ، ثم استيقظ مبتسمًا ، فقال : أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثناياه النفع ؛ ثم هرج من باب العريش وهو يتثل قول الله تعالى : سُهُوْرُمُ ٱلْجَمْعُ وَيُرَوُّ وَالْأَبْرُ .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن الله امتن عليهم بأن غشيهم النماس بالليل ، أى : فى ليلة المعركة : حتى يستريحوا وتهدأ النفوس ، ويذهب عنهم القلق والاشساراب ، واستبعد أن ينزل النماس عليهم أثناء المعركة : لأنه معطل لهم .

ذهب إلى ذلك الفحر الرازى في تفسيره الكبير فقال:

\- إن الخائف إذا خاف من عدوه ؛ قإنه لا يأخذه النوم ، وإذا نام الخائفون ؛ أمنوا ، فصار حصول الثوم لهم في وقت الخوف الشديد نعمة من الله . ٧- إنهم ناموا نومًا غير مستغرق بل كان نعاسًا يذهب الإمياء والكلال ، ولو قصدهم العدو في هذه المالة إي في إوصوله ، ولقدويا على دفعه .

٣- إنه غشهم هذا النماس دفعة ولحدة مع كثرتهم ، وحصول التماس للجمع العظيم في العُوف الشديد أمر خارق العادة ، فلهذا السبب قبل : إن ذلك النماس كان في حكم المعجز .

وقال الإمام محمد عبده: قد قضت سنة الله في الخاق ، بأن من يتوقع في صبيحة لبلته هولا كبيرًا ومصابًا عظيمًا ؛ فإنه يتجافى جنبه عن مضجعه ، فيصبح خاملاً ضعيفًا ، وقد كان المسلمون يوم بدر يتوقعون مثل ذلك ، إذ بلغهم أن جيشًا يزيد على عدهم ثلاثة أضعاف سيحاربهم غدًا ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ... ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النماس ، غشيهم فناموا والقين بالله ، مطمئنين لرحده ، وأصبحوا على همة ونشاط في لقاء عدوهم وعدوه فالنماس لم يكن يوم بدر في وقت العرب بل قبلها ...

و الأستاذ عبد الكريم المخطيب: يرى أن النعاس الذي غشى المسلمين إنما كان ليلة الحرب ، لا في ميدان القتال ، كما يرى بعض المفسرين .. لأن وقوع النوم والمعركة دائرة ، من عوامل المذلان لا من عدة النمس.

كما جاء في التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر :

إن النعاس كان في الليلة السابقة على القتال ، وإذا تأملنا في الموضوع وجدنا أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون النعاس قد أصاب النبي على صبيحة ما يمنع أن يكون النعاس قد أصاب النبي على أنه استراحة يسيرة ، أن إغفاءة محدودة ، تهدأ فيها الأعصاب ، وتسكن النفس ، ويستجمع الجسم ثباته وقوته .

خصوصًا أنه قد ررد في الصحيح: أن رسول الله ﷺ، قد أخذته سنة من النوم صبيحة المعركة ، إننا نقيس الأمور بمقياس نظام الدنيا ، أما إذا كان الأمر بمقياس فضل الله ومنته ، فإنه يمكن أن يصيب النماس الجيش في صبيحة المعركة خلال ربع ساعة ، أو أقل أو لكثر ، يوقتها العليم الغبير ، في وقت لا يضر باستعادات الجيش ، ولا بعمله أثناء القتال .

ويذكر الأستاذ سيد قطب : أن الإنسان أحيانا يكين مرهقًا متمبًا ثم يففي إغفاءة يسيرة ، يقوم بعدها في غاية القوة والنشاط. سَيُهْزُمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱللَّهُرَ . (١٣١) (القمر : ٤٥) .

إن المعجزة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى الرسالة ؛ تصديقًا له في دعواه .

والمُعولة: توفيق ونجاح يصيب بعض الصالحين في أعمالهم ، وقد كان النعاس معجزة للرسول ﷺ، ومعونة للرسول ﷺ، ومعونة للمؤمنين ، سواء أكان ذلك في الليل أم في النهار قبيل المعركة ، خاصة بعد أن امتن الله به عليهم وقال: إذْ يُفَسِّحُونُ النَّمَاسُ أَمْتُهُ مُنَّةً .

وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ آلسَّمَاءِ مَاءً لَّيُطَهِّر كُم بهِ وَيُلْهِبَ عَنكُمْ رِجْزُ ٱلشَّيْطَانِ ...

تمكي الآية جوانب متعددة من فضل الله على المؤمنين في معركة بدر.

ققد أرسل الله عليهم الذوم ليلة المعركة ، وأصبح بعضهم جُنبًا نتيجة الاحتلام فى الذوم، وجاء الشيطان يوسوس لهم ويثيط ممتهم ، فالماء شحيح قليل ، صحيح أنه يمكن الاستغناء عن الاغتسال والوضوء بالتيمم ، إلا أن المؤمن كما يقول الإمام ففر الدين الرازى: «يكاد يستقدر نفسه إذا كان جنبًا ، ويفتم إذا لم يتمكن من الاغتسال ، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب ..».

وكان جيش المسلمين قد نزل بعدوة الوادئ القريبة من المدينة بميدًا عن الماء في أرض رملية وسبخة، أما المشركون فقد نزلوا على ماء بدر بالعدوة القصوى في أرض جلدة .

فأصبح المسلمون لا يجدون الماء ليشربوا ويفتسلوا ويتوضئوا ، فكان هذا الموقف مزرعة لأحاديث الله الشغطان النفسية ، ووسوسته للمؤمنين ، وتخويفه إيامم من العطش وغيره عند فقدهم الماء ، فأدرك الله المؤمنين بلطفه ، وأنزل عليهم من السماء مطنًا سال به الوادى ، فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادى الدنيا ، واغتسلوا وتوضئوا وملئوا الأسقية ، وتلبدت الأرض السبقة وثبتت عليها الأقدام ، على حين كان المطر كارفة على المشركين ، فقد تحولت أرضهم الجلدة إلى أوحال لا يقدرون معها على الحركة في القتال.

لقد كان الماء طهارة حسية من الحدث الأصغر والأكبر ، وطهارة نفسية رفعت روحهم المعنوية ، وجعلتهم في حالة من الصفاء والرغبة في التضحية والموت في سبيل الله ، وبهذا ذهب عنهم رجز الشيطان، أي: وسوسته وأصل الرجز: الاضطراب ، يقال : ناقة رجزاء ؛ إذا تقارب خطوها وإضطرب ؛ لضعفها ومن في قلبه رجز الشيطان ووسوسته ، ضعيف العزيمة ؛ لأن ممته خائرة مترددة بين الإقدام والإحجام . قال تمالى: إِنَّ ٱلَّلِينَ ٱلْقَوَّا إِذَا مَسُّهُمْ طَالِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ لَذَكُرُواْ فَإِذَا هُم تُبْعِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١).

وَلَيْرِ بِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبَّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ .

أي: ويقوى قلويكم بالثقة في نصر الله ، وليوطنها على الصبر والطمأنينة .

وأصل الزيط: الشد ، ويقال لكل من صبر على أمر : ربط قلبه عليه ، أي : حيس قلبه عن أن يضطرب أو يتزعزع ، ومنه قولهم : رجل رابط الجاأش ، أي : ثابت متمكن ..

وُيُكِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامُ . أَى : أن الله أنزل عليهم المطر ليلة المعركة لتطهيرهم حسيًّا ومعنويًّا ، ولتقويتهم ولممأنتهم ، ولتقييت الأقدام به حتى لا تسوخ في الرمال .

ومن جهة أخرى فإن طهارتهم الحسية والمعنوية ، وذهاب رجز الشيطان ووسوسته ، وقوة اليغين في القلب ورياطة الجأش ، من شأنها أن تثبت قدم المقاتل في مواطن القتال .

أى: أنه كان هناك تثبيت للأقدام حسيًا بماء المطرحين يختلط بدرات التراب ، فلما أمسك المطر وسطعت الشمس : جفت الأرض ، وممارعلى رجهها طبقة صلية ، أشبه بالطين اللازب ، فثبتت عليه أقدامهم، وكان هناك يقين القلب وطمأنينة النفس، التي تؤدى بدورها إلى ثبات القدم ، بحيث يصبح المقاتل والثقاً بنفسه ؛ لأنه يؤدى دورًا في مرضاة الله وتوفيقه .

من كتب التفسير:

١ -- جاء في تفسير ابن جرير الطبري : عن ابن عباس قال :

«نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر، والمسلمين بينهم وبين الماء رملة دعصة – أى : كثيرة مجتمة – فأحماب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان فى قلويهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلّون مجنبين ؟ فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين أصابه المعلر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ... (١٩٥٣)

٧ - جاء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

وعن عربة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادئ دهشا فأصناب رسول الله ﷺ وأصنحابه ما لبد بهم الأرض، ولم يعتمهم من السير، وأصناب قريضًا ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه ... ٢٠٠٣ ١٠-إذْ يُوجِي زَبُّكَ إِلَى ٱلْمَاوَكِدَةِ أَتَى مَعَكُمْ فَلَهُواْ ٱلَّذِينَ وَامْنُواْ سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ ٱلرُّعبَ .. الآية.

فى هذه الآية تتكير الله تعالى المؤمنين بنعمة أخرى ، هى نعمة الإمداد بالملائكة ، تنزل إلى المعركة فى صفوف المسلمين فتكدر سواد المسلمين ، ويصبح الجيش فى مظهره قوة عظيمة ، تُلقى الثبات والثقة واليقين بالنصر فى قلوب المؤمنين ، وفى نفس الوقت فإن الملاك يقوم بإلقاء الخير والإلهام والثبات واليقين فى قلب المؤمن .

وقد تكفل الله تمانى بإلقاء الرعب والشوف فى نفوس المشركين ، ووجه الحق سبحانه المسلمين بأن يضربوا المشركين ، فوق الرقاب أى : فى أعلى الرقبة ، مكان الذبح ، أو على الأطراف والأصابع ويذلك تتمطل أيديهم عن الفتال .

قال الآلوسي في تفسير الآية :

والمُراد بالعيب : الحمل على الثبات في موطن الحرب ، والجد في مقاساة طدائد القتال ، كان الملاك يأتي المؤمن في صورة رجل يعرفه ويقول له : أيشر : فالله سينصر المؤمنين ، فقد أخرج البهيقي في دلائل النبوة : أن الملك كان يأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم، كرها عليهم .

وقال الرّجاح : كان بأشياء يلقونها في قلويهم تصبح بها عزائدهم ، ويتأكد جدهم ، وللملك قوة إلقاء الغير في القلب ، ويقال له : إلهام ، كما أن للشيطان قوة إلقاء الشرويقال له : وسوسة (١٣٠) .

سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرَّعبَ .

أى: سألقى بالفوف والجزع والهلع فى نفوس المشركين ، فلا يستطيعون الثبات فى القتال ، والرعب: انزعاج النفس ، وخوفها من توقع مكروه .

فَأَصْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَفْتَاقِ وَٱصْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلِّ آبَانٍ . الخطاب في هذه الفقرة للمؤمنين وقيل : للملائكة .

قال الزمخصري: والدولد بما فوق الأعناق: أعانى الأعناق التى هى المذابح: لأنها مفاصل ، فكان إيقاع الضرب فيها جزَّا وتطييرًا للزموس ، والمراد بالبنان : الأصابح أو مطلق الأطراف ، كالأيدى والأرجل فكل ذلك يطلق عليه بنان ، حقيقة او مجازا .

هكأنه تعالى يقول للمؤمنين : سألقى فى قلوب الذين كفروا الفزع والغوف منكم ؛ لتتمكنوا من إصابتهم ، فاخسروهم فوق الأعناق ، أي: فى رموسهم ورقابهم ، واخسروا منهم كل بنان ، أى : اخسروا أصابعهم وأطراف أبدانهم كالأيدى والأرجل .

في أعقاب الأيلة :

مناك روايات في كتب التنسير تفيد أن الملائكة باشرت القنال في محركة بدر ، وقتلت أعمادًا من المشركين ، نجد هذا في معالم التنزيل للبغوي ، كما نجده في تفسير الفازن والكشاف ، والفخر الرازى ،

وجاء في تفسير أبي السعود ما يأتي : روى عن أبي داود المازني رضي الله عنه - وكان ممن شهد بدرًا - أنه قال : اتبعت رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، فوقعت رأسه بين يدي ، قبل أن يصل إليه سيفي .

وعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال:

لقد رأيتنا يوم بدر رإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك ، فتقع رأسه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيف.

وذهب عدد من المفسرين إلى استيماد أن تكون الملائكة قد باشرت القتال بنفسها ، وإنما كان عمل الملائكة قاصرًا على تثبيت المؤمنين ، واستدلوا على ذلك بأن الملك الواحد كفيل بإهلاك قريش ، لو كان يقاتل المشركين مع المؤمنين ، فحيث كان المثبتين من الملائكة ألفا أن أكثر ، فلا بد أن تثبيتهم معنوى لا قتالي.

أما الروايات الواردة التى تفيد أن الملائكة قد باشرت القتال ، فإن المتأمل فيها يجدها بلا أسانيد مسميحة ، فلا يمكن التعويل عليها*** .

وقد أنكر أبو يكر الأمم قتال الملائكة ثم قال: وإن الملك الواحد يكلى في إهلاك أهل الأرض ، كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط ، فإذا حضر هو يوم بدر فأى حاجة إلى مقاتلة الناس مع الكفار ؟

بل أى حاجة إلى إرسال سائر الملائكة ؟ وأيضًا فإن الكفار كانوا مشهودين ، وقاتل كل منهم من المحابة معلوم .. » إلغ⁸⁷⁹ .

وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم ، وجدنا أنها تفيد أن الله تمالى أمد المؤمنين بالملائكة ، ونحن نؤمن بهذا ، وتكتفى بأن الملائكة ساعدت المؤمنين نوعًا من المساعدة سواء أكان ذلك بالقتال أم بتثبيت القلوب والقاء الحماس والشجاعة ورفع الروح المعنوية ، وهى أمور لا تقل أهمية عن القتال المباشر فقد ثبت في المروب الحديثة أن للروح المعنوية أبلغ الأثر في إحراز النصر .

٩٣ - ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ شَاتُّواْ آلَهُ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ آلَهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ آلَهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ.

أي: ذلك القتل والهزيمة للمشركين بسبب أنهم خاصموا الله ورسوله رعادوهما ، فكان كل منهما في شق غير الشق الذي في الآخر.

وكما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدرة والفصم أى : الجانب لأن كلاً من المتعادين والمتفاصمين في عَدرة وخصم غير عدرة الأخر وخصمه».

وَمَن يُشَاقِقِ آللهُ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللهُ شَامِيدُ ٱلْعِقَابِ.

أى : ومن يخالف أمر الله ورسوله فهو يعاقبه ، فلا أجدر بالعقاب من المشاقين المشركين ، الذين يؤثرون الشرك وعبادة الطاغوت ، على توحيده تعالى وعبادته .

٤ ١- ذَلِكُمْ فَلُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَلَابَ ٱلنَّادِ .

أي: ذلكم الذي نزل بكم أيها الكافرون ، من الأسر والقتل ، هو المقاب المناسب لكم بسبب طغيائكم ويترككم ، فذوقوا آلامه وتجرعوا غصصه في الدنيا .

أما في الآخرة فلكم عذاب النار، الذي هو أشد وأبقى من عذاب الدنيا، إن أصررتم على كفركم.

فالآية ترضيع للكافرين : أن ما أصابهم عاجلاً كان يسبب كلرهم وعنادهم ، ثم هي تحذرهم من الاستمرار على الكفر : فإن مناك عنابًا آجلاً يتنظر الكافرين .

* * *

المفردات ،

السسنز حسسف، من زحف إذا مشى على بطنه كالحية ، أو دب على مقعده كالصبى أو على ركبتها أو مشى بالمدو: بثقل فى الحركة واتمال وتقارب فى الغطر كزحف مسفار الجراد والعسكر المتوجه إلى العدو: لأنه لكثرته وتكافئه يُرى كأنه يزحف، إذ الكل يرى كجسم واحد متصل فتصى حركته بطيئة وإن كانت فى الواقع سريعة . التمريف للقتال وغيره؛ هو المنحرف على جانب إلى آخر، من الحرف وهو الطرف.

وليد من الناس .

التدبير الذي يقمد به غير ظاهره فتسوء عاقبة من يقمد به .

الاست تصبيح والما الفتح والفصل في الأمر كالنصر في الحرب.

تههيده

ذكر سيحانه وتحالى في هذه الآيات حكمًا عامًا لما سيقع من الوقائع والحروب في مستأنف الزمان وجاء به في أنناء قصة بدر : عناية بشأنه بحمًّا للدرِّمنين على الممافظة عليه .

التفسيره

٥ ١ - يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْمًا ...

أى : يا أيها الذين صدقرا الله ورسوله ، إذا لقيتم الذين كفروا حال كونهم زاحفين لقتالكم رَحفًا ، إذ الكفار هم الذين رَحفوا من مكة إلى المدينة لقتال المؤمنين فقابلوهم ببدر .

فَلاَ تُوَلُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ .

أى : فلا تولوهم ظهوركم واقفين منهزمين منهم وإن كانوا أكثر منكم عدد وعدة لكن البتوا لهم ؛ فإن الله معكم عليهم .

٩٦ – وَمَن يُولِّهِمْ يُوْمَثِلِ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لَقِتَالِراْو مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِلَهُ فَقَدْ بَآءَ بِمَعْسَبِ مِّنَ آلَهُ وَمُأْوَاهُ جَهَيْمُ وَلِمَسَ الْمُصِيدُ .

أى : ومن يولهم حين تلقونهم ظهره إلامتحرفا لمكان رآء أهوج إلى القتال فيه أو لغدرب من ضرويه رآء أنكى بالعدو ، كأن يوهم خصمه أنه منهزم منه ليغريه باتباعه حتى إذا انفرد عن أنصاره كرّ عليه فقتله؛ أو متنقلاً إلى فئة من المؤمنين في جهة غير التي كان فيها ليشد أزرهم وينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم، فصاروا أحرج إليه ممن كان معهم -- من قعل ذلك ؛ فقد رجع متلبسًا بغضب عظيم من الله ومأواه الذي ينجأ إليه في الأخرة جهنم دار العقاب ويثس المصير . ذلك أن المنهزم أراد أن يأوى إلى مكان يأمن فيه الهلاك ، فعوقب بجعل عاقبة دار الهلاك والعذاب الدائم وجوزى بضد غرضه .

وفي الآية دلالة على أن الفرار من الزحف من كبائر المعاصى ، وجاء التصريح بذلك في صحيح الأحاديث: نقد روى الشيخان عن أبى مريرة مرفرعًا : «اجتنبوا السبح المويقات (المهلكات) قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالمق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم، والتراني يوم الزحف ، وقذف المحصنات الفافلات » .

وقد خصص بعض العلماء هذا بما إذا كان الكفار لا يزيدون على ضعف المؤمنين.

قال الشافعي: إذا غزا المسلمين فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فقة ، وإن كان المشركين أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ، ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو واوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فقة. وروى عن ابن عباس قال: من فر من ثلاثة نلم يقر، ومن فر من النين فقد فر.

١٧ - فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ أَنَّهُ فَتَلَهُمْ ...

أى: يا أيها الذين آمنوا ، لا توالوا الكفار ظهوركم أبدًا ؛ فأنتم أولى منهم بالثبات والصبر ثم بنصر الله تعالى ، انظروا إلى ما أوتيتم من نصر عليهم على قلة عددكم وعدتكم وكثرتهم واستعدادهم ، ولم يكن ذلك إلا بتأييد من الله تعالى لكم وريطه على قلويكم وتثبيت أقدامكم ، فلم تقتلوهم ذلك القتل الذي أفنى كثيراً منهم بقايد من الله تعالى عددتكم واكن تقطم بأيديكم ، بما كان من تثبيت قلويكم بمخالطة الملائكة وملابستها لأرواحكم ، وبالقائه الرحة في قوله تعالى : فَاللَّوهُمْ يُعَلِّمُهُمُ آللهَ بِأَتِيكُمْ وَيُحْلِهِمْ وَيَعْلُمُ مَنْ مُنْفِيتَ ، (التربة: 12).

ثم انتقل من خطاب المؤمنين الذين قتلوا أولئك الصناديد بسيوفهم إلى عطاب الرسول ﷺ ،وهو قائدهم الأعظم فقال :

وَمَا رَمِّيْتَ إِذْ رَمِّتَ وَلَكِنَّ أَهْ رَمَعْ . أي: وما رميت أيها الرسول أحدًا من المشركين في الوقت الذي رميت فيه القبضة من التراب بالقائها في الهواء فأصبت وجوههم ، ما فعلته لا يكون له من التأثير مثل ما عدث، ولكن الله رمى وجوههم كلهم بذلك التراب الذي ألقيقه في الهواء على قلّته أو بعد تكثيره بمحضى قدرته .

فقد روى : وأن النبي 義 رمى المشركين يومئذ يقبضة من التراب وقال : شاهت الوجوه ثلاثاً ، فأعقبت رميته هزيمتهم ٢٠٠٩ . وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما قال فى استفائته يوم بدن: «يارب ، إن تبلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدًا ، قال له جبريان خذ قبضة من التراب فارم بها وجوههم ، فقعل فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخزيه وفعه من تراب تلك القبضة : فولوا مديرين ١٣١٩).

وَلَيْنِيَ ٱلْمُوْمِئِينَ مِنْهُ بَلاَةً حَسَدًا . أي : فعل الله ما ذكر الإقامته حجته وتأييد رسوله ، وليبلي المومنين منه بلاء حسنًا بالنصر والغنيمة وحسن السمعة .

إِنَّ آلَهُ سَمِعٌ عَلِيمٌ . أى : إنه تعالى سَمِعٌ لما كان من استفائة الرسول والمؤمنين ربهم ودعائهم إياه وحده ولكل نداه وكلام ، طَيْعٌ بنياتهم الباعثة عليه والعواقب التي تترتب عليه .

١٨ - ذَلِكُمْ وَأَنَّ آلَهُ مُوهِنُ كُيْدِ ٱلْكَالِمِينَ .

أى : ذلكم البلاء الحسن هو الذي سمعتم – إلى أنه تعالى مضعف كيد الكافرين ، ومكرهم بالذبي ﷺ والمؤمنين ، ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد والإصلاح ، قبل أن يقوى أمرها ويشتد .

وبعد أن ذكر خذلانهم وإضعاف كيدهم ، انتقل منه إلى توبيخهم على استنصارهم إياه على رسوله ﷺ وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهرى أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم ، أينا كان أقطع للرحم ، وآتى بمالا يعرف فأصنه القداة ، فكان ذلك منه استقتاحًا ، وقال السدّى : كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أعلوا بأستان الكمية فاستنصروا الله ، وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وغير القبيلتين ، فأمامه الله ، بقه به :

١٩- إِن تَسْتَغْمِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَقْحُ ...

أى : إن تستنصروا لأعلى الجندين ، وأهداهما ، فقد جاءكم الفتح ونصر أعلاهما وأهداهما ، وهذا من قبيل التهكم يهم ؛ لأنه قد جاءهم الهلاك والذلة .

وَإِن تَعَهُواْ فَهُو خَيْرٌ كُكُمْ . أى : وإن تنتهوا عن عداوة النبي ﷺ وقتاله ، فالانتهاء خير لكم ؛ لأنكم قد نقتم من الحرب ما نقتم من قتل وأسر بسبب ذلك العدوان .

وًإِن تُعُودُواْ نَعُدْ . أى : وإن تعويوا إلى حريه وقتاله نعد إلى مثل ما رأيتم من الفتح له عليكم حتى يجيء الفتح الأعظم الذي به تدول الدولة للمؤمنين عليكم ، ويه ينل شرككم وتذهب ريحكم . وَلَن لَهُمَى عَدَدُم فِصَنَّكُمْ فَسِنَّا وَلُوْ كُثُوتُ . أى : وإن يدفع عنكم رهطكم شيئًا من بأس الله وشديد نقمته ولو كثرت عددًا ، إذ لا تكون الكثرة وسيلة من وسائل النصر أمام القلة إلا إذا تساوت معها في أمور كليرة كالصبر والثبات والثقة بالله تعالى ، فهو الذي بيده النصر والقوة .

وَالْأَنْالْهُ ثَمَّ الْمُولِينِ . بممونته وتوفيقه ، فلا تضرهم قلتهم ولا كثرة عددكم ، فهو يؤتى النصر من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

* * *

﴿ يَكَأَيُّهَا اَلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا أَللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَاتُولُواْ عَنْهُ وَأَشَّمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَيَعْنَا وَهُمُّ لَا يَسْمَعُونَ۞ ﴿إِنَّ شَرِّ ٱلدَّوَآتِ عِندَاللّهِ ٱلشُّمُّ ٱلْبُكُمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْعَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعُهُمْ وَلُوَ أَسْمَعُهُمْ تَوَلُواْ وَهُم مُعْرِضُونَ ۞ ﴾

مهيد ،

بعد أن هدد الله المستركين بقوله : وَإِنْ تَعَهُواْ فَهُو حَشُّ كُمُّمْ وَإِنْ تَعُولُواْ لَعُدُ وَلَنَ تُعْنَى عَنكُمْ فِيْكُمْ شَيَّاً. فقى على ذلك بتأديب المؤمنين بالأمر بطاعة الرسول وإجابة دعوته إذا دعا للقتال في سبيل حياطة الدين وصد من يمنع نشره ويقف في طريق تبليغ دعوته .

التضيير

· ٧- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامْتُواا أَطِهُوا آلَهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ تَوَلُّواْ عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ .

أى: أطيعوا الله ورسوله فى الإجابة إلى الجهاد وترك المال إنا أمر الله يتركه ، ولا تعرضوا عن طاعته، وعن قبول قوله ، وعن معرنته فى الجهاد وأنتم تسمعون كلامه الداعى إلى وجوب طاعته وموالاته ونصره، ولا شك أن المراد بالسماع هذا : سماح القهم والتصديق بما يسمع ، كما هو شأن المؤمنين الذين من دأبهم أن يقولها: شَوِشًا وَأَطْثَنَا فُفْرَالُكُ زُنّا وَإِلَيْكَ أَلْمَعِيرُ (البقرة، ٢٥٥)

٧١ – وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّـٰذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ .

وهوّلاء القائلون فريقان: قريق الكفار المعاندين، وفريق المنافقين الذين قال في بعض منهم: وَمِثْهُم مُّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَيِّرٍ إِذَا خَرِّجُوا مِنْ عِندِكُ قَالُواْ لِلْلِينَ أُدِلُواْ ٱلْمِلْمَ مَاذَا قَالَ عَالِمًا (محمد: ١٦).

٢٧- إِنَّ هَرَّ ٱلدُّوآبُ عِندَ آللهُ ٱلصُّمُّ ٱلبُّكُمُ ٱلَّذِينَ لاَ يَشْقِلُونَ.

الدواب : واحدما : دابة ، وهى كل ما دب على الأرض كما قال : وَآلَّهُ خَلُنَ كُلُّ دَائِةٍ مِّنْ مَأْةٍ ، وقَلْ أَن يستعمل الإسان بل الغالب أن يستعمل في الحشرات ودواب الركبي ، فإذا استعمل فيه كان ذلك في موضع الاحتقال ، أي : أن شرما دب على الأرض في حكم الله وقضائه هم العم الذين لا يصغون بأسماعهم ليعرفوا الحق ويعتبروا بالموعظة الحسنة ، فهم بفقدهم لمنفعة السمع كانوا كأنهم فقدوا حاسته ، والبكم الذين لا يعقلون الدق ، ومن ثم كانوا كأنهم فقدوا النطق ، الذين لا يعقلون الفرق بين الحق والباطل والخير والشر، إذ هم لو عقلوا الطبوه واهتدوا إلى ما فيه المنفعة والفائدة لهم ، كما قال: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلْمِكْرَعُ لِمَن كَانَ لَكُونَ كُلُهَ لَكُمْ كَانَ لَكُونَ كُلُهَ لَلْمَرْ وَقَا لِهِ اللهِ من اللهِ عنه المنفعة والفائدة لهم ، كما قال: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلْمِكْرَعُ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبُ

والخلاصة: أنهم حين فقدوا منفعة السمح والنطق والعقل كانوا كأنهم فقدوا هذه المشاعر والقوى ، بأن خلقوا خداجًا ناقصى هذه المشاعر ، أو طرأت عليهم آفات أذهبت هذه القوى بل هم شر منهم ؛ لأن هذه المشاعر خلقت لهم فأفسدرها ، إذ لم يستعطوها فيما خلقت لأجله حين التكليف .

٢٣- وَأَنْ عَلِمَ آلَهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعُهُمْ ...

أي: ولر علم الله فيهم استدارًا للإيمان والهداية بنور النبوة ، ولم يفسد قبس الفطرة سوء القدرة وفساد. التربية : لأسممهم بترفيقه الكتاب والحكمة سماح تدبر وتفهم ، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم ممن هتم الله على قلوبهم وأحاطت بهم خطاباهم .

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتُوَلُّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ .

أي: وإن أسمعهم – وقد علم أنه لا خير فيهم – لتولوا عن القبول والإذعان وهم معرضون من قبل ذلك بقلوبهم عن قبوله والعمل به : كرامة وعنادا للداعى إليه ولأهله ، فقد فقدوا الاستعداد لقبول العق والغير فقدًا تأمًّا لا فقدًا عارضًا موقوتًا .

والخلاصة: أن للسماع درجات باعتبار ما يطالب الله به من الاهتداء بكتابه:

 ١ - أن يتعمد من يتلى عليه ألا يسمعه مبارزة له بالعدوان بادئ ذي بدء خوفًا من سلطانه على القلوب أن يغلبهم.

٢ - أن يستمم وهو لا ينوى أن يفهم ويتدبر كالمنافقين الذين قال الله فيهم:

وَمِنْهُم مِّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَىٰ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ عَالِفًا .

" - أن يستمع لأجل التماس شبهة الطعن والاعتراض ، كما كان يفعل المعاندون من المشركين وأهل الكتاب
 وقت التنزيل وفي كل حين إذا استمعوا إلى القرآن أو نظروا فيه .

3 - أن يسمع ليقهم ويقتدبر ثم يحكم له أن عليه ، وهذا هو المنصف ، وكم من السامعين أن القارئين آمن بعد أن نظر وتآمل ، فقد نظر طبيب فرنسى في ترجمة القرآن فرأى أن كل النظريات الطبية التي قيه كالطهارة والاعتدال في المآكل والمشارب وعدم الإسراف فيهما ونحو ذلك من المسائل التي فيها كالطهارة والاعتدال في المآكل والمشارب وعدم الإسراف فيهما ونحو ذلك من المسائل التي فيها مصافطة على الصحة ، توافق أحدث النظريات التي استقر عليها رأى الأطباء في هذا العصر ، فرغب في هذا كله وأسلم، ورأى ربان بارجة إنكليزية ترجمة القرآن واستقمى كل ما فيها من الكلام عن البحمل والرباح فظن أن النبي على كان من كبار الملاحين في البحمار ، وبعد أن سأل عن ذلك وعرف أنه لم يركب البحر قط، وبعد أن سأل عن ذلك وعرف أنه لم يركب البحر قط، وبعر مع ذلك أمن لم يقرأ كتابًا ولا تلقى عن أحد درسًا قال : الأن علمت أنه كان يوحى من الش : لأن فيه حقائق لا يعلمها إلا من اعتبر البحار بنفسه ، أو تلقاها عن غيره من الممتبرين ، ثم أسلم وتعلم العربية .

وكثير من المسلمين يستمعون القرّاء ويتلون القرآن فلا يشعرون بأنهم فى حاجة إلى فهمه وتدبر معناه، بل يستمعونه للتلذذ يتجويده وتوقيع التلاوة على قواعد اللغم ، أو يقصدون بسماعة التبرك فقط ، ومنهم من يُحضر الحفاظ عنده فى ليالى رمضان ، ويجلسهم فى حجرة البوابين أو غيرهم من الخدم تشبها . بالأكابر والوجهاء . ﴿ يَنَا أَيُّهَا الَّذِينَ المَنُوا السَّتَعِيمُوا لِقِو وَالرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُعْيِكُمْ وَاعْلَمُوا الْحَالَةُ وَالْمَدُونِ فَيَ الْمَنْ وَالْقَالِ الْحَلَمُ الْفَيْفِ الْمَنْفِي الْمَنْفِقُونِ فَي الْمَنْفِي الْمَنْفِي الْمَنْفِقُونِ فَي الْأَرْضِ تَعَافُونَ أَن يَنْحَطَّفَكُمُ النَّاسُ وَاذْكُرُونَ الْمَنْفَيكُمُ النَّاسُ وَاذْكُرُونَ اللَّهُ مَنْكُرُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَل

المقرداتء

استجهيوا الله والرسول؛ أجيبوه بكمال الطاعة.

إذا دعاكم لا يحييكم : إذا حثكم على الطاعة ، والجهاد الذي فيه حياتكم وسعادتكم .

يحول بين الثرء وقلبه ، يميته فتفوته فرصة تمكن القلب من الإخلاص والطاعة .

وأنه إليه تعشرون ، وأنه إليه تجمعون يوم القيامة ، فيجازيكم على أعمالكم .

لا تصيين الذين ظلموا

منكم خاصة ، لا تختص إصابتها بمن يباش الظلم منكم .

والأكروا إلا أثبتم قليل

مستضعفون في الأرض، واذكروا وقت أن كنتم قلة أذلاء، مستضعفين في مكة ، تستذلكم قريش.

تخافون أن يتخطفكم الناس، تخشون لهرانكم وذلتكم أن يتخطفكم من استضعفوكم من قريش فالا تملكون أن تدافعوا عن أنفسكم.

قيال المعاليات المعاليات المدينة مأرى تهاجرون إليه وتتحصلون فيه.

وأيدكم بتصره ، وقواكم على الكفار بتأييد الأنصار ، وإمداد الملائكة .

ورزقكم من الطيبات

الم الكم تشكرون وأعطاكم طيبات الرزق من الفنائم لتشكروا الله على فضله .

لا تخونوا الله والرسول، لا تخونهما بتعطيل الفرائض والسنن ، أو بأن تظهروا غير ما تخفون .

وتعفونوا اماتاتكم ، وتفونوا ما اؤتمنتم عليه من مال أو عرض أو سر، أو عهد أو نصيحة.

والته المامون ، وأنتم تقصدون وتعلمون أنكم تخرفون .

و ت د منة وبالاء .

مرقياً عداية في قلوبكم ، تفرقون بها بين الحق والباطل .

التفسيره

\$ ٧- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينِ عَامَتُواْ اسْعَجِيبُواْ اللَّهِ وَلِلرَّسُولُونَ. الآية .

أيها المؤمنون ، عليكم أن تجيبوا الله وتطيعوا رسوله ، وتمتثلوا أمره ، إذا حثكم على عمل طاعة ، أو هرج للجهاد ، أو التباع الأحكام الدين ؛ لأن ذلك يحيى قلوبكم بالإيمان ، ويوجهكم إلى الفير ، ويكسبكم الغزة والقوة ، فتصبير إليكم الغلبة والفوز ، وتحيين حياة طبية ، واعلموا أن الله أقرب إلى المرء من قلبه الذى هو مناط المياة والموت ، ومنبع الأمن والفوف ، وأنه وحده هو الذي يصرفه من حال إلى حال ، وهو أملك له من صاحبه، فيستطيع أن يكون حائلاً بين المرء وقليه ، ويمكن فيه - على حسب مشيئته - الإيمان والطاعة ، أو الكفر والمعمية ، ويهدله من الفوف أمنًا ، أو من الأمن خوفًا ، وهو الذي يبعثكم يوم القيامة ، وتجمعون إليه يوم السباب ليجازي كل نفس بما كسبت .

ه ٢ -- وَٱتَّقُواْ فِئِنَّةً لا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ...

وقد أمركم الله أن تتقوا الفتنة ، وتجتنبوا العمل الذي يعم ضيريه ، وينتشر خطره والفتنة من أشد الذنوب ، وأخطر الجرائم ؛ لأن ضررها لا يقتصر على من أثاروها ، ولا تصيب فريق الظالمين والأقمين خاصة ، ولكنه يعم البرىء والمذنب والمصلح والمفسد ولهذا أعقب الله التحذير منها بتهديد أصحابها تهديدًا مؤكّا بأشد العقاب ، فقال:

وُ آخَلُهُوٓ أَ أَنَّ آلَهُ شَايِدُ ٱلْحِقَابِ والمقصود بالفتنة في الآية: جميع الأعمال التي تصيب المجتمع بضرر

أن حسارة أن توقع فيه شقائنًا أن كارفة ، أن تقر منكرًا ، أن تررج إشاعات ضارة أن أخبار كاذبة، توهن من قوته ، وتضعضع من عزمه أن فقته ، وتبعث فيه الرعب والفزع ، وينبغى أن يضرب على أيدى من يثيرون الفتئة ، وأن يرخوا بأشد العقوبات ، قال رسول الله هي في تصوير الفتئنة تعم ، والضرر يصيب غير من يشعله ووجوب المهادرة بالقضاء عليهماومثل الشائم على حدود الله والواقع فيها (أي : مثل المطيع والعاميي) كمثل قوم استهموا (أي : اقترعوا) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاما ، ويعضهم أسؤلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا غرفًا ولم نزة من فرقية من أدرية من أدرية من أدرية من أدرية من أدرية من أدرية من أيديهم نجوا ونجوا جميعًا، والأ.

٣ ٢ - وَٱذْكُرُواْ إِذْ أَلْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَعَمْتُقُونَ فِي ٱلأَرْضِ ... الآية .

واذكروا أيها المؤمنون حالكم في مكة قبل الهجرة وقت أن كنتم عددًا قليلاً أذلة مستضعفين بالنسبة إلى قريش وقوتهم ويطشهم ، تعييفون في استكانة ورعب وفزع ، لا أمن لكم ولا اطمئنان ، وتضافون أن يتضفكم الناس من قريش ويأخدوكم ليسوموكم العذاب والهوان ، فمن الله عليكم وأواكم في العدينة ، وجعلها لكم مأرى تنزلون فيه وتتحصطون من أعداكم ، ولله أزركم بالأنصار ، وأيدكم بالسلاكة في بدر، وقواكم بنصركم عليهم ، وجعل لكم من الفغائم طبيات من الرزق ؛ لتشكروه على عظيم فضله ، وعديم فيضه.

٧٧- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينِ ءَامَنُواْ لا تَخُونُواْ ٱللهِ وَٱلرَّسُولَ ... الآية .

والله ينهاكم أيها المؤمنون عن أن تعونوا الله ورسوله فتعطلوا أحكام دينه أو تقولوا بألسنتكم ما ليس في قلويكم ، أو تظهروا غير ما تفقون ، وينهاكم عن أن تنقضوا العهود ، وتفونوا الأمانات التى اوتمنتم عليها من أموال الناس وأعراضهم وأسرارهم ، وأنتم تعلمون أنكم مؤتمنون عليها، فتعمدون إلى جحود الردائع الو انتهاك الأعراض أو إفشاء الأسرار ، وإهفاء المستندات ؛ إن ذلك إثم كبير ، ولقد كان أول هم للنبي إلله ليتها أن هاجر أن يترك عليًّا وراءه لهرد الأمانات ويعيد الودائع ، وكانت عنده لأعدائه من المشركين ، وأبى أن

أبو لبابة يصلب نفسه على سارية ؛ ليكفر عن خيالته :

حاصر النبي ﷺ بنى قريظة ، إحدى وعشرين ليلة ، فسألوه صلحا كصلح بنى النضيو، وهو أن يتركهم يسيرون إلى إخرائهم على حكم سعد بن معاد الأنصارى سيد يسيرون إلى إخرائهم بالزرعات وأريحاء من الشام ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاد الأنصارى سيد الأوس ، وكان حكمه : أن تقتل المقاتلة وتقسم الأموال وتسبى الذرية والنساء، فأبوا ذلك ، ثم طلبوا أن يرسل إليهم ، أبا لباية ، وكان مناصحًا لهم : لأن صاله وعياله كانا في أيديهم ، فبعثه إليهم ، فقالوا:

ما ترى؛ هل ننزل على حكم سعد ؟ فقال : لا تفعلوا فإنه الذبح ، وأشار إلى حلقة فنزلت يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينِ وَامْتُواْ لاَّ تُعُولُواْ ٱللَّهُ وَٱلرَّسُولُ . قال أبو لباية : فما زالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله (٣٠٠) .

حزن أبى لبابة ، وقام فشد نفسه على سارية المسجد ، وقال : وإشه لا أدوق طعامًا ولا شرابًا حتى أمرت، أن يترب الله على ، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيًّا عليه ، ثم تاب الله عليه ، فقيل له : قد تيب عليك فحل نفسك ، فقال : لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله يله والذي يحلني فجاءة فحله بيده ، فقال : إن من تمام تريتي أن أمجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي ، فقال عليه السلام : يجزئك اللثاث أن تتصدق به .

٧٨ - وَٱعْلَمُواْ أَلَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلِاَدُكُمْ فِئَدٌّ ... الآية .

ولما كان الإنسان شديد المب والمرص على أمواله وأولاده ، وكان تعلقه بهم يتسبب منه وقوعه في
الإثم والعقاب ، أو يدعوه إلى الاتصاف بهعض الرنائل : كالبخل والميانة والجين ، فقد جعلهم الله فتنة في
قوله : وَاَقْلُمُواْ أَلْمَا أُمْوَ الْكُمُ وَأَزْلِا ثُكُمُ فِتَقَدُّ ، أي : مصنة يفتن الله بها عباده ، ليبلوهم يذلك ، ولينبههم على أن
حبهما لا ينبغى أن يحملهم على القيانة كأبى لبابة ، وأن الله عنده الجزاء الأوفى ، وأن عنده الأجر العظيم،
لمن رزئ في ماله أو أصيب في عياله ، فاثر رضاءه ، وراعى حدوده في الأموال والأولاد وجعل همه منوماً
بما ينال به أجر الله ، فهو غير وأبقى .

٢٩ - يَا أَيُّهَا ٱلَّذِين ءَامَثُواْ إِن تَتَّقُواْ ٱللهِ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ... الآية .

وقد وعد الله المؤمنين الذين يتقون في كل ما يأتون وما يذرون ، وفي كل ما يقولون وما يغملون ويراقبونه سرًّا وعلانية ، أن يجعل لهم يسبب ذلك مداية ونورًا في قلويهم وفرقانًا يفرقون به بين الحق والباطل ويميزون به الفير من الشر ويعفو عن سيئاتهم ، ويتجاوز عن ننويهم ، والله تو الفضل العظيم على عباده، يتفضل عليهم بإحسانه ويعفو عن كلير . ﴿ وَإِذَ يَعَكُّرُ مِكَ اللَّهِ مَن كَفَرُوا لِيُغِمَّوكَ أَوْيَقَمَّلُوكَ أَوْمُغْرِجُوكُ وَيَعَكُّرُونَ وَيَعَكُّرُ اللّهُ وَالْمَعْرَبُوكُ وَيَعَكُرُ اللّهُ وَاللّهَ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

اللغردات ،

وإذبيكريك الثنين كفروا: وإذكر وقت أن لجتمعت كفار قريش في دار الندوة ليدبروا أمر القضاء عليك.

<u> 1 ـ يــــ د ـ يــــ تــــو</u>ك: ليرثقرك ويمبسوك.

أو يست تا وك، أو ينرشوك بسيرفهم حتى يقتلوك.

او يعلم من مكة.

ويهك رون ويدبرون لك المكايد خفية.

ويمكر والمطاعة ويدبر الله ما يحيط به مكايدهم ، ويأتيهم بغثة .

والسفة خهر المُلكريس، وتدبير الله أنفذ من مكرهم وأبلغ في التأثير والنكاية بهم.

أس اطهر الأواون ، ما سطره الأولون في الكتب، أو الأباطيل والترهات.

إن كان هذا هو المق من عندك ؛ إن كان هذا القرآن هو الحق الذي نزل به محمد من عندك .

فأمطر ماينًا موارة من السماء ، فعاقبنا على إنكاره بحجارة من سجيل تهلكنا كما أهلكت أصحاب الفيل .

أو اشتنا بعداب اليم ، أو عاقبنا بنوع لفر من العداب ، يكون أشد قسوة من حجارة السماء .

وماكان الله فيمتهم والتاشهم : وليس من سنة الله أن يصيبهم بعذاب يستأسلهم ، أن صناعقة تهلكهم وأنت بينهم ؛ لأنك يعثت رحمة للحالمين ، وهو معذبهم إذا

وماكانوا أوثياءه ما استحقوا لإشراكهم وعدواتهم للدِّين ، أن يكونوا ولاة لأمر المسجد الحرام .

وتصليف المنفيقا.

تمهيد

بعد أن عدد الله على المسلمين فيما سبق من الآيات ، ما فضل عليهم به من النعم العامة ، أنزل على تبيه : وَإِذْ يُمَكُرُ بِلِكَ ٱلَّـلِينَ كُفُرُواْ ... ، يُبذكره – ﷺ – بنعمته عليه في خاصة نفسه ، إذ نجاه من تآمر قريش عليه وتبييتهم نبة الغدر به في دار الندية .

قصة المؤامرة

لما سمعت قريش بإسلام الأنصار ، ومبايعتهم للنبي ﷺ ؛ خافوا أن يعظم أمره وتقوى شوكته فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمر ، فدخل إبليس عليهم في صورة شيخ ، وقال : أنا شيخ من ذجد ، دخلت مكة ، فسمعت باجتماعكم ، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيًا ونصحاً .

فقال أبو البخترى: رأين أن تحبسوا محمدًا في بيت ، وتشدوا وثاقة ، وتسدوا بابه ، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها ، وتتريمسوا به ريب المنون ، فقال إبليس : بنس الرأى ، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أوديكم .

فقال هشاه بن حمور : رأيي أن تصلوء على جمل وتخرجوه من بين أظهركم ، فلا يضركم ما صنع ، واسترحتم ، فقال إبليس: بئس الرأى ، يفسد قرمنا غيركم ويقاتلكم بهم .

فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بعلن غلاسا ، وتعطوه سيفًا ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها ، فإذا طلبوا العقل أى : الدية : عقلناه واسترحنا ، فقال إبليس: صدق هذا الفقى ، هو أجودكم رأيًا ؛ فتغرقوا على رأي أبى جهل ، مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ، وأمره ألا يبيت في مضجعه ، وأذن له الله في الهجرة ، فأمر عليًّا ، فنام في مضجعه ، وقال له : اتشح ببردتي ، فإنه ان يخلص إليك أمر تكرهه ، ودعا الله أن يعمى عليهم أثره ، وهاتها مترصدين ، ولكن الله طمس على بصيرتهم ، فخرج وام يروه ، فلما أصبحوا ساروا إلى مضجعة ، فأيصروا عليًّا ، فيهتوا .

وخيب الله سعيهم وخرج من مع أبى يكر رضى الله عنه إلى الغار بعد أن دفعا راحلتيهما إلى عبد الله بن

أريقط ، وكان دلهلاً هاديًا حانقًا بالطريق ، واستأجراه ليدلهما على طريق المدينة ، وواعداه أن يوافيهما علد
غار ثور بعد ثلاث ليال ، ولما علمت قريش يخررج الذبي قلل ، جعلت تطلبه بقائف معروف يقفوا الأثر ، ومضى
برحالهم حتى وقف على الغار ، فقال : هذا انقطع الأثر ، فنظروا فإذا بالمنكبوت قد نسج على فم الغار ، فأيقنوا
أن لا أحد فهه ، فرجعوا ، وجعلوا في النبي قلم مائة ناقة ، لمن يرجع به عليهم ، ولما سمع أبو يكر صوت من
يقصون أثرهم على باب الغار ، قال للنبي قلل : ولو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تمت قدميه » ، فقال :
وبيا أبا يكر ، ما ظنك بالذين ، الله فالقهما ؟ ، يا أبا يكر ، لا تحزن : إن أله معناء (١٩٠٠).

التفسيره

« ٣- وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُفْتِوكَ ... الآية .

واذكر وقت أن كان يمكر بك الذين كغروا ، ويبيتون لك الكيد ، مجتمعين في دار الندوة ، قمنهم من أشار بأن يثبترك بالقيد ، ويشدوك بالوثائق ، ويحبسوك حتى تموت ، ومنهم من أشار بأن يخرجوك من بلدك ، وينفوك من وطنك ،وهم يمكرون ويدبرون الفدر بك ، والله يرد مكرهم عليهم ، ويحبط تببيرهم وتدبير الله في نهاتك وفرارك من أيديهم أنفذ من مكرهم وأبلغ في التكاية بهم من حيث لا يشعرون .

٣١- وَإِذَا تُعْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْمَا ... الآية .

وكان عليه السلام يقرأ القرآن ، ويتلو منه أهبار القرون المأشية ، فلما سمعه النضر بن الحارث ومن كانوا معه ، قالوا: قد سمعنا عثل هذه الأشبار من غير محمد ، وإن نشاء أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، وما هو إلا أهبار مما سطره الأولون ، وقولهم هذا مكابره ، وليس في استطاعتهم ، فقد طولهوا بسورة منه فعجزوا ، وكان أحب شيء إليهم أن يستطيعوا فيطابوا ، فكيف يقولون ؛ لو نشاء لقلنا مثل هذا ؟!

٣٧- وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمُّ إِن كَانَ هَلَا هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنلِكَ ... الآية .

وكان النضر بن المارث من أشد قريش معارضة للنبي ﷺ، وكان قد سافر إلى فارس والعيرة للتجارة، ورجع منها بقصص سمعه من الرهبان كما رجع بنسخة من أهبار رستم وأسفنديار، وكان يجمع الكفار من قريش حوله ، ويقرآ لهم منها ، ولما قال النضر حين سمح القرآن : إن هذا إلا أساطير الأولين ، قال له النبى:

هويلك ، إنه كلام الله ، فقال في استخفاف وإنكار : اللهم إن كان هذا هر الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة

من السماء ، أو اثننا بعناب أليم أ¹⁷⁷ ، أي : إن كان هذا القرآن حقًا ، فعاقينا على إنكاره وتكنيبه ، بحجارة

تنصب علينا كالمطر من السماء التى تهبط الهجى منها على محمد ، وينزل عليه القرآن من جهتها ، فتهاكنا

كما أهلك السجيل أصحاب الفيل ، أو عاقبنا بعقاب آخر ألد ألما وأقسى عنابًا ، هو قول يدل على على عالية المحود

والإنكان وعلى أن الله تعالى قد حال بين الهداية وقلوب هؤلاء بحجب وأقفال منيعة ، كما يدل على سفه العقل

وسقم التفكير ؛ لأن المنطق كان يقضى عليهم أن يقولوا: اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ،

٣٣- وَمَا كَانَ آلَهُ لِيُعَلِّيهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ آلَهُ مُعَلِّيهُمْ وَهُم يَسْتَغْفِرُونَ ... الآية .

وكان من اليسير على الله أن يهلك النضر ومن معه من المعاندين المكابرين فيصيبهم بما أصاب به
عادًا وثمودًا ، ولكن الله أرسل نبيه ﷺ رحمة للعالمين ، فقال : وُمَا كَانَ الله يُعَلِّبُهُمْ وَأَلْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله أَمْسُهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . أَى : ما كان الله ليعذب أمتك وأنت قائم فيهم لهدايتهم ، بل كرامتك عند ربى أجل وأعظم ،
وسيرُجل الله عذاب المشركين حتى تخرج من بينهم ، ويحول شقاؤهم دون هدايتهم ، ولو كانوا ممن يؤمنون
ويستغفرون الله من الكفر والمعاداة : لما عنبهم ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون؛ فجزاؤهم من الله أشد العذاب.

٣٤ – وَمَالَهُمْ أَلاُّ يُعَدِّبُهُمْ آلَهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ ... الآية .

وكيف لا يعنبهم الله وهم — زيادة على ما هم فيه من الكفر والفعلال — يصدون المؤمنين عن زيارة المسجد الحرام ، ويمنعون بلائفسهم حق الولاية عليه ، وما المسجد الحرام ، ويمنعون لأنفسهم حق الولاية عليه ، وما كانوا أولياء ما رأي عليه من يشاء ، فليسوا وما كانوا أولياء ما رأي علي بلائف المتافين ولا مستحقين لهذه الولاية : لأنهم أهل شرك ، وعبدة أصنام ، وأوثان ، فكيف يتولون على يبت الله : إنما يتولى على يبت الله : إنما يتولى على يبت الله : وما يتولى على المتافون الذين يعبدون الله حق عبادته ويعرفون لبيته حرمته ، ولكن كثيرًا من الرسام إلا للمتقين من عباده .

٣٥ - وَمَا كَانَ صَلاَّتُهُمْ عِندَ ٱلَّيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْلِيَةً ... الآية .

وإن أنعالهم القبيمة عند البيت ، التي تقوم مقام مسلاتهم ، لتنافى أن يكرنوا أولياء البيت ، أن ممافظين على مايجب له من هيبة ووقار ، فقد جعلوا مكان المسلاة والتقرب إلى الله ، المكاه والتصدية ، أى: التصفير والتصفيق ، إذ كانوا يطوفون عراة ، رجالاً ونساء ، مشهكين بين أصابهم ، يصفقون ويصفوين ، يغطون ذلك * * *

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْفِ هُونَا أَمْوَلَهُمْ لِيصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّوْ فَسَيْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ مَحَسَرةَ قُمْ يَعْمَلُونَ فَي اللَّهِ مَا لَكَهِمَ اللَّهِ مَا تَعْمَلُ مَعْمَلُ مَعْمَلُ مَعْمَلُ وَعَلَيْكُمْ اللَّهِ مِن الطَّيْبِ وَيَعْمَلُ الْخَبِيثَ بَعْفَ شُعْلَ بَعْفِ فَي يَرْكُمُ مُحَيمُا فَيَجْعَلَهُ الْخَبِيثَ مِعْفَ شُعْلَ بَعْفِ فَي لَلْمِينَ كَفُرُوا إِن يَعْفَى الْمَحْمَلُ الْمَحْمِلُ الْمَعْفِي وَعَنْ اللَّهُ الْمَعْفِي وَعَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ اللَّهُ الْمُؤْلِى اللَّهُ الْمُؤْلِى الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِى الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِي الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ اللَّهُ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِلْ الْمُؤْلِ

المفردات :

ليصدوا عن سبيل الله ، ليمنعوا الناس من الدخول في دينه ، وأتباع رسوله ؛ معاداة له .

ثم تكون عليهم حسرة ، ثم تكون عاقبة إنفاقها ندمًا وغما عليهم ؛ لأنهم أضاعوا المال ولم يحققوا المقصود .

ليميز الله الخبيث من الطهب، سيطبون في الدنيا ويحشرون إلى جهنم في الآخرة ؛ ليميز الله الكافر من المؤمن .

ريجل الغييث بعشه على بعض ويجعل الكفار يعضهم فوق بعض في جهتم.

فيركمه جميدا: فيتراكبوا لشدة ازدحامهم.

إن ينت ته وا، إن ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الإسلام،

يققر لهم ما قد سلف ؛ يعف الله عما قد سلف من تتويهم -

وإن يسم معاداته وجربه .

طقد مضت سنة الأولين : فإن السنن الماضية عن الأمم السابقة ، وعما حدث للمشركين في بدر تنبئهم بما يحيق بهم ،

حتى لا تكون فتنة ، حتى لا يكون شرك ، ولا يعيد غير الله في الأرض .

ويكون الدين كله لله ، ويقضى على العبادات الباطلة ، ولا تبقى إلاَّ عبادة الله وحده .

فان الله ميولاكيم: فإن الله ناصركم ومعينكم.

التفسيره

٣٦- إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُتِقِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لَيَصُدُّواْ الآية .

إن الذين كنروا ينفقون أمواقهم في الفساد ، والتمكين للشر ، وإقامة البقى ، ومعاداة النبى ، ومحارية السلسامين ؛ ليمنعوا الذاس عن الدخول في دين الله ، واتباع رسوله ، وسيأتون على كل أموالهم إنفاقاً وتضبيماً ، دون أن ينالوا مقصودهم ؛ لأن الإسلام دين المع ، واتبا و رسوله ، وسيأتون على كل أموالهم إنفاقاً وتضبيماً ، دون أن ينالوا مقصودهم ؛ لأن الإسلام دين المعق ، والناس يعتنقونه عن يقين وبهنة ، وهم يديدون أن يطفئوا نير الله إلا أن يتم نوره — وستبقى لهم الحسرة والندامة واللم ؛ لأنهم أضاعوا أموالهم وأوقاتهم دون أن يقضوا على دعوة الإسلام ، التي تمضى وتنتشر أسرع عن انتشار النور في الظلام ، ثم يكون مصيدهم أن يظلوا ويقهروا ويقضى عليهم وينتهوا ، وقد نزلت الآية في المطمعين يوم بدر ، وكانوا الذي عشر رجلاً من كبار قريش وكان ينحر الواحد منهم لمقاتلة الكفار في بدر كل يوم عشر جزر — أي : عشراً من الإبل — وفي أبي سفيان بن حرب لما استأجر لقتال المسلمين يوم أحد ألفين من الأحابيش ، سوى من تطرع معه للتتال من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية ذمباً .

وليس ما وقع في نفوس المشركين من الحسرة والندامة ، من خسارة أموالهم ، وعدم تعقيق غرضهم ، من القضاء على محمد ودينه ، هو كل ما يحل يهم من العقاب والنكال ، وإنما الذين يقوا منهم ، أو ماتوا على الكفر ، سيحشرهم الله في جهنم حشرًا ، ويعد للمؤمنين نعيمًا وأجزًا .

٣٧- لِيعِيزُ آللهُ ٱلْحَبِيثُ مِنَ ٱلطُّيَّبِ ... الآية .

ليميز الله الخبيث من الطيب ، والمؤمن من الكافر ، ومن أنفق ماله للجهاد في سبيل الله ، ومن أنفقه لمحاربة محمد ودينه ، وليجعل فريق الخبيث بعضه على بعض ، فيجمعه متراكمًا متزاحمًا ؛ ليتذوقوا من التكس والتراكم والتزاحم في نار جهنم ، جميع ألوان العذاب والهوان ، مؤلاء هم الذين خسروا الدنيا والآخرة، وأضاعوا أموالهم وانفسهم وحقت عليهم كلمة العذاب .

٣٨- قُل لُلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَعَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ الآية .

والله واسع المغفرة رحيم بعباده فأمر نبيه أن يعلن مثرلاه الكفار الذين حاريوه وعادوه ، أنهم إن يقلموا عن الكفر . ويتركوا سبيل الضلال ، ويدخلوا في دين الله : فإن الله سيعقو عنهم ويقفر لهم ما فرط من ذنريهم: لأن الإسلام يجيبً ما قبله ، أما إذا عادوا إلى القتال ، ويقوا في الكفر والضلال ، فإنهم يعلمون بما مضت به سنة الأولين ، وأنباء السابقين ، من إهلاك الأمم التي تعزيت على الأنبياء ، ويما حل بهم من النكال والقتل يوم بدر.

٣٩- وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ لَكُونَ فِشَةٌ ... الآية.

لقد أمرتم أيها المؤمنون أن تقاتلوا الكفار ، حتى لا يكون كفر أن شرك ، ولا تعبد أصنام ولا أوذان ، ويكون الدين كله خالمنًا الله ، ولا يعبد أحد في الأرض سواه ، فإن قاتلتموهم وانتهوا — وقت القتال — عن الكفر ، واعتنقوا الإسلام ؛ فكفوا عنهم ، فإن الله سيقبلهم ، وهو الهصير بما يعملون .

٤ - وَإِن تَوَلُّواْ فَآعْلَمُواْ أَنْ آلَهُ مَوْلاَكُمْ الآية .

أما إن أعرضها عنكم وأصروا على قتالكم : فاستمروا في قتالهم ، واعلموا أن الله مولاكم ، ونامسركم عليهم ، وكونوا على يقين وثقة ، بأنه سيجمل الظفر والظبة لكم ، إنه خير مولى ؛ فلا يضيع من يتولاه ، وخير نصير ؛ فلا يهزم من ينصره .



خاتمة

هذا هو هتام تفسير الجزء التاسع من القرآن الكريم ، والقرآن مأدية الله ، وهي مأدية حافلة بألون الغير والبركة والسعادة .

ونحن نتراسى بالمق والمسر، ومن المق أن هذا الكتاب نور ألله المبين ، وهو المسراط المستقيم ، وهو المنقذ من الضلال والهادي إلى مسراط مستقيم .

وعزُّنا ومجدنا وكرامتنا ، في الالتفاف حول كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأمجاد آمتنا الإسلامية: تقول ذلك لا تقليدًا ولا امتراشًا ، وإنما صدقًا وإغلاممًا .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مَّمْن دَمَّا إِلَى آلَهُ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . (نصلت: ٣٧)

ومدل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله ومحجه وسلم ، أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله عالمنا لوجهه ، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول ، وأن يوفقنا إلى تمام تفسير القرآن الكريم إنه ولى التوفيق ، والعمد رب المالدين .

القاهرة - المقطّم - الهضبة العليا ، ضحى يوم الاثنين ١٩ محرم ١٤١٣ هـ الموافق ٢٠/٧/٢٠ م

تم يحمد الله تفسير الهزء التاسع من القرآن الكريم ويليه تفسير الهزء العاشر إن شاء الله تعالى

* * *



- (١) التفسير الوسيط: تفسير صورة الأعراف أ . د . محمد سيد طنطاوي الطبعة الفاتية ١٩٨٥ م ص ١٩٢٢ .
 - (٢) الطبير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية الحزب ١٧ ص ١٤٧٧ .
 - (٣) المصحف المفسر للأستاذ محمد قريد وجدى مطبوعات دار الشعب بالقاهرة ص ٧٠٧.
 - (3) زبدة النفسير من فتح القدير للشوكاني ص ٧٠٧.
 - (٥) أحفوا الشوارب وأعفوا اللحي:

رياة البشارى في اللباس (۹۸۷ ، ۹۸۲) ويملم في الطهارة (۱۹۵۹) باللفظ له ويمالك في العوطر كتاب الجامع (۱۷۲۵ ، وأبير داوية في الترجل (۱۹۸۹) والترمذى في الأرب (۲۷۲۷ ، ۲۷۲۵) والنسانى في الطهارة (۱۰) وفي الزينة (۱۰۵ ، ۱۳۲۷) وأحدد في معدده (۱۶۲۰) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : هالطوا المشركين وفروا اللحي وأمطوا الشواديب وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيف فما فضل أخذه . ورواه مسلم في الطهارة (۲۲۷) وأحدد في مسلام الروب الا الحي

(٢) قال الزمامشري في تفسير الكشاف:

روى أنه كان فيهنًا ذكرًا أشعر فقرًا لذه بين تسبيه فيغانون ذراعًا وحيع لعبه الأصفل في الأرض ولعبه الأصفى على صور القعر ، ثم توجه نجو فرعون ثباً علد فولب فرعون من سروره وهرب وأحدث ، وثم يكن أحدث قبل ذلك . وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فينات منهم خمسة وحشرون أقفا قبل بعضهم يعشًا . إلجا اهـ . وهي روايات مردودة .

- (٧) قبع البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان جد ٣ ص ٧٨٣ دار الفكر العربي .
- (A) في ظلال القرآن ٩ / ١٣٤٨ ، وقد نقله الأستاذ سعيد حوَّى المجلد الرابع ص ١٩٨١ .
 - (٩) تفسير المراغى ٩ / ٢٧ يامحمار .

(۹ ۱) سحر التي ﷺ حتى كان يخيل :

رياه البشاري في المجزية والمرابعة (١٣٧٥) وفي بدء الخفق (٢٣٦٨) وفي الطب (٥٧٦٣) ومسلم في السلام (١٣٨٥) وبسلم في السلام (٢٢٨٥) وإن مديث عائشة رضي الله عنها قالت سحر الذبي ﷺ (٢٨٥٩) وإن ما مديث عائشة بناء سحر الذبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يغل الشيء وقال الشيء الشيء على المدين الله عنها والمه أنه يغل الشيء وما يقطه حتى كان نات يوم دعا وبحا ثم في الم أشعرت أن الله أنتائن فيدا بناء فيه طائب ربجلان فقد الحمدما عند إلى المائم عند وبيان قدل الحمدما عند الله عنها وبيد والم المائم عند وبيان قدل الحمدما عند الله عن الله عنها المائم عند المنافقة وبيان المائمة وبين الله عنها له المائمة وبين الله عنها له المائمة وبين الله عنها له المائمة وبين المائمة وبين الله وبمشالة وبين المائمة وبين يعين ذلك على الذاس طرا

(1) هي جزء من الآية القرآنية : فورلو لا إذ دخلت جنتك قلت ما شاه الله لا قوة إلا بالله في (الكهف : ٣٩) وفي الحديث الشويف: همن أعجبه شيء من أهل أو مال أو ولد فقال : باسم الله ما شاه الله ، لا قوة إلا بالله : لم ير فيه مكروها» .

(٢ ١) (حفظ الله يحفظك :

رواه التروذي في صفة القيامة (١٩٥٦) وأحمد في مسنده (١٩٦٤) من حديث ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال با قلام إلى أن المدينة فاستمن المنافقة في الكبيرية في المنافقة في المنافقة في المنافقة في المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة في المنافقة في المنافقة ال

(١٣) تفسير الكشاف ٢ / ١٢٥ الناشر دار المصحف شركة مكية ومطيعة عبد الرحمن محمد الطبعة الثانية ١٩٧٧ م.

(\$ 1) التفسير القرآني للقران: عبد الكريم الخطيب ٩ / ٤٦٤.

(۵۱) لا عدری و لا طیرة :

ذكره البشاري تعليقا في الطب باب الجذام من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تظر من الأسد . ورواه البشاري في الطب (٥٧١٧ ، ٥٧٥٧ ، ٥٧٧١ ، ٥٧٧٥) ومسلم في السلام (٢٢٧٠) وأبو داود في الطب (٢٩٩١، ٢٩٩١) وأحمد في مسنده (٨١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله على الله عدوى ولا صنفر ولا هامة فقال أعرابي يا رسول الله فما بال إبلى تكون في الرمل كأنها الطباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجريها فقال قمن أعدى الأول . رواه البخاري في الطب (٩٧٥٣ ، ٧٧٢ ه) ومسلم في السلام (٣٣٢٩) وابن ماجه في المقدمة (٨٦) وفي الطب (٣٥٤٠) وأحمد في مسنده (٦٣٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لا عدوى ولا طيرة والشوم في ثلاث في المرأة والدار والدابة. رواه البخاري في الطب (٥٧٥٠ ، ٥٧٥٠) ومسلم في السلام (٢٢٢٤) وأبو داور. في الطب (٢٩١٦) والترمذي في السير (١٦٩٥) وابن ماجه في الطب (٣٥٣٧) وأحمد في مسنده (١١٩١٤) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لا عدوى ولا طيرة ويعجبني القال الصبالح الكلمة المسنة . رواه معلم في السلام (٢٢٢٧) وأحمد في معنده (١٣٧٠٣) من حديث جابر قال : قال رسول لله 囊 : لا عدوي ولا طيرة ولا غول . ورواه أبو داود في الطب (٣٩٢١) وأحدد في مسنده (١٥٠٥) من حديث سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول لا هامة ولا عدوى ولا طيرة وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار . ورواه ابن ماجه في الطب (۲۵۲۹) حدیث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا عدی ولا طبرة ولا هامة ولا صفر. ورواه أحمد في مسنده (۲۸۸) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قام فينا رسول الله ﷺ نقال :لا يعدى شيء شيئا فقام أعرابي فقال : يا رسول الله النقية من الجرب تكون بمشفر البعير أو يذنبه في الإيل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول الله ﷺ فما أجرب الأول لا عدري ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس فكتب حياتها ومصيياتها ورزقها . ورواه أحمد في مسنده (٧٠٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن المامي قال: قال رسول الله ﷺ لا عنوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق.

(١٦) لا طيرة ريعجيني الفأل الصالح:

رواه البشاري في العلب (٥٧٥٦) من حديث أنس وقد تقدم في الذي قبله .

(١٧) اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت :

رواه آبر دارد. فی الطب (۳۹۱۹) من حدیث عروة بن عامر قال أحمد القرشی قال ذکرت الطبرة عند النبی ﷺ فقال أحسنها اقتأل ولا ترد. مسلما فإذا رأی تُحدكم ما يكره ظبيقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السينات إلا أنت ولا حول ولا قرة إلا بك.

(۱۸) مهما : اسم شرط ، تأتنا : فعل الشرط . من آية : بيّان وتقسير الشمير في به وجواب الشرط فما تحن لك بمؤمنين وسموا ما يأتر، به موسى آية : مجاراة لتصدية موسى مع قصد الصغرية والاستهزاء .

(١٩) قال تعالى : ﴿وَلِقَدَ مَاتِهَا مُوسَى تَسِعَ آيَاتَ بِينَاتَ فَاسَالُ بِنِي إِسرائِيلُ إِذْ جَامِعُم فَقَالَ لُمْ فَرَمَنَ إِنِّي لَأَطْبُكُ بِا مُوسَى مسموراً فِهِ (الإسراء : ١٠) والأيات التسم مى : الطوفان والجراد والقبل والنشفاذة والله والعمدا والبد والسنين ونقص الثمرات ، وقبل من الومسايا التسم وهي التي في التوراة انظر تفسير فتح القدير للشركاني .

(• ٢) القلرة : ريش السهم ، قال ابن الأثير : يعترب مفلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

(٢١) أمركين صنن من كان قبلكم:

رواه أحمد في مسنده (۱۳۹۰) من حديث أبي واقد الليش أنهم هرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حلين قال وكان الكفار سرية يمكنون عندما ويطقون من المساورة إلى المساورة اللكفار سرية يمكنون عندما ويطقون اليها أساد الملكار سرية يمكنون عندما ويطقون بين المساورة إلى المالة الكفار سرية إلى المالة عالمالة على المالة عالمالة على المالة على المالة على المالة على المالة على المالة عالمالة على المالة عالمالة على المالة عالمالة على المالة على المالة عالمالة المالة المالة على المالة عالمالة المالة على المالة عالمالة المالة عالمالة المالة على المالة عالمالة على المالة عالمالة المالة على المالة عالمالة المالة عالمالة المالة على المالة عالمالة عالمالة المالة عالمالة عالمالة

(٧٧) تقسير المراغي ٩ / ٧٥ .

(٢٣) تفسير فتح القدير تأليف محمد بن على بن محمد الشوكالي ٥ ١٢٥ هـ . ج ٢ ص ٢٤٣ .

(22) تفسير المرافي 4 / 84 .

(٢٥) ثلاث من حدثكهن فقد كالب :

رواه البخارى في بدء الخلق (۳۳۴) وفي تلتفسير (۵۵۰۹) وفي التوجيد (۷۲۸) وفي الإيمان (۱۷۷) والترمذي في التفسير (۲۰۰۸) وأحدد في مسنده (۲۳۷۰۷) من حديث مسروق قال : قلت لمائشة رضي الله عنها يا أمتاه مل رأى محمد ﷺ ربه فقالت : قد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدكتين فقد كذب من حدثك أن محمدا ﷺ رأى به فقد كذب هم قرآت : ﴿لا تعركه الأبصار وهم يعرك الأبصار وهو اللطيف الخيير ﴾ ﴿وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حيجاب ﴾ وبن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرآت ﴿وما تعري فسي مافا تكسب غنا﴾ وبن حدثك أنه كتب ثم قرآت ﴿يَا أَيُها الرسول بِلغ ما أثرلَ إليك من بلك﴾ الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتبن -

(٢٦) أعندت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت :

روباه البخاري في يدم الفلق ح (۲۲۶۶) ، وفي التفسير ح (۲۷۷۹ ، ۱۵۷۰) ، وفي الترسيد ح (۲۷۹۸) ومصلم في البخة ح (۲۸۲۶) ، والترمذي في التفسير ح (۲۱۹۷ ، ۲۲۹۳) ، وابن ملچه في الزهد ح (۲۲۲۸) ، وأحمد ح (۲۲۸۵ ، ۲۸۸۸ ، ۲۸۸۸ ۲۰۰۱ ، والدارمي في الرقاق ح (۲۸۸۸) من حديث أبي هريرية .

(٢٧) فسير المرافي ٩ / ٩٩ - ١٠ .

(٢٨) تفسير المنار ٩ / ١٩٠ ووردها، في تفسير المراقي ٩ / ٢١ .

(٩٩) الطسير الوسيط نقلا عن تفسير القاسمي نقلا عن تاج العروس .

(، ٣) في طلال القرآن للأستاذ سيد لطب ٩ / ١٣٧١ .

(٣١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج أ . دوهبة الزحيلي رئيس قسم الفقه بجامعة دمشق ٩ / ١١١ .

(٣٧) انظر هذه الأقوال في زاد المسير لاين الجوزي ٣ / ٢٩٨ وما يعنها وغيره من كتب التفسير .

(٣٣) يا عبادي إلى حرمت الظلم على نفسي :

رزاه مسلم فی اللیز واقعدلة ح (۲۰۷۷) ، وأحمد ه/۱۹۵ ، ۱۷۰ ، ۱۷۷ ، والترمذی ح ۲۵۹۰ ، واین ساجه ح ۴۲۷۵ . و هید الرازق: ۲۰۲۷ تر خدید آیی لد .

(٣٤) أغيرني عن صفة رسول الله : في الموزاة :

رواء البشاري في البيرع (١٩٢٧) وأحمد في مسنده (١٥٨٥) من حديث عطاء بن يسار ثال لقيت عبد الله بن عمور بن الماهم رضمن الله عنهما القام المبرئي عن معلة رسول الله ﷺ في القرراة قال آجل والله المرصوف في التوراة بمعض مطلة في القرآن فإنا أيها الني إنا أوساناك فاهمنا ومبشرا و تلفواني وحبرة للأميين أنت عبدي روسهاي سموتك المتركل ليس بعظ ولا غليظ ولا سمان في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يحفو ويفقر وأن يقبضه للله حتى يقيم به الملة العرجاء بأن

(۳۵) انظر تفسير اقاسمي ، وتفسير ابن كفر ، والطبير المنير في الطيفة والشريعة والتنهج للأمناذ الدكتور / وهبة الزحيان رئيس قسيم القله بجامعة دمشق 4 / ۱۹ ۱ ، والضبير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوى : تفسير سورة الأعراف ص ۲۰۷ ، والأساس في الطبير للأستاذ متهد حرى .

(٣٦) بعثت بالحيفية السمحة :

ر واء أحمد فى مسئده (۲۷۲۷۸) من حديث أبي أسامة قال خرجنا مع رسول 幡 ش في سرية من سراياه قال فمر رجل بقار فيه شره من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في نلك للمار فيقوته ما كان فيه من ماء يهصيب ما حوله من البلال ويتخلى من الدنيا ثم قال لن آنى أتيت نبى الله ﷺ فنكرت ذلك له فإن أذن لى قطت وإلا لم أفعل فأثاه فقال يا نبى الله
إنى مررت بفار فيه ما يقوتنى من العام والبقال فحداثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من النخيا قال فقال النجى ﷺ إنى
لم أبحث باليهودية ولا بالتصرافية وكتنى بعثت بالصنيفية السحة والذى نفس محمد بيده للعدية أن روحة فى سبيل الله
خير من النخيا ومنا فيها ولمقام أحدكم فى العطف خير من صلالته ستين سنة . قال الههائس في الحجم : رباء أحمد
والطبواني وفيه على بن يزيد الألهائي وهر غسيف . وقال العراقي في تعريج الإحياء : أهرجة أحمد من حديث أبى أمامة
بسند ضعيف دون قوله والسبلة و بك والطبواني ومن حديث ابن عباس فأحب الدين إلى الله المتنفية السحمة ويقيه محمد
بنز أمامة على بن يقول اللمناوي في فيض القدير : ذكره العطيب في تاريخه عن جابر بن عبد الله وفيه على بن
عمد الحربي أورده الذهبي في المنطق وقال صدوق غمطة البرقائي ومسلم بن عبد ربه غمطه الأزدي ومن ثم أطلق
الداخلة فمصف سنده وقال العلائي : مسلم ضعفة الأزدي ولم أجد أحد والاه واكن له طرق ثلاث ليس يبعد أن لا يترب

(٣٧) يشروا ولا تطروا ويسروا ولا تعسروا :

رواه أحمد في مسنده (۱۹۲۰) من حديث سعيد بن أبي بردة عن أبيه أن النبي ﷺ بعث معانا وأبا موسى إلى الهين قتال بشروا ولا تصويا والمائمة المسلمية. بشروا ولا تصويا ولا تصويا ولا تعديد أن المائمة ال

(٣٨) لقسير المراقى ٩ /٣ ٨ يتصرف ,

(٣٩) أعطيت عمسًا لم يعطهن نبي:

رياه البخاري في الليم (۱۳۵) وفي المسلاة ومسلم في المساجد (۲۰، ۳۰) والنسائي في الغسل (۱۳۷) وفي المساجد (۲۳) والترمذي في (۲۳۷) والترمذي في (۲۳۷) والترمذي في (۲۳۷) والترمذي في الساجد (۱۳۵۳) والترمذي في الساجد (۱۳۵۳) والترمذي في الساجد (۱۳۵۳) والترمذي في الساجد (۱۳۵۰) والترمذي في الساجد (۲۶۱۷) والمد (۲۲ ۷۲) والمد (۲۲ ۵ و ۱۳) وليد أحمد (۲۲ ۲۷) وليد أحمد (۲۲ ۲۷) وليد أحمد (۲۲ ۲۷) وليد أميد دين أبي در ورواه أحمد (۲۲ ۲۷) وليد أبي دوسي.

(+ ¢) الفصير المدير في الطيدة والشريعة والمديوج أ . د وهبة الزحيلي بجامعة دمشق دار الفكر المعاصر بيروت دار الفكر دمشق الطبعة الأولى 1 1 1 1 هـ 1 1 199 م الكتاب 9 1 9 .

(٤١) أتعم أعلم يأمر دنياكم :

رياه مسلم في اللشمائل (۱۳۹۳) وابن ماجه في الأحكام (۲۷۱۱) وأحمد في مستند (۲۲۲۹ ، ۲۲۳۹) من حديث هشام ابن عربة عن أبيه عن عائشة وعن قابت عن أنس أن النبي ﷺ من بقوم ياقعون فقال قو لم تفعلوا لصلح قال فغرج شيصا فعر بهم فقال ما لنظكم قالوا قلت : كنا وكنا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم . تحيه : لم أنظو به عند البشاري ولم أر من عزام للبشاري ، فليحور . (۶۶) تقلاعت الأساس الفسير للأستاذ سعيد حوى نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة من . ب ۱۲ ۱ بيروت من . ب ۱۳۵۲۲۷ ، وفيه عنة تقول من التوراة تصل بنزول المن والسلوى ، خلال أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة ، المجلد الرابع من ۲۰۷۷ تاسير الآية ۲۰ ۱ من سورة الأعراف .

(٤٣) تقسير ابن كثير ٩٧/١ بتصرف واختصار.

(\$ \$) يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي :

رواه مسلم في البر والصلة والآداب (۷۷۷) ، والقريذي في مسلة القيامة (۲۵۵۹) وابن ماجه ح (۲۷۷۹) وأحمد (٥ / ۱۵ ، ۱۹۰ ، ۱۹۰۷) ، وعبد الرزاق ح (۲۷۲۷) من حديث أبي تر.

(و ع) جاء الحق و (هق الباطل :

رواه البنماري في المطالم (۷۲۷) ، وفي المفازي (۲۸۷) وفي التقسير (۴۷۷) ، ويسلم في الجهاد رااسير (۴۷۸) ، وأحد (۴۷۶) والترمذي في التقسير (۴۲۸) وقال : هذا مديث مسن ممعيع وفيه عن ابن عمر ، ورواه مسلم في الجهاد والسير (۲۵۰) ، وأممد (۴۵۰) من حديث أبي هرورة .

(٤٦) لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فستحلوا:

قال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج ابن بطة عن أبي هريرة رضى الله عنه ءأن رسول الله ﷺ قال : لا ترتكبوا ما ارتكبت الهجيد فتستماع محارم الله بأنش الحياره .

(٤٧) تقاتلون اليهود حتى ينحى أحفهم :

رياة البشاري في للجهاد (۲۹۲۷) وفي المثالب (۲۹۷۳) ومسلم في الفتن (۲۹۲۲) والترمذي في الفتن (۲۷۲۳) وأحمد في مسلمه (۱۹۸۹) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله منهما أن رسول (金 海 قال: تقاتلون الهجود حتى يشتهي أحدهم وراه الحجر فيقول يا عبد الله هذا يجودي وراثي فاقتله .

رواه البشارى فى الجهاد (۱۹۷۳) ومسلم فى الفتن (۱۹۷۳) وأصد فى مسنده (۱۳۵۰) من حديث أمى هريدة أن رسول الله 養養 قال لا تقوم للسامة حدى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حدّى يشتين اليهودى من وراء المجر والشجر فيقول المجرر أن الشجر يا مسلم يا عيد الله هذا يهودى علقى فتعال فاقتله إلا الفرقد : فرّنه من شجر اليهود .

(2.) قبل: كان بأتههم المعنى بر شرة فيمتر بون كتاب الله فيحكمون له بد ، فإذا جاهم المبطل أصفرها منه الرشوة وأعرجوا له كتابهم، الذي كتوه بأيديهم تعمريةً وتبديلاً لما في التوراة ، فمحكموا له به ، افطر تضمير ابن كفو .

(٤٩) تفسير أبي السعود ٣ / ٢٨٨ .

(، ه) زاد المسير في علم العفسير لا بن الجوزى ٣ / ٢٨٣ طبعة المكتب الإسلامي في يبروت ، وفي دمشق . لصاحبه زهير الشاويش.

(١٥) قال تعالى ﴿ورفعا قولهم الطور بميثاقهم﴾ (النساء: ١٥٤) .

(٧ ه) التأخلان أمرى أو الأرمينكم به :

قال السيوطي في الدر المنتور : وأهري ابن أبي حاتم وأبو الشيع من ابن عباس قال : إنى لأمام لم تصيد اليهود على حرف قال الله تعالى : فوإذ لفنا الجبل فوقهم كأنه طلا وشورا أنه واقع يهم∳ قال : لتأخذن أمرى أن لأرميتكم به ، فسجعوا وهم ينظرون إليه مشافة أن يسقط عليهم ، فكانت سجدة رضيها الله تعالى فاتخذوها سنة .

(٩٥) في ظلال القرآن ٩ / ١٣٨٩ باختصار .

(\$ 0) جاء في قاموس محيط المحيط للمعلم يطرس البسعائي :

الأسع : صبر أو حبل من أدم ينسج هريشا على هيئة أصة العال ، تقد به الرحال ، والقطعة منه نسمة وسمى نسعا لطوله ، وجمعه يُستِّخ والساع ونسرع . . وقرقر اليمر هنر وصفا صوته ، ويمر قرقاز الهنير ، أى صافى الفيوت في هنيره والمتنى : عندما تريط الأنساع وهي حبال الرحل على ينثل اليمر كأنها القرل له الحق بالركب ، قالت له ويح العبا الطبية (قرقاز) أى : استجب أما يطلب عنك ، مع هنير صافى الفوت وحلما جميل .

(٥٥) فسير أي السعود ٣ / ١٩ ٧ نار إحياء الفراث الغربي يروت ا هـ . ولقد روى هذا الحنيث النسائي وابن جرير ، وابن أي حاتم، وأخرجه الحاكم في مستفركه وقال: صحيح الإستاد ، انظر الأساس في الفسير للأمنتاذ سعيد حرّى المجلد الرابع ص ٣٠٦١ نقلاً عن تفسير ابن كلو .

(٥٦) كل موثود يوثد على القطرة :

رواه البخارى في الجنائز (١٣٥٩ - ١٣٥٩ - ١٣٥٥) وفي التفسير (٢٧٥٥) وفي القدر (٢٥٩٩) ومسلم هي القدر (٢٢٥٩) ومالك في الموطؤ كتاب الجنائز (٢٥١) وأبو ناود في السنة (٤٧٤) والترمذي في القدر (٢٢١٨) وأحمد في مستده (١٤٤٧) من حديث أبى مريرة رضى الله عنه تال: تال النبي ﷺ: كل موارد يواد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينسرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تندج البهيمة على ترى فيها جدعاء.

(٥٧) إلى خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتنهم الشياطين:

رياه معلم في البعنة (٢٨٦٥) ، وأحدد (٢٠٣٠ ، ٢٠٧٥ ، ١٧٥٧) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله
إلله قال ذات يوم في علايته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمتي يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإنني
طلقت عبادي حشفاء كلهم وإنهم أنتهم الخياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أطلات لهم وأمرتهم أن يشركها
بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إليي أما الأرض فستتهم عربهم وجمومه إلا بقايا من أمال الكتاب وقال إنما بمثلث
لأبتليك وأبتلى به وأنزات عليك كتابا لا يلسله الماء تثرية دائما ويقتل أون الله أمرني أن أحرق تريطا فظلت رب إذا
لأبتليك وأبتلى به وأنزات عليك كتابا لا يلسله الماء تثرية دائما ويقتل أن وإن نقل أمرني أن أحرق تريطا فظلت رب إذا
للقابل إلى في وعدم عمزة قال استخرجهم كما استخرجهاي واغزمه نفزك وأنقل فمنفق عليك وابعث جيهذا نبخ غمسة
طلاء وقائل بمن أطاعك من عمماله قال: وأمل الجنة لالأنا فرسلط متصدق مهافى ويجل بهما لا يبتغون
أملا لالا مالا إلله المائن للذي لا يفضى له طبع وإن دق إلا خانه ويجل لا يمبع ولا يسمى إلا وهو يضادك عن أملك ومائك

(٥٨) يقال للرجل من أهل النار :

رواه البضارى في أماديث الأنبياء (٣٣٢٤) وفي الرقاق (٣٦٥٠ / ٢٥٥٧) ومسلم في صفة القهامة (ه ٢٨٠٠) وأحمد في مسئده (١٩٩٣) من حديث أنس بربغه إن الله يقول لأهون أهل النار عنابا : لن أن أنه ما في الأرض من شيء كنت تفقدى به قال : نعم قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك .

(٥٩) إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه :

رواه ما لك في العرفط كتاب البعامج (١٩٦١) وأوي داود في السنة (١٧٩٧) والترمذي في تقسير القرآن (٢٠٧٥) وأحمد في مستد و الترمذي في تقسير القرآن (٢٠٧٥) من حديث مسلم بن بسار البجيني أن عمر بن المسلمي سال من هذه الآية ﴿وَإِذْ آخِد ربك من بني آدم من في روم في من الله و المسلمين ا

(و ٧) تفسير البراقي للأستاذ أحمد مصطفى المراقي ٩ / ٤ • ٩ .

(٢) الطسير الوسيط للأستاذ الذكتور محمد سيد طعقاري شيخ الأزهر لقلاً عن تفسير ابن كثير ، يتصرف .

(۲۷٪) آية الأضام وقم 2° 1 ح A تفسير المنان ، وآية البقرة وقم 2° 4 من 2° 4 ضبع الهيئة المصرية المامة للكتاب . اهـ والطر تفسير المنان 4 / « 6° طبع و دفر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٩٣) يا حي يا قيوم يرحمتك أستفيث :

بهذا اللفظ ذكره الهيشى في المجمع - / ١٣/ ١/ وعزاء للطرباني في الصفير والأوسط من طريق سلمة بن هرب بن زياد عن أبي مدرك من ألس ، وسلمة بن هرب: مجهول كطيفه أبي مدرك وقد وثقه ابن حبان وذكر له هذا الحديث في ترجمته ، وفي الميزان : أبر مدرك قال الدارقشني : متروك فلا أدرى هو أبي مدرك هذا أن غيره ، ويقية رجاله ققات ، وانظر : ابن حيان في القفات / ٢٨/٣ ووواه الترمذي في الدعوات ح ٣٥٥٠ ، من حديث أبي هرورة قال : دوإذا لجتهد في الدعام تال : يا هي الاورج اهـ وقال : حديث غريب ، وذكره في نفس الباب برتم ٣٤٤٠ ، من حديث أدى بن مالك قال : كان إذا كريه أمر قال : بها هي با قيوم برحمتك أستفيث : أه.

(١٤) إن في تسعة وتسعين اصما من أحصاها :

رواه البخاري في الطريط (٢٩٦٦) وإض التوحيد (٢٩٤٧) ويسلم في الذكر (٢٩٧٧) والترمذي في السعوات (٢٠٠٦. ﴿ ﴿ ٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (٢٠٥٨) وأحدد في مسلم (٢٥٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن لله تسمة وتسمين أسما مائة إلا وأحدا من أحصالها دخل الجهة : ورياه الترمذي في التعوات (٢٥٠٧) وأن حليه في الدعاء (٢٨٦١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله تعالى تسمة وتسمين المهيدين العزيز واحد من أحساما نخل البجار الدكتون المائد (٢٨٦١) من حديث أبي والموحد في حسنوان المائد عن المائد عن مناول المائد عن المائد عن مناول المائد عن مناول المائد عن المائد المائد عن المائد عن المائد والدين من غير وجه عن أبي المائد والذي ﷺ وذكر الأصاء إلا في هذا الحديث والدريء أم والذي المائد والدريء أم المائد والدريء المائد والدريء أم المائد والدريء المائد والدريء أم المائد والدريء المائد والدرية والدرية إلى المائد والمائد والم

(98) ما أصاب أحدًا قطهم ولا حزن:

رواه أحمد في مسنده (۲۷۰۶) من حديث عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمنك نامسيتي بيدك ماش في حكمك عدل في قضارك أسألك بكل اسم هو لك سبيت به نفسك أن علمته أحدا من خلقك أن أنزلته في كتابك أن استأثرت به في عام الفيب عندك أن تجمل القرآن ربيح قلبي ونور صدري وجلاء حزني ونماب همي : إلا أنهب الله همه وجزنه وأبدله حكانه فرجا قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال بلي ينبغي لمن سمها أن يتعلمها .

(٦٦) تفسير الألوسي ٩ / ١٧٣ .

(٧٢) أحكام القرآن لاين العربي ٢ / ٨٩٧ - ٥٠٨ .

(٩٨) لا تزال طائفة من أمعي ظاهرين :

رواه البشاري تطلقاً في الاعتصام باب لا تزال طائفة من أمني ظاهرين ووصله في المناقب ۳۶۵۰ ، وفي الاعتصام (۱۹۷۰ - ۱۹۷۵ مولا) و ۱۹۱۰ من حديث الشفيدة . ورواه مسلم في الإساري ۱۹۲۰ ، ۱۹۷۰ من حديث الشفيدة . ورواه مسلم في الإسارية ۱۹۲۰ ، وأصد ۱۹۷۷ من حديث ويانا أبر مبدود في المناقب ۱۹۲۱ من حديث ويانا ابن بعدد . ورواه البشارية ۱۹۲۷ ، وأصد ۱۹۲۹ من حديث ويانا المناقب ۱۹۲۸ من حديث عدر الرحمن ، ورواه أحده ۱۹۷۵ من حديث عدر الرحمن ، ورواه أحده ۱۹۷۵ من حديث عدر الرحمن ، ورواه أحده ۱۹۷۵ من حديث عبد الرحمن ، ورواه أحد ۱۹۷۵ من حديث عبد الرحمن ، ۱۹۲۵ من حديث عدر الرحمن ، ورواه أحده ۱۹۷۵ من حديث عبار الرحمن ۱۹۲۵ من حديث عدر الرحمن ۱۹۲۵ من حديث عدر الرحمن ، الروانا المناقب ۱۹۲۵ من حديث بادر . ورواه أحده ۱۹۷۱ من ۱۹۲۱ من حديث بادر . ورواه أحده ۱۹۸۱ من حديث بادر . ورواه أحده ۱۹۸۱ من حديث بادر ورواه أحد ۱۹۸۱ من حديث بادراه من مديث باده ابن ماجه في القدمة ۷ من طريق الحباج با أرطاة عن عدرو بن ظميب عن في اللقدمة ۷ من طريق الحباج با أرطاقة عن عدرو بن ظميب عن

(٦٩) الطبري ١٣ / ٢٨٦ ابن كثير ٧ / ٢٦٩ ، وعرجه السيوطي في الدر المتفور ٣ / ٤٩ وزاد نسبته إلى ابن المعلر وأبي الشيخ.

(4) أورده السيوطي في الدر المنفور 3 / 1 24 ونسبه لابن جرير وابن المتلر وعيد بن حميد .

(٧١) قال في الشهاب : إذا رأيت الله ألمم على عبده ، وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه استدراج .

(٧٢) إنَّ اللَّهُ ليملي للطَّالُمِ ، حي إذا أَعِلُم لم يقلُّم :

رواه البخارى فى التنسير باب: قوله : ﴿ وَكَلَلُكَ أَمَادُ رَاكَ إِنَّا أَمَادُ الْقَرَى وَهِى طَلْمَة إِنْ أَمَادُ أَلِمِ وَلَمَاكُ أَمَّادُ رَاكَ إِنَّا أَمَادُ الْقَرَنِ بِابِ العقوبات (٢٠٩٨) عن أبى موسى رضمى فى قابر والصلة والآداب ، باب : تصريح النظام ((٧٥٧) وابن ساجه فى الفتن بأب العقوبات (٢٠٩٨) عن أبى موسى رضمى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : وإن الله ليملى للظالم ، حتى إنا أخذه لم يفلنه » قال : فم قرأ : ﴿ وَكَمَلُكُ أَعَلَ رَاكَ إِنَّا الْمَدْمُ لَمِي اللَّمَاتُ عَلَيْ الْمَادُ اللَّمِ اللَّمَانِ وَهَى طَالِمَةً إِنْ أَعْلَمُ عَلَيْكُ . أَعَمْدُ اللَّمِي وَهِى طَالِمَةً إِنْ أَعْلَمُ الْمِيْعِيْكُ .

(٧٣) تفسير المنار ٩ / ٣٧٨ .

(٧٤) مقتبس من تفسير المراغي للرُّمتاذ أحمد مصطفى المراغي ٩ / ١٠٤.

(ay) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ٩ / ٢٦ / .

(٧٦) اطعتم محمسا قبل محمس : حياتك قبل موتك :

ذكره السيوطى فى الجامع المعلير (۱۷۲) ونسبه للماكم فى المستدراى والبيهتى فى شعب الإيمان عن ابن عباس وأحمد فى السيود، قال المداوى فى فيضى القدير: قال فى الرحد أن دائمة فى القدير: قال المداون فى فيضى القدير: قال المداون فى المداون ف

(٧٧) لا تقوم الساعة حي تطلع الشمس من مغربها :

رزراه البيغاري في تفسير القرآن (٣٦٥، ٣٤٦) وفي الرقباق (٣٠١) وفي الفتن (٧٤٢) ومسلم في الفنن (١٥٥) و وأبو داود في الملاحم (٣٤١) وابن ماجه في الفنن (٣٠١) وأحمد في مستده (٣٤١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رأما الناس آمن من عليها فذلك حين ﴿لا ينام فلساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾.

(٧٨) اللقحة : الشاة الحلوب أو الحامل .

(٧٩) يليط : يطلى حوجه أو حجارات يجعش وتحوه ، ليمسك الماء ، انظر زاد المسير في علم الطعسير لابن الجوزى ٣ / ٢٩٨ طح المكتب الإسلامي ، وقد ترسح تفسير المنار توسمًا طويلاً رعفيناً ، في تفسير الآية ج ٩ ص ٣٩ ٩ .

(• ٨) ما المستول عنها بأعلم من السائل :

رواه البخارى فى الإيمان ح ٥٠٠ ، وفى تلسير القرآن ح ٤٧٧٧ ، ومسلم فى الإيمان ح ٨٠٠ ، والترمدي فى الإيمان ح ٢٠١٠. والتسائى فى الإيمان ح ٤٩٠ ، ١٩٥١ ، وأبو دارو فى السنة ح ٢٥٠ ، وابن ماجه فى المقدمة ح ٢٣، ١٥٠، وأحمد ح ٢٠٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢١٢١ ، من حديث أبى مريرة ، ومن حديث عمر بن الغطاب . وقال القرمذى : حديث حسن مصبح-

(٨١) ، (٨٢) الأستاذ عبدالكريم الخطيب الضمير القرآني للقرآن الكتاب الأول تفسير مورة البقرة ، والمجلد الثالث ٩ / ٣٥٥ .

(٨٣) انظر تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق د . عبد الله شحانة .

· (AE) لا حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش أها وألد :

رواه النرمذي في التفسير (٣٠٧٧) وأحمد في مسئده (١٩٦٧) من حديث سمرة عن النبي ﷺ قال: لما حملت حواء طاف. بها إنايس وكان لا يعيش لها ولد نقال سميه عبد المارث فسمته عبد المارث فعاش وكان ذلك من رحص الشهفان ، وأمره. قال الترمذي: حديث حصن غريب لا نعوفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ربواء يعضهم عن عبد المصد. رام يوفعه عبر بن إبراهيم طبخ بصري .

(۸۵) تفسیر این کثیر.

(٨٦) يشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا:

رواه البشارى في النفر (۱۹) من حديث أنس بن مالك عن الذبي ﷺ قال يسروا ولا تحسروا ويشروا ولا تنظروا ، رواه مسلم في البخوات والمسلم في المسلم المسلم أن المسلم في المضارى في الأدب (۱۲۲۵) ويشار المسلم في الأدب (۱۲۲۵) ويشار المسلم في الأدب (۱۲۷۵) ويشار المسلم في الأدب (۱۲۵) من حديث أبي موسى قال لما بعث رسل الله ﷺ ويماد بن جهار المسلم في الأدب المسلم في الأدب (۱۲۵) من حديث أبي موسى قال لما بعث رسل الله الله المسلم في الأدب المسلم في الأدب المسلم في الأدب المسلم في المسلم في المسلم ال

(٨٧) في فلال القرآن ٩ / ١٤١٩ .

(٨٨) فلسير المنار ٩ / ١٤٤ ، ٨٤٤ .

(٨٩) يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل:

رواه البخارى في التفسير (١٩٦٧) وفي الاعتصام (٢٧٣٨) من حديث ابن عباس قال قدم عبينة بن حصين بن حذيفة هنزل على ابن أهيه العدر بن قيس وكان من النقر القين بدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاويات كهولا كانوا أو شبانا فقال عبينة لابن أهيه يا ابن أهي على الى وجه عند هذا الأمير فاستأند في عليه قال سأستأذن الله عليه قال ابن على عالم المناطقة والمناطقة على المناطقة والمناطقة والمناطق

(۹۰) ما هڏا يا جيريل :

قال السيوطي في الدر المنظورة وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جويد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيع عن الشعبي قال: منا أثول الله : ﴿ فَعَلْ الشور وأمر بالعرف وأمر من المناطري﴾ قال رسول الله ﷺ: «سا هذا يا جبريل؟ قال: لا أمري حتى أسأل العالم ـ الذهب في رجع قال: إن الله أمروك أن تصفي عمن فلك، و لتحفي عن حرعه ، ويصل عن تطعاف ، ويتكو السيوطي في الجامع الصعفية ((٢٩١) بلنفذ خلالة من مكان الأعلاق عند الله : أن تمفو عمن خلاف ، ويتعلى من حرمك ، وتصل من قطعك . ويسمه للخطيب في التاريخ عن أنس . وقال: حسن . وقال الهيلامي في المجمع: وعن على قال: قال في الفيريًّة إلا الله على أكرم أخلالة الدنيا والأخرية أن تصل من قطعك ، وتحملي من حرمك ، وأن تعفو عمن ظلمك. وإنه الطبراني في الأوسط، وفيه الصارت وهو شعيف .

(۱۹) الخسير العنير للدكتور وهبة الزحيلى رئيس قسم الققه بجنامية دمشق ۹ / ۲۱۸ نشر دار الفكر المعناصر بيسروت لبنان ، دار الفكر دمشق سورية ط ۱ ۱ ۱ ۱ ۵ هـ – ۱ ۹۹۹ م .

(٩٢) نقلا عن تفسير المنار ٩ / ٤٤٩.

(٩٣) كيف يا رب والغضب:

قال السيوطى فى الدر المتقور: أشرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزل: : ﴿فَعَدَ الطُّو وأمر بالفرفُ وأمرهن عن الجلطين﴾ (الأمراف: ١٩٠) ، قال رسول الله ﷺ وكيف يا رب والفضي، فنزل : وإما يتزخك من الشيطان ترخ... الآية .

(٩٤) ولكن الله أعانيي عليه فأسلم :

رواه الترمذي في الرضاع باب ما جاء في كرامية الدهول على المغيبات (١٧٧٣) ، وأحد (١٣٩٦٣) ، والدارسي في الرغاق بال الرغاق باب الشهباتان بجرى مجرى الدم (٢٧٨٣) من مجالد من الشعبي عن جابر بلفظ لا تشجوا على المغيبات فإن الشهباتان بجرى من أحدكم مجرى المتقا ومناة قال، ومنى ولكن الله أعانتي عليه دأسلم ، قال أبر عيسي مذا حديث غريب من هذا الرجه وقد تكلم بعضهم عن مجالد بن سعود من قبل حفظه وسمعت على بن كمثرم وقول قال: سفيان بن المعارج وقول قالد سفيان لا يسلم .

(٩٥) اللهم آت نفوسنا تقواها:

رواه مسلم فى الذكر (۲۷۲۷) والنسائى فى الاستمانة (۵۵،۵۰ /۵۰۳۵) وأصعد فى مسنده (۱۸۸۲) من حديث ذيه بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول ﷺ يقول – كان يقول: اللهم إننى أموذ بك من المجز والكمال والجبن والبطل والهرم وهلاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت غير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إنى أعوذ بك من عام لا يقدم ومن ثلد لا يقشع ومن نقس لا تطبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

(97) تفسير المراشي للأستاذ أحمد مصطفى المراشي 4 / 9 0 1 ، وتفسير المتار 4 / 9 0 2 طبع الهيئة .

(٩٧) في طلال القرآن 4 / ٢٧٦ - ٣ ٢٤٢ - ، وقارن بكتاب الأساس في الفسير للأستاذ سعيد حرّى المجلد الرابع ص ٢٧٠ - ٣ ٨٧٨٠ .

(٩٨) لا صلاة لمن لم يقرأ بقاغة الكتاب :

روباه البشاري في الأدان (۲۰۷) ويسلم في المسلاة (۲۰۵) وأبور داور في المسلاة (۸۲۷) والترمذي في المسلاة (۲۷۱ /۲۷۱) والنساني في الانتتاح (۱۹۱ /۹۱) وابن ماجه في إليامة المسلاة (۸۲۷) وأحدد في مسلده (۲۲۱ /۲۷) من حديث عبادة بن المسامت أن رسول الله ﷺ قال لا مسلاة امن لم يقرأ بفائحة الكتاب .

(٩٩) تفسير المنار ٩/ ٤٦٦ مطبحة الهيئة المصرية العامة للكتاب وأبضًا تفسير المرافي ٩/ ١٥٥.

(، ، ٩) لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يعنى بالقرآن :

رواه البخاري في فضائل القرآن (۲۲ ه ، ۲۵ ه) ومسلم في صلاة المسافرين(۷۵۲، ۷۶۵۲) وأبر داود في المسلاة (۱۶۷۷) والنسائي في الافتتاح (۱۷ - ۱) والدارس في المسلاة (۱۵۸۸، ۱۵۹۸) وفي فضائل القرآن (۲۵۹۰، ۲۵۹۹) وأحد في مسلمه (۲۹۱۷) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله 難 لم يأتن الله لشيء ما آذن للغبي أن يتفني بالقرآن وقال ساحب له يويد يجود به .

(١٠١) ليس منا من لم يتغن بالقران:

رواه البضاري في التوحيد (۷۷۷۷) من حديث أبي مريزة قال : قال رسول الش ﷺ : ليس منا من لم يتفن باالقرآن وزاد غيره وجهر به . ورواه أبي داود في الصلاة (۱٤٦٩ / ١٤٦٩) والدارمي في الصلاة (۱٤٩٩) وفي فضائل القرآن (۲۶۵۸) وأحد في مسلمه (۱٤٧٩) من حديث صعد بن أبي وقامن أن رسول الش ﷺ قال : ليس منا من لم يتفن بالقرآن . (٢ • ١) تفسير المنار ٩ / ٢٦٤ ، وانظر تفسير المراطي ٩ / ١٥٦ .

(٢٠٢) في ظلال القرآن للأستاذ سيدقطب ٩ / ١٤٢٥ .

(٤ • ١) تجتمع ملاقكة الليل وملاقكة النهار في صلاة الصبح:

رياه البضاري في الأذان ح (١٩٤٩) ، ولمن تقسير القرآن ح ٢١٧٧)، ومسلم في المساجد ح ١٤٩٩، والترمذي في التقسير ع (١٤٣٥) ، والمن ماجه في المصلاة ح (٢٧٦) ، وأحمد ح(١٩٥٩) من مديث (٢٩٥٥) من مديث (٢٩٥٥) من مديث المسابق في المسابق م المسابق على مبلاً كلا المسابق في المسابق المساب

(٩٠٥) يا قوم أربعوا على أنفسكم:

رواه البشارى فى الجهاد (۲۹۹۷) وفى الشفارى (۲۶۰۵) وفى الدعوات (۱۲۸۵) وفى القدر (۲۲۹۰) وفى التوحيد (۲۲۸۰) (من حديث ابي موسى (۲۸۸۰) بمنسخد البي موسى (۲۸۸۰) بمنسخد البي موسى (۲۸۸۰) بمنسخد البي موسى (۲۸۸۰) بمنسخد البي المنسخد المنسخد

(١٠٩) اللهم لك سجد سوادي وبك آمن فوادي :

قال السيوسلى في الدر المتقون وأخرج اين أبى شهية عن اين عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول في سجويه: اللمج
لك سجد سوادى ويك أمن فرادى، اللهم ارزقنى علما ينفضنى وعلما يرفضى، وقال الجيشى فى المجمع: عن عاشفة قالت:
كانت لهائس من رسول الله ﷺ فانسل فظنت أنه انسل إلى بعض نساته فضرجت غيرى قرائ الله ساجدًا كاللوب الطوح
اسمت يطول سجد لك سوادى وهبالى آمن بك فرادى رب هذه يدى وما جنيت على نفسى يا عظيم ترجى لكل عظيم
المستث يطول سجد لك سوادى وهبالى آمن بك فرادى رب هذه يدى وما جنيت على نفسى يا عظيم ترجى لكل عظيم
المستث يطول سجد لك سوادى وهبالى آمن بك فرائك و التاب ظنا نقلت . قال: إن بعض الظن إلام فاستفرى الله،
إن جبريل أتنانى فأمرنى أن أقبل فد قبلكات التى سعت فقولهها في سجويك، فرائه من اللها لم يرفع رأسه حتى
يقض الهند في اللها أن يوبلى وفيه عثمان بن عباء الغرسانى وثقة دعيم وضعفه الهندارى ومسلم باين معين
وخيرهم، قال العراقي في تضريح الإحياء : أخرجه الحكم من حديث اين مسعود وقدال محيح الإسناد وليس كما قال إل

(١٠٧) أشيروا على أيها الناس:

ذكره البيهقي في دلائل النبية .

٩ ، ٨) ثلاث من كن فيه وج

رياه البخاري في الإيمان (٢٠١٦) وفي الأدب (١٠٤١) وفي الإكراء (١٩٤١)، وسلم في الإيمان (١٩٤٣)، والنسائي في الإيمان (٤٩٨٨) وابن ماجه في الفتن (٢٣٣) وأحمد في مسنده (١٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله منه عن الذبي 霧 ثال: ثلاث من كن فيه وجد حلاية الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه سما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النفر.

(٩ • ١) انظر افسير أبي السعود وافسير اان كثير ، والغسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوي ، والتفسير الوسيط لمنجمع البحوث الإسلامية ، وهناك روايات متعددة في أسباب النرول .

(و ۱ و) أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي :

تقدم من (۱۹۰۶) .

(١٩١) فينا معشر أصحاب يدر نزلت:

رياء أحمد في مسنده (٢٣٢٤٧) من حديث أبن أمامة الباعلى قال سألت عبادة بن العمادت عن الأنفال فقال فينا معشر أصحاب بدر تزلت حين لختلفنا في النفل وساءت فيه أعلاقنا فنزعه الله تبارك وتعالى من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ فينا عن براء يقول على السواء .

(١١٢) فاسير أي السعود ٤ / ٤ .

(۱۹۴) كيف أصبحت يا حارثة؟ :

قال الهيئمى فى الدجين: عن العارت بن مالك الأنصارى أند مر بالنبى ﷺ ققال له: كيف أصبحت يا حاوثة؟ قال: أصبحت با حاوثة؟ قال: أصبحت من الدنها (أي المست من منا حقيقة إيضائه أو قال: عزفت نفسى عن الدنها (أي كي منها) فأصورت ليفي فأشمأت تهارى وكاني أنظر مرض وبي بارزا وكاني أنظر إلى أمل البنئة في البعثة في العبد يتواريون فيها وكاني لنظر عرض وبي من الدنها إلى المل الناد يقتلها في عند أن المنهاد وبين أن المنهاد وبين أنس رسفى الله عند أن الذبي الكبير دونية إلى الملك أن عادلة في بعض سكك المدينة فقال: كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال: أصبحت مرضدا على قال: إن لكل إيمان حقيقة في العبد 10 قال: بعض عند المنهاد على المالية بعض عالى عادلة على المالية بعض عالى المنهاد على المالية بعض عالى عادلة على المالية على المنهاد المنهاد المنهاد المنهاد على عادلة بهارة وبالمناب المنهاد على عالى المالية المنهاد عالى كان بعض بعن عادل في المالية يقال الذبي الله أصبحت بهارة كان بعض بعن المنها فالقال يعادي بالمنها كله المنها المنهاد يقتمون فيها يكاني بالمن المناذ في الناذ يعادين فقال الذبي الله أصبحت بها.

(١ ٩ ٤) أشيروا على أيها الناس :

تقدم من (۱۹۷۸) .

(١٩٥) إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية :

رواه البخاري في للمج (۱۸۷۷) وسلم في الإيمان (۱۶۷) وابن ماجه في المناسك (۲۱۱) وأحدد في مسند (۷۷۷) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن الإيمان ليأرز إلى الدينة كما تأرز المهة إلى جمرها .

(١٩٦) اللهم أنجز في ما وصنتني اللهم:

(117) اللهم لا تودع مني:

انظر ما قبله .

(١١٨) تفسير أبي السعود ٤ / ٨ .

(١١٩) انظر تفسير أبي السعود حيث قال أبعدا (كانت السكينة ليني إسرائيل كذلك).

(١٢٠) تقسير أبي السعود \$ /٩ .

(١٢١) اللهم إلى أنشنك مهنك رومنك :

رواه البشارى في البهدار (٢٩١٩) وفي المفازى (٣٩٥٣) وفي التقسير (٤٨٧٥، ٤٨٧٥) وأحمد في مسنده (٣٠٣٤) من حديث ابن عباس رشى الله عنهما قال: قال الذي ﷺ وهو في قبة اللهم إنى أنشك عهداك ووعدك اللهم إن شلت لم تعبد بعد اليرم فأخذه أبر بكر ببده ، فقال: حسبك يا رسول الله فقد المحت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول : ﴿سهوم الجمع ويرارت الدير بل السامة موهم والساعة أدعى وأمر كه _

(٢٢٢) فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن :

قال السويطي في الدر المنثور: وأخرج ابن المنثر وأبو الخيخ من طريق ابن جريج عن ابن عباس وهني الله عنهما . أن المشركين غلبوا السلمين في اول أمرهم على الماء ، فقلمي الصلمون ومطرا مجنبين محدثين فكانت بينهم رمال ، فأقلى الشيطان في قلويهم المزن وقال: ألزعمون أن فيكم نبيا وأنكم أولياء الله وتصلون مجنبين محدثين؟ فأنزل الله من الصماء ماء فصال عليهم الوادي ماء ، فضرب المسلمون وتطهروا وتثلبت أقنامهم ونمهين وسوسته .

(۲۳ م) يعث الله السماء و كان الوادي دهسا

قال السيوطى فى الدر المنثور: وأخرع ابن أبى حاتم عن عروة بن الزيبر رضى الله عنه قال: بعث الله السماء وكان الوادئ روسا ، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبد الأرض وام يمتمهم المسير ، وأصاب قريشا ما لم يقدروا على أن در تطوا مده .

(۱۲٤) تاسير الآلومي ۹ /۱۹۷.

(١٧٥) الطبير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الحزب الثامن عشر صفحة ١٥٩٣ .

(١٢٦) فلسير المنار ٤ / ١١٣ نقلاً عن الرازي والتيسابوري .

(١٢٧) شاهت الوجوه:

رواه مسلم في الجهاد (١٧٧٧) من حديث إياس بن سلمة قال حدثني أبي قال غزونا مم رسول ﷺ حثيثا فلما وأجهنا العدو تقدمت فأعلوا ثنية فاستقلبني رجل من العدو فأرميه يسهم فتوارى عنى فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ قولي صحابة النبي ﷺ وأرجم منهزما وعلى بريتان متزرا بإحداهما مرتديا بالأخرى فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعا ومررت على رسول الله ﷺ منهزما وهو على بغلته الطهباء فقال رسول الله ﷺ لقد رأى ابن الأكوع فزما فلما غشوا رسول اللهﷺ نزل عن البفلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملاً عينيه ترايا بتك القبضة فواوا مديرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله صلى الله عنه المسلمين ، ورواه الدارسي في السير (٢٤٥٧) وأحمد في مسئده (۲۱۹۹۱) من حديث أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين فكنا في يوم قائظ بشريد الحر فتزلنا تحت ظلال الشهر فذكر القصة ثم أخذ كانا من تراب قال فحدثني الذي هو أقرب إليه مني أنه ضرب به وجرههم وقال شاهت الوجوه فهزم الله المشركين قال يطى فحدثني أبنارُهم أن أباءهم قالوا فما بقي منا أحد إلا المثلات عيناه وقمه ترايا . ورواه أحمد في مسنده (٣٤٧٥) من حديث ابن عباس أن الملا من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لوقد رأينا محمدا قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله . قال: فأتبلت فاطمة تبكي حتى سفلت على أبيها فقالت هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك ظيس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من بمك قال يا بنية أدنى وضوءا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا هو هذا فخفضوا أبصنارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصنارهم وام يقم منهم رجل فأقبل رسول 🛍 🗯 حتى قام على رورسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوره فما أصابت رجلا منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرا .

(٩ ٢ ٨) يا رب إن تهلك هذه العصابة :

انظر ما قبله

(٩ ٧ ٩) معل القائم على حدود الله والواقع فيها:

رواه البخاري في الشركة (۱۹۵۳) والترمذي في للفتن (۲۷۷۳) وأحمد في مسنده (۱۷۸۷) من حديث التعمان بن بشور رضى الله عنهما عن الذبي ﷺ قال علل القائم على حديد الله والوائح فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها ويعشمهم استفها تكان الذين في أسطنها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أننا خرقنا في نصبينة غرق ولم نزلة من فوقتا فإن يتركيهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أعضرا على أبييهم نجوا ونجوا جميعا.

(، ٣) مازالت قدماي حتى علمت ألى خدت الله ورسوله :

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج سعيد بن منصور وابن جريد وابن المنثر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الله ابن ابن قتادة رضى للله منه قال: نزات هذه الآية: ﴿لا تعوفرا الله والرصول﴾. في أبي لبابة بن عبد المنثر، سألوه يوم ا قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، فنزلت . قال أبر لبابة رضى الله عنه : ما زالت قدماى حتى عامت أنى عنت الله ورسوله .

(١٣١) ما ظنك باثين الله ثالثهما :

رواه الهشاري في التفسير (٤٦٦٧) ومسلم في فضائل المحماية (٢٣٨١) والثرمذي في التفسير (٢٠٩٦) وأحمد في مستده (١٧) من حديث أنس قال حدثني أبو يكر رضي الله عنه قال ، كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آفار المشركين تلتم: يا رسول الله لو أن أحدهم رفح قدمه رفانا . قال: ما خلاف بافتين الله فالفهما .

(١٣٢) اللهم إن كان هذا هو الحق من عداك :

قال السيوطى في الدر المنثور: أهرج الفريابي وعبد بن حسيد والنسائى وابن حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿سَأَلُ سَائِرُ﴾ قال: هو النضر بن المارث ، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عنداه فأسلن علينا حجارة من السماء ، وفى قوله : ﴿مِمَانَابِ واقع﴾ قال: كانن ﴿الْكَافَارِينَ لِسِ لَه دافع ء من اللهُ فى المعارج﴾

قال: ذى الدرجات . والحديث رواه البشارى فى التقسير (١٩٥٨ه ، ١٩٤٩) و بسلم فى صفة القيامة (٣٧٩٦) من حديث أنس بن مالك رخسى الله عنه قال أبو جهل اللهم إن كان هذا هن المق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أن التنا يعذاب أنيم غنزات : ﴿وَرَمَا كَانَ اللهُ لِمِنْيَهِم وأنت فِهِم وما كَانَ اللهُ معليهم وهم يستطرون ه وما لهم أن لا يعليهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرامة ... الآية .

+ + +

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله وبها تم الجزء التاسع

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1047	﴿قَالِ الْمَاذُ الَّذِينَ اسْتَكْبُورًا مِنْ قَوْمَهُ﴾	٨٨
1047	﴿قَد افْت رينا عالى الله كنبا﴾	
108.	﴿واسَال السمسلا السنيسن كسفسروا مسن قسومسه﴾	٩٠
108.	﴿ فَاحْدَثَ هِمَ السِّحِفَةَ فَاصْدِيدُ حَمَا﴾	41
102.	﴿اللَّذِينَ كَنْبُوا شَعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فَيْهَا﴾	44
108.	﴿ فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	97
7301	﴿روسا أرسلسنسا فسي قسريسة مسن تسيسي﴾	18
7301	﴿ثم بعليف مكان السيئة النصيفة﴾	90
1010	وليد أن أهيل السقيري وامينيوا واتقسوا	97
1020	﴿أَفْنَامِنْ أَمْلِ النَّقِينِ أَنْ يَنَاتِينِهِم بِنَاسِنَا بِينَاتِنَا﴾	47
1080	﴿أَوْ أَمِنْ أَمِلَ النَّقِرِي أَنْ يَعَالَنِيهِم بِمَأْسِنًا مُنْصَى﴾	9.4
1020	﴿أَفْ الْمُ اللَّهِ اللَّهُ ال	44
1080	﴿أَو لَــم يــهــد لــا ــنهــن يــردــون الأرض﴾	١
1089	﴿تـك الـقـرى نيقص عـلـيك مـن أنــــاكــهــا﴾	1.1
1089	﴿ن المحدث الأكثسرة من استهد	1.4
1001	وفيم بسعد شا مين بسعيد مي مسوسس ﴾	1.4
1007	﴿ وقـــال مـــوســي يــا فـــرعـــون﴾	١٠٤
1007	﴿ مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٠٥
7007	﴿ الله إِن كَانِت جِائِد بِالْهِ اللهِ	1.7
1007	﴿ فَالْفَيْ عَمِياهِ فَاإِنَّا هِنِي تُنْفِيانَ مِبِينَ ﴾	1.4
7007	﴿ونسزع يسده فسإذا هسى بسيفساء لسنساظ ريسن	1.4
300/	﴿قسال السمسالاً مسن قسوم فسرعسون﴾	1-4
1008	« <u>يــريـــد أن يـــــــــرچ کـــم</u> مـــــن أرشـــکـــم♦	111
3001	و الــــالــــال أرجـــه وأخــــاه	111
1008	(ب <u>ات</u> وك بـكـل سـاحــر عــا ــيــم)	117
1007	وُر مِي اللهِ	117
1007	ونــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	118

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1004	وقب السوايب مسوسي إمسا أن تساسقسي)	110
1004	وُفِ إِن السِفِ مِن قِيلِ السِفِ مِن السِفِ مِن السِفِ مِن السِفِ	117
1009	وُواْرِهِ بِينَا إلَّى مِسوسِي أَنْ ٱلَّةِ عَمِسَاكِ﴾	117
1009	ونــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	114
1009	ر ن ن الله	119
1009	﴿والسقسى السمسرة سساجسدين	17.
1009	وتالدوا وامدتها يسرب المعالمه يدن	171
1009	ورپ مسمون می معمل العن	177
1071	وتسال فسرعسون وامسفستسم يسه	174
1071	﴿لاقط عدن أيديكم وأرجل كسم	146
1075	و السال إنسا إنسا إنسا مستقبل بسين	140
1074	﴿ استسماد نأ الإ استسم مستسبة السري	177
١٥٦٤	﴿ رَسِّ اللَّهِ مِسْلاً مِسْنَ قَدْسِهِمْ فَسَارِهُ سُونَ ﴾	177
1070	وقدال مسوسسي لـقبرمــه استبعــيــتــوا يسانه	144
1070	﴿قــالـــوا أوذيـــنــا مــن قــبــل أن تـــأتــيــنــا﴾	179
1077	 ورات د آلم ذابا وال فرمون بالسنين 	14.
1077	و <u>نانا جاءت هم</u> ال <u>حسنة قال</u> وا♦	171
1074	﴿ وقالوا مهما تأتنا به من الية	144
1079	ونيارسيانيا عملييهم البطونسان♦	144
104.	والمما وقمع عمليهم المرجدز المالوا	377
104.	﴿فَالْمُمَا كَشَافَانِيا عَالَيْهِمُ الْسَرَجِينِ﴾	140
104.	وفانت ق م نام نهم ف أغرق ناهم»	177
1044	﴿ وأورا السقوم السذيسن كانسوا ﴾	144
1048	ورجارزنا بهني إسراءيا البسدير	۱۳۸
1048	﴿إِن مَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	179
1044	﴿قَالَ أَغْيِسَ افْكُ أَبِضْ يَكُمْ إِلْسَهَا﴾	12.
1044	﴿ وإذ أنبِ يناكم من ءال فرمون	121
1074	ورواعدنسا مسوسسي فسالافسيسن لسيساسة	127

رقم الصفحة	أول الآبات	رقم الآية
1074	وراسما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه	127
1044	﴿قَالَ يَا مَوْسَى إِنْنَى أَصَاطَقِينَكِ عَلَى النَّاسِ﴾	188
1040	﴿ وكستسيسنسا السه قسى الألسواح مسن كسل شسىء ﴾	180
7801	﴿سامسرف عمن دایساتی السذیسن بستسکه سرون﴾	187
7A01	﴿والدِّين كَدَيْسِ إِيسَايِسَاتِمِنْسَا واسقَسَاء الأخبرة	187
1044	والسفدة قدوم صوسى من يسعده من مشيهم	184
1044	﴿ وَلِــمِـا سَــقَــط قَـبِي أَيْدِيسَهِ سِمِ وَرَأُوا﴾	184
1091	﴿والمصارجيع مينسي إلى قسوميه﴾	١0٠
1041	﴿ قِــــال رب اغـــفــر لــــى ولأخـــى	١٥١
1097	﴿إِنْ الصَّدْيِ نَ اتَسَخَدُوا الصَّحِيلَ﴾	107
1094	﴿ واللَّذِينَ عَمِيالِ وَالسَّيْسُاتِ ثُنَّمِ تَسَابِوا﴾	107
1097	﴿ولـــمــا ســـكت عـــن مـــوســي الـــغضب﴾	108
1097	وا <u>ه تار سروسی قسوه</u>	100
1099	﴿واكبتب احتاقصي مناه العنبيا عسنة♦	107
1099	والدنيسن يستسبع من السرسطل»	١٥٧
17.5	وُقِ ل يَــاْيِــهِــا الــنباس إنـــي رســول الله﴾	١٠٨
17.0	ورسان قسوم سوسس أمسة)	109
17.0	ور <u>ة طيم ناهم</u> النتين عشرة أسباطًا﴾	17.
17.4	وران قيب ل لسهم اسكبنس ا هنده التقريبة)	171
17.4	المناب	177
1717	﴿ر _{وس} ا المام عسن السقسريسة﴾	175
1718	﴿ وَإِذْ قِيلَاتُ أَمِينَا مِنْ اللَّهِ أَمْ اللَّهِ أَمْ اللَّهِ أَمِينَا مِنْ اللَّهِ أَمْ اللَّهِ اللَّهِلَا اللَّهِ اللَّهِ الللَّلَّمِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا	178
3171	في المسادسان الكسرامانك	170
1718	﴿ اعتاء اعتارا عادن ما انها اعتاد	177
1717	الأراد تسادن ريك السياد الماد الم	177
1717	ورقط مناهم في الأرض أمصا	174
177.	وفي علق من يعهدهم علف ورقوا الكتاب	
177.	(والنين يمسكون بدالك تساب)	171
		14.

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1774	﴿وإذ نــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	171
3771	وراد آخد ربك مسن بسنس ءادم مسن ظهورهم	177
1778	وأو تعقل السما أشرك وابساؤنا من قبل	174
3771	و کا الآیاد الله نام الآیاد الآیاد الآیاد الله نام الله نام الآیاد الله نام الله نام الله الآیاد الله نام الله	۱۷٤
174.	واتبل عليهم نببأ الذي والتيناه وايباتينا	170
174.	﴿ وار و شرق نا الرق م ناه بسها والكنه ﴾	177
174.	﴿	177
3771	ومسن يسهد الله فسهسو السمه تحسدي	174
3771	﴿ وَلَقَدَ ذَرَانَنَا لَنَجُهُمُ مَا تُكْثِيرًا مِنْ النَّجِينَ وَالرَّبْسِ ﴾	174
1747	﴿والله الأسمياء الصديق فسادعوه بسهيا	14.
178.	ورمسمن خطيقت أمسة يسبهدون	141
178.	﴿والمنديدن كمندبسوا بمسأيساتسنسا﴾	144
178.	﴿وأمسلسي لسهسم إن كسيسدي مستسيسن﴾	144
7371	﴿أولهم يستنفكروا منا يصناه بنهم﴾	146
1757	﴿ أَوْلُمْ مِنْ عَلَيْهِ وَإِنَّ فَسَى مِنْ لَكُونَ السَّمِنَاوَاتَ وَالْأَرْضَ ﴾	140
1351	ومن يفسلسل الله فسلا مسادى لسه	141
1787	﴿يسبئلسونك عسن السناعية أيسان مسرساهسا﴾	147
1701	﴿قَـل لا أمسلك لسنسفسس نسفسعا ولا خسرا﴾	١٨٨
1704	﴿هــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	184
1704	﴿فَلَمَا ءَاتِنَاهُمِنَا صَالِحًا جِعَلَا لَنَّهُ شَرِكَاءُ﴾	14.
1707	﴿أيشسركسون مسالا يسفساسق شيسلسا﴾	141
1707	﴿ولا يستــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	147
1707	﴿ وَإِنْ تَسْدِعُسُوهُ مِنْ إِلَّسِي السَّهِسُدِي لا يَسْتَبِسُمُ سَرِكُمْ ﴾	198
1704	﴿إِن الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	198
1709	﴿الله م أنجال يستسون بسها﴾	190
1709	﴿إِنْ والعيسى الله الدنى نسزل السكستساب	197
1771	﴿رائــــنيــــن تــــدمــــين مــــن دونـــه﴾	147
1771	وران تـــدعـــــــــــــــــــــــــــــــــ	19.8

رقم الصفحة	أول الأيبات	رقم الآية
1775	﴿خِسدُ السعسقسووأمسريسالسعسرف،	111
1777	﴿ وإمسا يستسرغ شك مسن الشسيسطسان نسرخ﴾	7
1777	﴿إِن السَّذِي السَّنِ التَّهِ عَلَى إِذَا مَسَّهُ مَا إِنَّ الْعَسَانِ الْعَلَامِ مِنْ الْعَلَامِ مِنْ الْعَلَ	4.1
VFF1	﴿وإِهْ وَإِنْ السَّاسِ عِنْ مُسْدُونَ سَهِ عَمْ أَسَى السَّفْسَى﴾	7.7
1774	﴿ وَإِذَا لِـــم تـــأتـــهــم بِــاًيــة ﴾	7.4
1779	﴿وإذا قصريع السنة مان	4.8
1774	واذكر ريك في نفسك تضرعا وعيفة	۲٠٥
1774	اِن ال <u>ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ</u>	7.7
1777	تقسير سورة الأنفال	-
34.77	ويسط السبونة عسن الأنسف ال	\
3451	وإنسسا السرة ستون السنيسن إذا ذكس الله ﴾	۲
١٦٨٤	والدين يسقيسمون المسلاة	٣
3851	﴿أُولِ لِنَ مُسَمِ السَّمِينَ مِسْرِينَ مُسْتِينًا﴾	٤
1791	♦ طئي بن نسب في بيان من بن بن من المن من بن من المن من بن من من بن من من بن من بن من بن من من بن من من من بن من	٥
1741	وينجسادلسوتك فني النصق بمعدما تسييسن	٦
1791	﴿ وَإِذْ يَسِمُ دِكُسُمُ اللَّهُ إِحْسِدِي السَّمَالِينَ فَيْ يَسِنُ ﴾	٧
1711	والمستق المستق ويسبسطسل السبساطسل	٨
1797	الا تستقديد شدن ريكم فساست جاب الكرم»	4
1797	وماجعت الله إلا يشرى واستطعت ن	١٠
1799	﴿إِذِي نَدْ يَكُمُ النَّاعِياسُ أَسِنَّةً مُسْتُهُ﴾	11
1744	﴿إِذْ يَسِيمُ عَنِي رِيكَ إِلَّنِي الْصِمِلِاتُ كَنَّةُ﴾	١٢
1799	ونك يائهم شاتوا الله ورسواه	15
1799	€	١٤
۱۷۰٦	وا الـــــــــن ءامــــــــــــــــا	١٥
۱۷۰٦	ورن يواسهم يوم شددبسره)	17
17.7	الم	17
17.7	ان الله -)	14
۱۷۰٦	وُإِن تستفد حافق د جاءكم الفتح	14

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
141.	﴿ يَا مِهِا الدِّينَ عامدُ وَا أَطْيِهُ وَ اللَّهُ وَرَسُولُ هُ	٧٠
1 171+	ولا تــكــونــوا كــالــذيــن قــالــوا ســمـــفــــا»	41
171.	﴿إِنْ شِيرِ السِيوابِ عِيسِيدَ اللهِ﴾	77
171.	` ورايدو عمل ما الله قسيد مع علم مديدا »	74
۱۷۱۳	وْياْيِها النِّين ءامنوا استجيبوا له واللرسول﴾	45
1717	ورا <u>ت قال نا تا</u> کا تمایا ناس	Y0
1714	واذكروا إذ أنتم قاليل مستنعيف ون	77
1714	ويأيها الدين وامنحا لا تنصونوا الله والرسول	77
1717	واعدا حمد التحدا أمداك م وأولادكم	44
1714	رياً يها الدين مامنيوا إن تقدوا الله	79
1717	﴿ وَإِذْ يَمَكُمْ بِكُ النَّيْنَ كَفَرُوا لَيَكْبِتُوكَ أَوْ يَقْتَلُوكُ	۳٠
1717	﴿ وَإِذَا تَدِينَا مِنْ عِلْمُ مِنْ مِنْ الْمِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ م	77
1717	﴿ رَادَ قَالُوا اللَّهِمَ إِنْ كَانَ مِنْا هُو الْحَقِّ مِنْ عَنْدَكُ ﴾	۳۲
1717	ورمسا کسان الله اسد و دب هم وأنت فريد هم	44
1717	﴿ ا ـــــــــــــــــــــــــــــــــ	37
1414	﴿ روسا كان مسالة هم عمد السبسيت ♦	40
1771	﴿إِن السنيسن كسفروا يسنسفسون أمسوالسهسم﴾	77
۱۷۲۱	وليدين الله المضيديث من المطيب	**
1771	وفسل لساديسن كسفسروا إن يستستسهسوا	۳۸
1771	ورتساتسارهم حستسي لاتكون فستسنة	79
1771	وران تسولسوا فساعط مسوا أن الله مسولاكسم	٤٠
1778	ante	_
1440	تخريج أحاديث وهوامش	-
1757	الموشوعات	-

تم تفسير الجزءالتاسع ويليه تفسير الجزء الماشر إن شاء الله تعالى

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء العاشرمن القرآن الكريم

النكتور

عبد الله شحاته



﴿ ﴿ وَاَعْلَمُواْ أَنْمَا غَنِمْتُمْ مِن مَنْيَ وَ فَانْ لِلَهِ مُحْسَمُ وَلِلْرَمُولِ وَلِذِي الْقُرْيَ وَالْمَسَنَى وَالْمَسَكِينِ وَآئِبِ السّيَبِلِ إِن كُشَّةً وَامَنشُم بِاللّهِ وَمَا أَزْلَنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ بَوْمَ الْنَهَ الْجَمْعَانُ وَاللّهُ عَلَى شَكْرِ مِن اللّهُ وَمَا أَزْلَنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ بَوْمَ الْنَهَ الْجَمْعَانُ وَاللّهُ عَلَى مِن اللّهُ وَمَا أَنْهُ الْجَمْعَانُ وَالدَّعْبُ اللّهُ فَلَى مِن حَلَى مَن وَلَوْ وَاحْدَثُمْ لاَ مُعْلَى مَن مَن عَلَى مَنْ عَلَى مَن عَلَى مَنْ عَلَى مَن عَلَى مَن عَلَى مَنْ عَلَى مَن عَلَى عَلَى مَن عَلْ عَلْ مَن عَلْ عَلْ عَلْ مَن اللّمَ عَلَى مَن عَلْمَ عَلَى مَا عَل

المردات ،

ضنه تم تم و الغنيمة: من الغنم وهو الفوز ، والمراد بها هنا: ما أهذ من أموال الكفار بالقتال .

الهمسسان ، جمع المؤمنين وجمع الكفار.

السمستوة ، طرف الوادي وحافته .

السندسيساء أي: القريبة من المدينة.

المقصوى، البعيدة عن المدينة.

السمسركياء العير وراكبوها وهم أبو سفيان ومن معه.

صن بهشة ، أي: عن حُجَّةٍ واضحة .

الششائيم ، لجينتم وتهييتم لقاء العدو؛ من الفشل وهو ضعف مع جبن .

بذات الصدور : أي : بما تنطوي عليه القلوب .

التفسيره

١ ٤ – وَآهَلُمُواْ أَلْمَا هُوِيْتُم مَّن هُيْءٍ قَأَنَّ لِلَّهِ مُعُمَّهُ وَلِلْوُسُولِ وَلِلِي ٱلْقُرَائِي وَٱلْيَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَآبَنِ ٱلسَّبِيلِ ... الآية. فقهيد :

هذه الآية تفصيل لما أجعل حكمه في يدء سورة الأنفال : حيث بدأ الله سورة الأنفال بقوله سبحانه : يَسْتُلُو لَكَ عَنِ الْأَفْالِرُّ قُلِ اللَّهَالُ هُ وَالرَّمُولُ . وفي هذه الآية تفصيل لحكم الفناتم ؛ التي اختص الله هذه الأمة بإحلالها لها ، ولم تحل الفناتم لنبي قبل محمد صلَّى الله عليه وسلم ؛ وقد ذكر القرآن هذا : أن الفنائم تقسم همسة أخماس : همس لمن ذكرتهم الآية ، وأربعة أخماس للمقاتلين .

چاء <u>هي هتح القدير للشوكاني</u> ،

وَآعْلَمُواْ أَلْمَا غَيِمْتُم مِّن شَيْءٍ .

الغنيمة : مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر ، والفناقم شاملة لكل ما غنمه المسلمون من أرض يمال وغيرهما .

فَأَنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبَّنِ ٱلسَّبِيلِ .

قَالَ الشَّافَى: إِنَّ الخَمْسَ يَقْسَمَ على خَمْسَةَ ، وإنْ سَهِمَ اللهُ وسَهِمَ رَسُولَهُ وَاحْدَ يَمْسَرَفَ فَي مَمَالُحَ المُؤْمِنِينَ ، والأَرْمِمَةُ الأَمْمَاسِ على الأَرْبِمَةَ الأَمْسَافَ المُذَكِّرِيّةَ فَي الآيةً .

وأولْ أبي حنيفة: إنه يقسم الشمس على ثلاثة: اليتامي ، والمساكين ، وابن السبيل .

وقد ارتفع حكم قرابة رسول ش 蟾؛ يموته كما ارتفع حكم سهمه . ا هـ .

ونلاحظ أن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ، وأن الفناتم تأتى أمر} لاحقًا بعد الجهاد ، فهى . نافلة ، تأتى زيادة على الجهاد ، والنمبر يأتى من عند الله سيحانه وتعالى ؛ ولذلك رضى الله بأن يرّعد من المقاتلين الغمس ، ويترك لهم أربعة أخماس .

والخمس كان ينفق منه على رئيس الدولة، فهو مظهر قوتها، وهو يتفقد المصتاجين ويعطى المعوزين؛ وقد أضيف سهم الخمس إلى الله ؛ تشريفًا وتكويمًا . والواقع أن سهم الله هو سهم الرسول أو من ينوب منابه فالخمس الذي يرَّحَدُ من الغنائم يقسم إلى خمسة أخماس توزع على خمس فئات :

١ - الرسول 難، ومن ينوب منابه من الحكام والخلفاء بعد موته عليه الصلاة والسلام.

y – أقارب الرسول ﷺ ، من بنى هاشم وينى المطلب؛ لأنهم هم الذين آزروه، ودخلوا معه فى شعب بنى هاشم دون بنى عبد شمس ونوقل . روى البشارى: أن رسول الشﷺ قال : وإنهم لم يفارقونى فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحده " ، وشيك بين أصابعه .

٣ - اليتامي : وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم .

ع - المساكين : وهم أهل الفاقة والعاجة من المسلمين .

ه - ابن السبيل: هو المسافر المعتاج الذي انقطعت به السبل ، حتى كأن الطريق أصبح أبًا له .

إِنْ كُنعُمْ ءَامَنعُم بِٱللَّهِ .

إذا كنتم أمنتم بالله ؛ فاقبلوا بحكمه ، ونقُدوا أوامره ، وقسموا الفناتم كما أمر بتقسيمها .

وَمَا أَنزَلُنا عَلَيهِ عَبْدِنَا يَوْعَ ٱلْقُرْقَانِ .

وهو يوم غزوة بدر كان المؤمنون قلة في عديهم وعدَّتهم ، وكان الكافرون يزيدون على ثلاثة أضعافهم .

ولكن الله سبحانه أمد المرمدين بنصره ؛ فانتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، في يوم الفرقان ، الذي فرق الله فيه بين الحق والباحل .

يُوْمُ ٱلْكُفِّي ٱلْجَمْعَانِ .

جمع المؤمنين وجمع المشركين في العرب والنزال ، وقد كان ذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ .

وَٱللَّهُ عَلَيْ كُلَّ شَيْءٍ قَايِرٌ .

فالنصر من عند الله ، ومن قدرة الله أنه نصركم على قلتكم وضعفكم ، ويلوغ عدوكم ثلاثة أضعاف عددكم أو أكثر ، وأيد رسوله وأشهز وعده .

٤٢ - إِذْ أَلْعُمْ بِٱلْعُلْدُوَةِ آللُّنَا وَهُمْ بِٱلْعُدُوةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ منكُمْ وَلَوْ تُواعَدُتُمْ لاَ مُخْلَفُتُمْ فِي ٱلْعِيطاءِ...

إذْ . بدل من يُزَمُ ٱلْقُرُقُاتِ . في الآية السابقة أي : انكروا أيها المرْمنون ثلك اللقاء الحاسم بهنكم وبين المشركين ، واشكروه على نصره إياكم فيه ، حيثما كنتم في مواجهة رهيبة مع الأعداء . إِذْ كنتم في جانب الوادي القريبة من المدينة ، وهي أرض رطية تسوخ فيها الأقدام ، والمشركون نازلين في جانب الوادي الأخرى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة وهي قريبة من الماء .

وركب أبى سفيان وأصحابه أسفل منكم ، حيث كانوا ناحية الساحل ، ومعهم عيرهم على بعد ثلاثة أميال من بدر. وكان أبو سفيان فى أربعين من قريش ، وهم مع أهل مكة يدافعون دفاع المستميت ، وجميع أميال من بدر. وكان أبو سفيان فى أربعين من قريش ، وهم مع أهل مكة يدافعون دفاع المسلمين : فمكانهم كان ترابيًا رخوًا ، ومكان المشركين مسلبًا قريًا وليس مع المؤمنين ماء ، وكان مع المشركين ماء ، والركب مع أبى سفيان ظهير ومدد للمشركين عاد العاجة ، والمشركين متحمسون للدفاع عن التجارة ، التي نجا بها أبو سفيان ، وسار بها على ساحل البحر في طريق منفقض عن بدر.

وتحديد مكان الممركة على هذا النحو ؛ فيه بهان لمنة الله تعالى على المؤمنين ؛ حيث أمدهم بالنصر، وهم أقرب إلى الضَّفَف ، في عددهم وعدتهم وموقعهم في مقابل قوة عدوَّهم ، وقدرتهم وتوفّر أسباب النصر المادية لهم .

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

أإِنْ قَلْتَ : ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين ، وأن العير كان أسقل منهم ؟

قلتُ : الفائدة فيه الإهبار من الحال ، الدالة على قوة شأن المدنّ وبقوكته ، وتكامل عُدّته ، وتمهد أسباب الغلبة له ، وضعف شأن المسلمين ، وأن غلبتهم في مثل هذه المال ليست إلا سُنما من الله سبحاته ، ودليلا على أن ذلك أمر لم يتسير إلا بحوله وقوته وباهر قدرته ".

وَلَوْ تَوَاعَدتُهُ لاَ خَتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعادِوَلَكِن أَيْفَضِي ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً .

أى : ولى تواعدتم أنتم والمشركون في مكان للقتال ؛ لاجتلفتم في الميعاد ، ولم ترغبوا في لقاء المشركون : هيبة منهم ، ويأسّا من الظفر علههم ، من جهة . ولأن المشركين كانوا يهابون قتال رسول الله ﷺ. فقد كذّبوا به عنادًا ، واستكبروا عن الدخول في الإسلام عن جمود وكراهية لا عن يقين واقتناع .

قال تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْوُلُكَ اللَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَلَّبُونَكَ وَلَكِنَّ الطَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. (الأنعام: ٣٣)

ولكن الحق سبحانه دبرٌ هذا اللقاء ، حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين ، مبهمة غير مبينة (أي: العير أو النفير) فإما أن ينجحوا في الاستيلاء على تجارة قريش ، وإما أن ينجحوا في الانتصار على قريش .

فتحركت همة المسلمين ؛ حتى خرجوا ليأخذوا العير والتجارة وتحركت همة المشركين ؛ دفاعًا عن

تجارتهم ، ورغبة في التظاهر والسمعة ، وتم اللقاء عند بدر ؛ ليحق الله الحق ، ويقضى أمرًا كان مفعولاً ؟ من إعزاز دينه ، وإعلاء كلمته ، وقطع دابر المشركين وهزيمتهم ، كما قال سيحانه : سَهُوَرَمُ ٱلْجُمْعُ وَيُوفُّونَ آللًا ، (القدر 23).

لِّيهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيَّنَةٍ وَيَحْمَى مَنْ حَيَّ عَن يَيَّةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ .

أي: قمل الله لقامكم في غير ميماد: لتظهر المعجزة : في انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، غيموت من يموت من الكفار عن حجة بينة عاينها بالبصر : تفيت حقيقة الإسلام ، ويحيش من يعيش من المؤمنين عن حجة شاهدها بإعزاز الله دينه : فيزماد يقينًا بالإيمان ، ونشاطًا في الأعمال .

وَإِنَّ ٱللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

لا ينفض عليه شيء من أقوال الكافرين والمؤمنين ، ولا من عقائدهم وأفعالهم .

فهو يسمع ما يقول كل فريق منهم ، ويعلم ما يظهره وما يبطنه ، ويجازى كلاًّ بحسب ما يسمع ويعلم.

واخّلاصة : إن غزوة بدر ، قامت بها الحجة البالغة للمؤمنين بنصرهم ، كما بشرهم النبي 藥 ، وقامت بها الحجة البالغة على المشركين بخذلانهم وانكسارهم ، كما أنذرهم النبي 藥 .

٤٣ - إذ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيرًا لَفَضِكُمْ وَلَتَنَازِعُنَمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهُ سُلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِلَاتِ الصَّدُورِ ،

تذكّر الآية للرسول الأمين ، والمؤمنين يفضل الله تعالى عليهم ومنته العظيمة ؛ حيث يسُر لهم أسباب النصر على عدد أكثر عندًا وعدة ومددًا .

ومن هذه النعم : إلقاء الشجاعة والقوة في قلوب المؤمنين ، وإفقاء الاسترهاء والتهاون في قلوب الكافرين ؛ ذلك أن النبي ﷺ رأى في منامه أن عدد الكفار تقيل ، فأخبر بذلك أصحابه ؛ فكان تثبيثًا لهم ، وتشجيعًا لهم على قتال عدوهم .

قال الشوكالي في تفسيره فعح القدير:

والمسى: أن الذي 義 رَاهم في منامه قليلاً ؛ فقصُّ ذلك على أصحابه ، فكان ذلك سببًا لثباتهم ، ولو راَهم في منامه كثيرًا ؛ لفشلوا وجبتوا عن قتالهم وتنازعوا في الأمر هل يلاقونهم أم لا ؟

وَلَكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ وعصمهم من الفشل ، فقللهم في عين رسول الله ﷺ . ا هـ .

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِلَاتِ ٱلصُّدُورِ .

أي: يعلم ما سيكون فيها ، من الجرأة والجبن والصبر والجزع ؛ ولذلك دبر ما دبر ".

£ ٤ - وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ (" إِذِ ٱلْتَغَيَّمُ فِي أَعْيُنِكُمْ فَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيَنِهِمْ .

أي : وإذكروا أيها المؤمنون : الوقت الذي يريكم الله الكفان قبل القتال عددًا تليلاً ، في رأى العين المجردة ، حتى تجرآتم وارتفعت معنوياتكم ، ويجملكم بالفعل قلة في أعين الكفار ، فيعترُوا ولا يحدُّوا العدة لكم ، حتى قال أبو جهل : إنما أصحاب محمد أكلة جزور ، خذوهم أخذا ؛ واريطوهم في الحبال .

وأكلة جزور: مثل يضرب في القلة ، أي : إنهم عدد قليل يكفيهم جزور واحد في اليوم ويشبعهم لمم . ناقة .

و (أكلة). بوزن (كتبه). جمع أكل، بوزن فاعل. والجزور: الناقة".

لِيَقْطِينَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً

أى: فعل كل ذلك ليميد للحرب ؛ فتكون سبيلاً فى علمه تعالى لنصرة المؤمنين، وإعزاز الإسلام، وهزيمة الكافرين وإذلال الكفر .

وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ .

أى: إلى الله مصير الأمور ومربّما ، وفيه تنبيه على أن أحوال الدنيا غير مقصوبة لنواتها ؛ وإنما المراد منها ، ما يصلح أن يكون زادًا ليوم المعاد .

في أعقاب التفسب

 ١ - ردى ابن أبى حاتم وابن جرير الطبرى ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين ؟ فقال: أراهم مائة ! فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا له : كم كنتم ؟ قال: ألفا؟.

٢ – قال الزعنشريّ :

فإن قلت: الغرض فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر ، فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى أعينهم ؟

قلتُ : قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ، ثم كلَّرهم فيما بعده ؛ ليجترئوا عليهم ؛ قلة مبالاة بهم ، ثم تفجرُهم الكثرة ، فيبهتوا ويهابوا ، وتقلُ شوكتهم ، حين يرون مائم يكن في حسابهم وتقديرهم ، وذلك قوله تمالى : قَدْ كَانَ لَكُمْ وَايَدْ فِي فِتَنِينَ الْفَقَافِيَةُ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَىٰ كَافِرَةً تَوْرُؤَهُم طَلَيْهِمْ رَأَى ٱلْعَرْنِ. (ال عمران: ١٣) ولذلا يستحدُّوا لهم ، وليعظم الاحتجاع عليهم ، باستيضاح الآية البيئة من قلتهم أولاً ، وكثرتهم آخرًا.

- ٣ قال الفخر الرازى: قال مجاهد : أرى الله الذبي ﷺ ، كفار قريش فى منامه قليلاً : فأخبر بذلك أمىحابه، فقالوا : رئيا النبى حق ، القوم قليل : فمنار ذلك سببًا لجرأتهم وقرة قلوبهم .
- ٤ تفيد كتب السيرة : أن أسيرين من المشركين وقعا في الأسر ، فسألهما النبي ﷺ عن عدد المشركين، فقالا ليس لدينا علم بعددهم ، فسألهما كم يذبحون من الإبل كل يوم ؛ قالا : يذبحون في بعض الأيام تسمًا، وفي بعضها عشرًا من الإبل .

ققال ﷺ: القرم بين التسممائة والألف؛ أي : أن النبي ﷺ أعبر المسلمين بعدد المشركين في غزوة بدر ، بناء على لجنهاده ودقة تقديره .

فكيف نوفق بين ذلك ، وبين إخباره لهم بأنه رأى في الرؤيا أن عددهم قليل ؟

والجُواب : أن القلة في المنام رمز إلى قلة غنائهم وقلة وزنهم في المعركة : لأنه ينقصهم الإيمان المسميح الذي يقرى القلوب ، ويدفع النفوس إلى الإقدام والنصر : طلبًا للمثوية ، وحرصًا على الشهادة في سبيل الله .

ه - قال السيد وهيد وضا في تفسير المار:

«قد تقدم أن النبي ﷺ قدّر عدد المشركين بألف، وأحبر أصحابه بذلك، ولكنّه أخبرهم مع هذا، أنه رأهم في منامه قليلاً، لا أنّهم قليل في الواقع، فالظاهر أنهم أزّلوا الرؤيا بأن بلاءهم يكون قليلاً، وأن كيدهم يكون ضمينًا فتجرّنُ وا وقويت قلويهم».

٣ - ذكر الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسير سورة التوبة أثناء تعليقه على تفسير هذه الآيات قوله:

« ويذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد حكت لنا جائباً من أحداث غزرة بدر بأسلوب تصويري بديع؛ في استمضاره لمظاهدها ومواقفها ، وكشفت لنا عن جوانب من مظاهر قدرة الله ، ومن تدبيره المحكم، الذي كان فوق تدبير البشر ، ومن تهيئة الأسباب الظاهرة والمفقية التي أدت إلى نصر المؤمنين ، وخذلان الكافرين₂™.

المفردات ،

السطيعة وجماعة .

والاتسنسازهسوا، ولا تختلفوا.

تسفهسفسواء تجينوا وتضعفوا . والفشل في الأصل : الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر وأكثر أسبابه : الضعف والجين ولذلك فسروم هنا بهما .

تشهبريسكم؛ تذهب قوتكم.

رئساء السنساس؛ مرائين الناس. والرياء والمراءاة: إظهار العمل؛ رغبة في ثناء الناس والإعجاب به وهو محيط للأعمال الأخروية. ذكس على مقبية ، رجع القهقرى ، أى : تولى إلى الوراء جهة العقبين ، والمراد : كف الشيطان عن وسوسته وذهب ما خيله من المعونة لهم .

جــار الكـم، أي: مجير وناصر، والجار الذي يجير غيره أي: يؤمنه ممَّا يخاف.

غر هؤلاء ديثهم ، أي : خدع هزلاء السلمين دينهم ، فظنوا أنهم ينصرون به فأقدموا على ما أقدموا عليه مما لا طاقة لهم به .

التفسيره

عَ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا مَنْوا إِذَا لَقِيعُمْ فِعَدُ فَالْبُعُوا ... الآية .

هذه الآيات تُعلَّم المسلمين آباب اللتال ، وفنون الحرب ، وتحثهم على التخلق بالثبات في النَّزال ، وعدم التفكير في الهزيمة أو الفرار .

يروى أن معاوية بن أبي سفيان قال:

فكُّرت في الهزيمة يوم صفين ؛ فتذكرت قول عمرو بن الإطنابة :

أقول لها وقد طارت شعاعًا من الأبطال: ويحك أن تراع

فانك لبو سألت بقاء يبوم على الأجال الذي لك لم تطاع

سبيل المون راحــة كــلُ حــي فـــداعـــيـــه لأهــــل الأرض داع

ومن لم يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع

وما للمصرة خير في صياة إذا مما عُدُ من سقط المتماع

ومعنى الآية :

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذا حاريتم جماعة من الكفار ، والتقيتم بهم في ميدان الحرب ، فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم ، وتصمدُوا للقائهم ، وإياكم والفرار من الزحف ، وتركيتهم الأدبار ، فالفرات فضيلة ، والغرار كبيرة ا.

وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّمَلَّكُمْ تُشْلِحُونَ .

وعليكم يذكر الله تمالى ذكرًا كثيرًا ، والتضرع إليه بالقلب واللسان ، مع اليقين الجازم بأنه سبعانه على كل شيء قدير ، ويبده الغلق والأمر ، كما فعل المؤمنون السابقون من أتباع طالوت ، حيث رغبوا في الثبات ، وتنزعوا بالصبر وأخذوا العدّة إلى النصر ، قال تمالى : وَلَمَّا بَرُورًا لِجَالُوتَ وَجَثُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَلَيْتَ أَقْدَمَنَا وَآتَصُرْنَا عَلَى أَلْقَوْمِ أَلْكَافِينَ هَ فَهَزَمُوهُم والذِن اللَّهِ وَقَلَمْ دُولُهُ جَالُوتَ وَعَرَّاهُ اللّهُ الشَّلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلْمُهُ مِنَّا يَشَاءُ .. (البعد: ٢٥٠، ٢٥٠)

فالنصر حليف الثبات واليقين ، والرغبة في الشهادة ، والحرص على مرضاة الله : كُم مِّن فِيْهَ لِبُلِهَ غَلَبَ فَهُ كَبِرُهُ بِذَادَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَرَّ المُّامِدِينَ (البنري: ٢٤٩) .

وذِكْر الله تعالى عون في الشدائد، وسبيل إلى النصر، وباب من أبواب الثواب والأجر.

مَّال تعالى : وَٱللَّاكِرِينَ اللَّهَ كَايِرًا وَٱللَّاكِراتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٣٥)

وذكر الله سبيل إلى الفلاح والنصر وطريق إلى علو الهمة، واستمداد العون من الله. قال تعالى: وَأَذْكُرُواْ اللّهُ كَلِيرٌ الْمُلَكُمْ شُلْمُونَ .

وهذا يدل على أن ذكر الله تعالى مطلوب في أحوال العيد كلها ، سلمًا وحريًا ، وصمحة ومرضًا . وإقامة وسفرًا : فذكر الله دواء وذكر الناس داء .

من هدى السنّة

وجاء فى الحديث المرفوع ، يقول الله تعالى : وإن عبدى كل عبدى: الذى يذكرنى ، وهو مناجز قرنه، ١٧٥ أى : لا يشفله ذلك المال ، عن نكرى واستعانتى .

٤٤ - وَأَطِيعُواْ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ تَعَازَعُواْ فَشَشَلُواْ وَتَلْعَبَ رِيمُكُمْ وَآصْبِرُواْ إِنْ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ .

هذه الآية معطوفة على ما تبلها ، حيث يرسم الحق سبحانه لعباده المؤمنين طريق النصر ، فأمرهم بالثبات ريذكر الله تمالى ، في الآية السابقة .

وعطف هذه الآية على ما سبق ، فأمرهم يطاعة الله ورسوله ، والتزام أوامرهما ، والابتعاد عما نهى الله ورسوله عنه . و لهاعة الله باب من أبواب السعادة الدنيوية والأخروية ، فمن وجد الله : وجد كل شيء ، ومن فقد الله: فقد كل شيء ، وقد روى البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : يقبل الله عز وحل :

وما تقرب عبدى إلى بشيء أحبُّ إلىّ من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبُّ . ذإذا أحببته ؛ كنتُ سمعه الذي يسمع به ويصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يسقى عليها ، ولذن دعاني ؛ لأجيبتُه ، ولذن سألني ؛ لأعطيتُه: ٣٠٠ .

التسزاع

تنهى الآية عن التنازع والاحتلاف، وعندما تعتلف طوائف الأمة، ويصاول كل طرف أن ينزع ما في يد الطرف الآخر؛ يأتى باب الفشل والإحباط والاصطدام، فتنصطُ الدولة، وتذهب ريحها، وهو كناية عن دوال دولتها، وإضمحلال أمرها.

ومن كلام العرب: هبّت ربع فلان : إذا دالت له الدولة ، وجرى أمره على ما يريد ؛ وركدت ربع فلان ؛ إذا وأت عنه وأدبر أمره . قال الشاعر :

فيان ليكيل خيافيقية سيكيون

إذا هبت رياحك فاغتنمها

فما تيري السكون متى يكون ؟

ولا تحفقل عبن الإحسبان فينها

ثم تأمر الآية بالصبر ؛ فالصبر طريق الظفر ، وقد ذكر الصبر في القرآن الكريم في أكثر من سبعين مهضعًا . والصبير من المؤمن بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبير له ؛ لا إيمان له ، ومن لا رأس له ؛ لا جسد له . قال تمانى : يَا أَلِّهَا ٱللَّبِينَ وَاسْرُ أَرْ وَصَابُرُواْ وَرَابِسُواْ وَالْقُواْ اللَّهُ لَعَلَكُمْ فَلْعُونَ . (ال عدان : ۲۰۰).

ويكني أن الله وعد الصابرين بأن يكون معهم بالعون والتأييد والنمس؛ فقال سبحانه: إِنَّ اللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِينَ. ويذلك ترى أن الله تعالى يعلَّم عباده المؤمنين السبيل إلى النصر؛ فيأمرهم بما يأتى :

١ – الثبات عند اللقاء .

٢ - ذكر الله ذكرًا كثيرًا في شدة البأساء.

٣ – طاعة الله ورسوله .

3 - البعد عن التنازع والاختلاف.

الصبر، وإعداد العدّة، والتضحية بالنفس والمال.

وهي في حملتها عرامل أساسية في ترابط بنيان الأمَّة ، وقوة شأنها ، وانتصارها على أعدائها .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين ما يأتي :

وقد كان للصحابة رضى الله عنهم فى باب الشجاعة ، والالتدار بما أمرهم الله ورسوله ، وامتثال ما أربشهم إليه ، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرين قبلهم ، ولا يكين لأحد من بعدهم ، فإنهم ببركة الرسول ولماعته فيما أمرهم ، فتحوا القلوب والأقاليم شرفًا وغرياً فى المدة لليسيرة ، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس، والترك والمستالية والبرير، والمبوش، وأصناف السودان، والقبط وطوائف بنى أدم ؛ قهروا الجميع حتى علت كلمة الله ، وظهر دينه على سائر الأديان ، وامتدت الممالك الإسلامية فى مشارق الأرض ومفاريها ، فى أقل من ثلاثين سنة ، فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وحشرنا فى زمرتهم ، إنه كريم وهابي^{ورا} .

تستمر هذه الآية فتكمل مع ما سبقها أسباب النصر وهي في جملتها: البعد عن البطر والكبر والرياء، وعن التعالى على عباد الله ويتبع ذلك الغرور وجنون العظمة ، ثم منع الناس من الهدى ومن طريق الله وهو طريق الحق والغير ، مع أنه تعالى محيط بما يعملون ، ومطلع على نياتهم وسوف يحاسبهم على ذلك.

سپپ التزول ،

أهرج ابن جرير الطبرى عن معمد بن كعب الفُرَظى ، قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا. بالقيان والدُّفوف ؛ فأذن الله : وُلاَ تُحُوُّنُواْ . . . الآية .

وقال البغوى في تفسيره:

نزلت في المشركين حين آتيلوا إلى بدر ، ولهم بغي وفخر : فقال رسول اش 響 : «اللهم ، هذه قريش قد أقبلت بخيلالها وفخرها تمادُك ، وتكنب رسولك ، اللهم ، فنصرك الذي وعدتني،"" .

قالوا: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ؛ أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ~ وكان موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام — فنقيم ثلاقا ، فننحر الجزور ، ونُطعَ الطعام ، ونُسقَى الغمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوبنا أبدًا ، فوافوها فسقوا كرّوس المنايا مكان الغمر ، وناحت عليها النواح مكان القيان . فنهى الله عباده أن يكونوا مثلهم ، وأمرهم بإخلاص النية ، والحسبة في نصر بينه ، ومؤازرة رسوله ﷺ .

ما ترشدُ إلىيه الآيسان

تأمر الآبات بقواعد حربية ، هي عمد ثوابت في نظام الحروب ، ولا يمكن لميش قديم أو حديث أن يتخلى عن هذه النصائح التي تكرن حبياً في إحراز النصر والغلبة وهذه القواعد والنصائح هي ما يأتي:

- ٧ -- الثبات عند اللُّقاء والرغبة في الشهائدُ والأجر من الله.
- ٢ ذكر الله تمالى ذكرًا كثيرًا والالتجاء إليه بصدق النية مثل قول أصحاب طالون: رُبَّنا ٱلْمِغْ عَلَيْنا صَبْرًا وَبِّنتَ ٱلْفَامِنَا وَالْعَمْرِانَ عَلَى اللَّهْمِ الْكَافِينَ (البدرة: ٢٥٠).
 - ٣ طاعة الله ورسوله ، في امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وكذلك طاعة القائد وامتثال أوامره .
 - الصبر والتحمل ، فهو طريق الظفر : وَٱللَّهُ مَعَ ٱلْمُابِرِينَ .
 - البعد عن البطر (وهو القشر والاستعلاء والتكبر).
- ٦ البعد عن التشبُّه بالكافرين الذين يصدُّون الناس عن سبيل الله ، ويمنعونهم في طريق الهدى والرشاد.
- الثقة بأن الله مميط رعالم بكل ما يعمل الإنسان ، وسيجازيه على ذلك ، فيخلص العبدُ الذية ، وعليه پالتقرب إلى مولاه ، مع التواضع والانكسار بدلاً من الرياه والافتخار .

٤٨ – وَإِذْ زَلْنَ لَهُمُ ٱلطَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيُوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِلَّى جَازٌ لَّكُمْ ... الآية .

أي : وإذكر أيها الرسول للمؤمنين حين زين الشيطان لُهِوَلاه المشركين أعمالهم في معاداة الرسول والمؤمنين : بأن وسوس لهم وحسن لهم ما جُبلوا عليه من غرور ومراءاة ، وأرهمهم بأن النصر سيكون لهم في هذا العرب .

وَلَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ.

- ﷺ - من النبي ﷺ وأصحابه : فألقى الشيطان فى روعهم ، أنَّه لن يغلبكم أحد من الناس ؛ لا محمد - ﷺ – وأصحابه ، ولا غيرهم من قبائل العرب .

وَإِنِّي جَارِّ لِّكُمْ .

أي: مجير ومعين ونامس لكم؛ إذ المراد بالجار هذا الذي يجير غيره ، أي : يؤمُّنه مما يخاف ويخشى.

فَلَمَّا تُراءَتِ ٱلفِعَانِ لَكُص عَلَىٰ عَفِيهِ.

ظما أيصر كل من القريقين الآمر ، وقد رجحت كنة المؤمنين ، برامداد الملائكة لهم ؛ بطل كيد الشيطان وتزيينه ، وظهر عجزه عن تصرة الكافرين ؛ وولي هاريًا على قفاه ، راجعًا للوراه ، والمراد : بطلان كيده وهزيمته مع شيخته . أي: أنه كلفً عن تزيينه لهم وتغريره بهم .

يقال: نكس عن الأمر نكرمنًا ونكصًا ، أي: تراجع عنه وأهجم ، والعقب: مؤخر القدم.

وَقَالَ إِلَى بَرِيَّةً مَّنكُمْ إِلِّي أَرَى مَا لا تَزُوْنَ إِلَّىَّ أَخَافُ ٱللَّهَ .

أى: قال الشيطان للمشركين ، إنى برىء من عهدكم وجواركم ويصرتكم ، إنى أرى من الملائكة النازلة: تتأييد المؤمنين ما لا تروية أنتم.

إِنِّيَّ أَخَاكُ آللَّهُ . أن يصيبني بمكروه من قبل ملائكته .

وَاللَّهُ ضَافِهُ ٱلْمِفَّاسِ. يحتمل أنه من كلام إبليس الذي حكاه الله عنه ، ويحتمل أنه جملة مستأنفة من كلامه عز وجل .

أي : وإلله شديد العقاب لمن عصداه ويخالف أمره .

تزيين الشيطان معنوى أو حسى

ذهب جمهور المفسرين ، إلى أن الشيطان ظهر المشركين يوم بدر ، ظهورًا حسيًّا يفريهم بالنصر ، ويعدهم بالصاية والتأبيد (١٠)

وروى عن الحسن والأسم أن تزيين الشيطان كان على سبيل الوسوسة ، ولم يتمثل لهم .

فالقول على هذا مجاز عن الوسوسة ، والنكوص وهو الرجوع استمارة لبطلان كيده .

وقد ذهب ابن كثير وابن جرير الطبري وغيرهم على أن التزيين من الشيطان كان تزيينًا حسيًّا.

وأويدا روايات كليرة تدور حول ظهور الشيطان للمشركين ، وورد مثل ذلك في تفسير القرطبي والزمضترى: فروى أن قريطًا لما اجتمعت تريد حرب المسلمين في بدر ؛ ذكرت الذي بينها وبين كنانة من العرب؛ لأن قريشًا كانت تتلت رجلاً من كنانة ، وكانت كنانة تطلب دمه ، فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتمثل إبليس اللمين ، في مسورة سراقة بن مثالك بن جشمم الشاعر الكنائي ، وقال: أنا جاركم من بني كنانة، فلا يصل إليكم مكروه منهم ، وقال: لا غالب لكم اليوم ، فلما رأى إبليس الملائكة تنزل : تكس . وقيل : كانت يده في يد المارث بن مشام ، فلما نكص قال له المارث : إلى أين؟! أتخذلنا في هذه المال؟! قال: إنّي أرى مالا ترون ، ويغم صدر المارث وانطاق وانهزموا .

ظاما بلغوا مكة قالوا : هزم الناس سراقة ، قبلغ ذلك سراقة فقال : وإلله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم ، فلما أسلموا ؛ علموا أنَّه الشيطان .

وفي موملاً مالك : عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال :

«ما رزّى الشيطان يرماً هر فيه أصفر ولا أدحر ولا أعقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب المظام ؛ إلاَّ ما رزّى يوم بدر ، قيل : وما روّى يوم بدر ، قال طإنه قد رأى جبريل يزع ^(م) الملاككة، ^(م)

خلاصة أقوال الفسرين في الآبة

بعراجعة أقوال المفسرين في كيفية تزيين الشيطان للمشركين ، تراهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

 ١- قسم منهم سار في تفسيره على أن التزيين كان حسيًا بمعنى: أن الشيطان تمثل للمشركين في مسورة إنسان وقال لهم ما قال.

وممن فعل ذلك ابن جرير الطبرى ، وابن كثير، والقرطبي .

٧-- قسم ذكر: أن في التزيين وجهين .

أحدهما: أنه وسوسة من غير تمثيل في صورة إنسان.

ثانهما : أن إبليس ظهر في صورة إنسان ، ولم يرجح أحد القولين على الآخر وممن فعل ذلك الزمخشري، والفخر الرازي، والآلوسي، وأبو السعود.

٣- قسم منهم رجّع أن التزيين لم يكن حسيًا ، بل كان عن طريق الوسرسة ، وأن الشيطان ما تمثل المشركين في صورة إنسان ، وقد سار في هذا الاتجاه صاحب المنار مشككًا في صحة ما سواه ، ونحن نؤمن بالآية ويما أثبته القرآن الكريم من أنّ الشيطان قد زيّن للمشركين أعمالهم ، وأنه قد نكص على عقبيه ، إلخ . إلا أننا لا تستطيع أن نحد كيفية ذلك .

ويمبارة أرضع : تمن أقرب إلى الغريق الثانى من المفسرين الذين ذكروا القولين السابقين في كيفية. التزيين دون ترجيح لأحدهما على الأهر . قالقول محتمل لأن يكون للتزيين معتريًّا بمعنى : الوسوسة والإغراء والتحريض ، وأن يكون حسبًّا بأن يشغل الشيطان رجلاً يفريهم ثم يغتلهم ويتركهم خائفًا منهزمًا .

وكان موقف وفي ظلال القرآن»، قريبًا من هذا الاتجاه، حيث قال:

وفي هذا المادث تص قرآني يثبت منه أن الشيطان, زين للمشركين أعمالهم ، وشجعهم على الغريج... وأنه بعد ذلك تكس على عقبيه ... فخذلهم وتركوم ؛ يلاقون مصورهم وحدهم .

واكدًا لا نعرف الكيفية التي زين لهم بها أعمالهم والتي قال بها : لاَ ظَالِبُ لَكُمُ ٱلَّذِمُ مِنَ ٱلنَّاسِ ، والتي تكسر مها كذلك ...

الكيفية نقط هي التي لا نجزم بها : ذلك أن أمر الشيطان كله غيب ، ولا سبيل لذا إلى الجزم بشيء من أمر ه إلا بنمن قرآني : أن حديث نبوي صحيم ، والنص هذا لا يذكر الكيفية ، إنما يثبت المادث .

إلى منا ينتهى اجتهادنا ، ولا نديل إلى المنهج الذي تتخذه مدرسة الشيخ محمد عبده ، في تأويل كل أمر غيبى من هذا القبيل تأويلاً معينًا ، ينفى الحركة الحسية عن هذه العوالم ، وذلك كقول الشيخ رشيد رضا في تقسير الآية :

وَإِذْ زَيِّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَاتُ أَغْمَالُهُمْ ... أَى: واذكر أيها الرسول للمؤمنين ، إذ زين الشيطان لهولاء المشركين أعمالهم برسرسته ، قال لهم: بما ألقاء فى مواجسهم لاَ خَالِبَ لَكُمْ ٱلَّوْمُ مِنَ ٱلْتَاسِ ... إلغ ما ذكره الشيع رشيد فى تفسير الآية . ا هـ .

أي: أنَّ (هي هلال القرآن) لا يستبعد أن يكون التزيين معنويًّا بمعني الوسوسة ، وأن يكون حسيًّا بمعنى تمثل الشيطان هي مصورة رجل كسراقة بن مالك بن جشعم الكناني .

وأشيرًا إننا نؤمن بالنص ، ونذكر أنه محتمل لرأيين ، ونظوض حقيقة المراد إلى الله تعالى ، والله أعلم.

٩ ٤ - إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ هَرَّ هَوُلآءِ دِينُهُمَّ ... الآية .

تشير الآية إلى موقف المتافقين في العدينة ، والمشركين في مكة ، وإلى غيرهم من الأعراب ، ومن لم يتمكن الإيمان في قلويهم .

فقد رأوا قلة مؤمنة في بدر ، فلائمائة وأربعة عشر رجلاً ، تضرح للقاء كثرة كافرة ، تزيد على فلافة أمثالهم ، ومزلاء المنافقون ومرشى القلوب ، يزنُونَ الأمور بميزان الكثرة المادية ، والأمور المسيّة . فقالوا : ما خرج هؤلاء المؤمنون إلا غروراً بدينهم ؛ فقد خدعهم دينهم فخرجوا على قلتهم ؛ لقتال چيش قرئ كبير مستعد ؛ فهم ياقون بأنفسهم إلى النهاكة .

وقد تكفل المق سيمانه بالردّ عن المؤمنين ، الذين أهنوا في أسباب النصر ، وأعدوا العدة ثم توكلوا على الله . فقال سيمانه :

وَمَن يَتُوكُلُ هَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

و من يغرّض أمره إلى الله ، ويدق به ويلجأ إليه ، مرّمنًا مساملًا عاملاً ، مدينتًا بقدرة خالقه ، وأن بيده الغالى والأمر ؛ فإن الله ينصره ويؤيده ، وما النصر إلا من عند الله .

فَإِنَّ ٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

أي : غالب على أمره حكيم في فطه .

وقد اقتضت سنته ، أن ينضر المق على الياطل ، وأن يسلط القليل الضعيف على القوى الكثير.

ورَهُم أَنَّ الآيِّةِ تشهر إلى أسات غزوة بند ؛ فإنها عامة فالعبرة يصدم اللفظ لا بغصوص السيب ، إنها تصف طبيعة بعض الناس في عصرتا وسائر العصور ؛ فؤلاء الذين يسخرون من أصحاب الدعوات المغلصة على اللتهم ، وقلة ما يملكون من تراث الدنيا ، ويقولون : غرُ مؤلاء دينهم وعقيدتهم .

وما علموا أن هؤلاء الدعاة الهداة ، يملكون شيئاً قيّداً ، هو صدق الإيمان ، وسلامة النية ، وإخلاص الدعوة، وحوارة العقودة ، وصدق التركل على الله ، يعد العمل والأمل ، فالله لا يخذلهم بل يعدهم بنصره وحونه : وَمَن يَقَرْ كُلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

من أسياب التزول ،

روى عن مجاهد أنه قال في تفسير الآية ٤٩ من سورة الأنفال: هم فئة من قريش ، قيسُ بن الوليد أبن المغيرة ، والمارث بن رُمُعَة بن الأسود بن المطلب ، ويعلى بن أمية ، والمامس بن مُنَبَّه ، هرجوا مع قريش من مكة ، وهم على الارتياب ، فحبسهم لرتيابهم ، فلما رأوا قلة أمسحاب رسول الله ﷺ قالوا : عُرَّ مُولام دينهم ؛ حين أقدموا على ما أقدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم .

٥ - وَأَوْ تَرَعَةَ إِذْ يَتَوَفَّى ٱللَّذِن كَفَرُواْ ٱلْمَلاَّكِكَةُ يَطْرِأُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَفْبَارَهُمْ ... الآية .

أي: ولو عاينت يا مصد حال الكفار حين تتوفاهم الملائكة ببدر وتنزع أرواحهم ،

أو المعنى: ولرعاينت وشاهدت أيها الداقل، أو يا كلَّ من تتأتى منه الرؤية ، حال الكفار حين تقوفاهم الملائكة ، فينزعون أرواحهم من أجسادهم ، ضاربين وجوههم وأقفيتهم وظهورهم بمقامع من حديد . قائلين لهم : ذُرقوا عذاب النار .

وجواب لَوْ محدوف دل عليه المذكور والتقدير: لعاينت أمرًا عظيمًا ، تقشعرُ من هوله الأبدان .

وَذُولُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ.

أى : يقولون لهم : ذوقوا عذاب اللهيب المحرق ، والمراد بضرب وجوههم وأديارهم : ضريهم من كل تاحية .

٥ ٥ - ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِطَلاَّم لَّلْعَبِيدِ .

أى: هذا العذاب الذى نقتموه بسبب ما كسبت أيديكم ، من سيئ الأعمال فى حياتكم من كفر وظلم ؛ وهذا يشمل القول والعمل .

ونسب ذلك إلى الأيدى ، وإن كان قد يقع من الأرجل وسائر الحواس ؛ أو بتدبير المقل ؛ من أجل أن العادة قد جرت ، بأن أكثر الأعمال البدنية تزاول بالأيدى .

وَأَنَّ آللُهَ لَيْسَ بِظَلاَّمِ لَّلُعَبِيدِ .

لقد جازاكم الله عدلاً لا ظلمًا ؛ لأن الله لا يظلم أحدًا من حلقه ، بل هو الحكم العدل الذي لا يجود أبدًا، قال تعالى : وَلَعَبَعُ ٱلْمُوَالِينَ ٱلْقِسْطَ لِيُومِ ٱلْهَامَةِ فَالاَ تُطْلَمُ أَفْسٌ شَيًّا وَإِن كَانَ مِقْالَ حَبَّةٍ مِّنْ مُوْدَلَ أَلَيّنَا بِهَا وَكَفَيْعٍ بِنَا حَاسِينَ . (الأمياء: ٤٤).

جاه في الحديث القدسي المسعيع ، الذي رواه مسلم : عن أبي در رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول : يا عبادي ، إني حرمت الطّلم على نفسي وجملته بينكم محرمًا ، فلا تطالموا ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ، فمن وجد غيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنً إلا نفسه، ٧٩.

ظالم وظيلام

نجد أن قوله تعالى: وَأَنَّ ٱللَّهُ لَيْسَ بِطَارُمٌ لِلْعَبِيِّرِ. قد جاء فيها التعبير بنفى الطلع عن الله بصيفة المهالفة طَلاَم. وهل إذا انتفت المهالفة في الطلع ، أينتفي معها الطلع نفسه ؟ والجواب والله أعلم - أن صيغة المبالغة هذا ، إنما تكشف عن وجه البلاء الذي وقع بالمشركين ، وأنه بلاء عظهم ، وعذاب أعظم ، وأن الذي ينظر إليه يجد ألاً جريمة توازي هذا المقاب ؛ وتتوازن معه في شدته، وشناعته ، حتى ليهيل للناظر أن القوم قد ظُلموا ، وأنه قد بُولغ في ظُلمهم إلى أبعد حد، فجاء قوله تمالي: وَأَنَّ اللَّهُ لِسَ بِطُلاَمٍ لَلْعَهِل للناظر أن القوم الذي يقع في نفس من يرى هذا البلاء الذي حل بهولاح القوم الضائين ، وهو بلاء فوق بلاء «قوق بلاء الله»

وجاء في تفسير القاسمي ما يأتي:

إن قبل : ما سرُّ للتمبير بقوله : طُلاَّم . بالمبالغة مع أن نفى نفس الظلم أبلغ من نفى كثرته ، ونفى الكثرة لا ينفى أصله ، بل ريما يُشعر بوجوده ، ويرجوح النفى للقيد ؟

وأجيب يأجوية :

منها : أنْ طَلَّاماً، للنِّسب كعطَّانِ أَي : لا ينسب إليه الطلم أصالاً .

ومنها : أن للمذاب من العِظم ؛ يحيث لولا الاستحقاق لكان المحدِّب يحثله ظلاًما بليغ الظلم متفاقمه ؛ فالمراد : تنزيه الله تمالى ، وهن جدير بالمهالفة^{0.0} .

* * *

﴿ كَدَأْبِ ، الِوَمْعُونُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفُرُوا بِعَايَنْتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ يَذُنُوبِهِمُ اللهَ وَاللهَ وَمَا اللهَ اللهَ وَمَا اللهَ اللهَ وَمَا اللهَ وَمَا اللهَ اللهَ وَمَا اللهَ وَمَا اللهِ وَمَوْنَ وَاللّهِ مِن اللهِ وَمَا اللهِ مَا اللهِ وَمَوْنَ وَاللّهِ مَن مِن اللهِ وَمَا اللهِ مَا اللهِ وَمَوْنَ وَاللّهِ مَا اللهِ مَا اللهِ وَمَوْنَ وَاللّهِ مَا اللهِ مَا اللهِ وَمَوْنَ وَاللّهُ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ عَلَيْمِ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ الل

المقردات ،

كداب والدأب: المادة التي يدأب عليها الإنسان ويعتادها .

التفسيره

٧ ٥- كَدَأْبِ وال الرْعُونُ وَاللِينَ مِن قَلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُعَلَّمُمُ اللَّهُ بِلُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قُويٌّ شَلِيلُ الْعِقَابِ.

التاسية

ذكر القرآن ملاك المشركين في غزوة بدر ، ثم بين أن سُنة الله تعالى مستمرة : فهو سبحانه ينمع على الناس بالنمم ، ويمتن عليهم بالسمع والبصر ويسخر الليل والنهار ، ويعطيهم الجاه والسلطان : فإذا شكروا الناس ما الشهد من النعمة في طاعله : زادهم الله من فضله . وإذا كفروا وكذبوا ، وعاندوا ، أرسل الله عليه نقمته ، فقد أغرق قوم نوح بالطوفان ، وبمدم الأرض وسواها على ثمود ، وأهلك المكذبين بصنوف العذاب ، كما أغرق فرعون وقومه في البحر .

وقد كان الذيل نعمة من الله عليه . فاستخدمها في العدوان ، وَقَالَ يَا قَوْمَ النَّسَ لِي مُلْكُ مِعْرَ وَهَدِهِ الْأَنْهَرْ تَجْرِى مِن تَعْيِّحَ أَفَلاَ يُنْصِرُونَ هَ أَمَّ أَنَّا عَبْرُ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينَ وَلاَ يَكُونُونِينَ . (الزهريد: ٥٠, ٥٠) .

هما أشقى هؤلاء الكفار قاطية ، وليتهم اعتبروا بالعبر والعظات ، ويمن سبقهم في التاريع . المعنى :

إن مرّلاء الكفان في كثرهم ، وعنادهم ، ومقاومتهم لرسول الله ؛ أشهوا قوم فرعون ، والأمم التي كانت قبلهم الذين استحبرا العمى على الهدى ، وسارعوا إلى المعصية وإنكار وجود الله ووحدائيته ، وتكذيب الرسل : فأخذهم الله بسيب تدويهم وكثرهم أحدًا شديدًا .

إِنَّ ٱللَّهَ فَوِئٌّ . غالب لا يغلبه أحد .

شَلِيلُهُ ٱلْطِفَاتِ. لمن خرج عن طاعته ، وأصرٌ على كثره وعناده .

٣٣ - ذَلِكَ بَأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُفَيَّرًا تَعْمَةُ ٱلْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ خَتَىٰ يُقَيِّرُواْ مَا بِٱلفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

اقتضت سنته تمالى ، ألا ينزع نعمة عن قوم إلا إذا كلروا وفجروا ، وارتكبوا الذنوب والسيئات ، ولم يقابلوا النممة بالشكر والعرفان ، بل قابلوها بالكفر والنكران ، فاستصفوا عقاب الله العادل ومكمه ؛ جزام كفرهم وعنادهم .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى:

إِنْ ٱللَّهَ لَا يَعَشَرُ مَا يَقُومِ حَتَى يُعَيَّرُواْ مَا بِالْفُسِيعِمْ وَإِذَا آزَادَ ٱللَّهَ يِقُومِ سُومًا فَلاَ مَرَدٌ لَهُ وَمَا تَهُم مَّن دُولِهِ مِن وَالْهِ.. (الدعد ١١).

وهي هذه دلالة وأضحة على أن استحقاق النعم ؛ منوط بصلاح المقائد ، وحسن الأعمال ، ووفعة الأخلاق ، وأنْ زوال النعم يكون يسبب الكفر والفساد وسوء الأخلاق . وَأَنَّ اللَّهُ سُوعٌ طِّلِمٌ ، بما نطق به الكافرون من سوء ، وطَلِيمٌ بما ارتكبوه من قبائح ومتكرات ، وقد عاقبهم على ذلك بما يستحقون من عذاب .

وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَكِنْ كَالُواْ أَلفُسَهُمْ يَطْلِمُونَ . (النحل: ٣٣)

من تفسير الفخر الرازي :

جاء في تنسير الفخر الرازي : قال القاضي: معنى الآية : أنه تمالي أنعم طبهم بالمقل والقدرة وإزالة الموانع وتسهيل السبل ، والمقسود: أن يشتغلوا بالمبادة والشكر ، ويعدلوا عن الكفر ، فإذا مسرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر ؛ فقد غيروا تصدة الله تمالى على أنفسهم ، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم ، والمنع بالمحن ، وهذا من أوكد ما يدل على أنه تمالى ، لا يقيدئ أحدًا بالمذاب والمضرّة .. أ هـ.

\$ ٥- كَتَابِ عَالَ فِرْعُونٌ ۚ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ۗ كَلِّيواْ فِآمُتِ نَّهِمْ فَاَفْلَكُنَاهُم بِلْفُرِهِمْ وَاَفْرَقَنَا عَالَ فِرْعُونٌ ۗ وَكُلُّ كَانُواْ هَالمِينَ .

تؤكد هذه الآية ، ما سبق في الآيتين السابقتين : وهو التكوير لأممية الموضوع ، وبهان قاعدة أساسهة إليهة ، عادلة عمادها : أن نمو الأمم في قوة أخلاقها ، وسلامة أفعالها ، وأن هلاك الأمم يكون في كفوها بالنهم ، وإنشغالها بالشهوات والملذات ، وإيثار العاجلة على الآجلة .

ومعنى الآية :

بقأن هؤلاء المشركين الذين حاربول يا مصد ، كشأن أل فرعين ومن تقدمهم من الأقوام السابقة ، كالوم ندح وقوم هود ... كنب أولئك جميعًا بأيات ربِّهم التي أوجدها لسعادتهم ، فكان من نتيجة ذلك أن أهلكهم بذنويهم التي من جملتها التكليب ، وأغرق الله أن فرعون ، الذين زينوا له الكفر والبطر والطفيان، وأرسل الربح على عاد قوم هود ، والصبيحة على غيرهم .

وَكُلِّ كَالُواْ ظَالِمِينَ .

أى : أن كلاً من مشركى قريش ، وأل فرعون والذين من قبلهم من المكتبين ، كانوا ظالمين لأنفسهم يكفرهم وعنادهم ، ولأنبياتهم بسبب محاربتهم وتكذيبهم ؛ فاستحقوا الهلاك والعذاب .

وبنى سورة للمنتبوت ، استعرض القرآن الكريم أمم المكتبين من قوم لوط ، وأصحاب مدين ثم قال سبحانه: وَعَادًا وَلَهُودًا وَلَلهُ تَشِنَّ لَكُم مِّنَّ مُسَاكِيهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ ٱلطَّيْطًانُ أَصْمَالُهُمْ أَصَدَّهُمْ عَرْ السِّبِلِ وَكَالُواْ مُسْتَبْعِمِينَ. • وَقَادُونَ وَلِمْ عَوْنَ وَعَامَانَ وَلَقَدْ جَاهَهُمْ مُوسَى بِالْبَيْنَاتِ فَلَاسْتَكَبُواْ فِي ٱلأَرْض وَكا فَهِنَهُم مَّنَ أَرْسَلُنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنهُم مِّنَ أَعَلَنُهُ آلصَيْحَةُ وَمِنهُم مَّن خَسَفْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ وَمِنهُم مِّنَ أَغُرُقَنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُواً أَلْفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ ﴾ (العندين: ٢٨-٤).

تكرير ذكر فرعون

تكرر ذكر فرعون في آيات متقارية ؛ لأنه أكثر بغيًا وظلمًا وعدوانًا ، وقد استخف قومه وطلب منهم طاعته ، فأطاعوه نفاقًا لا يقينًا ، ثم آغرق الله الجميع عقابًا عادلاً .

روى البخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال :

وإن الله ليملي للخالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (١٩).

وقد ورد في السيرة : أن النبي ﷺ لما جاءه خير مقتل أبي جهل في بدر : ذهب حتى وقف عليه ثم قال: هذا فرعون هذه الأمان^{دي} .

و علاصة الله ل:

إن ما درّنه التاريخ من دأب الأمم وعادتها ، في الكفر والتكنيب، والظلم في الأرض، ومن عقاب الله إياما. جار على سنته تمالى المطردة في الأمم ، ولا يظلم ريك أصدًا يسلب نمعة منهم ، ولا يرايقاع أذى يهم، وإنما عقابه لهم أفر طبيمي: لكفرهم وظلمهم لأنفسهم، وقد حكى سبحانه جانبا من عناد فرعون ثم قال سيحانه:

فَاسْتَعَفْ قُومُهُ فَأَطَاهُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَرْهَا فَاسِقِينَ هَ فَلَنَّا عَاسَقُونَا اَنطَمْنَا مِنْهُمْ فَأَطْرَلْنَاهُمْ أَجْمُعِينَ • فَيَجَعَلْنَهُمْ سَلَفًا وَعَمَلاً لِلاَجْرِينَ • (لارهريد ١٥ ص- ه) .

> أى: أن الله جعل منهم عبرة ونمونجًا لكل ظالم يأتى في الآخرين من بعدهم. قال تعالى: وَلاَ يَطْلُمُ رَبُّكَ أَحَنَّا . (الكهند ١٤).

قال سبحانه : إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يَطْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْعًا وَلَكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَطْلِمُونَ . (يونس: 23).

من حاشية الجمل

جاء في حاشية الجمل على تفسير الجمل ما يأتي : فإن قلتً : ما الفائدة من تكرير هذه الآية مرة ثانية ؟

قلت: فيما فوائد منها:

- ١ أن الكلام الثانى يجرى مجرى التفسيل للكلام الآول: لأن فى الآية الأولى ذكر: أهذهم ، والثانية ذكر:
 إغراقهم هذلك تفسير للأول.
- سنها: أنه ذكر في الآية الأولى: أنهم كنروا بآيات الله، وفي الآية الثانية أنهم كذبوا بآيات ربهم ، ففي
 الآية الأولى إشارة إلى أنهم كنروا بآيات الله وجدوها .

وقى الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جمودهم لها ، وكفرهم بها .

٣ -- ومنها : أن تكرير هذه القصة للتأكيد .

* * *

﴿ إِنَّ شَرَّا الدَّوَاتِ عِندَاللَّهِ اللَّيْنِ كَفُرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِيبَ عَهَدَفَ مِنْهُمْ ثُمَّ
يَنْفُشُونَ عَهْدَهُمْ وَالْحَارِينَ فَوْمُ لَا يَنْفُونَ ۞ وَإِمَّا تَفَعَنَهُمْ وِالْحَرْبِ فَشَرِدْ
يَهِمْ مَّنْخَلْفَهُمْ لَللَّهُمْ يَنَّ حَرُونَ ۞ وَإِمَّا تَغَافَ مِن فَوْرِخِيانَةُ فَالْبُذْ إِلَيْهِمْ
عَلَى سَوَامًا إِنَّا لَهُ لَهُ لِللَّهِ الْفَالْمِينَ ۞ وَلِا يَعْسَبَنَّ اللَّذِي كَفُرُوا سَبَعُوا أَلْهُمْ لا يُعْجِرُونَ
عَلَى سَوَامًا إِنَّا لَهُمْ اللَّهُ مِمَّا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى مَا اللهُ عَلَى مَن وَفِيهِ لا يَقْدُونَ وَعِن رِبَاطِ الْخَيْلِ ثَرِهِ مُونَ بِهِ عَدُواللّهِ
وَعَدُوكَمْ وَمَا مُؤْمِنُ مِن مُوفِهِ لا يَقْلُمُونَ فَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمُ وَمَا تُنفِقُوا مِن فَى وفِ
سَيْلِ اللّهُ يُولِي إِلَيْهِ مُولِينَ مِن دُوفِهِ لا يَقْلُمُونَ هُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمُ وَمَا تُنفِقُوا مِن فَى وفِ
سَيْلِ اللّهُ يُولِي إِلَيْهِ يُولِي اللّهُ يُعْلَمُهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمُ وَمَا تُنفِقُوا مِن فَى وفِ

المقرداتء

يشقشون مهدهم ، أي : يذكونه ، والمراد : أنهم لا يوفون به ،

ت د ت د د م م تلقاهم وتجدهم .

فشره بهم من خلفهم ، فاقعل بهم فلا يخيف من ررامهم ويشربهم ، والتشريد : التبديد والتفريق . تفاق من قوم غيانة ، أى : تتوقع من قوم خيانة بنقض العهد ونكله .

فانبذ إليهم على سواء؛ فاطرح إليهم عهدهم على طريق سوى من العدل بأن تخبرهم بذلك.

فسيوا، فاتوا وأفلتوا من عقابنا.

الايسمى جيزون ولا يقاتون ولا يقلتون من عقاب لله بل هوقادر عليهم .

سين السبوة ومن كل ما يتقوى به في الحرب.

رياط الغيال المكان الذي ترابط فيه الغيل المعدَّة للقتال.

تسرهـــــــون: تخوفون.

الا تسلم وشهم ، لا تعرفونهم بأعيانهم أو لا تعلمونهم كما هم عليه من العدارة .

التفسيره

ه ٥- إِنَّ شَرَّ ٱلدُّورَابِّ عِندُ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُوْمِنُونَ .

نزلت هذه الآيات في جماعات اليهود الذين كانوا يقيمون في المدينة ويثيرون الفتن والقلاقل.

قَالُ ابنِ عباس: هم بنو قريطة : هزنهم تقضوا عهد رسول اش 義 ، وأعانوا عليه المشركين بالسلاح في يوم بدر ، ثم قالوا : أعطأنا : فعاهدهم مرة أخرى فتقضوه يوم الغندق(").

والمعنى :

إن شرجميع ما يدبُّ على وجه الأرض ؛ هم الذين كغروا برسول 師 着 وأصروا على الكفر ولجُّوا فيه ؛ ظم يفتحوا قلوبهم للإيمان ، ولم يحركوا عقولهم للنظر .

لَهُمْ لاَ يُوْمِنُونَ . فهم مستمرون على عدم إيمانهم ؛ مع قيام العجة عليهم ، وليوت أرصاف النهى معدد ﷺ في كتبهم ، قال تعالى : إِنَّ ٱلْهِنَ كَقَرُواْ مُواَءً عَلَيْهِمْ فَالْذَرْتُهُمْ أَمْ تُكَبِرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . (ايلان: ١) .

٩ ٥- ٱلَّذِينَ هَاهَدتٌ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُعَنُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ .

لقد تكرر منهم الغدر وعدم الوفاء ، فهذا دأيهم وتلك طبيمتهم ، نقض المهود والمواقيق في كل وات ، وهم مع ذلك لا يشعرون بالمرج أن الفهل ، ولا يتقُون الله ، ولا يستثون عقابه لهم على نكفهم المهد ، وما يجرُّه ذلك من ذكبات تملّ بهم .

٧٥- فَإِمَّا تَفَقَّتُهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرَّد بهم مَّنْ عَلْقَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَّا كُرُونَ .

أى: إِنّا كَانَ حالهم ما ذكر من نقض العهد ، فإن ظفرت بهم في الحرب ؛ فاقعل بهم قعلاً قريّاً ناجحًا؛ لأنهم يستحقون الفتل جزاء غدرهم ونقضهم للعهود ، وإنا عاقبتهم عقوبة رادعة : أنَّى ذلك إلى تفريق أعداء المسلمين ، فإنك إذا نكلُت بمن هان العهد؛ أنَّى ذلك إلى يث الرعب فى تلوب الآهرين ، الذين يتريممون لقتال المسلمين ، ويفكرون فى نقضهم عهورهم .

أي : لمل الأعداء من وراثهم ، يتعظون بما فطت مع هزلاء من حرب ونكاية وتشريد ، فيتخذون من ذلك العبرة ويحجدون عن نقض العهود : مخافة أن يصنع بهم مثل ذلك .

قيل لعنترة : أنت أشجع العرب ، قال : لا .

قيل: فيم شاح عنك ذلك؟

قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ، وأحمد إلى الضعيف الجبان. فأضريه الضرية الوائلة ؛ يطير لها قلب الشجاع ثم أثنى عليه فأقتله .

٨٥- وَإِمَّا تَعَالَنَّ مِن قَوْمِ حِيَالَةَ فَآتِدْ إِلَّهِمْ عَلَى سَوَّاءٍ إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْعَالِينَ .

أي: إن توقعت من قوم معاهدين الفيانة ، وغلب ذلك على طَنُك ، بأمارات غالبة ، بتقض العهد الذي بينك ويبتهم .

فَآلبِدُ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سُوّاءٍ .

فاطرح إليهم عهدهم ، وأعلمهم بذلك وأنه لأعهد بعد اليوم ، ولتكن أنت وهم في ذلك العلم وطرح المهد على سواء ، فتكون أنت وهم متساوين في العلم بتقض العهد ، وبأنك حرب لهم ، وهم حرب لك .

أي: قيام حالة الحرب ؛ لذلا يتهموك بالفدر إن تُحدَتهم بفقة . والذبدُ لفةٌ : الرحى والرفض ، والسواء: المساواة والاعتدال .

إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْحَالِينَ .

إن الله يكره الميانة ، ويعاقب عليها ، حتى ولو في حق الكفار ، فلا يله منك إعفاء نكث العهد .

من تفسير ابن كثير

أورد الإسام ابن كلير طائفة من الأسابيت النبوية ، تحت على الوفاء وتحرم الغدر ، وتدعو إلى أداء الأمانة إلى أهلها : سواء أكان صناحيها معامًا أم كافرًا .

قال الإمام أحمد : عن شعبة عن طيم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد ، فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غزاهم ، فإذا شيع على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر، وقاء لا غيراً، إن رسول اش ﷺ قال: من كان بينه وبين قوم عهدًا فلا يحلن عُفدةً ولا يشدها ، حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء ، مبلغ نلك معاوية فرجع ، فإذا بالشيخ عمرو بن عبسة رضى الله عنه ٣٠١.

وروى البيهتى أن النبى ﷺ قال :

وثلاثة : المسلم والكافر فيهن سوام :

من عاهدته فوفٌّ بمعهد مسلمًا كان أو كافرًا ؛ فإنما العهد لله ، ومن كانت بينك وبينه رحم فعبلُها ، مسلمًا كان أو كافرًا ، ومن التمنك على أمانة فأنَّهًا إليه ، مسلمًا كان أو كافرًاه "".

٩ ٥- وَلاَ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ .

هذه الآية إنذار للشائنين بما يملّ يهم من عقاب ، وتحذير للمشركين ، الذين أفلنوا من القتل يوم بدر وغيره. والمعي :

لا يظدن الذين كفروا ، أنهم أفلتوا من الظفر بهم ، ونجوا من عاقبة خيانتهم ، وأنَّهم مُاتَونا فلا تقدر عليهم ، وأنهم سبقوا عقاب الله وأفلتوا منه ؛ بل هم تحت قدرتنا وفي تبضة مشيئتنا .

فلا يعجزوننا في الدنها ولا في الأخرة .

فلهم في الدنيا الهزيمة والقتل والأسر، ولهم في الآخرة عذاب الجحيم.

قال تمالى : لاَ تَحْسَبَنُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِّ وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبُعْسَ ٱلْمَعِيرُ . (النور: ٥٧) .

وقال تعالى مشاطبًا للمشركين : وَاعْلَمُواْ أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهُ مُعْزِي ٱلْكَافِرينَ . (التوبة: ٢).

وفي هذه الآية بشرى للنبي ﷺ بما يطمئن تلبه على مستقبل الدعوة الإسلامية ، وأنها إلى نصر ، وأن أعداده إلى هزيمة .

١٠ - وَأَعِثُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوْةٍ ... الآية .

انتصر المسلمون في غزوة بدر بفضل الله وعرفه ، وأراد القرآن أن ينبُّه المسلمين ، إلى وجوب إعداد القوة الحربية والمادية والأدبية والنفسية والمعنوية ، وكل وسائل القوة يجب إعدادها وتجهيزها ؛ فلا شيء يمنع الحرب مثل الإعداد لها .

والمعنى :

1770

هيثوا لقتال الأعداء ، ما أمكنكم من أنواع القوى المادية والمعنوية ، من كل ما يتقوّى به عليهم في العرب: من حصون وقلاع وسلاح .

ويشمل ذلك وسائل القوة الحديثة كالمدافع والبوارج ، والدبابات ، والمصفحات ، والمدرعات ، وبراسة الفقين الحريبة الحديثة التى تساعد على توجيه الأسلحة ، وإحكام تصويب اللتال والرمى ؛ قرأن النصر متوقف على استخدام القوة المتاحة ، وما لا يتم الراجب إلا يه فهو واجب .

وَمِن رَّبَاط ٱلْحَيْلِ.

رُبَّاطُ أَلْخَبُلُر: هو المكان الذي تربط فيه الخيل مند للعدود ؛ ليحرس فرسانهُ الدَّفور ، ويراقبوا العدو،
قد كانت الخيول أداة الحرب البرية الرهيبة في الماضى ، وما تزال لها أهميتها أحيانًا في الحاضر ، مثل
نقل بعض المؤن والشفيرة في الطرق الجبلية ، وإن كان الدور الماسم اليوم هو اسلاح الطيران ، والمدالع ،
والدبابات ، والغواصات البحرية ، المزودة بوسائل التقنية الحديثة ، المساعدة على إحكام الرمى وإصبابة

ومن الحديث الشريف: وألا إن القوة الرمي (٢٥).

وقد كان الرمى وسيلة لإصابة أهداف العدو من بعيد ؛ فكل ما يحقق النصر يجب اتخاذه من عدد الحرب ؛ لأن المهم تحقيق الأعداف، وأما الوسائل والآلات؛ فهى التى يجب إعدادها يحسب متطلبات العصر، ويكن المقصود إعداد جيش دائم ، مستعد الدفاع عن البلاد ، مزود بأحدث الأسلمة وأقدرها على إحراز النصر . مع القدريب المستعر، وإثفاق المال على تسليح الجيش ؛ بحسب الطاقة .

وقد خص الله الغيل بالذكر، وإن كانت داخلة في القوة : تشريفًا لها وتكريمًا ، واعتدادًا بأهميتها . كما ذكر جبريل وميكاتيل مع الملائكة تشريفًا لهما .

تُرْهِبُونَ بِهِ حَدُّوً اللهُ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاحَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَسْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ *.

تبيّن الآية هنا سبب الإعداد وحكمته وهو إرهاب عدّى الله وعدو المسلمين ، من الكفار الذين ظهرت عداوتهم ، مثل مشركي مكة في الماضى ، وإرهاب العدو الفقى الموالى لهوّلاء الأعداء ، سراء أكان معلومًا لنا أم غير معلوم بل الله يعلمهم : لأنه علام الغيوب ، وهذا يشمل اليهود والمنافقين في الماضى ، ومن تظهر عداوتهم مثل فارس والروم ، وسلالاتهم في دول العالم المعاصر . وَمَا تُتَفِقُواْ مِن ضَيْءٍ فِي سَهِيلِ ٱللَّهِ لِنُوفٌ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُطْلَمُونَ .

تأتى هذه المفقرة في أمقاب النصت على الإعناد : لبيان أن الإعناد الملائم للحرب يحتاج إلى المال ، والإنفاق منه في سبيل الله ، فبينت الآية : أن أي شيء تقدمونه من مال قل أن كثر ، فسي إعداد الجيويش أن رعاية المحاربين وأسرهم بما يحتاجون إليه ؛ فإن الله يونّى أجره كاملا للمنفقين ، ويجازيهم عليه على أثمّ مجه ، ولا ينقصون شيئًا من ثواب أهمالهم ، مهما قلت أن كثرت .

من هدى السنة النبوية

روى البخارى : أن رسول الله ﷺ قال :

ومن جهز غازيًا فقد غزاء ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزاء (١٠٠٠).

وجاء في رهاش المسالمين للإمام النووي عن أبي داود أن رسول ش 義 قال : وإن الدرهم يضاعف ثرابه في سبيل الله إلى سبعمالة شمط» .

قال تمالي:

مَّلُ ٱللَّينَ يُعِفُرنَ أَمَّوَ الْهُمْ فِي سَسِل ٱللَّهِ كَمَعَل حَيَّةِ أَبَعَتْ سَيْعَ مَسَعِلَ فِي كُلُّ سُبِلَةٍ مَّاللَّهُ حَيَّةٍ وَٱللَّهُ يُعَمَّاهِمُ لِمِّن يُشَاهُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . (فيفرد ٢٧١)

مما يتعلق بالآبية

٧ - لا وزال الإعداد المادئ والمعنوى، وتجهور الجيوش الضارية المقاتلة: هدف كل أمة في القديم والحديث.

 ٣ - سبق القرآن إلى دعوة المسلمين وتوجيههم إلى إعداد القوة المادية والمعنوية ، وسائر وسائل العرب العديثة ؛ حتى يكونوا أعزة أقوياء ، وقد تسبك المسلمون الأولون بذلك ؛ فتقدموا وانتصروا ، ودالت لهم دول الأكاسرة والقياصرة .

- ب ضمع المسلمين الآن لا يسر الصديق ، ولا يكيد العدر ؛ فيلاد المسلمين تتخطف من حولهم ، ويطمع
 فيها الأعداء ، والمسلمين متقاعسون عن الجهاد وعن الإنفاق في سبيل الله .
- ع. چيب أن تعود معامل الأسلحة وصيانتها إلى بلاد السلمين ، وأن نعمل يقول الله تعالى ؛ فنحد العدة
 الذي أمر الله بإعدادها ، ونتلافى ما فرطنا ، ونأخذ بأسباب الوحدة والقوة .
- المقصود من إعداد العدة : إرهاب الأعداء ؛ حتى لا يفكروا في الاعتداء على المسلمين ، وحتى يعيث المسلمون في دچارهم آمنين مطمئنين .
- وليس المقصود من إعداد العدة إرهاب المسلمين ، أو العدوان على الأمنين ، أو قهر الناس واستغلالهم. قال تمالى : وُرْهُبُوذَ بَه عَمُونُ اللهُ وَمُقُورُ مُورَّ وَعَامِينَ مِن دُولِهِمْ لاَ تَعْلَمُونُهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ . ³
- ينيفي أن نعُود إلى هدى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وسيرة السلف المصالح ، وأن نهجر الهوى
 والترف، وأن نبنى الأفراد والأسر والمجتمعات بالعلق السليم ، والتربية المسالمة ، والمحضن المسالح ،
 والمجتمع المتميز ، والجيش القوى ...

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَحَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ تُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ حَمَلاً . (الكيف: ٣٠) .

* * *

﴿ وَلِنجَنَحُوا لِلسَّلَمِ فَأَجْنَحُ لِمَا وَتَوَكَّمَا عَلَى اللَّهُ إِنَّهُ هُوَالسَّيمُ الْعَلِيمُ ﴿ وَلِن بُرِيدُوٓا أَن يَضَدَعُوكَ فَإِن حَسْمَكَ اللَّهُ هُوَالَٰذِى آلِيَكَ بِتَصْرِيهِ وَإِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْفَ بَيْنَ تُلُوبِهِمْ لَوَانفَقَتَ مَا فِي الأَرْضِ جَيِمًا مَّا الَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئكِنَ اللَّهَ الَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ مَزِرُنُّ عَكِيدً ۞ ﴾

المضردات ء

متصور للسنم مالوا إلى النسالية والسلح.

شاجتح ثها: فعل إليها.

يستسده واكاء يظهروا لك السلم ويبطنوا الغدر والغيانة.

حسبك الله ، كافيك الله .

الشابين قاويهم ، جمع بين قلوب الأرس والمزرج .

التفسي

١ ٦- وإن جَنحُواْ لِلسَّلْمِ فَآجْتُ عَلَهَا وَتُوكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِعُ ٱلْعَلِيمُ .

بعد ما أمر الله تعالى بالاستعداد للحرب . ولا يمنع الحرب مثل الاستعداد لها -- ذكر هذا حكم ما إذا طلب الأعداء المبلح ، ومالها إلى السلم .

قال الزعشرى: السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب.

قال العياس بن مرداس:

والحرب يكفيك في أنفاسها جرع

السلم تأخذ منها ما رضيت به

فالآيات مرتبطة بالآيات السابقة -

والمسى : عليك أيها الرسول الكريم ، أن تذكل في العرب بأولئك الكافرين ؛ المناقضين لمهودهم في كل مرة ، وأن تهيئ لهم ما استطحت من قرة لإرهابهم .

قإن مالوا بعد ذلك إلى المسالمة والمصالمة ، وطلبوا عقد الهدئة ؛ فأعطهم ما طلبوا ، وماهدهم على السلام والمصالمة ، وتوكل على الله ، وفوض أمرك إلهه ؛ فهر وحده الذي يستطيع أن يتصرك ، ويحفظك من خيانتهم ، على أن يقترن ذلك بالمدر منهم .

إِنَّهُ مُو ٱلسَّمِيعُ . لأقوالهم ٱلْعَلِيمُ . بأفعالهم ؛ فيؤلختهم بما يستحقون ويرد كيدهم في تحرهم .

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

والأمر في الآية مرقوف على ما يرى فيه الإمام مسلاح الإسلام وأهله ، من حرب أو صلع ، وليس يختم أن يقاتلوا أبدًا ، أو يجابوا إلى الهيئة أبدًا .

وهذه الآية أصل عظيم من أصول الإسلام ، فهو دين سلام لا حرب .

فالله اسمه السلام ، والجنة اسمها دار السلام ، والقرآن نزل في موكب من السلام ، والمؤمن بعد المسلاة يبدأ الدنيا كلها بالسلام ، والمسلم لا يرفض دعوة السلام وقد حارب المسلمون مضطرين ؛ لردع العدوان ، ولتمكين الضعفاء والنساء واليتامي والصغار من حرية الاهتيار ، ولإزالة طواغيت الكفر والشرك . قال تعالى : وَلَمْنِ ٱلتَعَسَرُ يَعْدُ ظُلْمِهِ فَأُولِيكَ مَا عَلَيْهِم مِّن صَبِيل . (الشورى: ٤١)

. وقال سبحانه : أَوْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتُلُونَ بِأَلْهُمْ ظُلِمُواً ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أَعْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِعَيْرٍ حَقُ إِلاّ أَن يُقُولُواْ زَنَّ ٱللَّهُ ... (السه : ٢٩٠ ه ٤).

٣٢ – زَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَحْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ... الآية .

أى: وإن يريدوا بالمسلح خديمة ليتلوا ويستعدوا ، فالله يكنيك آسرهم ، ويضمرك عليهم ، فهو كافيك وحده ، وعاهسك من مكرهم وخديمتهم ، ومن تولّى الله كفايته ومخطه ؛ لا يضرّه شىء .

هُوَ ٱلَّذِيَّ ٱلَّذِكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ .

هـ و الذي أنزل عليك نصبره في بدر بدون إعداد العدّة الكافية ، وأبدك بـالمؤمنين من الأنصـار والمهاجرين ونقذ ما قضى وحقة .

والتأبيد ليس إلا من الله لكنه على قسمين:

أحدهها: ما يحصل من غير واسطة أسباب مطومة معتادة. والثاني: ما يحصل بواسطة أسباب معلومة. فالأول: هر المراد من قوله: أَيُقَالُهُ بُعُمْرِهِ .

والشانى : هو المراد من قوله : وَبِٱلْمُوْمِينَ . ١٠٠١

وهذه الآيات دليل واضم على جنوح الإسلام إلى السلم ؛ ما دام فيه مصلحة الإسلام وأهله ولهذا لما طلب المشركين عام الحديبية الصلح ، ووضع الحرب بينهم وبين رسول 仙 秦 عشر سنين ؛ أجابهم إلى ذلك، مع ما اشترطوا من شروط مجحفة في حق المسلمين .

هل هذه الآية منسوخة

زعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسيهة : آية السيف في براءة : فَاللَّوا ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْتِئُونُ بَاللَّهُ وَلا بَأْلُومِ ٱلآخِرِ . (الدية : ٢٩) .

وقد ذكر الإمام الزركشي في كتابه : «البرهان في علوم القرآن، نقلاً عن الشاطبي في الموافقات :

أن هذا ليس نسخًا ولكنه تدرج فى التشريع؛ فحينما كان المسلمون ضعافًا ؛ أمروا بالجنوح إلى المنع والسلام .

وإما كانوا أقوياء قادرين : أمروا بالققال وإخراج المشركين من جزيرة العرب.

وجاء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

قال ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاه الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة : إن هذه الآية منسخة ، باية السيف في برامة .

وفيه نظر أيضًا ؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك .

قاما إذا كان العدن كثيفًا ؛ فإنه يجوز مهادنتهم ، كما دلت عليه الآية الكريمة ؛ وإن جَسَعُوا الِسُلْمِ فَأَجْعَ لَهَا ...

وكما قعل النبي على المديبية . فألا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. .

وإذا تأملت الآية ، وجدتها تقرر مُبِدًا عامًا في معاملة الأعداء ؛ هو أنه من الجائز مهادنتهم ومسالمتهم ؛ ما دام ذلك في مصلحة المسلمين .

فالماكم المسلم له يصيرته وحسن تقديره للأمور ، وله مشورته للمسلمين ، والهتيار الأصلح والأنسب: فله أن يفتار العرب ، وله أن يفتار المفاوضة والمسلح ؛ والمكنة ضالة المؤمن ، والمكنة : هي حسن التأمَّى للأمور ، ووضع الأمور في نصابها ، والمتيار الأنسب والأوفق والأولى .

هال تعالى : يُوْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُوْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُولِيَ خَيْرًا كَبِيرًا وَمَا يَذَكُرُ إِلاَّ أُولُواْ ٱلْأَلِّابِ . (العدي: ٢٦٩)

٦٧- وَٱلْفَ يَسْنَ لَلْمُ بِهِمْ ۚ تَوَ أَفَقَتَ مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيمًا مَّا ٱلْفَتَ يَبْنَ لُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهُ ٱلْفَ يَنْتُهُمْ إِنَّهُ عَزِيدٌ حَكِيْ

تستمر هذه الآيات في تشجيع الرسول 攤، على السير في طريق الصلح ، مادام فيه مصلحة للإسلام والمسلمين ، وتبشّره بأن الله سينصره وسيكفيه أمر الأعداء ، حتى لو أرادوا المضادعة والمراوغة ، وتضرب لذلك مثالاً عملياً شاخصًا للعيان .

قهولاء الأرس والمتررج كانوا في الجاهلية أبناء عمومة ، وكانت بينهم حروب لا تهداً ، والدات لم تنطقئ ، ولم يجتمعوا تحت راية ، حتى جاء الإسلام ، وبنغل فيه من الأوس ومن الفزرج ؛ وتحولت البغضاء والإحن ، والأحقاد والعداوة ، إلى حب عظيم في الله وفي دينه ، وفي رسوله وفي كتابه، وألف الله بين قلوبهم، بقدرته ورحمته ، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبها كيف يشاء ؛ فالحب والهداية والإيمان كلها من خلق الله ، وذلك لأن الألفة والمودة والمحبة الشديدة إنما حصلت بقضل الله ومتابعة الرسول ﷺ. لَوْ أَلْفَقْتَ مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيمًا مَّا أَلْفَتَ يَيْنَ لُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ أَلْفَ يَنْهُمْ.

أى: لو جمعت ما فى الأرض من ذهب وقضة ، وأنققته لتقضى على ما كان بينهم من التنازع والتضامم والفرقة ؛ وتزرع بدلاً منه الموية والألفة والرحمة ؛ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً بوسائلك المادية؛ ولكن الله تعالى ، أماط عنهم البغضاء والشحناء ، وزرع مكان ذلك العب والموية والإيثار ؛ لأنه سبحانه هو مثلب الثلوب ويلى تصريفها .

وكان من دعاء الرسول ﷺ: «اللَّهم يا مقلب القلوب والأبصار ، ثبت قلبي على دينك» .

نقالت عائشة : يا رسول اڭ ، أراك تكثر من هذا الدعاء . فقال ﷺ : «يا عائشة ، إن قلوب العباد بين أصبعين من أمنابع الرحمان يقلبها كيف يشاء» (٥٠٠) .

ومن الدعاء المأثور: «اللَّهم آت نفسى تقواها وزكّها أنت هير من زكاها ، أنت ولهها ومولاها»^(٢٨) اللَّهُ مَدِيدٌ حُكِيدٌ .

إنه سبحانه غالب على أمره ، لا يعجزه أمرٌ أراده حَكِيمٌ ، لا يخرج شيء عن حكمته .

وقد ذكر الزمخشرى في تفسير الكشاف كلامًا نفيسا في وصف حالة العرب في الجاهلية ، وما كانوا فيه من الحميّة والعصبية ، ثم بيان أثر هناية الإسلام في وحدتهم وألفتهم وتعارنهم ، ا هـ .

وفي المسحيحين: أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين: قال لهم: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم شُلالاً فهداكم الله بني ؟ ومالة فأغناكم الله بن ؟ وكنتم متفرقين فألُفكم الله بني ؟! فقالت الأنصار: نمم يا رسول الله، ونش وارسوله الفضل والمتّخِا".

وذكر الحافظ أبر بكر البيهقي عن ابن عياس قال : «قرابة الرحم تقطع ، ومنه النعمة تُكَفَّر ، وام يُرّ مثل تقارب القلوب» : يقول الله تعالى : لُوَ أَفْلَعْتُ مَا فِي الْأَرْضِرِ جَمِهَا مَّا أَلْفُتَ اسْ قُلْوِهِمْ ﴿ يَكَأَيُّهُا النَّيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ الْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ يَكَأَيُّهَا النَّيْقُ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَعَيْرُونَ يَعْلِبُوا مِاثَنَيْنَ وَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ مِنَاقَةً يَشْلِبُوا الْفَاقِنَ اللَّينِ كَفَرُوا بِانَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْفَهُونَ ۞ الْفَنَ خَفْفَ اللَّهُ عَنَكُمْ وَعَلِمَ الْكَفِيكُمْ صَمْفَا فَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ مِنَافَةٌ صَابِرَةٌ يُعْلِبُوا مِاثَنَيْنَ وَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ الْفَدُي يَعْلِبُوا الْفَيْنِ بِإِذْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا الْشَدِينِينَ ۞ ﴾

المفردات

حوشن الأومدين احتهم وحضهم .

التفسيره

٤ ٣- يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ آللَّهُ وَمَن ٱلْيَعْكَ مِنَ ٱلْمُرْمِينِينَ .

أى : كاذيك الله تمالى .

فالله تعالى وحده كافيك ، وكافي أتباعك فلا يحتاجون معه إلى أحد .

وهذه الآية لون من ألوان التكريم الإلهى ، لهذا النبي ولهولاه الرجال الكرام ، الذين آويه ونصريه ، يكفى أن يكرن الله العلى القدير ، هو وليهم وناصرهم وكافيهم ، ومتولّى الدشاع عنهم : إنَّ هذه الآية عصن أمان لهذا النبي ولمن اتبعه من المرّمنين .

ونظير هذا قوله تعالى : أَلُّسُ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ . (الزمر: ٣٦) .

والوله سبحانه : قَإِذَا فَرَغْتَ قَالصَبْ * وَإِلَى رَبُّكَ قَارَغَب . (الشرح: ٧٠ ٨) .

وقعله عن شانه : وَلَوْ أَنْهُمْ رَضُواْ مَا عَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبَنَا اللّهُ سَيُوتِهَا اللّهُ مِن قطيلهِ وَرَسُولُهُ إِنّا إِلَى اللَّهِ رَاهِبُونَ . (اللههة: ٥٩) .

والآية لون أيضًا من ألوان صدق العقيدة ،وإخلاص التوجيد : فمن كان الله كافيه وحافظه : فهو في حصن مشيد ، وأمن سعيد .

وفي تفسير القاسمي ، شرح طويل لهذه الآية .

فقد نقل عن العلامة ابن القيم في زك المعاد وجوه إعراب الآية .

وخلاصة ذلك ما يأتي :

١- الوار عاملفة لـ مَنْ على الكاف المجرورة .

والمبي : كافيك الله ، ومن معك من المؤمنين في تحقيق النصر ، أى : أن الله يكنيك وينصرك ، وينصر من معك من المؤمنين .

٢- مَنْ في موضع رقع عطف على اسم الله ، ويكون المعنى : حسبك الله ، وأتباعُك.

وابن القيم يرفض هذا المعنى الثاني ؛ لأن الحسب والكفاية الله وحده ؛ كالتوكل والتقوى والعبادة .

قال الله تمالى : وَإِنْ يُويِدُواْ أَنْ يَحْدُمُوكُ فَإِنْ حُسَبُكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِى آيَدُكَ بِتَمْرِهِ وَبِٱلْمُوْسِينَ . (الأنفال: ٦٧) . فقرَّق بين المسب والتأييد ، فجعل المسب له وحده وجعل التأييد له بنصره ويعباده . انتهى .

قال المقاجيّ (في العناية) : وتضميفه الرفح لا وجه له ، فإن الفرَّاء والكسائيّ بجَّماه ، وما قبله وما بعده يؤيده .

وترى نيما سبق اتجاهين للطماء.

الاتجاه الأول:

لاين القيم وغيره من المقسرين يرون أن الله وحده هو حسب النبى وكافيه ،وقدرته لا مردّ لها . وذهبرا إلى إضافة آلْمُوُّسِنَ إلى النبى : فهي معطوف على كاف الفطاب .

بمعنى: يا أيها النبي حسبك الله ، وحسب المؤمنين .

أي : يكفى أن يكون الله نامرًا لك والمؤمنين.

الإتجاه الثاني:

للفراء والكسائى والنفقاجي وغيرهم يقولون : عطف المؤمنين على لفظ الجلالة ليس ضميفًا بل قويًّا: وبزى أن معنى الآية مرتبط بما قبلها وما بعدها : وسياق الكلام يرجّع أن جملة وَمَنِ ٱلتَّحَكُ مِنَ ٱلْوَّسِيمَ ، فئ موضع رفس ، وهي معطوفة على اسم ٱللَّهُ . وهذا الاتجاء يؤيده قوله تعالى : قُو ٱلَّذِي أَيْدُكُ يُعَمِّرُو وَبِالْمُوْمِينَ . ، ويضيف إلى المؤمنين شرفًا وتكريماً ، فهم جند الله ورجاله ، الذي أيد بهم الرسول ﷺ والآية التالية بتحريض المؤمنين على القتال، بحيث إن المؤمن لا يجوز أن يقرّ من عشرة أفراد .

هو نرع لاحق من تشريف المؤمنين ورفع أقدارهم ، وأنهم بما في قلوبهم من إيمان ؛ في منزلة لا يتانها الكافرون والمشركون⁽⁻⁰⁾.

ه ٢- يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرَّضَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِعَالُّ ... الآية .

يا أيها النبيّ ، رغب الدوّمتين في القدال ، وبين لهم فضله وأجره ومذالته ، وثراب الشهداء عند الله تعالى .

وقد كان القرآن حافلاً بالحث على الجهاد وبيان فضله ، وكان المسلمين يقرمون سورة الأنفال عند . الغزى، أو كان أحدهم يقريها بصديت مرتفع ، تحريضًا وتشجيعًا ، ويثًا لروح الحميّة والدفاع .

كما حقلت السنة المطهرة ، بيهان ثواب الشهداء وفضل الجهاد والمجاهدين .

وقى الحديث الشريف: «لفدرة فى سبيل الله أو روحة غير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم فى الجنة غير من الدنيا وما فيهاء^{(١٨}).

وروي البشاري في مسعيمه : أن رسول الله ﷺ قال : طرلاً أن أشق على أمتى ما قعرت خلف سرية ، ونودت أن أفقل في سبيل الله ثم أحيا ثم أفقل ، ثم أحيا ثم أفقل» " .

وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ كان يحرِّ في أصحابه عند صفَّهم للقتال ، ومواجهة العديّ كما قال لهم يوم بدر ؛ حين أقبل المشركون في عددهم وعُددهم : «قومها إلى جنة عرضها السماوات والأرض». فقال عمير بن الممام : عرضها السماوات والأرض ، بخ بخ الاثم تقدم فقائل حتى قتل رضي الله عنه

إِن يَكُن مَّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَفْلِبُواْ مِالْتَيْنِ.

أي : إن يكن منكم عشرون ، صابرون ، مجتسبون أجرهم عند الله ؛ يقلبوا ماثتين .

وليس المراد منه الإخبار ، بل المراد الأمر : كأنه قال : فليصبروا وليجتهدوا ، وليثبتوا في مواقعهم.

فهم يصديهم ، وفقههم وإيمانهم ، ومعرفتهم يأسرار الحرب ، وأهدافها وغاياتها ، والإخلاص فيها: أمل لأن يغلبوا مائتين .

وَإِنْ يَكُنِ مُكُمُ مُأَلَّةً يَعْلِيناً أَلْفًا مِنْ ٱلَّذِينَ كَقُرُواْ . وترى أن القرآن اشترط الصبر ، وهو الثبات وتحمّل المشاق ، والالتجاء إلى الله ، وإهلامن النية ، وتصحيح العقيدة .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ .

ه أى: بسبب أنهم جهلة بالله تعالى واليوم الأخر، لا يقاتلون لحتسابًا وامتثالاً لأمر الله تعالى ، وإعلام الكلمته ، وإبتفاءً لرضوانه ، كما يقطه المؤمنون .

وإنما يقاتلون للممية الجاهلية ، اتباح خطوات الشيطان ، وإثارة ثائرة البغى والعدوان ؛ فلا يستحقون إلا القهر والفذلان:«"".

٣٦ – "الآنَ صَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفَا أَفِان يَكُن مُنكُم مَّالَةٌ صَابِرَةً يَفْلِمُواْ مِالْتَيْن وَإِن يَكُن مُنكُمْ أَلْفُ يَفْلُونَا ٱلْقَلْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَن ٱلصَّارِينَ .

أى : الأن خفف الله عنكم إيجاب ثبات الواحد لعشرة ، وقد علم أن فيكم ضعفًا فى أبدانكم أو كثرة أعبائكم ؛ أو بخول جموع من الأعراب ؛ والأتباع الذين أسلموا تبعًا لقادتهم ، ولم يستقر الإيمان كاملاً فى قلريهم: فاستوجب ذلك التحفيف من الله العليم القدير .

وَإِنْ يَكُنْ مُكُمُ مُآلَةً صَّارِةً . عند اللقاء ثابتة في محارية الأعداء ، مطمئنة إلى نصر الله للصابرين ؛ غانهم يُعْلِبُواْ مَالْتَوْن . من الأعداء .

وَإِنْ يَكُن مَكُمْ أَلْفٌ. صابرين يَعْلِبُواْ أَلْقَيْنِ . بالنصر والمعونة الإلهية بإِذْنِ ٱللَّهِ . وقوته وقدرته ، وَٱللَّهُ مَعَ ٱلسَّابِهِينَ . بتأييده ورعايته ونصره .

وقهه تنبيه على أسباب النصر، ومنها: الصبر والثبات ، والإعداد المادي والنفسى ، والمعرفة بمقادق الأمور ومقاصد الهماد ، ومصاولة الهأس ، ومقاومة الشائعات والأراصف ، والبعد عن أسباب الشلاف والفرقة، وطاعة الرحمان .

القول بالنسخ

نهب بعض المفسرين إلى أن الآية ٦٦ ناسخة للآية السابقة عليها ، واستشهدوا بمارواه البخارى عن ابن عباس قال : لما نزلت : إِنْ يَكُنْ مُنكُمْ مِشْرُونَ صَابِرُونَ يَقْلِمُواْ مِأْتَيْنِ. شق ذلك على المسلمين ، حين قرض عليهم ألا يفرُ الواحد من عشرة .

فداء التخفيف نقال : آلآنَ نَفُّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ...

وقال الجماص في أحكام القرآن:

لا محالة قد وقع النسخ عن المسلمين فيما كلفوا به أولا ، ولم يكن أولئك القوم قد نقصت بمسائرهم، ولا قل صبوهم ، إنما خالطهم قوم لم يكن لهم مثل بمسائرهم ونياتهم ، وهم المعنيون بقوله تعالى : وَعُرِمُ أَنْ شَكَّدُ صَفَقاً

وذهب آخرون إلى أنه لا نسخ بين الآيتين : وفإن القول بالنسخ يقتضى أن يكون بين الآيتين – الناسخة والمنسوخة – مسافة زمنية ، بحيث يكون لتغيّر الحكم ونسخه بحكم آخر مقتضى اقتضاه تغير الحال بامتداد الزمن ، وليس هناك دليل يدل على أن فاركًا زمنيا وقع بين نزول الآيتين .. بل ظاهر الآيتين ينبئ عن أنهما نزلتا معا في وقت ولحد ، وقد قبل : إنهما نزلتا في غزوة بدر ، وقبل : قبل بدء القتال ""!

وقد ذهب الأستاذ على حسب الله في كتابه أصول التشريم الإسلامي إلى أنه لا نسم بين الآيتين.

فالآية الأولى تمهيد للآية الثانية : حتى يتحمل المسلمون الثبات أمام ضعف عددهم بنفس ثابتة مطمئنة.

وذلك كما يقول أستاذ لتلميذه : أنا أعرف أنك ذكى مجتهد تستطيع أن تقرأ مائة صفحة من هذا الكتاب، ومع ذلك فإنى أطب منك أن تقرأ عشرين صفحة بصبر وتفهم ورعى.

واختار الشيخ حسنين محمد مخلوف في كتابه : «صفوة البيان لمعاني القرآن» :

أن الآية الثانية رخصة كالفجار للمسافر؛ فإذا كان المسلمون في شدة وحرج وخطر، واقتضى الأمر ثبات الواحد لعشرة؛ وجب أن يثبتوا.

وإذا كانوا في سعة ريسر؛ جاء التخفيف ، وقرض على الواحد الثبات للاثنين من الكفار ، ورخص له في الفرار ؛ إذا كان العدر أكثر من اثنين .

والجمهور على أن الآية الثانية ناسئة للأولى.

ويرى بعض العلماء أنه يمكن العمل بالأيتين ، فالآية الأولى عند القوة والساجة ، والآية الثانية عند السعة واليس.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

«وقد فعل المسلمون هذا فعلاً ، في سيرتهم مع الإسلام ، وفي انتصبارهم على أعداء تكثرهم أكثر من عشرة أضعاف ، فإن كنت في ظك من هذا فاسأل التاريخ .. بكم من المسلمين فتح خالد بن الوليد مملكة فارس؟! ويكم من المسلمين فتح أبر عبيدة بن للجراح بلاد الرويم ؟! وكم كانت أعداد المسلمين الذين فتع بهم عمرو بن العامس مصر ؟! ويكم من المسلمين اقتحم طارق. ابن زياد بلاد الأندلس ، واستولى على زمام الأمر فيها ؟!

وجواب التاريخ هنا شهادة قاطعة : بأن المسلم إذا استنجد بإيمانه بالله : كان وحده كتيبة تغلب المشرات ، لا العشرة من جند العديّ⁶⁷ .

من تفسيسر المنار

يقول السيد رشيد رضا في تفسير المار:

ووالآية تدلُّ على أنّ من شأن المؤمنين ، أن يكونوا أعلم من الكافرين ، وأفقه منهم بكل علم وفن يتطلق بحياة البشر ، وارتقاء الأمم ، وأن حرمان الكفار من هذا العلم ؛ هو السبب في كون المائة منهم دون العشرة من المؤمنين الصابرين .

وهكذا كان المؤمنون من قرونهم الأولى ... أما الآن ، فقد أُصبح المسلمون غافلين عن هذه المعانى الجليلة : فزال مجدهم اء.

﴿ مَاكَاكُ لِنَيْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسَرَىٰ حَقَّى يُشْخِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُرِيدُوكَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُوكِ كَلْبَدُّمِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ الشَّنْيَا الْاَجْوَرَةُ وَاللّهُ عَرِيدُ عَرَضَ الدُّنْيَا الْمَالَّةُ إِنَّ مَنْ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ الْمَنْ مُعَادَّا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللل

المطردات ،

أســـــــــرى، جمع آسير وهو من يؤخذ في الحرب حيًّا، وتُخَدَّ به بالإسار وهو الليد. يشغش في الأرض، أي يبالغ فيه بالقتل والجرح: عتى تظهر شركة المسلمين وقوتهم. عسرض المنيف أو مطامها – سمى عرضا : اسرعة زواله. السكم فيما أعدته: أي: لأصابكم بسبب ما تُختموه من القدية.

شامكين مشهم ، فأقدرك عليهم قتلاً وأسرًا .

التقسيره

٧٧- مَا كَانَ لَقِيِّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَمْلُ يُعْمِنَ فِي ٱلأَرْهِ ۚ ثِيلُونَ عَرَضَ ٱلذُّكِ وَٱللَّهُ تُعِيدُ ٱلآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيدٌ حَكِيدٌ .

سيب الثرول ،

ري أن الذبي ﷺ استشار أصحابه فيما يعطه في أسرى بدر فأشار أبو بكر بالفدية وقال: هم قومك وأمك : استبقهم لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، واستشار عمر فأشار بالقتل قائلا : فضرب أعناقهم : فإنهم أئمة الكفر وألله أغناك عن الفداء ، مكن عليا من عقيل ، وحمزة من العباس ، ومكنى من فلان نسيب له فلنضرب أعناقهم ، وقد مال الرسول 難 إلى رأى أبى بكر فنزلت الآية وقد عتم الله سياق الكلام في القتال بذكر حكم يتملق بالأسرى .

غهيد :

الأسير : غدو من الكفان وقع في يد المسلمين ، والحكم فيه أن الإمام يتصرف فيه تبكًا للمصلحة العامة ويتمن فيه تبكًا للمصلحة العامة فيعرض عليه الإسلام فإن أسلم فيها ، وإلا قتله الإمام أو قبل الفداء منه ، أو استرقه ، أو من عليه يدون فدأه . هذا إذا كان للأمة الإسلامية دولة وصولة أما في مبدأ الأمر ، كما هنا عند قيام الدولة بالرأي الا يبقئ على الأسرى ولا يحملوهم معهم بل يقتلوهم فتلاً ؛ إذ هم عالة عليهم وضفت على إبالة ، وإن بقى الأسير ربما تظاهر بالإسلام وكان جاسوسًا على المسلمين وفي هذا المعنى كانت الآية الكريمة .

العني:

مَا كَانَ لَشِيِّ أَى: ما صبح له وما استقام أبدًا أي: لا ينبغي أن يكون له أسرى ثم يبقى عليهم ، ويقبل الفدية : فإن في هذا خطرًا على الدولة ، وما كان له ذلك حتى يكثر القتل في الكفار ويبالغ فيه : إذ في هذا إعزاز المسلمين ، وإضعاف للكفار وكسر لشوكتهم ، أنريدون بقبول الفداء والإيقاء عليهم عرضًا من أعراض الدنيا وحطامها الزائل : والله يريد لكم ثواب الأخرة ، أن يريد إعزاز دينه ، والقضاء على أعداثه ، وهذا سبب الوصول إلى ثواب الأخرة ، والله عزيز يمز أولياءه ، وللله أفرةً وأرسُولهٍ وَلَلْمُولِينِنَ . (المنافقين : ٨) ، حكيم في أفعاله وأعماله فامتثلوا أمره : فهو يهديكم إلى سبيل الرشاد والخير .

٨٨ - لُولاً كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمُسَّكُمْ فِيمَا أَخَلْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

أى : لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ ، وهو ألاً يعاقب المفطئ في لجتهاده ؛ لأن المسلمين والنبى الأمين قد لجتهدوا ورجَّموا قبول الفداء على القتل : وحشى عليهم أن قتلهم أعز للإسلام ، وأهيب لمن وراءهم ، وأضعف لشوكتهم .

وقيل: إن المكم الذي سبق هو ألا يعذب أهل بدر؛ فهم مغفور لهم.

أن ألا يعنب قوما إلا بعد تأكيد الحجة والبيان ، والتصريح المتقدم بالذهى عن الفداء ، ولم يكن قد تقدم نهى عن ذلك .

والمعنى :

لولا هذا المكم الإلهى السابق إبرامه – لولا هذا لأصابكم يسبب ما أهذتم من القداء عذاب عظيم وقعه، شديد هوله ، وفي هذا تهويل لفطر ما فطوا .

٩ ٧- لَكُنُلُواْ مِمَّا غَيِمْتُمْ خَلَالاً فَلَيَّا ۚ وَٱلْقُواْ اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَفُورٌ رَّحِيمٌ .

روى: أنهم أمسكوا عن الغنائم ، ولم يمدُّوا أيديهم إليها ، حتى نزات هذه الآية .

أى : أَبَحْتُ لَكم الفناتم ؛ فَكُلُواْ مِمَّا ظَيِّمُتُمْ مِن الفدية ، حال كرنه خَلالًا لكم ، ظَيًّا ، أي : لذيذًا هنيتًا ؛ لا شبهة في أكله لا ضرير .

وَٱلْقُواْ ٱللَّهُ . في كل أحوالكم بأن تخشوه وتراقبوه .

إِنَّ اللَّهُ ظَهْرٌ رَّحِهُ . فقد عَفْر لكم ما أعنتم من الفداء : فسيحانه من إله واسع الرحمة والمفقرة لمن اتقاء : وتاب إليه توبة مسادقة .

٠٧- يَا أَلِيَهَ النِّيُّ قَلَ لَمُن فِي أَيْسِكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي تُلْمِيكُمْ خَيْرًا يُؤْكِكُمْ خَيْرًا مُمَّا أُجِدُ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمُّ وَاللَّهُ فَقُورٌ رَّحِمٌ .

روى: أنه كان من بين الأسرى العباس بن عبد المطلب وقد كلفه النبى أن يفدى ابن أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث فقال: يا محمد، تركننى أتكلف قريشًا ما بقيت فقال له النبى 義: «فأين الذهب الذي وفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة ؟» وكان هذا إخبارًا بالغيب حيث لم يكن يعلم بهذا إلا الله فقال المباس : والله ما كان عندى ريب قبل هذا واكن الآن لا ريب ، وفي رواية : قال المباس : فأبدلني الله غيرًا مما أخذ مني .

والمعنى :

يا أيها النبى ، قل لمن فى ملككم من الأسرى : إن يعلم الله فى تلويكم إخلاصًا وحسن نبة : يؤتكم خيرًا معا أعد متكم فى الفداء ، ويغفر لكم والله غفور ، ستار للذنوب ، وقيل : المراد من الآية : أن يعرض النبى على الأسرى الإسلام ويعنهم بالغير والمغفرة .

٧١ - وَإِنْ يُرِيدُواْ عِيَالتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمٌّ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

المعنى :

وإن يريدوا هيانتك ، ونقض عهدك : فاعلم أنهم قد خانوا الله من قبل ذلك ؛ بنقضهم الميثاق المأخوذ على الناس جميعا ألستُ بُراتَكُمُ : وإذا كان كذلك فلا يهمنك أمرهم فالله أمكنك منهم وسلطك عليهم فهزمتهم، وهذا كلام مسوق ؛ لتسلية النبى الله بطريق الوعد له والوعيد عليهم ، وَاللّهُ عُلِهمٌ بكل النيات حَكِيمٌ في فعل ما تقتضيه الحكمة البائفة .

أن هم خانوا الله في وفضهم قبول دعوة الإسلام ، وفي محاربتهم للمؤمنين ؛ فأمكن الله منهم المسلمين في غزوة بدر. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عَامَسُوا وَهَاجَرُوا وَجَنهُ دُوا يَامُولِهِ مَوَالْفَسِمِمْ فِسَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ عَامَوَا وَفَصَرُوا أَوْلَهُمْ وَالَّذِينَ امْنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمُ مِن وَلَيْنِهِم مِن مَعْ عَفَى يَهَاجِرُوا مَا لَكُمُ مِن وَلَيْنِهِم مِن مَعْ عَفَى يَهَاجِرُوا مَا لَكُمُ مِن وَلَيْنِهِم مِن مَعْ عَفَى يَهِمُ النّصَرُ إِلَا عَلَى قَلْم يَسْتُكُمُ النّصَرُ وَالْمَ يَعْمَدُمُ وَاللّذِينَ كَفَرُوا بَسْمَهُمْ أَوْلِيالَهُ بَسْمِنُ وَ وَلِيْنَ كَفَرُوا بَسْمَهُمْ أَوْلِيالَهُ بَسْمِن إِلَّا مَن وَمَاجَرُوا وَيَعْمَدُوا أَوْلَيْنَ كَفَرُوا بَسْمَهُمْ أَوْلِيَالَهُ بَسْمُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مَعْفِرةً وَرِزَقُ وَعَلَيْكُمُ الْمُؤْمِنُونَ عَقَالُمُ مُعْفِرةً وَرِزَقُ وَجَهَدُوا مَعَكُمْ وَالْمَيْونَ عَلَيْمُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ مَعْفِرةً وَرِزَقُ وَاللّهُ مَعْفِرةً وَرَوْقُولُوا الْأَرْدَامِ وَجَهُمُ وَالْمَعَمُ وَالْفِيمِ وَالْمُولِ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مَعْفِرةً وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ فَي اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَنْ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مَن مُولًا اللّهُ وَمُعَمُوا أَوْلَالُولُ مِنْ مُن مَعْفَى اللّهُ وَاللّهُ مَن مُن اللّهُ وَاللّهُ مَن مُن مَا اللّهُ وَاللّهُ مُن مُن مَا مُؤْلِقُولُوا الْأَرْدَى وَمُعْلِمُ اللّهُ وَلِمُولُولُ اللّهُ مُنْ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَاللّهُ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ

القردات ،

أووا ، أي : آووا المهاجرين في المدينة وأسكنوهم .

ما تكم من و لايتهم من

شيء حتى يهاجروا: أي : ما لكم من توليهم في الميراث وإن كانوا من أقرب أقاريكم حتى يهاجروا.

تكن هتنة هي الأرض: تعصل فتنة يظهور الشراي.

وددُق كــــريم ، في الجنة .

شأوثنك منكم: أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار.

أولسو الأرحسام؛ أعنماب القرابات.

التفسيره

٧٧ - إنْ اللَّهِنَ ءَاشُوا وَهَاجُرُواْ وَجَاهَدُواْ إِنْاهَ اللَّهِمْ وَالْفَسِهِمْ فِي سَسِلِ اللَّهِ وَاللَّهِنَ عَارَواْ وُنَصَرُواْ أُولِكَ يَشْخُمُ أَوْلِهَا يَشْعَمُ وَاللَّهِنَ عَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَالكُمْ مِنْ وَلاَيْهِم مِن هَيْءٍ حَمَّىٰ يُهَاجِرُواً وَإِنْ اَسْتَعَصَرُوكُمْ فِي اللَّمْنِ مَنْ فَيْءٍ حَمَّىٰ يُهَاجِرُواً وَإِنْ اَسْتَعَصَرُوكُمْ فِي اللَّمْنِ اللَّهِمِ مَن هَيْءٍ حَمَّىٰ يُهَاجِرُواً وَإِنْ اَسْتَعَصَرُوكُمْ فِي اللَّمْنِ اللَّهِمِ مَن هَيْءٍ حَمَّىٰ يُهَاجِرُواً وَإِنْ اَسْتَعَصَرُوكُمْ فِي اللَّمْنِ أَنْ اللَّهِمَ مَن اللَّهِمْ مَن هَيْءٍ حَمَّى اللَّهُمْ اللَّهُمْ اللَّهُمْ اللَّهُمْ الْمُشْلُونَ بَعِيمٌ .

التاسية ،

ما مضى كان فى الكلام على الكفار وأُسْمِه وكيفية معاملتنا لهم ، ضاربين بقرابتهم عرض المائط مستبدلين بها قرابة الإسلام ، ولذا تكلم القرآن هذا على رابطة الإسلام .

والمعنى:

إن الذين آمنوا بنائف ورسوله إيمانًا صادقًا كاملاً وهاجروا في سبيله ، تاركين أوطائهم الحبيبة إلى نفوسهم ، وأموالهم ، كل ذلك لله ، وجاهدوا في سبيله ، ويذلوا النفس والنفيس : أولك هم المهاجرون الذين تركيا مكة وعزهم وبغرفهم ونسبهم فيها إلى يثرب التي تطفها الرسول الكريم .

إن الذين آمدوا وماجروا وجاهدوا في سبيل الله وَ أَلْكِن َ فَاوَداْ . المهاجرين وأداوهم ديارهم وشاركهم في أموالهم ، وُلَصَرُواً . رسول الله ومتعوه مما يمتعون منه أزواجهم وأولادهم فاللّمِينَ وَاسْوا بِهِ وَوَوْرُوهُ وَلَسُوا بِهِ مَن أَموالهم ، وُلَصَرُوهُ وَأَنْهُمْ اللّهِن وَاللّه مَا لا معاجرين والأنصار بعضهم أواياء بعض يتولون أنفسهم بالرعاية والمناية والسهر على المصالح : فهم جسد الأمة الإسلامية ، إلا اشتكى عضو منه : تناعى له سائر الحسد بالسهر والعمى ، فرابطة الإسلام بينهم أقوى رابطة ، والإيمان هو المسلة المسلمون في كل زمان ومكان اجتمعوا على الإيمان بالله والتقوى ، وعلى محبة الرسول الأكرم ولذا يقول الله فيهم : إنَّما أَنْهُوسُونُ أَنْوَقً مَا لاعوة في الإسلام إذا ما كانت لله حقًا كانت هي الدعامة الرحودة لتماسك بناء الأمة ، وقيل : المراد بالولاية هنا : العيراث ونسفت الآية بأية المواريث ، والذين آمنوا بالله ورسوله ولهم يهاجروا بأن اعترضتهم عقبات لم يستطيعوا التقلب عليها ، هزلاء ليس اكم ولاية عليهم ولوس بينكم توارث وإن كانوا ذوى قربى حتى يهاجروا . هكذا كانت الهجرة في ميدا الإسلام .

ولكن إن استنصروكم في الدين ، وطلبوا إليكم أن تمدوا إليهم يد المساعدة لهم على أعدائهم ، بقدر الطالة ؛ فانصروهم ، إلا على قوم بينكم وبينهم معاهدة وميثاق ، والله بما تعملون بصير .

من أحكام الأبسة

- ١ فضل المهاجرين الأولين ، وتضحيتهم بالنفس والمال من أجل الإسلام .
- ٢ فضل الأنصار ، الذين استقبلوا المهاجرين وقاموا بحق الضيافة والنصرة .
 - ٣ ظاهر الآية : تقديم المهاجرين على الأنصار وتفضيلهم عليهم .
 - قال ابن كثير: وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لا يختلفون في ذلك.

٤ - تقديس الوفاء بالمهود والمواثيق في شرعة الإسلام ؛ وإن مس ذلك مصلحة بعض المسلمين .

قال القاسمي في تفسير الآية :

يظهر أن هذه الآية كسوابقها مما نزل إفر واقعة بدر ، وخُلب من كل من آمن من أن يهاجر ؛ ليكثر سواد المسلمين ، ويظهر اجتماعهم ، وإعانة بعضهم لبعض ، فتققرى بالُفقهم شوكتهم ، ولم يُزل طلب الهجرة إلاّ بفتح مكة ؛ لقوله ﷺ : ولا هجرة بعد الفتح» صلاح رواه البشارى .

٧٧ - وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعَشْهُمْ أَوْلِيَاءً بَعْضَ ۚ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِئْنَةٌ فِي ٱلأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ .

والذين كغروا بمضهم أولياء بعض ليس لكم أن تركّرهم أو تتمذوهم أصدقاء مهما كانوا من القرابة والصنة ، إن لم تعظوا هذا وتقوموا بهذا الأمر : تصمل فتنة في الأرض وبساد كبير ، وذلك بضعف الإسلام وكسر شوكته وظهور الكنز ، وعلو رايته ... يا سبحان الله أأنت عالم الفيب والشهادة ، وأنت الفيير قلقد ظال الإسلام كما هو حتى اتخذ المسلمون بطانتهم من غيرهم ، ووالوا أعداء الدين بحجة السياسة مرة ، أو لمعاجة أخرى ، فأصبحوا ولا حول لهم ولا قوة ، وظهر الفساد في البر والبحريما كسبت أيدينا نعم وسنظل على ذلك حتى نعود إلى الدين والقرآن ، نقمل ما يريده ونتجنب ما ينهى عنه .

وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي : في تفسير الآية :

إلاَّ تنطوا أيها المسلمون ما أمرتكم به من التناصر والتواصل وبراًى بمضكم بعضًا ، ومن قطع الملائق بهتكم وبين الكفار : تمصل فتنة كبيرة فى الأرض ، ومفسدة شديدة فهها : لأنكم إذا لم تصبيروا يدًا واحدة على الشرك : يضمف مثانكم ، وتذهب ريحكم ، وتسفك دمازكم ، ويتطاول أعداؤكم عليكم ، وتصبيرون عاجزين عن النفاع من دينكم ومرضكم ، ويذلك تممّ الفتنة وينتشر اللساد .

٧٤ - وَٱللَّهِينَ مَامَثُواْ وَهَاجُرُواْ وَجَاهَلُواْ فِي سَهِلِوَٱللَّهِ وَٱللَّهِنَ ءَاووا وَنَصَرُواْ أَوْقِلْكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَمًّا لَهُم
 مُقفِرةً وَرِدْق كَرِينً .

تصف الآية فريقين:

- ١- المهاجرين الذين آمنوا باشه ، وهاجروا من مكة إلى المدينة في تضمية بالخالي والنفيس من أجل مرضناة الله ، وقد جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .
 - ٢ الأنصار الذين آووا الرسول وعزروه ونصروه ، وأحسنوا استقبال المهاجرين وآثروهم على أنفسهم.

أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلْمُولِمِثُونَ حَقًّا.

شهد الله تمالى لهم بحقيقة الإيمان ، وصنفه وقد برهنوا على ذلك ، بصندق الهجرة للمهاجرين ، ويصدق الإيواء والنصرة للأنصار ، وبعد هذا الثناء رحدهم الله تمالى بالمغفرة ويالرزق الكريم فى الجنة ، وهو الرزق المسن الكثير الطيب الشريف ، الدائم المستمر الذي لا ينقطع أبدًا .

وهذه الآية لتأكيد فضل المهاجرين والأنصار، وقد أثنى الله عليهم في غير ما آية في كتابه الكريم. قال الفخر الرازي:

ولا تكرار بين هذه الآية والآية السابقة ؛ فالآية السابقة لإيجاب القواصل بين المهاجرين والأنصار ، وهذه الآية لبيان تعظيم شأنهم وعلَّى درجتهم ؛ ويهانه من وجهين ،

الأول : أن الإعادة تدل على مزيد الاهتمام بمالهم ، وذلك يدل على الشرف والتعظيم .

والْغاني: وهو أن الله تمالى أثنى طيهم ها هذا في ثلاثة أرجه:

أوِلها – قهله : أُوْكِكُ مُمُ ٱلْمُوْمِنُونَ حُمَّا فقوله : أُوْكِكُ مُمْ ٱلْمُوْمِنُونَ . يفيد المصد ، وقوله : حَمَّا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم مطقين محققين في طريق الدين وقد كانوا كذلك: لأن من لم يكن محقّا في دينه، لم يتحمل ترى الأديان السائفة ، ولم يفارق الأمل والوطن ، ولم يبذل النفس والمال ، ولم يكن في هذه الأحوال من المتسابقين .

وثانيها — قوله : لَّهُم مَّشْفِرَةٌ . والتنكير يدل على الكمال. أي : مغفرة تامة كاملة .

وثائلها - قوله : وَرِزْقٌ كُريمٌ . والمراد منه : الثواب الرفيع الشريف . انتهى .

٥٧- وَٱلَّذِينَ عَامَتُواْ مِنْ يَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُولِّكِكَ مِنكُمٌّ .. الآية .

أى: من جملتكم أى: المهاجرين والأنصار ، فى استحقاق ما استحققتموه من الموالاة والمناصرة ، وكمال الإيمان ، والمفقرة ، والرزق الكريم .

وتشير الآية إلى من أسلم بعد أن قويت شوكة الإسلام ، وأصبحت له دولة وصولة .

قيل : هم أهل الهجرة الثانية التي وقعت بعد الهجرة الأولى وكانت الهجرة الثانية بعد صلح الحديبية. وقيل : هم من آمن بعد غزية بدر .

وقيل : هم من أمن بعد نزول هذه الأية .

فيكون الفعل عَامَتُواْ . وما بعده بمعنى : المستقبل أى : والذين سيؤمنون من بعد ، ويشتركون معكم فى الهجرة والجهاد ؛ فَأَوْ قُلِكَ مِنكُمْ .

أى: أنهم كالمهاجرين الأولين والأنصار: في الموالاة والتعاون والتناصر والفضل والجزاء . وقد مدح الله من جاء بعد المهاجرين والأنصار فقال:

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ تَصْمِعْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آغَفِرْ لَنَا وَلإِخْوَاكِ ٱلَّذِينَ سَيُّلُونَا بِٱلإِيَانِ وَلاَ تَمَعَقُلْ فِي قُلُوبِنَا هِلاَّ لَلَّذِينَ وَاسْوَا رَبَّنَا إِلَّكَ رَوُفْقَ "رَحِيمْ . (المصدر: ١٠) .

وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ يَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِيَعْضِ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ .

أي : وأصحاب القرابات ، يعضهم أحق بيعض في التوارث بالقرابة .

وبذلك النص ؛ انتهى حكم التوارث بالمؤلفاة ، والملف والمعاهدة والتبنُّى ، وثبت حكم التوارث بالقرابة.

في كِتَابِ ٱللَّهِ. أى : في حكمته وتسمته ، أو في اللوح المحفوظ ، أو في القرآن : لأن كِتَابِ ٱللَّهِ . يطلق على كل منها .

إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ هَيْءٍ عَلِيمٌ .

تذييل قصد به وجوب العمل بما جاء في هذه السورة ؛ فعلمه سبحانه واسع محيط بكل شيء من مصالعكم الدنيوية والأخروية ، ويكلّ ما شرعه في هذه السورة من أمكام في السلم والحرب ، والفناكم والأسرى ، والعهود والمواثيق ، والولاية العامة والشاصة بين المؤمنين ، وصلة الأرحام ، ونظير ذلك قوله تمالي ، وَقَقَد جِثَنَاهُم بِكِتَابٍ فُسُلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدَّى وَرَحَمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، (الأمراف : ٥٠) .

من هدى السنة

أخرج الطيالس والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال:

آهي رسول الله ﷺ بين أصحابه ، رورت بعضهم من بعض ؛ حتى نزلت هذه الآية : وَأَوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ يُعْشُهُمُ أَوْلَى بِيَّعْسِ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ ، فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب .

في ختام السورة

إن سورة الأنفال تمتم بهذا الفشل الإلهى الذي يسجل جهد المهاجرين والأنصار ، ويبارك أعمالهم وأعمال المؤمنين من بعدهم .

وقد حثت السورة الجميع على التنامس والتعاون والتألف، ورفعت من شأن رابطة الرحم، وحثت على الجهاد في سبيل الله وأمرت بالوفاء بالعهود، وبالوقوف صفًّا وأحدًا، فالعسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يقد بعضه بعضا .

والحمد ثله الذي يحمده تتم السالحات ومنى اللهم على سينط معمد وعلى آله وسحيه وسلم تم تقسير سورة الأنقال يحمد الله في سلطتة عمان (مستمة) مساء الأحد ١٦ من ذي الحجة ١٤١٣هـ الثوافق ١٩٧٧/١/١٩





دروس من سورة التوبة (١٠٠

أسماء السورة

عرفت سورة التوية من العهد الأول للإسلام بجملة أسماء ، تدل بمجموعها على ما اشتمات عليه من المبادئ والمعانى التى تجب مراعاتها فى معاملة الطوائف كلها : مؤمنهم، ومنافقهم، وكتابيهم، ومشركهم.

وأشهر هذه الأسماء دسورة التوبة» ، وهو يشير إلى ما تضمنته السورة من تسجيل توبة الله يتمام رضوانه على المؤمنين الصادقين الذي أخلصوا في منامىرة الدعوة ، وصدقوا في الجهاد مع النبي 業。 حتى وصل يهم إلى الفاية المرجوة ، وذلك في قوله تعالى :

لقد تاب الله على الذي والمهاجرين والأنصار اللين البين المُنوه في سَاعة المُسْرَة مِن بَعدهَ عَادَ يَوْيِهُ قُلُوبُ فَرِيقِ مَنْهُمْ ثُمَّ نَابَ عَلَيْهِمُ ۚ إِنَّهُ يِهِمْ رَمُوكَ رَجِمٌ * وَعَلَى الفَاتَةِ اللَّهِنَ عَلَقُواْ حَتَى إِنَّا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْفُسِهُمْ وَقُلُواْ أَنْ لاَ مُلْجَاً مِنَ اللَّهِ إِلاَ إِلَيْهِمُ إِنْ مَا لَكُمْ اللَّهِ ١٨٥ ، ١٨١٠).

ولا ريب أن تسجيل هذه الترية للمؤمنين – بعد أن كابدرا الجهد والمثقات في سهيل نصرة الحق – لمما يقرى ررح الإيمان في قلويهم ويبعد بهم عن مزالق المشائفة أو التقصير.

وقد تخلف ثلاثة من المسلمين عن الاشتراك في الجهاد وأم يساهموا في أعباء جيش العسرة ؛ فأمر الذبي بمقاطعتهم ومعاقبتهم ، ومكثرا فترة من الزمن في عزلة تامة ، بغرض تأديبهم ، وتهذيبهم ثم تاب الله عليهم وقبل تريتهم وكان ذلك درسًا تعليميًّا للمسلمين ؛ حتى لا يتفلقوا عن الجهاد ، ولا يقصروا في القيام بأعياء الدين وتعاليمه .

ومن آسماء السورة «براءة» ، وهى تشير إلى غضب الله ورسوله على من أشرك بالله وجمل له ندًّا. وشريكًا وإعلام الناس فى يرم المج الأكبر .

أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءً مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . (التوبة : ٣) .

وقد عرفت السورة بعد ذلك بأسماء أخرى فكانت تسمى : الكاشفة ، والمثيرة ، والفاضحة ، والمنكلة ، وغير ذلك مما حظت به كتب التفسير وهى ألفاظ أطلقت عليها باعتبار ما قامت به من كشف أسرار المنافقين وإثارة أسرارهم وفضيحتهم بها وتتكيلها بهم . ورد أن ابن عباس رضى الله عنه قال : سورة التوية هى القاضحة ؛ مازالت تنزل فى المنافقين وتنال منهم حتى ظننا أنها لا تهقى أحدا إلا ذكرته بقولها : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم .

وهو يشير إلى ما جاء في هذه السورة من أصناف المنافقين مثل:

وَمِنْهُم مِّن يُقُولُ آلِكُ لَى وَلاَ تَفْعَلَيْ أَلاَ فِي ٱلْفِعْلَة سَقَطُواْ . (التي: ٤٩) .

وَمِنْهُم مِّن يَلْمِزُكُ فِي ٱلمَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْمُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يُسْخَطُونَ . (الدرية : ٨٥).

وَمِينَ حَوَلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمُدِينَةِ مَرُدُواْ عَلَى الْفَفَاقِ لاَ تَعَلَّمُهُمْ لَعَنْ تَعَلَّمُهُمْ مَنْتَطَلَّبُهُمْ مَرَّيْنِ . لُمَّ مُرُدُّونَ إِلَى غَلَامٍ عَلِهِمِ . (التديد: ١٠٠) .

أين البسملة 9

من خصائص سورة التوبة أنه لم يذكر في أولها : بسم الله الرحمن الرحم: لأنها تبدأ بإملان العرب. الشاملة ، ونبذ العهود كافة ، والإسملة تممل روح السلام والطمأنينة ؛ لذلك لم تبدأ بها سورة الحرب والقتال.

وريما كان سبب عدم وجود التسمية في أولها ، الاشتباء في أنها جزء من سورة الأنذال همدوسًا وأن سررة الأنذال همدوسًا وأن سررة الأنذال تحكى جهاد المسلمين في معركة بدر وسورة التوية تصف جهاد المسلمين في معركة بدوك ، فقصة الأنذال شبهية بقصة سورة التوية من ناعية الهدف العام، والتحريض على الجهاد، والتحذير من التفاف عن أمر الله ورسوله ؛ لذلك تركت سورة التوية مع سورة الأنفال ، ووضع بينهما فاصل السورة ولم يكتب في أول التوية : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ احترازًا من المحماية أن يضيفوا أي شيء إلى رسم القرآن إلا بتوجهه من النبي ﷺ.

وروى الترمذى بإسناده : عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين وقرنتم بينهما وام تكتبوا بينهما سطر : بسم الله النهمن النحيم. ووضعتموها فى السبم الطوال – ما حملكم على ذلك ؟

ققال علمان: كان رسول الله - 義 - مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء : دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أبل ما نزل بالدينة وكانت براءة من آهر ما نزل من القرآن ركانت قصتها شبههة بقصتها ، وحشيت أنها منها ، وقبض رسول الش 義 ، ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: يسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطوال .

أهداف سورة التوبة

سورة التوية هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف وهي من السور المدنية وقد نزلت في أواهر السنة التاسعة من الهجرة ، وهي السنة التي خرج فيه النبي ﷺ بالمسلمين إلى تبوك بقصد غزو الروم كما غرج أبر بكر في أواهر سنة تسع على رأس المسلمين لمج بيت الله العرام .

هدفان أصليان

وقد كان للسورة بحكم هذين المادثين العظيمين في تاريخ الدولة الإسلامية هدفان أصليان:

أحدهما : تحديد القانون الأساسى الذي تشاد عليه دولة الإسلام ، وذلك بالتصفية النهائية بين المسلمين ومخركي العرب : بإلغاء معاهدتهم ، ومذهم الحج ، وتأكيد قطع الولاية بينهم وبين المسلمين ، وبوضع الأساس في قبول بقاء أمل الكتاب في جزيرة العرب وإباحة التمامل ممهم .

ثانهما: إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع النبي صلى السنفرهم ودعاهم إلى غزر الروم ، وفي هذه الدائرة تحدثت السورة عن المتثاقلين منهم والمتطفين والمثبطين ، وكشفت الفطاء عن فتن المتافقين وما النطور عند المتافقين وما النطور عند المتوافين من أساليب النفاق .

وقد عرضت السورة من أولها للهدف الأول ، واستغرق ذلك سهمة وثلاثين آية في أول السورة ، وقد تضملت هذه الأيات ما يأتي :

أولاً : تقرير البراءة من المشركين ورقع العصمة عن أتقسهم وأموالهم .

ثَانًا : منصهم هدئة مقدارها أربعة شهور.

ثالثًا: إعلان الناس جميما يوم المج الأكبر (وهو يوم عيد الأضمى) بهذه البراءة . .

رَابِعًا : إتمام مدة العهد لمن حافظ منهم على العهد .

خامسًا : بيان ما يعاملون به بعد انتهاء أمد الهدئة أو مدة العهد .

سادسا: تأمين المستجير حتى يسمع كلام الله.

سابعًا: بيان الأسباب التي أوجبت البراءة منهم وصدور الأمر بقتالهم.

للمنَّا: إزالة وساوس قد يضطر في بعض النفوس أنها تبرر مسائمة المشركين أو الإبقاء على عهودهم.

رحمة اثله بالعباد

لقد برئ أنقه من المشركين ومن فعالهم : لأن الشرك والكفر ظلم عظيم وجمود بحق أنف الخالق الرازق، الذي يستحق العبادة وحده ، لكن انفة أمهل المشركين مدة أربعة أشهر : لتمكينهم من النظر والتدبير لاختيار ما يرون فيه مصلحتهم من الدخول في الإسلام أو الاستمرار على العداء .

ولحل الحكمة في تقدير تلك المهلة بأربعة أشهر: أنها هي المدة التي كانت تكنى لتحقيق ما أبيح لهم من السياحة في الأرض والتقلب في شبه الجزيرة على وجه يمكنهم من التشاور والأعذ والرد مع كل من يريدون أخذ رأيه في تكوين الرأي الأخير، قال تعالى:

يَرَاهُةً مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱللِّينَ عَاهَدَتُم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ هَ فَسِيحُواْ فِي الْأَرْضِ أَرَاعَةَ أَشَهُرٍ وَٱعْلَمُواْ ٱلْكُمْ غَيْرُ مُعْجِرِي الله وَأَنَّ ٱللّهَ مُعْرِي ٱللّهِ وَاللهِ : ١. ٢) .

ومن رحمة الإسلام أيضا إباحة تأمين المشرك ، وتقرير عصمة المستأمن وقد أوجب الله على المسلمين حماية المستأمن في نفسه وماله ما دام في دار الإسلام وجعل لأفراد المسلمين حق إعطاء ذلك الأمان (فالمسلمين عدول يسمى بذمتهم أدناهم).

والإسلام يبيح بهذا الأمان التبادل التجارى والمسناعي والثقافي ، وسائر الشئون مالم يتمىل شيء منها بضرر الدولة . وقد كان للإسلام من مشروعية الأمان وسيلة قوية : لنشر دعوته وإيصال كلمة الله إلى كثير من الأقاليم النائية من غير حرب ولا قتال . قال تعالى :

وَإِنْ أَحَدُ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْعَجَارُكَ فَأَجِرُهُ حَمَّىٰ يَسْمَعَ كَارُمَ ٱللَّهِ ثُمَّ ٱللَّهِ مُ آلَيلةُ مُأْمَنَةٌ ذَلِكَ بِٱللَّهِمْ قَرْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ . (التربة: ٦).

قالإسلام يمنع الجوار والأمان للمشراك الذي يبحث عن المقيقة ، ويريد أن ينظر في الإسلام نظر تأمل ودراسة ، فيسمع له بالنشول فيما بين المسلمين والتعامل معهم ، والاختلاط بهم حتى يفهم حكم الله ودعوته ، فإن الممأن ودخل الإيمان في قلبه ؛ التحق بالمؤمنين ، وصار في الحكم كالتاتبين ، وإن لم يشرح صدره للإسلام وأراد الرجوع إلى جماعته ؛ حرم اغتيائه ووجبت المحافظة عليه حتى يصل مكان أمنه واستقراره .

ويذلك بلغ الإسلام شأوًا بعيدًا في حماية للفكر والنظر ، وتذليل الطريق أمام الباحثين والمفكرين وحمايتهم حتى يصلوا إلى مواطن الأمان أيا كانت معتقداتهم ، وصدق الله العظيم :

لا إكْرَاهَ فِي ٱللَّيْنِ قَد تُبَيِّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْفَيِّ . (البقرة: ٢٥٦) .

غسزوة تبسوك

في السنة التاسعة من الهجرة وصلت للرسول 囊 أنباء تفيد : أن الروم قد جمعوا جموعهم ، واعتزموا غزو المسلمين في بلادهم ، فأمر النبي أن يتجهز المسلمون وأن يأخذوا عدتهم ويخرجوا إلى تبوك اقتثال الروم في بلادهم قبل أن يفاجئوه في بلده .

أعان النبي النفير العام ، وكان 養 قلمًا يخرج إلى غزوة إلا ورى بغيرها : مكيدة في الحرب ، إلا ما كان من هذه الغزوة -- غزوة تبوك -- فقد صرح بها : لبعد الشقة وشدة الزمان إذ كان ذلك الوقت في شدة الحرحين طابت الظلال ، وأينعت الثمار وحبب إلى الناس المقام .

عندان وجد المنافقون فرصة سائحة للتخذيل فقالوا : لا تنفروا في الحر ، وخوفوا الناس بعد الطقة وحذروهم شدة بأس الروم ، وكان لهذا كله أثره في تثاقل بعض الناس عن الغروج للجهاد .

كزلك أهذ المنافقون يستأذنون في التطلف عن الغزى معتذرين بالأعذار الكاذبة الواهنة كما دبر بعضهم المكائد للنبي ﷺ في ثنايا للطريق .

ولم يكن بد من هذا الامتحان ؛ ليكشف الله المنافقين ، ويثبت المؤمنين الصنادتين فالشدائد هى التى تكشف المقانق وتظهر الضبايا .

وقد ظهر الإيمان الصادق من المؤمنين المغلمين: فسارعوا إلى تلبية الدعوة بأموالهم وأنفسهم ، يجهزون الجيش ويعدون العدة وقد خرج أبو يكر حينقد عن كل ما يملك ، كما قام بنصيب الأسد في التجهيز عثمان بن عقان ، بدل الآلاف وجهز المثات من البعير والخيل ، وجهز هو وغيره الفقراء الأقوياء الذين جاءوا إلى النبي ﷺ بأنفسهم ؛ ليعملهم فقال لهم :

لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱللَّمْعِ حَزَّلًا أَلاَّ يَجِلُواْ مَا يُنفِقُونَ . (التهة : ٩٧).

ثم يستمر سياق سورة التوية في الحديث عن المنافقين وما يظهر منهم من أقوال وأعمال تكثف عن نواباهم التي يحاولون سترها فلا يستطيعون ، فمنهم : من ينتقد النبي ﷺ في توزيع المدقات ويتهم عدالته في التوزيع ، وهو المعسوم دو الفلق العظيم ، ومنهم : من يقول : هو أذن يستمع لكل قائل ، ويصدق كل ما يقال ، ومنهم : من يتففي بالقولة الفاجرة الكافرة ، حتى إذا انكشف أمره استمان بالكذب والحلف ؛ ليبرئ نفسه من تبعة ما قال ، ومنهم : من يخشى أن ينزل الله على رسوله سورة تفضع نفاقهم وتكشفهم للمسلمين. قم تقارن السررة بين المنافقين والمرمنين: لتبين الفرق الواضع بين صفات المنافقين، وصفات المؤمنين الصدقين ، الدين يخلصون العقيدة ولا ينافقون ، فقد خرج المؤمنون للجهاد مع رسول الله م المؤمنين المسافة طويلة في المصحراء الجرداء تقدر بنصر ٢٩٣ كيلو مترا ، وكان المؤمنون يتدافعون إلى الجهاد ويشتاقون إلى النهادة . ولما أحس الروم بقدوم المسلمين انسحبوا من أطراف بلادهم إلى داخلها ، فلما وممل المسلمون إلى تتبوك لم يجدوا للروم أثرا وقد عقد النبي ش معاهدات مع أمراء المعدود وعاد إلى المدينة مروب الجانب محفوناً ا بعناية الله .

وقد استقبل النبى ﷺ المتخلفين عن الجهاد في غزوة تبرك ، فمنهم: أصحاب الأعذار الطهيقية ؛ وهؤلاء معذورون معفون من التبعة ، ومنهم : القادرون الذين قعدوا بدون عدر ؛ فطههم تبعة التخلف ووزر النكومى عن الجهاد .

ثم تمضى سورة التربة فتتحدث عن الأعراب فتذكر طبيعتهم ومستوفهم وموقفهم من الزيمان والنفاق. ثم تقسم الجماعة الإسلامية كلها عند غزوة تبوك ويعدها ، إلى طبقاتها ودرجاتها وفق مقياس الإيمان والأعمال .

فهناك : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

وهناك : المنافقون الذين تمرسوا بالنفاق وتعودوا عليه سواء كانوا من الأعراب أو من أهل المدينة . وهناك : الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا وإعترفوا بدنويهم .

وهناك : الذين أخطئوا وأمرهم متروك الله إما يعذبهم وإما يترب عليهم.

وهناك : فتة أعلصت لله في الإيمان ، وتطلقت من غير عشر ثم ندمت ندمًا عميدًا ، وضالت الدنيا في وجهها ، ولجأت إلى الله تطلب مغفرته ورحمته ، فتاب الله عليهم وألهمهم طريق التوية والسداد ؛ إن الله هو التواب الرحيم .

علاقات السلمين بفيرهم

سورة التربية هي أخر سور القرآن نزولاً ، وفي هذه السورة نجد القول الفصل في علاقات الأمة المسلمة بالمشركين ويأمل الكتاب وبالمنافقين وهذا هو موضوعها الذي تدور حوله .

لقد كانت بين المسلمين ويعض المشركين عهود ولم يكن المشركين يحافظون على عهودهم إلا ريثما تلوح لهم فرصة ، يحسبونها مواتية للكرة على المسلمين ، وكان المشركون – حتى بعد فتح مكة – يطوفون بالبيت عرايا ، على عادتهم فى الجاهلية ، ويصفقون ويصفرون مطلين بكرامة البيت المتيق ، فلم يكن بد أن تخلص الجزيرة العربية للإسلام ، وأن تتخلص من الشوك. والجهاد هى الوسيلة لتطهير الجزيرة من رجس المشركين والمتافقين ، ومن ثم تتاولت السورة موضوع الجهاد بالنفس ، والمال ، ويبنت شرفه وأجره ، وأنحت على المتطفين القاعدين ، واستجاشت وجدان المسلمين إلى قتال الكفار المنافقين بما صورت من كيدهم للمسلمين ومقدهم عليهم ، وتمنى الشر لهم ، وما تحمله لهم نفوسهم من الغصومة والبغضاء ، وما وقع منهم للرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين ، ويذلك كانت سورة التوية تعمل القول الفصل في علاقات المسلمين بغيرهم وتحدد موقفهم الماسم الأخير،

وقد لونت السورة أساليب الدعوة إلى الجهاد ، فحيدًا تنكر على المؤمنين تثاقلهم وإخلادهم إلى الأرض، وحيدًا أخر تهتم بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والغذلان ، ومرة أخرى توضع أن سنة الله ماضية لا تتخلف ، وأن من قوانين الحق سبحانه ، أن البقاء والعزة والسلطان إنما يكون للعاملين المجاهدين ، أما • المتجاطئون والمتثاقلون الذين يرتُرون حياتهم ويضنون بأنفسهم وأموالهم ويخلدون إلى الأرض ، ويعرضون عن دعوة الجهاد في سبيل حريثهم ويقائهم ، فإنهم ولابد ناهبون ، وهم لا مصالة مستذلون ،
مستعبدين .

فضل الرسول الأمين

تعرضت سورة التوبة لبيان فضل رسول الله ﷺ وعكانته السامية ومناتهه الكريمة ، فذكرت أن الله أنزل السكينة عليه وأبده بجنود من الملائكة في يرم حنين حين انهزم المؤمنون وولوا مدبرين .

ومن كرامة الرسول ﷺ أن الله تصره عند الهجرة مع مساحيه الصديق ، وكان الله معهما بتأييده وإنزاله الطمأنينة والأمان عليهما ومقطهما في الفار حتى عميت عنهما عيون الكفار ، وجعل الله كلمة المؤمنين في ارتفاع وانتصار ، وشأن الكافرين في هزيمة واندمار ، وقد أوجبت سورة التوية على المؤمنين عدة واجبات تجاه نبهج منها :

١ -- وجوب محبته ﷺ والتزام هديه والعمل بسنته كما نجد ذلك في الآية ٢٥ .

٢ -- تمرى مرضاته ؛ لأن رضاه من رضى الله سبحانه ، ونجد ذلك في الآية ٦٢.

٣ – وجوب طاعته والنصح له ووجوب نصره .

٤ - تعريم إيذائه وتعريم معاداته وتعريم القعود عن الخروج معه في الجهاد.

وتختم السورة آياتها بذكر صفات رسول الله ﷺ قهو الرحمة المهداة : لتطهير المؤمنين وتزكيتهم وتطبيعهم ، والدعاء لهم ، فحيه فريضة ، ويغضه كفر وحرمان وقد تكثل الله ينصر رسوله حتى واو تظلى عنه جميع الناس ، قإن معه الله القرى القدير .

قىال تىمالى : لَقَدْ جَاكُمْ رَسُولٌ مِّنْ الْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَبِشْمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمِوْمِيينَ رَمُوفٌ رَّحِيمٌ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْمِيَ اللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا مُولِكُمْ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُورَبُّ الْمُوشِى آلَعَظِيمِ . (الديمة: ١٧٨. ١٧٩).

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

﴿ بَرَآةَ قُيْنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الّذِينَ عَنهَدُ أُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُوافِ الأَرْضِ أَرْبَعَةُ الشّهِرِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَرَسُولِهِ اللّهِ وَرَسُولِهِ اللّهِ وَرَسُولِهِ اللّهِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَاعْلَمُوا اللّهِ وَاعْلَمُ اللّهُ وَيَشْرِ اللّهِ وَاللّهُ مَعْرَكُمُ مَعْرَكُمُ وَيَسُولُهُ اللّهُ مَعْلَمُ اللّهُ وَيَشْرِ اللّهِ وَكُنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَيَشْرِ اللّهِ وَكُنْ اللّهُ وَيَشْرِ اللّهِ وَكُنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَكُنْ اللّهُ وَكُنْ اللّهُ وَكُنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلّا اللّهُ وَاللّهُ و

اللخردات ،

پراءة من الله ورسونه ، المراد من البراءة : قطع العهد بين الرسول ﷺ وبين التاكثين للعهد من المشركين .

هسينصوا في الأرش: قسيروا فيها أحرارا.

غير معهري الله؛ أي:غير مقلتين من انتقامه.

مخرى الكاهريس: مدلُّهم في الدنيا والأهرة.

وأذان : الأذان : الإعلام يأمر مهم ، وشاح إطلاق الأذان على النداء للصلاة .

يسوم العج الأكبر ، المراد به : يوم عبد النحر وقيل : يوم عرفة .

ويفرالثين كفروابيتكرافي ، أى : وأنذرهم بعدايه فإن التبشير كما يستعمل كثيرا في الإخبار بما يسر ، يستعمل قليلا في الإخبار بما يسرع ، للإخبار بما يسوء ، لغرض الإهانة والتحقير .

ولم يظاهروا مليكم ، أي : ولم يعينوا عليكم .

التفسيره

١- بَرَاءةً مِّنَ آللًه وَرَسُوله إِلَى ٱللَّهِ نَ عَاهِلتُّم مَّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ .

قال الفخو الرازى : روى أن النبي ﷺ لما خرج إلى غزية تبرك وتخلف المنافقون ، وأرجفوا الأراجيف. جعل المشركون ينقضون المهد ، فنبذ رسول الله ﷺ المهد إليهم .

وتفيد كتب التفسير والسير :

أن النبى ﷺ أرس أبا بكر رضى الله عنه أميرًا على ألمج في السنة التاسعة للهجرة ، فلما سافر نزات سورة براءة ، متضمنة تقض عهود المشركين ، فأرسل النبي ﷺ على بن أبى طالب ، على ناقة رسول الله إلله مضياء من أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ قال : بل مأمور ، ثم مضياء فأقام أبر بكر للناس المج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من المج التي كانوا عليها في الهاعلية ، حتى إذا كان يوم النحر ؛ قام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقرأ عليهم آيات من أول سورة بهات م قال من كان بها رواه الترمذي والنسائي وأحمد -- بعثت بأربع : الاً يطوف بالبيت عربان ، ومن كان بيئة وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى منة ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع العسلمون والمشركون في المج بعد عامهم هذا الله.

ومعنى الآية :

هذه براءة واصلة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين ، بسبب نقضهم لعهويهم ، وإصرارهم على باطلهم(۵۰).

قال الشوكاني :

الحسى : الإخبار للمسلمين ، بأن الله ورسوله قد برئا من تلك المعاهدات ، يسبب ما وقع من الكفار من النقض ، فصار النبذ إليهم يمهدهم ، ولجبًا على المعاهدين من المسلمين .

٢- فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاطْلُمُواْ أَلْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَأَنَّ ٱللَّهُ مُعْزِي ٱلْكَافِرِينَ .

أى: فسيروا في الأرض آمنين على أنفسكم من قتال المسلمين منذ أربعة أشهر ، لا تتعرضون للإيذاء فيها ، وَافْلُمُواْ أَلْكُمْ مَّرُوْ مُعْجِرِى ٱللَّهِ . أي : واعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز ، ولكن لمصلحة ؛ ليتوب من أراد التوبة ولتكون لديهم فرصة للاستعباد للقتال ، إذا أصروا على شركهم وعدارتهم ، وهذا منتهى التسامع. والإنذار حكمته الا يتهم المسلمون بأخذهم الأعباء فجأة على غرة. وَأَنَّ ٱللَّهُ مُعْرِى ٱلْكَالِينَ . في الدنيا بالهزيمة ، وفي الآخرة بسوء العذاب ، وقد علم من الآية الكريمة أن الناكثين لمهودهم ، يمهلون أربعة أشهر ، سواء أكانت منتهم كذلك أم أقل منها أم أكثر ، وابتداء هذا الأجل من يوم الحج الأكبر ، أي : من العاشر من ذي المجة ، إلى العاشر من ربيم الآخر سنة عشر للهجرة .

ويتصل بهذه الآية ما يأتي :

- ١ عقد المعاهدات إنما هو حق للجماعة يوافق عليه أصحاب الرأى والاختصاص ، ثم يباش ها الإمام بعد
 ذلك نيابة عن الجماعة .
- ٢ متى رأى الإسام مصلحة الأمة في نبذ العهود لمن كان بيننا وبينه عهد جاز له ذلك ، كأن خيف منهم
 خيانة ، أو نقضوا شيئًا من شروط المعاهدة ، أو وضعت المعاهدة على غير شرط احترامها الشرعى .
 - قال تعالى: وَإِمَّا تَخَالُنُّ مِن أَوْم حِيَّالَةً فَآلِباً إِلَيْهِمْ عَلَيْ سَوَاءٍ إِنَّ ٱللَّهُ لا يُحبُّ ٱلْخَافِينَ. (الأنفال: ٥٥).

٣ -- المكمة في تقدير هذه المهلة بأربعة أشهر ما يأتي :

هذه هي المدة التي كانت تكفي – إذ ذاك بحسب ما يألفون – لتحقيق ما أبيح لهم من السياحة في الأرض ، والتقلب في شهه الهزيرة على وجه يمكنهم من التشاور ، والأحذ والرد مع كل من يريدون أخذ رأيه في تكوين الرأي الأخير وفهه فرق ذلك مسايرة للوضع الإلهي ، في جمل الأشهر العرم من شهور السنة أربعة.

على أنا نجد القرآن جمل الأربعة الأشهر أمدًا في غير هذا ، فعدة إيلاه الرجل من زوجته أربعة أشهر، وعدة المتعدّ أشهر، وعدة المتوفي عنها المتوفي عنها وجودة المتوفي المتوف

وأن مدتها تكون على حسب ما يرى الإمام ، وأرباب الشورى المقررة فى قوله تعالى : وَشَاوِرُهُمْ فِي آلأَخْر (ال مدران : ١٩٥).

وذلاحظ أن مدة الهدنة في صلح الحديبية كانت عشر سنين ، ومدتها هنا كانت أريمة أشهر ، ونهب الجمل في هاشيته على تفسير الجلالين : أن المقرر في الفروع أنه إذا كان بالمسلمين ضعف : فقد جاز عقد الهدنة عشر سنين فأقل ، وإذا لم يكن بهم ضعف ؛ لم تجز الزيادة على أربعة أشهر" ⁰ . ا هـ. والأولى أن نقول: إن تقدير مدة الهدنة بين المسلمين وأعدائهم يتراه تحديده إلى أهل الحل والعقد ، بما يتفق مع المصلحة العامة : لأن هذا من الأمور المتغيرة بحسب الزمان والمكان ، خصوصًا بعد التطور المستمر في وسائل الحرب وعدتها وطبيعتها .

٣- وَأَذَانٌ مِّنَ آللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى آلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجُّ ٱلأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيءٌ مَّن ٱلْمُشْرِكِينٌ وَرَسُولُهُ ...

أي: راعلان وإيذان من الله ورسوله إلى الناس عامة ، يوم السج الأكبر – وهن يوم عيد النمس – حيث تجتمع الملائق في أكبر تجمع لهم ، بأن الله ورسوله قد برثا من عهود المشركين ، وأن هذه العهود قد نبذت إليهم ، بسبب إصرارهم على شركهم وتقضهم لمواثيقهم ، وأسند سبحانه الأدان إلى الله ورسوله ، كما سندت البراءة إليهما: إعلاء لشأن ذلك، وتأكيدًا لأمره ولا تكرار بين ما جاء في هذه الآية ، وما جاء في الآية الأولى: فإن الأولى فيها إهبار بثبوت البراءة من الناكلين لعهدهم ، وأما هذه ففيها إعلام جميع الناس يذلك .

قال الزمحشرى :

فإن قلت : أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية .

قلتُ : في تلك إشبار بثبوت البراءة ، وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت . ١ هـ .

وذهب بعض العلماء إلى أن يوم المج الأكبر هو يوم عرفة وقيل: جميع أيسام المج، ورجع الإصام ابن جرير الطبرى رغيره ، أن يوم المج الكبر هو يوم النسر ، دريوم عرفة مقدمة ليوم النسر بين يديه ؛ فإن فيه يكنن الوقوف والتضرع ، ثم يوم النمر تكون الوفادة والزيارة .. ويكون فيه ذبح القرابين وحلق الرءوس، ورمى الجمار ، ومعظم أفعال المجيء" .

«وقد ثبت في المسميحين أن أبابكر وعلياً أننا بذلك يوم النحر لا يوم عرفه ، وفي سنن أبي داود بأصبح إسناد أن رسول الله 機 قال : «يوم المج الأكبر يوم النحر» ، وكذا قال أبو هريرة وجماعة من المسماية، ٩٠٩

وقد ساق ابن كثير طائفة من الأحاديث الشريفة تفيد: أن عليا كان ينادي بأربم:

١ - لا يطوف بالبيت عريان .

٢ - لا يسفل الجنة إلا نفس مومنة .

٣ - لا يمع بعد عامنا هذا مشرك .

ءُ – من كان له عهد عند رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته .

فَإِن تُبِيِّمْ فَهُو عَيْرٌ لَّكُمْ وإِن تَوَلَّيْتُمْ فَآعَلُمُواْ أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجزى ٱللَّهُ .

أى: فإن رجعتم خلال هذه المهلة عما أنتم فيه من الشرك وسائر المعاصى ، فرجوءكم هذا أنفع لكم في دنياكم وأخراكم ...

أى: وإن أعرضتم عن الإيمان ، وأبيتم إلا الإقامة على باطلاع. أأَفَلُورًا أَلْكُمْ مُثِرٌ مُسْجِرى اللَّهِ . أي : . فأيفنوا أنكم لا مهرب لكم من عقاب الله ، ولا إفلات لكم من أهذه ويطشه ؛ لأنكم أينما كنتم فأنتم فى قبضته. وتحت قدرته .

وَيُشّرِ ٱللَّهِينَ كَشُرُواْ بِصَائبٍ أَلِهِم. أي : ويشر أيها الرسول من أنكن رسالتك ، ولم يؤمن بالله وملائكته ، بعذاب مزام شديد الألم في الآخرة ، والتعبير بالتبشير عن الإنذار ؛ لغرض التهكم والسغرية ، بمن يتولي ويعرض عن الإيمان بالرسول ﷺ ، مع وضمرح الحق في جانبه .

إلا "ألبين عَاهدتُم مّن المُشركِينَ ثُمّ لَمْ يَنقُمُو كُمْ هَيْنًا وَلَمْ يُطَاهِرُواْ عَلَيكُمْ أَحَدًا ... الآية .

أمر الله تمالى فى الآيات السابقة أن ينيذ السلمون عهود السركين ، وجاءت هذه الآية ؛ لتبين أن هذا النبذ ليس عامًا ، بل هن هاص بأولتك الذين تلاعبوا بمهودهم ، وظاهروا على المسلمين .

والمعنى :

ولا تمهلوا الناكلين لعهودهم فرق أربعة أشهر ، لكن المعاهدين الذين عاهدتموهم ، هم لم ينقسوكم شيئًا من شروط المهد ، ولم يعاونوا عليكم عدوًا ، كبنى خسرة وينى كنانة ؛ فَأَمُونَ إِنَّهِم مَهَامَهُمْ إِلَى مُنتَوِم . أي: أموا إليهم عهدهم تامًا غير ناقص ، إلى المدة التى عاهدتموهم إليها ، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر ، إِنَّ اللَّهُ يُوبٍ الْأَنْفَقِينَ . أي : الموفين بمهدهم ، وفيه تنبيه على أن الوفاء بالمهد إلى نهايته ، مع الموفين بمهدهم، من تقرى الله ، التى يحبها لعباده ، ويحبهم بسببها .

جاء في تفسير المار :

والآية تدل على أن الوفاء بالعهد ، من فرائض الإسلام ، مادام العهد معقداً ، وعلى أن العهد المؤقد لا يجوز نقضه إلا بانتهاء وقته ، وأن شروط وجوب الوفاء به علينا ، محافظة العدى المعاهد انا عليه بحذافيره ، فإن نقض شيئًا من شروط العهد ، وأهل بغرض مًّا من أغراضها ؛ عُدُ ناقضًا ؛ لقوله تعالى : يُّهُ تُرْيَعُهُم كُوهُمِيًّا . ولفظ شيء أعم الألفاظ ، وهو تكرة في سياق النفى ، فيصدق بأدني إهلال بالحيد ، ومن هذا الإهلال مظاهرة عدونا أي : مساعدته ومعاونته ؛ لأن للغرض الأول من المحاهدات ترك قتال كلاً من الغريقين المتعاهدين للأهر ، فمظاهرة أحدهما لعدو الأهر ومساعدته ، كمباشرته للقتال بنفسه .

دلالة الأيات:

تدل الآيات السابقة على ما يلي :-

١ -- نقض معاهدات المشركين المطلقة غير المؤقتة بزمن ؛ لأنهم نكثوا العهد ، وأخلوا بشروط التعاهد .

٢ - من كان له عهد دون أربعة أشهر تكمل له مدة أربعة أشهر.

٣ – مدة الأمان أربعة أشهر من يوم النحر (عاشر ذي الصحة) إلى العاشر من شهر ربيع الآخر سنة عش

 - من كان له عهد مؤلف ، فيبقى على عهده إلى انتهاء مدته ، مهما كان مائم ينقض العهد ، أو يخل بشرط من شويطه .

٥ - الإسلام يقدس العهود ، ويوجب الوفاء بها ، ويجعل احترامها نابعًا من الإيمان ، وملازمًا لتقوى الله .

٣ - إن اقتتاح السورة بالبراءة ويدون بسملة ، يدهل في النفس الرهبة الشديدة والفوف الأشدُّ .

* * 9

المفردات ،

السيطين انقضي

وعستوهسم، وأسروهم، والأهيد: الأسير.

واحسب وهسم: وضيقوا عليهم وامتعوهم من الإقلاد.

واقعنوا لهم كل مرصاد وراقدوهم في كل مكان يرى فيه تحركهم : حتى تمنعوهم من التجمع ضدكم ، أن الفكاك منكم . شخاءوا سييلهم ، أى : فاتركيهم أحرازًا . استسجارك، أي: سأل جوارك؛ ليكون في حماك وأمنك.

فسلم الهادة أي: فأمته .

التفسيره

٥- فَإِذَا آنسَلَخَ ٱلأَهْهُرُ ٱلْمُرْمُ فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَانُتُمُوهُمْ ... الآية .

الدراد بالأشهر الحرم : الأشهر الأربعة ، التي أبيح فيها المشركين الناكفين لمهد الرسول 攤 ، أن يسيحوا في الأرض آمنين ، وجعلت حرماً : لأن الله حرم قدالهم فيها .

وهذه الأشهر بعداً من يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر، أما الأشهر الحرم التي قال فيها القرآن: إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ آلَهُ آثَنَا عَضَرَ هُهُراً هِي كِتَابِ ٱللَّهِ يَرَمُ طَلِقَ ٱلسَّمَلُواتِ وَآلاً رَحْنَ مِنْهَا أَوْبَعَةٌ حُرُّمٌ. (النويه: ٣٦) هَهَى ذو القعدة، وذو الصحة، والمحرم، ورجِب.

والحسى: فإذا انقضت الأشهر الأربعة ، التي حرم فيها قتال المشركين الناكلين لمهودهم - لعلهم يثوبون فيها إلى رشدهم - فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم في حل أو حرم ؛ لإصرارهم على الفيانة والشرك.

وَعُلُوهُمْ وَٱخْصُرُوهُمْ وَٱلْعُدُواْ لَهُمْ كُلُّ مَوْصَدٍّ.

وَأُسِروهم ، قَإِنَ الأَخيدُ هو الأُسير .

وَأَحْمُرُ وَهُمْ . المصر : متعهم من التصرف في بلاد المسلمين إلا يؤذن منهم .

وَالْقَدُواَ أَيُّهِمْ كُلِّ مُرْصُلُهِ . المرصد : الموضع الذي يرقب فيه العدو ، أي : الاعدوا لهم في المواضع الذي ترتقبونهم فيها .

وترى أن هذه الوسائل الأربعة — القتل ، والأسر ، والمحاصرة ، والعراقية — هى الوسائل الكفيلة بالقضاء على الأعداء ، ولا يخلو عصر من العصور ، من استعمال بعضها أن كلها عند المهاجمة .

وهكذا نري تمائيم الإسلام ، تمض المسلمين على استعمال كل الوسائل المشروعة : لكيد أعدائهم ، والعمل على هزيستهم ، ويستثنى من ذلك النساء ، والرهبان ، والشيوخ ، والصبيان ، والشعفاء : فهؤلاء لا يتعرض لهم يقتل ولا تضييق ، إلا إذا عاونها أولئك الذاكلين . فَإِن تَابُواْ وَأَلْمَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ لَعَقْلُواْ سَبِيلَهُمَّ إِنَّ ٱللَّهَ خَفُورٌ رَّحِيمٌ .

استخدمت الآية كل الرسائل المشروعة في الترهيب والترغيب: فقد أمرت المسلمين بأن يستعملوا مع أعدائهم كل الوسائل المشروعة لإرهابهم ، فإذا رجع المشركون عن الشرك ، فأسلموا وأقاموا العسلاة بشروطها في أوقاتها ، وأدوا الزكاة لمستحقيها ، يرهاذا على صدق إيمانهم ؛ فطلوا سبيلهم ولا تتعرضوا لهم بشرء مما تقدم ، إن الله عظهم الففران والرحمة ، فلهذا يقبل ترويتهم من الفدر والكفر.

وقد استند أبو بكر رضى الله عنه ، إلى هذه الآية فى قتال مانع الزكاة ، حيث قال : والله لأقاتلن من فرق بين المسلاة والزكاة : فإن الزكاة حق المال .

وقد روى الشيخان: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقائل الناس حتى يشهدى ألا إله إلا الله ، وأن مصداً رسول الله ، ويقيموا المسلاة ويؤتوا الزكاة» " .

والمراد بالآية : اقتلوا المشركين الذين يحاربونكم 👊 .

وفي الحديث المتواتر : الذي رواه الشيشان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال:

وأمرت أن ألنائل الناس – أي : مشركي العرب بالإجماع – حتى يشهدى ألا إله إلا الله ، وأن مصدًا رسول الله ، ويقيموا المملاة ، ويرتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ؛ عصموا منى دمامهم وأموالهم إلا يحق الإسلام وحسابهم على اللهه("").

وجاء في أحكام القرآن للجصاص ١٩١٣.

قوله تمالى: فَالْقُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَلَّتُمُوهُمْ .

هاص في مشركي العرب دون غيرهم.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة ثم قال : يرحم الله أبا بكر ما كان أنقهه : (١٠٠).

١- وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَمَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ ٱللَّفَهُ مَأْمَنَةً ...

المعنى : وإن طلب أحد من المشركين أن يكين في جوارك ، وفي أمانك وحمايتك ، بعد انقضاء مدة الأمان المحددة له أَلَّجِوُهُ أي : فأمنه وأجبه إلى طلبه . حُقِّىٰ يَسْمُعُ كَلَامُ ٱللَّهِ. أَى: لكى يسمع كلام الله ويتدبره ، ويطلع على حقيقة ما يدعو إليه ، من تعاليم مقتمة للمقول السليمة ، ثُمُّ أَبْلِغَهُ مُأْتَكُ . ثم أبلقه مكان أمنه إن لم يسلم ، أى : عليك يا محمد أن تجبره حتى يسمع كلام الله ويتدبره ، ولا يبقى له عنر في الإصرار على شركه ، فإن آمن صار من أتباعك ، وإن بقى على شركه ، وأراد الرجوع إلى جماعته ؛ فعليك أن تحافظ عليه ؛ حتى يصل إلى مكان أمنه واستقراره ، وهو ديار قومه ، ثم بعد ذلك يصبح حكمه كحكم المصرين على الشرك ، ويمامل بما يعاملون به .

ذَا لِكَ بِأَنْهُمْ قُوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ .

أى: ذلك الذي أمرتك به من إجارة المستجير من المشركين ، وإبلاغه مأمنه إذا لم يسلم ، بسبب أنهم لا يعلمون الإسلام ، ولا حقيقة ما تدموهم إليه ، فلابد من تمكينهم من ذلك ، ببذل الأمان لهم ؛ حتى ينزيل عدرهم ، وتقوم لك المجة عليهم .

ومن الأحكام والآداب التي أخلها العلماء من الآية ما يأتي : ~

ان المستأمن لا يؤذى، بل يجب على المسلمين حمايته في نفسه وماله وعرضه ؛ مادام في دار الإسلام،
 وقد حدر الإسلام أتباعه من الفدر أشد تمذير، ومن ذلك ؛ مارواه البخارى والنسائي عن الذبي ﷺ أنه
 قال : «من أمن رجالاً على دمه فقتله ؛ فأذا برىء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً» (٥٠).

وروى الشيخان وأحمد : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : دلكل غادر لواء ، يعرف به يوم القيامة، 🖷 .

- بلحق بالمستجير الطالب لسماع كلام الله ، من كان طالبًا لسماع الأدلة على كون الإسلام حقًا، ومن
 كان طالبًا للجواب عن الظههات ، التي أثارها أعداء الإسلام .
- ٣ على الإسام أن من يقوم مقامه أن يعطى المستأمن المهلة التي يراها كافية لفهمه حقائق الإسلام ، وأن
 يبلغه مأمنه بعد انقضاء حاجته ، وأن لا يمكنه من الإقامة في دار الإسلام ، إلا بمقدار قضاء حاجته.
- أخذ العلماء من هذه الآية وجوب التفقه في الدين ، وأنه لابد من النظر والاستدلال وأنه لابد من العجة
 والطيل .

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدُ عِندَاللّهِ وَعِندَ رَسُولِيهِ إِلّا الّذِينَ عَهَدُ عِندَاللّهِ وَعِندَ رَسُولِيهِ إِلّا الّذِينَ عَهَدُ عَهَدَّتُم فَاسْتَقِيمُوا لَمُمَّ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ المُثَقِينَ ۞ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَايْرَقُبُوا فِيكُمْ إِلّا وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم إِلْوَيْهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَحْدُوهُمْ فَسِقُونَ ۞ ﴾

المقردات ،

شما استشاموا ثكم ، قما وأوا بعهدهم لكم

يظهروا ملهكم ا يظيوكم

الإيرقبوا فيكم إلا والائمة ، لا يراعن فيكم قرأبة ولا عهدا .

التقسيره

٧ - كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ آللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَلَهَنتُمْ عِندَ ٱلْمَسْعِدِ ٱلْمَرَامِ ... الآية

أى : محال أن يتبت لهوّلاء عهد وهم أضداد لكم، مضمرون للغدر، ينتهزون القرصر؛ لينقضوا عهودكم.

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَلَهَدتُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَرَامِ.

أي: ولكن الذين هاهدتم عند المسجد الحرام — أي: قرب المسجد الحرام — وهم ينو مدلج ، وينو شمرة من قبائل بني يكر ، وكانوا قد وفوا معهودهم مع المسلمين .

قُمَّا أَسْطَنْمُواْ لَكُمْ فَأَسْطُومُواْ فَهَمْ إِنَّ آللَهُ يُحِبُّ أَلْمُقْفِنَ . فأى وقت استقام أولئك المشركون ، الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام ، وكانوا أوفياه بمعاهدتهم : فاستقيموا لهم ، بإنمام عهدهم إلى مدتهم : فإن هذا من التقوى ، والله يحب المتقين .

٨ - كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لاَ يَوْلَبُواْ فِيكُمْ إِلاَّ وَلاَ ذِمْلًا .

فى تكران الاستفهاهم يكيف، تكران وتأكيد لاستيحاد ثباتهم على المهد، وحذف الفعل؛ لكونه معلوسًا، أى : كيف يكون لهم عهد . والمعنى: كيف يكون للمشركين عهد معتد به ، ومراعاة لأحكامه عند الله وعند رسوله ، والحال أنهم إن يظهروا عليكم أيها المؤمنون ، ويطفروا بكم ويطبوكم .

لاَ يُرْقُبُواْ فِيكُمْ . لا يراعوا في شأنكم .

إِلاَّ وَلاَ ذِمَّةً . أَي : قرابة ولا عهدًا .

قال أابن جرير الطبرى بعد أن ساق لقوالا في معنى الزلّ : وأولى الأقوال في ذلك يالمسواب أن يقال : والزلّ : اسم يطقعل على معان ثلاثة وهي : المهد والمقد ، والحلق، والقرابة ...

وإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعم ذلك معانيها الثلاثة .

وقال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ، في تفسير الآية :

والمعنى: بأية صفة أن بأية كيفية يكرن للمشركين عيد عند الله ومند رسوله ، والحال المعهود منهم، أثمم إن يظفروا بكم ويغلبوكم ، لا يراعوا في أمركم لا عهدًا ولا حلفًا ولا قرابة ، ولا حفًّا من المقوق . ا هــــ

وجاء في العفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

فإذا كانها لا يرعون عهودهم وقرابتهم معكم ، فكيف تحافظون على عهود ضيعوها وتكلوما ، وبشرط وجوب مراعاة حقوق العهد ، أن تكون محترمة من المُتعاقدين ، فإن ضيعها أحدهما ؛ حل للأهر معاملته بالمثل .

يُرْضُونَكُم بِأَقْوَاهِهِم وَتَآتِي قُلُوبُهُمْ وَٱكْثَرُهُمْ فَاستُونَ .

أي: يقولون بالسنتهم ، ما قيه مجاملة ومحاسبة لكم ؛ طلبًا لمرضاتكم ، وتطهب تلويكم ، وتلويهم . تأبى ذلك وتخالفه ، وتردُ ما فيه مساوتكم ومضرتكم .

قال الزمخشري :

وَٱكْثُوهُمْ قَاسِتُونَ . متمردون علماء ، لا مروءة تمنعهم ، ولا شمائل مرضية . تردعهم . ا هـ.

وتخصيص الأكثر بوصف الفسق والغدر ، لما في بعض الكثرة من البعد عن الغدر ، والتعقف عما يؤدي إلى سوء الأحدوثة ، وقيم السيرة .

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي:

ويذلك نرى أن الآية الكريمة قد ومعقت مؤلاء المشركين ، ومعقًا في نهاية الذم والقبح ؛ لأنهم إن كانرا أثوياء فجروا ، وأسرفوا في الإيذاء ، نابذين كل عهد وقرابة وعرف ...

أما إذا شعروا بالضعف فإنهم يقدمون للمؤمنين الكلام اللين ، الذى تنطق به ألسنتهم ، وتأباه قلوبهم الماقدة الفادرة . أى : أن الفدر ملازم لم فى حال قرتهم وضعفهم ؛ لأنهم فى حالة قرتهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة وفى حالة ضعفهم يخادعون ويداهنون حتى تحين لهم الفرصة للانقضاض على المؤمنين 14،

+ + +

﴿ اَشْتَرَ وَالِحَايَنتِ اللَّهِ ثَمَنُ اقلِيهُ لا فَصَكَّلُوا عَن سَيِيلِهُ الْمُثَمَّسُاتَهُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَنْ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلاِزْمَةً وَأَوْلَئِهِكَ هُمُ ٱلْمُعْمَنَدُونَ ۖ ﴾

اللقردات :

افتروا بآيات الله ، استبدلوا بالقرآن.

فسدوا عن سبيلة ، فأعرضوا عن دينه الموصل إليه .

التفسيره

٩ - آهُمَرُواْ بِنَايِلْتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ... الآية

استبدل للمشركون بالقرآن الذي هو أعظم آيات الله التنزيلية — استبدلها به شيئًا حقيرًا من حطام الدنيا : هو اتباع أمواتهم وشهواتهم .

فَعَمْدُواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ .

أي: أعرضوا عن سبيل الحق وعدلوا عنه ، أن مسرفوا غيرهم عنه وقيل : هم الأعراب الذين جمعهم أبر سفيان وأطعمهم .

إِنَّهُمْ سَآهَ مَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ .

أى: إنهم بئس الذي كانوا يعملون ، من إعْراضهم عن الحق ، وإقبالهم على الباطل .

٩ ١ - لاَ يَوْقُبُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ...

لا يراعى المشركون في مؤمن قرابة ولا عهدًا في أي حال : فقلويهم مقممة بكراهيتهم ، وهذه الآية تركيد لما جاء في الآية السابقة بأن الفدر في طبيعتهم في جميم الأحوال .

وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُعَدُونَ.

قَالَ الشَّوْكَالِي : أي : المجاوزون الملال إلى المرام ينقض العهد . أن البالغون في الشر والتمده إلى الغاية القصوى .

* * 1

﴿ وَإِن تَابُوا وَأَقَـَامُوا الضَّكَاوَةَ وَءَاتَوًا الرَّكُوةَ وَإِخْوَلَكُمْ فِي الدِّينِّ وَنُفَصِّلُ الْآينتِ لِقَوْمِيَصِّلَمُونَ ﴿ ﴾

التفسيره

١ ٩ - فَإِنْ تَأْبُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَمَاتُواْ ٱلرَّكُوْةَ فَإِخُوا لَكُمْ فِي ٱللَّهِنِ ... الآية

يفتح الإسلام مندَّره لكل راغب ؛ يشرط مندق التربة ، وأداء شعائر الإسلام .

والمعنى : إن تابئ عن شركهم بالله ، وأمنى بالله ربًّا واحدًا لا شريك له ، وَأَقَامُوا ٱلْصَلَّوَةَ . أى : أنهما بشروطها وأركانها ، باعتبارها عماد الدين .

وُ وَاللَّهُ ٱللَّهُ كُواْةً. على الرحِمه الذي أمر الله به ، فهم هي هذه الحالة إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وهذه الأخوة تجبُّ ما قبلها من عناوات .

وَتُفَصَّلُ ٱلآيَاتِ الْقَومِ يَعْلَمُونَ .

وتبين الآيات المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم ، الموضحة لأحكامهم حالتي الكفر، والإيمان ، نبيّنها لقوم يعملون ، ويقهمون ما قبها من الأحكام ، فيطبقونها عند مقتضياتها .

﴿ وَإِن لَكُنُوٓا أَيْمَنَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَعَنِلُواْ أَبِمَّةُ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ ﴾

التفسيره

٧ - وَإِن تُكَثَّوا أَيْمَنْتُهُمْ مَن يَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَلْتِكُواْ أَكُمُّةَ ٱلْكُفُو إِلَّهُمْ لَا أَيْمَنْنَ لَهُمْ ... الآية

أى: إن تقض مرلاء المشركين ما أبرم معهم من عهود ، ولمعنوا في دينكم ، أى: عابوا القرآن والنبي إله واستهزموا بالمؤمنين كما كان يقعل شعراؤهم ، وزعماء الكفر فيهم : فهم أثمة الكفر وقادته ورؤساؤه، فقاتلوهم قتالاً عنيفاً : إنهم لا عهود لهم ولا ذمة ؛ لأنهم لما لم يفوا بها : مسارت كأن لم تكن ، وذلك لتكون المقاتلة سبباً في انتهائهم ورجوعهم ، عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال ، وهذا من غاية كرم الله وفضله على الإنسان فقوله : لَعَلُهُم يَسْهُونُ . أى : عن كفرهم وباطلهم وإيذائهم المسلمين .

وفيه دليل على أن الذمى إذا طمن فى الإسلام ؛ فقد نكث عهده ، وعلى أن القتال ليس بقصد المنافع الدنيوية أو الغنائم أو إظهار الاستملاء ، وحب السيطرة ، وإرادة الانتقام ، وإنما هو من أجل التمكين من قبول دعوة الإسلام ، وما المرب إلا ضرورة يقتصر فيها على قدر الضرورة .

قَالَ ابن كاير: والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم.

قتل من طعن في الدين

استدل بعض العلماء بهذه الآية ، على وجوب قتل كل من طعن في الدين ؛ إذ هو كافر ، والطعن أن ينسب إليه مالا يليق ، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين ، لما ثبت من الدليل القطعي ، على مسعة أصوله واستقامة فروعه .

وقال ابن المعلم : أجمع عامة أمل العلم على أن من سب الذبى ﷺ : عليه القتل ، وممن قال ذلك مالك والليث وأحمد وإسماق ، وهو مذهب الشافمى ، وقد حكى عن أبى حنيفة أنه قال : لا يقتل من سب الذبى ﷺ من أمل الذمة ، وإنما يقتل بالحرابة والقتل "".

قتل من سب النبي ﷺ .

أكثر العلماء على أن من سب النبى ﷺ من أمل الذمة ، أو عرض به ، أو استعف يقدره ، أو وصفه يما لا يليق ، فإنه لم نعطه الذمة أو العهد على هذا ورأى أبو حنيفة والثورى : أنه لا يقتل ، ما هو عليه من الشرى أعظم ، ولكن يعرِّد ويربُب (٣٠) ﴿ اَلاَنْتَذِیٰلُونَ قَوْمًا نَکُونًا اَیْمَنَهُمْ وَهَمُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمَ بَکَدُهُوكُمْ اَوْلَکَ مَرَّزًا اَتَخَشَوْنَهُمَّ فَاللَّهُ اَحَقُ اَن تَخْشَوْهُ إِن كُنْمُهُ نُوْمِیٰدِیَ ۞﴾

التفسيره

١٣ - أَلاَ تُقَلِعُلُونَ قَوْمًا تُكَفُواْ أَيْمَلْمُهُمْ وَهَمُّواْ بِأَخْرَاجِ ٱلرَّسُول ... الآية

المناسية ،

بعد أن قال تعالى : قَلْعُوْدُ أَلْمَهُ ٱلْكُلُو . أتبعه بذكر السبب الذي يهدث على مقاتلتهم ، وهو تقض المهد واعتدارهم على المؤمنين ويدؤهم لهم بالقتال ، وهمهم بإخراج الرسول من بلده .

معنى الآية ،

هذا حض وتحريض على قتال المشركين الذاكلين أيمانهم وعهودهم وذلك لأسباب ثلاثة ذكرها الله. تعالى في هذه الآية :

١ - لكتهم العهد: إنهم نقضوا عهودهم التي أقسموا عليها.

لل ابن عباس: نزات في كفار مكة الذين تكلوا أيمانهم بعد عهد الحديبية ، وأعانوا بني بكر على هزاغلة .
وهذا بدل على أن قتال الذاكلين أولى من قتال غيرهم من الكفار : ليكون ذلك زجرًا لغيرهم ، والعهد
الذي تقضوه هو صلح الحديبية ؛ لمناصرة قريش حلفاءهم بني بكر ، على خزاعة حلفاء النبي 樂。
ليلا بالقرب من مكة ، على ماء يسمى : (الهجيز) . فسار إليهم رسول الله 樂 ، وفتح مكة سنة ثمان
هجرية ، في العشرين من ومضان .

الهم بإخراج الرسول، حين تشاوروا في دار الندوة على التخاص منه ، وتداولوا الأمر وفكروا في حبسه
 أو نفيه أو قتله .

هال تعالى : وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لِيُقِيُّوكَ أَوْ يَقْلُوكَ أَوْ يُعْرِجُوكَ وَيَنْكُرُونَ وَيَشْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ الْمُنكرينَ (الاندان ٢٠٠).

 ٣ - بدراهم بالقعال ، فقد بدءوا بالقتال يوم بدر وكذلك في أحد والفندق وغيرها ، ويعد أن ذكر الله هذه الأمور الموجبة لقتالهم ، اتجه بالحديث إلى المؤمنين ؛ ليهيجهم ويحمسهم فقال : أَتَحَمَّرُ لَهُمْ أَي : أَتَحَافَرنهم

أيها المرَّمنون فتتركرا قتالهم ؛ خوفًا على أنفسكم ؟ لا ينبغي ذلك منكم ، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَعْشُوهُ أَء : فالله أَمَانَي بِالْمُشْيَةِ ؛ لأنه صاحبِ القدرة المطلقة التي تدفع الضرر المتوقع ، وهو القتل ، إن كُنتُم مُوَّمَنِيٍّ، فالإيمان قوة دافعة على الإقدام ، أي : إن كنتم مؤمنين : فأقبلوا على قتالهم ، ولا تشافوا ولا تجبنوا : إذ شرط الإيمان الخوف من الله وحده دون سواه ؛ لأن بيده النفع والضر. وفي هذا دلالة على أن المؤمن، الذي يخشى الله وحده ، يجب أن يكون أشجم الناس وأجرأهم على القتال .

﴿ قَنْتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ أَلَقُهُ إِلَّيْدِيكُمْ وَيُخْرِهِمْ وَيَصُرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ تُقْمِينِينَ ۞ وَيُـذَهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِ تَّرَوَبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَأَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمُ عَكِدُ ﴿ فَ مُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ

التشسيره

٤ ١ - قَلْبِلُوهُمْ يُعَلِّبُهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِهُمْ وَيَعَمُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُلُورَ قُوم مُوْمِينَ ...

بعد أن بين فيما سبق ما يوجب قتال المشركين ويحث عليه ، أتبع ذلك بالأمر الصريح بقتالهم ورتب على ذلك عددًا من القوائد .

أي : قاتلوهم أيها المؤمنون ، فإن قاتلتموهم يعنبهم الله بأيديكم ، بسبب ما تنزلونه يهم ، من قتل وأسر وجراحات بليقة ، واغتنام للأموال.

وَهُمُّوْهِمْ بِالقَتِلِ وَالْأِسِ وَالْهِرْمِمَةَ، وَيَعَمُّرُكُمْ عَلَيْهِمْ بِأَن يَجِعَل كَلْمَتكم هي العلياء وكلمتهم هي السطايء وَيَشْفِ صُدُورَ قُوم مُوْمِينَ . امتلات غيظًا من أفعال المشركين بهم في مكة ، وهم بنو خزاعة حلفاء رسول الله 艦 ، كما قال مجاهد .

ه ١- وَيُلْمِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ.

أي : قلوب هوَّلاء المؤمنين على المشركين من غدرهم وظلمهم وهدة إيذائهم ، أو يذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم من شدة المكروه منهم.

جاء في تفسير أبي السعود :

وُيُدُهبُ فَيُهَ قُلُوبِهِمْ بِما كابدوا من المكارة والمكايد ، واقد أنهز الله سبحانه جميع ما وعدهم به ، على أجمل ما يكون ، فكان إلمباره ﷺ بثلك قبل وقرعه معجزة عظيمة ٢٠٥٠.

وَيَعُوبُ ٱللَّهُ مُلِّى مُن يُفَاءً. هذا كلام مستأنف. يندئ عما سيكين من إيمان بعض المشركين، أي: ويتوب الله على من يشاء أن يتوب عليه من عباده ، فيونقه للإيمان ، ويشرح صدره للإسلام ، وقد حدث ذلك فعلاً، فأسلم أناس من أهل مكة ، وحسن إسلامهم ، مثل : أبي سفيان ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسليم بن أبي عمري

وَٱللَّهُ عَلِيهُ بِما يَصَلَحَ عِبَادِهَ حَكِمٌ فَى أَنَمَاكَ وَأَقُواكَ الكَوَتِيةَ وَالشَّرِعِيَّةَ ، فيفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : فامتثلوا أمره ، واجتنبوا نهيه .

* * 1

﴿ أَمْحَسِبْتُمْ أَن تُثَرِّكُوا وَلَمَّا يَصْلِمِ اللهُ الَّذِينَ جَهَدُ وَا مِنكُمُّ وَلَوْيَشَخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَرَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرُ بِما تَعْمَلُونَ ۖ ۞ ﴾

المقردات ،

ولا يعلم الله ، لما : حرف يذيد نفي وقوع الفعل إلى زمن المنكلم مع توقع وقوعه في المستقبل ، والحراد أنه إلى الآن لم يتحقق وقوع الههاد منكم ؛ لعدم حصوله وقت نزول الأية ، ولكنه يتتظر وقوعه وفق ما في علم الله .

التفسيري

١٩ - أَمْ حَسِيتُمْ أَن تُتَرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱللَّهِينَ جَلْهَدُواْ مِنكُمْ ... الآية

هذه الآية مرتبطة بما قبلها ، والدعنى فيما سبق : ألا تقاتلون أولئك المشركين الذين نقضوا المهود. واعتدى عليكم ، وهموا بإخراج الرسول .. إلى آخر ما ذكر ، وهنا يبين بعض المكم التى من أجلها شرع المهاد.

ومعنى الآية :

أم حسبتم أيها المؤمنون أن تتركوا وشأنكم مهملين ، بغير اغتبار بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ، من طريق الجهاد الذي يتبين فيه المطحمون ، المجاهدون بالنفس والمال ، والذين لم يتخذوا بطانة من الكفار أواهاء ، يُسرون إليهم بأحوال المسلمين وأمورهم وأسرارهم . بل هم في الظاهر والباطن على النمح الله والرسوله ، متميزين عن المنافقين الذين يطلعون الولائج على أسرار الأمة وسياستها. وقد اكتفى بأحد القسمين عن الآخر ؛ للعلم به ضمنًا .

قال الجمعاص : قوله : وَلَمْ يَعْمُلُواْ . . وَلِيحَةَ يَقتضى لزيم اتباع المؤمنين ، وترك العدول عنهم ، كما يلزم اتباع النبي ﷺ .

وفيه دليل على لزوم حجة الإجماع ، وهو كلوله : وَمَن يُشَالِق ٱلرُّسُولُ ... (النساء: ١١٥)

وقال ابن جويو : وُلِيجَةُ أي : يطانة ومداخلة من الولوج في الشيء أي : الدخول فيه .

وإنما عنى بها فى هذا الموضع : البطانة من المشركين ، نهى الله أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أيلياء ، يقشرن إليهم آسرارهم .

وَاللَّهُ حُيِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَى : أَن علمه شامل لجميع أعمالكم فيجازيكم عليها : فهو سبحانه مطلع على كل شىء ، محيط به علمًا ، ونظير الآية في الاحتيار قوله تعالى : الَّمْ وأُحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُقْرِكُوا أَن يُقُولُوا عَاسًا وَهُمْ لاَ يُفْتَشُونَ وَ وَلَقَدْ قَسَّا ٱللَّهِينَ مِن قَبِلِهِمْ فَلَيْعَلُمْنَ ٱللَّهُ ٱللَّهِينَ مَنْقُوا

وقال عز شأنه:

أَمْ حَسِيتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ ٱلْحِنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـلْهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّلِينَ . (ال عمران: ١٤٢).

ونطير الآية في النهي عن النهاد الوليجة أو البطانة قوله تعالى : يَكَأَيُهَا ٱلَّذِينَ وَاشُواْ لاَ تَعْمِلُواْ بِطَالَةٌ مَّن دُولِكُمْ لاَ يَالُولَكُمْ خَبَالاً وَقُواْ مَا عَيْمُ قُلْدَ بَدَتِ ٱلْمُعْمَاءُ مِنْ أَقُواهِمٍ وَمَا تُعْفِي

والخلاصة: أن الله تمالى لما شرح لعباده الجهاد ، بين حكمته ، وهى المتبار عبيده ، من يطيعه ممن يعميه ، وهو سيحاته قبل ذلك وبعده العالم بما كان ، وما يكون وما لم يكن ، ويتبين من الآية أن الله تمالى عالم بالنبات والأغراض ، مطلع عليها ، لا تخفى عليه شافية ؛ فطى الإنسان التركيز على أمر النبة ، وجعلها خالصة لرجه الله . ﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَنجِدَ اللّهِ شَنهِ دِينَ عَلَىٓ أَنفُسِهِم وَالْكُفْرُ أَوْلَتِهِك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِهُمْ خَلِلُونَ ۖ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَنجِدَ اللّهِ مَنْ مَامَن واللّهِ وَالْيُوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوْةَ وَمَاقَ الزَّكَوْةَ وَلَا يَخْشَ إِلَّا اللّهُ فَعَسَى الْوَلِيَةِ اللّهِ فَعَسَى الْوَلِيَةِ اللّهِ فَعَسَى الْوَلِيةِ اللّهِ فَعَسَى الْوَلِيقِيةُ الْوَلِيقِيةُ اللّهِ اللّهِ فَعَسَى الْوَلِيقِيةُ الْوَلِيقِيةُ اللّهِ اللهِ فَعَسَى اللّهُ اللهِ فَعَسَى الْوَلْمِينَ اللّهُ اللّهَ فَعَسَى اللّهَ اللّهَ فَعَسَى اللّهُ اللّهِ فَعَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

المقردات ،

ماكان للمشركيين؛ أي ما منح ولا استقام لهم.

هنمنين على انفسهم بالكفر، المراد من شهادتهم على أنفسهم : إظهارهم آثاره ، من قصب الأوثان حول البيت وعبادتها ، وإن أبيا أن ابيا أن يمترفوا بكونهم كفارًا .

ميحت امم الهم ، أي : بطات فلا ينتفعون بها .

مساجد الله ، أي : أماكن عبادته .

سيپ الترول :

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس: أن جماعة من روساء قريش ، أسروا يوم بدر ، منهم العباس ابن عبد المطلب ، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يعيّرونهم بالشرك ، وجعل على بن أبى طالب يوبّع العباس ، بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم ، فقال العباس : ما لكم تذكرون مساوئذا ، وتكتمون مصاسننا ، فقبل له : وهل لكم محاسن ؟! قال : نعم وتحن أفضل منكم ، إنا لنعم المسجد الحرام ، ونحجب الكبية - أي : الأسير – فنزات عذه الآية (10).

والعواد : أن الآية تضمنت الرد على العباس وأمثاله ، لا أنها نزلت علّب قوله ؛ لأن غزوة بدر كانت في السنة الثانية من الهجرة ، وهذه الآية نزلت ضمن سورة التوية بعد الرجوع من غزوة تبوك ⁰⁴ .

التفسيره

١٧ - مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰٓ ٱلفُسِهِمِ بِٱلْكُفُرِ.

أي: ما منح ولا استقام في دين الله وشرعه ، أن يترابي المشركون عمارة الأماكن المُحدة لعبادة الله. المبنية على اسمه وحده لا شريك له ، فضلاً عن عمارتهم المسجد الحرام الذي مو أشرفها وأعزها . وهم شاهدرن على أنفسهم بالكفر ، أى : بشهادة الحال والمقال ، بأن يعبدوا الأصنام ، وأن يطولوا بالبيت عراة ، وكلما طالوا بالأصنام سجدوا لها ، وقيل : هو قولهم : طبيك لا شريك كه ، إلا شريك هو لك , تمكك وما ملك، فهذه شهادتهم بالكفر ، ثابتة قولاً وعملاً ، فهم بهذا جمعوا بين الضدين ، وبين أمرين متنافيين ، لا يعقل الجمع بينهما على وجه صحيح : عمارة بيت الله والكفر به .

أُوْلَلْعِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِهُمْ خَالِلُونَ .

أي : أرائك المشركين ، قد نسدت أعمالهم التى كانوا يفتشرون بها ، مثل : العمارة ، والحجابة , والسقاية : لأنها مع الكفر لا قيمة لها .

قال تعالى : وَأَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . (الأنمام : ٨٨).

وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَتْلِنُونَ . يوم القيامة يسبب كفرهم وإصرارهم على باطلهم .

١٨ - إِنَّمَا يَعْمُرُ مُسَنْجِدَ آللَّهِ مِنْ عَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاَّحِرِ وَأَقَامُ ٱلصَّلَوْةَ وَعاتَى ٱلزَّكُوةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ ٱللَّهُ ... الآية.

أي: إنما يستحق عمارة المساجد، وتستقيم منه العمارة ويكين أملاً لها، من آمن بالله وحده معبرياً، على النحو المبين في القرآن الكريم، وأمن باليوم الأخر موعدًا ومصيرًا، وحسابًا وجزاء، وأدى المسلاة على وجهها المطروع في مواقيتها، وأعطى الزكاة بأنواعها ومقاديها المستحقيها المعرولين، كالفقراء، والمساكين، وأبداء السبيل، ولم يخش في قوله وعمله إلا الله وحده، دون غيره من الأصنام والعظماء الذين لا ينفعون ولا يضرون في الحقيقة، وإنما النفع والضربيد الله، مؤلاء الموسوقون بهذه الممقات، هم الذين يقتصر علهم عمارة المساجد، الحسية بالبناء والتشييد والترميم، والمعنوية بالعبادة والأنكار وحضود دروس العلم، دون من أشرك بالله، وكفر برسول الله ﷺ، مؤلاء المشركين الشمالون الذين يجمعون بين الأضداد فيشركين بالله، ويسجدون للأصنام، ثم يقدمون بعض الخدمات المسجد المرام.

فَعَسَىٰ أُولَىٰ إِلَى اللَّهُ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ .

وهو تذبيل قصد به حسن عاقبة المؤمنين الصادقين ، أي : فمسى أولك المتصفون بتلك الصفات الجليلة ، أن يكرنوا من المهتدين إلى الجنة ، وما أعد فيها من خير عمهم ويرزق كبير .

والتعبير بمسى هذا ، مقصود به قطع أطماع الكافرين ، أى : إذا كان هؤلاء المؤمنون – وهم من هم– يدور أمرهم بين لعل وعسى ، فكيف يقطع المشركين – وهم بين المضازى والقبائح – أنهم مهتدين ^(١٠). وقد ذكر الطماء : أن كلمة عسى إذا جاءت من الله تعالى ؛ فهى بمعنى : وجب واستحق كما قال تعالى : وَمِنْ آلِّلُ فَهَوَعْدُ بِهُ ثَالِمَةٌ لِّكُ عَسَى أَنْ يَشَعُكُ رَبُّكَ مَلَانًا مَّحْمُوذًا . (الإسراء : ٧٩) .

أِما معنى عسى في النحو: فهو الترجي .

كما قال الشاعر:

له كل يس في خليقته أس

عسی فرج یأتی به الله إنّه

قال الآلوسي في تفسيره:

ووقى التعبير بمسى قطع اتكال المؤمنين على أعمالهم ، وإرشادهم إلى ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء» .

ومن الأحكام والآداب التي أخلها العلماء من هاتين الآيتين ما يأتي :

 ا ممال الهر الممادرة عن المشركين كإطعام الطعام ، وإكرام الضيف ... إلح. لا وزن لها عند الله ؛ لاقترائها بالكفر والإشراك به سيحانه .

وذهب الشيخ مصد عبده ، وتلميذه السيد رشيد رضا ، إلى موقف آغر ، حيث رجحوا أن يجازيهم الله تمالى على هذه الأعمال في الأخرة .

ىاستىشەدىا بىدىل ئاڭ القائلىل : فَمَن يَعْمَلُ بِطَّقَالَ ذَرَّةٍ مُثِيَّرا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلُ مِطَّالَ ذَرَّةٍ مُرَّا يَرَهُ ، (لارنازلة : ٧ ، ٨). مقمله عارشانه : إِنَّ اللَّهُ لاَ يُطْلِمُ مِطَّالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُطَالِحَهُم الرَّيْوَاتِ مِن لَذَبَةً أَجْرًا مَظِيمًا . (النساء : ٤٠).

 ٢ - إن عمارة مساجد الله من حق المؤمنين وحدهم ، أما المشركون فإنهم لا يمنح منهم ذلك : بسبب كفرهم ونجاستهم .

هوالأصح أنه يجور استخدام الكافر في بناء المساجد ، والقيام بأعمال لا ولاية فيها كنحت الحجارة والبناء والنجارة ، فهذا لا يدخل في المنع المذكور في الآية .

ولا مانع أيضًا من قيام الكافر ببناء مسجد أن المساهمة في نفقاته ، بشرط ألا يتخذ أداة للضور، وإلا كان حهنلذ كمسجد الضرار ... (**).

جاء في حاشية الجمل على الجلالين:

- «لا يصح للمشركين أن يعمروا مساجد الله بدخولها والقعود فيها ، فإذا دخل الكافر المسجد بغير إذن
- من مسلم ؛ عزر وإن دخل بإذنه ؛ لم يعزر ، لكن لابد من حاجة ، فيشترط للجواز الإذن والحاجة» (١٠٠).
- ونلاحظ أن رسول الله ﷺ أنزل وقد ثقيف فى العسجد وهم كفار ، وهدُ ثمامة بن أقال المنفى في سارية من سوارى المسجد الحرام وهى كافر (١٠٠).
- و ونجاسة الكافر تجاسة معنوية ، فإذا دخل المسجد لفرض من الأغراض ، وأخذ إذنًا من الجهات المختصة ؛ جاز ذلك .
- ٣ يؤخذ من الآيتين التنويه بشأن المساجد والتعبد فيها ، وإصلاحها ، وخدمتها ، وتنظيفها ، والسعى إليها ، واحترامها ، وصيانتها عن كل ما يتنافى مع الفرض الذي بُنيت لأجله ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى ، منها ما يأتى :
- ا روي الشيخان والترمذي: هن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بني
 فله مسجدًا يبتغي به رجه الله: يني الله له بيدًا في الجنان (").
- حوري الشيخان والحافظ أبو بكر البزار ، وعبد بن حميد عن أنس بن مالك قال : قال رسول 協 機
 عإنما عمار المساجد هم أهل الله، ١٩٥٥ .
- ٣ ويدى أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم وابن مردوية: عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ
 قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد: فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: إِنَّما يَعْمُو مُمَّاجِدُ
 أَلَّهُ مَنْ هَامَن بِاللَّهِ وَآلَيْمَ الآَحِو (١٩٠).
- ع ودرى الشيفان: عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ومن غدا إلى المسجد أو راح أي: سار
 قبل الزوال أن بعده لعبادة الله في المسجد ! أعد الله له نزلا أي: مكانًا طيبًا في الجنة !
 كلما غدا أن راح، ٢٠٥.

﴿ ﴾ أَجَمَلَتُمُّ سِقَايَةَ لَلْمَآجَ رَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْخَرَامِ كُمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَهَدَفِ سَبِيلِ ٱللَّهُ لَا يَسْتَرُونَ عِندَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ لَايَهُ بِي ٱلْقُومَ ٱلظَّالِينَ ﴿ ﴾

اللقردات ،

سقاية العاج ؛ المراد من الحاج: جنس الحجاج ومن سقايتهم إعطاؤهم ما يشربون.

التقسيره

١٩ - أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ آلَحَاجُ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ عَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَنْهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...

المناسية ،

هذه الآية مرتبطة بما قبلها ، ومكملة لها ، فالآية السابقة أيضحت أن عمارة المسجد الحرام مقبولة إذا كانت عن إيمان : فهي للمسلمين دون المشركين ، وهذه الآية أبانت أن الإيمان والجهاد أقضل مما كان يقفر به المشركون من عمارة المسجد الحرام وسقاية المعاج .

سيب التزول :

روى: أنّ المشركين سألوا اليهود قاتلين: نحن سقاة الصاج ، وعُمّار المسجد الحرام ؛ أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه ؟ فقالت اليهود عنادًا لرسول الله ﷺ: أنتم أفضل ؛ فردٌ الله على الجميع منزلاً هذه الآية الكريمة .

والمعنى: أجعلتم أمل سقاية الماج ، وأمل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الأخر ، وجاهد في سبيل الله ١٢

فالإيمان بالله واليوم الأهر ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس أنضل وأعظم درجة من أعمال السقاية والسدانة أو العمارة .

لاَ يَشْتُوونَ عِندَ ٱللَّهِ .

أي: لا يستوى المشركون -- وإن تقربوا بالسقاية وعمارة المسجد الحرام — مع المؤمنين ، المجاهدين في سبيل الله .

وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمُ ٱلطَّالِمِينَ .

والله لا يوفق القوم الظالمين ولا يرشدهم ؛ لأنهم قد آثروا الشرّ على الخير ، والضلالة على الهدى .

من تفسير المناد

قال صاحب المنار – بعد أن ساق عددًا من الروايات في سبب نزول هذه الآية – : والمعتمد من هذه الروايات حديث النعمان : لمسمة سنده (۱۰۰).

حديث الثعمان في صحيح مسلم

أورد ابن جرير للطبرى وغيره من المقسرين ، ما رواه مسلم وأبو داود وابن المنذر عن النعمان ابن بشير قال :

كُنت عند منبر رسول الله ﷺ ، فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الماج وقال آخر : منبول الله إلا أن أسقى الماج وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر : لجهاد في سبيل . الله أفضل مما قلتم ؛ فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ — وذلك يوم الجمعة - واكن إذا صليت الجمعة دهلت واستفتيته فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عز وجل :

أَجَعَلْتُمْ سِفَايَةَ الْمَمَاحِ، وَحِمَاوَةَ الْمَسْجِدِ الْعَرَامِ كَمَنْ عَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيُومِ الآخرِ ... الآية .

وهذا المساق يقتضي أن الآية نزات ؛ عند اختلاف المسلمين في الأنضل من هذه الأعمال .

قال صاحب المعتار: المعتمد أن موضوع الآيات في المفاضلة أن المساواة بين خدمة البيت وحُجَّاجه من أهمال البّر الهيئة المستلذة، ويين الإيمان والجهاد بالمال والنفس والهجرة وهي أشق العبادات البدئية والمالية اه.

بعض المفسرين يرجح أن الآية رد على المشركين

ذكر بعض المفسرين: أن هذا إشكال: لأن تمام الآية يقول: وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقُرْمُ ٱلطُّلْمِينَ، وهذا مشكل بالنسبة للمسلمين؛ فإنهم جميعا مهديون وليسوا بطالمين.

وأجيب عن هذا الإشكال بأنه: اما قرأ النبي إله الآية ظن الراوي أنها نزلت حينئذ؛ فقال: إنها نزلت بهذا السبد في عن قبل المستفتاء عمر فيما اعتلفوا فيه قرأ النبي إله الآية التي نزلت من قبل بهذا المسركين ، مستدلاً بها على أن الجهاد أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ؛ ليعلم المختلفون الحكم، فالآية في الحقيقة لم تنزل بسبب هذا الخلاف، والراوي أعطأ في ظنّه نزولها بسببه، أن تسامه في التحبير.

قال القرطبي نقلاً عن غيره: لا يستبعد أن يُنتزع مما أنزل في المشركين أحكام تليق بالمسلمين.

قال عمر: إذا لو شئنا الاتفنا سلائق وشواءً؛ وتوضع صحفة، وترفع أخرى، لكنًا سمعنا قول الله تمالى: أَلْمُبْتُم خُلِسَانُكُمْ فِي صَاِئكُمُ ٱلدُّنِيَا وَاسْعَمْتُكُم بِهَا. (الأحقاف: ٢٠).

وهذه الآية نص في الكفار ، ولكن عسر رضي الله عنه فهم منها زجر المسلمين أيضًا عمًا يناسب أحوال الكافرين ، بعض المناسبة ، ولم يتكر عليه أحد من المسحابة ، فهذه الآية من هذا النوع .

قال القرطي : وهذا تأويل نفيس ويه يزول الإشكال ا هـ (١٠٠) .

ويترجع عندى ما ذهب إليه القرطبي ، فهو أرجح في تقديري مما ذهب إليه صاحب المنار.

قالاًية نزلت في سياق الردِّ على المشركين ، ولكن المسلمين استفادوا بمضمونها عندما المتلفوا في اعتبار أفضل الأعمال : لأنها جعلت الإيمان ، والجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال .

والله تعالى أعلى وأعلم .

* * *

﴿ الَّذِينَ مَامَنُواْ وَهَاجُرُواْ وَجَهَدُواْ فِ سَيِسِ إِللَّهِ إِلْمَوْلِمَ وَالْفَسِمِ أَعْظَمُ دَرَمَةً عِندَ اللَّهُ وَأُوْلَتِكَ هُمُ الْنَايِّرُونَ ۞ بُسَشِرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةً مِنْهُ وَيضُوْنِ وَجَنَّتَتِ لَمَّمْ فِيهَا تَعِيدُ مُّقِيدُ ۞ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدَا إِنَّ اللَّهَ عِندَ مُواْجُرُ عَظِيدٌ ۞ ﴾

المفردات :

وهاجروا ، تركوا مكة إلى المدينة : هوفًا على دينهم وأمنا على أنفسهم من أذى المشركين . يهشرهم ، البشارة : الإعلام بالخبر السًار ، وسمّيت بذلك ؛ لظهور أثرها على البشرة .

التفسين

. ٧ - ٱللين عَامَتُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَلْهُدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَٱلْقُسِهِمْ أَعْظُمُ مَرَجَةٌ عِندَ ٱللَّهِ ... الآية

أى : أن المؤمنين بالله ورسوله ، المهاجرين من مكة إلى المدينة ، المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ولإعلاء كلمة الله ، هم أعظم درجة ، وأرفع مقامًا ومكانة من القائمين بأعمال أخرى كالسقاية والعمارة.

وَأُولَــْتَعِكَ هُمُ ٱلْفَالِزُونَ .

أي : وأولئك المنعوتون بهذه الصفات ، هم الفائزون بفضل الله وكرامته ومثويته .

من تفسير الفخير البرازي

قَالَ الْفَحْرِ الْرَازَى: فإن قيل: لما أهبرتم أن هذه المسفات كانت بين المسلمين والكافرين ، كما جاء في بعض روايات أسباب النزول ، فكيف قال في وصفهم أعظم درجة : مع أنه ليس للكفار درجة ؟

قلما : الجواب عنه من وجوه :

الأول : أن هذا ورد على حسب ما كانوا يقدُّرون لأنفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله ، ونظيره قوله سيمانه : وَاللّهُ خُيرٌ أَمَّا يُشْرِكُونُ (الدرل : ٩٥).

الْقائى : أن يكون المراد : أولكك أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفًا بهذه المنفات : تثبيهًا على أنهم لما كانوا أفضل من المؤمنين الذين ما كانوا موصوفين بهذه الصفات قبأن لا يقاسوا إلى الكفار أولى.

الثالث : أن يكون المراد : أن المؤمن المجاهد أنضل ممن على السقاية والممارة ، والمراد منه : ترجيح تلك الأعمال ، ولا شك أن السقاية والممارة من أعمال النفير ، وإنما بطل ثوابها في حق الكفار : بسبب كفرهم.

٢١ - يُسَلُّوهُمْ رَاهُم بِرَحْمَةٍ مَّنهُ وَرِضُونَ وَجَنَّاتِ أَهُمْ فِيهَا تَعِيمٌ مُّقِيمٌ.

يخبرهم الله مبشرًا برحمة واسعة ، ورضوان كامل ، وجنات لهم فيها نعيم دائم ، وهم فى هذا النعيم خالدون على الدوام إلى ما شاء الله تعالى .

قال الأتوسى: ذكر أبو حيان: أنه لما وصف المؤمنين بثلاث منفات: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالنفس والمال: قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث: إلرحمة، والرضوان، والجنة.

٧٢- مُمَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ صِدَهُ أَجْرٌ مَظِيمٌ .

لقد عوضهم الله جزاء الإيمان والهجرة والجهاد جنات خالدين فيها لا يخرجون منها أبدًا : فإن الله لديه أجر عظيم : فلا يبخل به على أواهاته .

روى الشيغان والترمذي والنسائي : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول ش 響 : مزان الله يقول لأمل الجنة : يا أمل الجنة : فيقولون : لبيك رينا وسعديك ، فيقول : مل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا ترضيي، وقد أعطيتنا ما لم تُعفر أحدًا من هلتك ؟! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون: ربنا ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟! فيقول: أحلَّ عليكم رضواتي ، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» ٣٠٩ .

في ختام الآيات ١٩ - ٢٢

دلت الآيات على أن الجهاد مع الإيمان أفضل الأعمال ؛ لأنه بذل للنفس أو المال ؛ بقصد إعلاء كلمة الله.

ومراتب فضل المجاهدين كثيرة ، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذى درجة ، فلهم العزية والمرتبة العليا ، وهم الفائزون الشافرون الناجون ، وهم الذين يبشرهم ربهم ويعلمهم فى الدنيا بما لهم فى الأهرة من النعيم المقيم ، وهم الشالدون إلى الأبد ، وإلى ما شاء الله فى جنات الخلد ، ولهم ثواب عظيم أعده الله لهم فى دار كرامته .

+++

﴿ يَنَائُمُ اللَّذِي ءَامَنُوا لَاتَنَاخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَنَكُمْ أَوْلِيانَة إِن السّنَحَبُوا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مُمُ الظّلِيمُون ۞ قُلْ إِن السّنَحَبُوا اللَّهُ مُنَالِمُ مُنْ الظّلِيمُون ۞ قُلْ إِن اللّهُ وَكَنْ مَا الظّلِيمُون ۞ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَنْفِيمُكُمْ وَأَوْبَكُمْ وَأَوْبَكُمْ وَأَوْبَكُمْ وَأَوْبَكُمْ وَأَوْبَكُمْ وَمَا اللّهُ وَمَشْرِيمُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ لَا يَهْدِى اللّهُ وَرَسُولِهِ وَجِهَا وَ فِي سَبِيلِهِ مَنْرَبَقَمُوا حَتَى يَأْفِي اللّهُ إِلْمَيْهُ وَاللّهُ لَا يَهْدِى اللّهُ وَرَسُولِهِ وَجِهَا وَ فِي سَبِيلِهِ مَنْرَبَقَمُوا حَتَى يَأْفِي اللّهُ إِلْمَيْهُ وَاللّهُ لَا يَهْدِى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

المقردات ،

أولسيساء الحباء وأصفياء

وعشبه رتكم وأي: أقربارتكم ومن العشرة وهي الصحبة.

هـ تـ ريصوا ، فانتظروا .

لا يهدى القوم الشاستين؛ أي: لا يعينهم على الهدى؛ لخروجهم عن طاعة الله بموالاة أعدائه.

التفسيره

٧٣ - يَنْأَيُّهَا ٱللَّهِينَ ءَامْنُواْ لاَ تَصْعِلُواْ ءَلَهَا كُمْ وَإِنْقُوالكُمْ أُولِيَّاءَ إِن آستَحُواْ الْكُفُر عَلَى ٱلإِيمَانِ ... الآية

سبب الثرول ،

المتاسبة

لُخرج الفريابي عن ابن سيرين عن على بن أبي طالب أنه قال لقوم قد سمَّاهم: ألا تهاجروا ، ألا تلمقوا برسول الله ﷺ ؟؟ قالوا : نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا ؛ فأنزل الله : قُلْ إِنْ كَانَ مَابَارُكُمْ ... الآية كلها.

جاء في تفسير الكشاف للزمخشري :

كان قبل فتح مكة ، من أمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ، ويمسارم أقاريه الكفرة ، ويقطع موالاتهم، فقالوا : يا رسول الله : إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا ؛ ونميت تجارتنا وهلكت أموالنا ، وخريت ديارنا ، ويقينا ضائعين ؛ فنزات هذه الآية ، فهاجروا ؛ فجعل الرجل يأتيه ابنه أن أبره أن أخوه أن بعض أقاريه ؛ فلا يلتقت إليه ولا ينفق عليه ، ثم رحّس لهم بعد ذلك . وقيل : نزات في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ؛ فنهي الله عن موالاتهم ، اهـ . والآية عامة ، وإن كان السبب خاصًا .

قال الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير:

و التعلاصة: أن الدين يفير المفاهيم ، فيجعل رابطة الدين أعلى ، وأقرى وأولى من رابطة العصبية الجنسية وصلة القرابة والانتماء للأسرة ، ويقرر أن ثمرة الهجرة والجهاد لا تظهر إلا بترك ولاية المشركين، وإظهار طاعة الله والرسول على كل شيء في الحياة ٤٠٠م.

والمعني:

يا أيها المصدقون بالله ورسوله ، لا يتخذ أحد منكم أباه أن أخاه حبيبًا يصافيه ، ويخلص له الودُّ ؛ إن استحب الكفر على الإيمان ، وأمسُ عليه إصرارًا لا يرجى منه الإقلاع عنه .

والنهى عن موالاتهم فى تلك المالة يقتضى جواز موالاتهم قبلها ، على أمل أن تؤدى بهم إلى الإسلام، بسيب شعورهم بسماحته .

وَمَنَ يَتُولُّهُم مَّنكُمْ فَأُولَا عِكَ هُمُ ٱلطَّالِمُونَ .

ومن يحبُّهم ويخلص لهم الودِّ ، أو يطلعهم على أسرار المسلمين العامة أو الحربية ، فأولئك هم الظالمين لأنفسهم وأمتهم ؛ لأنهم خالفُوا الله ورسوله بموالاة الكفار بدلاً من التبرؤ منهم . قال ابن عباس: هو مشرك مثلهم؛ لأنه رضى بشركهم ، والرضا بالكفر كفر ، كما أن الرضا بالفسق فسق.

٩٤ - قُلْ إِن كَانَ مَايَا رَكُمُ وَالْمَارُكُمُ وَإِخْوَالُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَمَشِيرُتُكُمْ وَأَلْوَالُمْ الْقَرْفُسُوهَا وَتِجَاوَةٌ تَخْشُونَا
 ٢٥ - قُلْ إِن كَانَ مَايَا وَكُمُ وَالْمَارُوبُ وَجُهَادٍ لِي صَعِلِهِ ... الآية .

أى: إن كنتم تفضلون هذه الأنواع الثمانية ، على محبة الله ورسوله أى : طاعتهما والجهاد في سبيل الله.

فَرَبُّهُواْ حَتَى بِأَلِيَ اللَّهُ بِأَنْرِهِ . فانتظروا حتى يأتى الله بما يأمر به من عقوبة عاجلة أو آجلة لكم ، والجملة الكريمة قمد بها : التهديد والرعيد .

وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَرْمُ ٱلْفَسْسِيْنِ. تذييل قصد به : تأكيد القهديد السابق ، أي : والله تعالى لا يوفق القوم الغارجين عن حديد دينه وشريعته إلى ما فيه مثوبته ورضاه .

جاء في تفسير الكشاف: وعن الحسن: هي عقوبة عاجلة أن آجلة ، وهذه أشياء شديدة لا نرى أشد منها، كاتُها تنعي على أناس ما هم فيه من رخاوة عقد الدين ، واغسطراب حبل الهقين ، ا هـ.

ويمكن تصنيف الأنواع الثمانية الواردة في الآية بأربعة :

- ١ مخالطة الأقارب وذلك يشمل الآباء والأبناء والإخوان والأزواج ، ثم بقية المشيرة .
 - ٢ الميل إلى إمساك الأموال المكتسبة .
 - ٣ -- الرغبة في تحصيل الأموال بالتجارة .
- ع الرغبة في البناء والدور المفصصة للسكني ، وقد بين الله تمالي أن رعاية للدين خير من رعاية هذه الأمور.

وذلاحظ أن محبة هذه الأشياء الثمانية لها شديد لرتباط بالإنسان ومجتمعه ؛ قمحبة الأب والابن والإهوة والزيجة والعشيرة قطرة إنسانية : وحب المال ، والتجارة الرابحة ، والمسكن المريح ، طبيعة نفسية: فهى وسائل التملك والتفاهر والتظاهر وبالرغم من مظاهر الحب وحقائقه لهذه الأنواع الثمانية : أمر الله بإيثار حبّه وطاعته ، والجهاد في سبيله على هذه الأشياء .

هَالله سبحانه وتعالى مصدر النعم ، وملجاً لدهم الكروب والمحن ، قال تعالى : وَٱللَّهِنَّ وَاسْتُوا أَ أَشَدُ سُ (البقرة : ١٦٥)

الأداب والأحكام

أخذ العلماء من هاتين الآيتين الأداب والأحكام الآتية:-

 لا يتم إيمان المؤمن ، إلا إذا كانت محبته لله ورسوله مقدمة على كل محبوب . فقد ثبت في المحميح :
 أن رسول الله ﷺ قال : موالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكرن أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (^^).

- ٢ قال المفسرون: هاتان الآيتان في بيان حال من تراى الهجرة وآثر البقاء مع الأهل والمال.
- ٣ -- الإحسان إلى الوالدين والأقارب وتقديم الهدايا لهم -- مع كفرهم -- لا يتمارض مع ولاية الله ورسوله
 بدليل ما أخرجه البشارى: قالت أسماء: يا رسول الله ، إن أمى قدمت على راغبة وهى مشركة أفأصلها؟
 قال: نعم: «صلى أمل» (⁽ⁿ⁾).
- 3 قال بعض العلماء: وليس المطلوب من قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانْ مَابَاوْكُمْ ... إلغ ، أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشورة والزوج والولد ، وإلمال والعمل والمتاع واللذة ، ولا أن يترهبن ويزهد في طهبات السيادة ، كلا ، إنما تُريد هذه المقيدة أن يخلص لها القلب ، ويخلص لها الحب ، وأن تكون هي المسيطرة الساكمة ، وهي المصركة الدافعة ، فإذا تم لها هذا ؛ فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات السيادة : على أن يكون مستمناً لنبذها كلها ، في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة .

ومفرق الطريق هر أن تسيطر المقيدة ، أو يسيطر المتاع ، وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الحياة ؟ فإذا اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته : فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة والعشيرة والزوج ، ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ، ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطبيات من الرزق ، في غير سرف ولا مخيلة .

بل إن المتاع حينتذ لمستحب ، باعتباره لودًا من ألوان الشكر لله ، الذي أنعم بها : ليتمتع بها عباده، وهم يذكرون : أنه الرازق المنعم الوهاب (⁰⁰⁾ . ﴿ لَفَذَ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٌ وَيَوْمَ حُنَيْنٌ إِذَ أَعَجَمَتْكُمُ كَثَرْتُكُمْ فَلَاتُنْنِ عَنصَّمُ شَيْئًا وَصَافَتَ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَارَحُبَتُ ثُمَّ وَلِّتَمْ مُّذَيِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنْزَلَاللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ مِوَعَلَ الْمُثْوِينِ وَالْزَلَ جُنُودًا لَوْتَرُوهُ كَاوَعَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَسِّدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَلَ أَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيثٌ ۞ ﴾

المفردات :

حشين، واد بين مكة والطائف، حدثت فيه المعركة التي نسبت إليه وكانت عقب فتح مكة.

رحيت؛ أي: برحبها وسعتها، والباء ذيه بمعنى: «مع».

سكينته؛ رجمته التي تسكن عندها النفوس.

التفسيره

٥٧ - لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَايِرَةِ ...

بين الله في آيات سابقة فضل الجهاد ، وحث عليه وبين في هذه الآيات أنه سيحانه عوَّدهم النصر حين يخلصون في جهادهم .

و المعنى : لقد نصركم الله أيها المؤمنون في مواقع كثيرة ؛ كيدر وقريهاة والنضير والحديبية وهيبر ومكة : وذلك لأنكم نصرتموء بصدق جهادكم فهياً لكم ثمار النصر

قال مجاهد : هذه أول آية نزلت من (براهة) هذكر الله تعالى فضله عليهم ، وإحسانه لديهم في نصره إيامم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله 義 وأن ذلك من عنده تعالى ويتأييده وتقديره ، لا يعدهم ولا يعدهم ، ونبههم على أن النصر من عنده ، سواء قال الجمع أو كثر ، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا ، فولوا مدبرين إلا القليل منهم ، مع رسول الله 魏 ، ثم آنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه ؛ ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده ، ووإمداده وإن قال الجمع : كُم من شِهَ قَلِيلةً فَفَلَت كُمرةً بِإِفْنَ اللّه وَاللّهُ مَعْ آلَسُدْبِينَ . (البقرة : ۲۵۲). وَهُوْمَ خُنَيْنِ إِذْ أَعْجَبَتُكُمْ كَثُولَكُمْ قَلَمْ تُعْنِ عَنكُمْ فَيقًا .

أى: ويتمسركم يوم حتين مع ألكم قصرتم فيه إذ أعجبتكم كثرتكم ، حتى قال بعض المسلمين: (أن نهزم اليوم من قلة) وكان عبد المسلمين (١٧) للنبي عشر ألفًا، عشرة ألاف من المسلمين الذين فتحوا مكة، و وألفان من الطلقاء، أي: من أهل مكة الذين أسلم كلير منهم وعضا عنهم النبي ﷺ وقال لهم: النهبوا فأنتم الطلقاء وكان فيهم بعض المشركين.

واتكل المسلمون على قوتهم فى ميدإ الأمر ؛ فانهزموا ، ثم لما عدلوا عن غرورهم ، وتضرعوا إلى ربهم كان النصر حليفهم .

أضواء من التاريخ على وقعة حنين

کانت هوازن قوة کبیرة بعد قریش ، وکانت تنافسها ظما بلغها فتح مکة ؛ نادی سیدهم مالک ابن عوف النصری بالمرپ ، وهو من بنی نصر بن مالک .

والتقى الجيشان فاقتطوا قتالاً شديدًا ، فانكشف المسلمون منهزمين ، حتى قال أبو سفيان بن حرب، لا تنتهى هزيمتهم دون البحر .

وقال أخ لصفوان أبن أمية : الآن بطل السحر، فقال له صفوان وهو على شركه :

اسكت فض الله قاك ، والله لأن يحكمني رجل من قريش غير من أن يحكمني رجل من هوازن .

وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ ثُمَّ وَلَيْهُم مُّدْبِرِينَ .

أي : إن كثرتكم لم تنفعكم شيئًا من النفع في أمر العدو ؛ بل انهزمتم أمامه في أول الأمر ، وضاقت في وجوهكم الأرض مع رهابتها وسعتها ، فقد هيلً إليكم أن رهابها أغلقت في وجوهكم ، فلا تجدون فيها موضعًا تطمئتون فيه وتابتون كما قال الشاعر :

على الخائف المطلوب كفة حابل

كأن بالإدالة رهى عريضة

ثُمْ وَلَيْتُم مُدَّبِرِينَ .

ثم انصرفتم من وجه العدو متقهقرين لا تلوون على شيء.

لقد صورت الآية الكريمة ما حدث من المؤمنين في غزوة عنين ، تصويرًا بديعًا معجزًا .

فهى تنتقل من سرورهم بالكثرة ، إلى تصوير عدم نفعهم بيذه الكثرة ، إلى تصوير شدة هوفهم حتى لكأن الأرض على سعتها تضيق بهم ، وتقفل فى وجوههم ، إلى تصوير حركاتهم الحسيّة ، فى تولية الأنبان و النكوس على الأعقاب .

٢٧- ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُوْمِينَ .

ثبت رسول الله ﷺ على بقلته ثبات الواقع حين يقع ، وثبت نفر من المؤمنين قرابة مائة .

أى: أنزل الله طمأنينته وثباته على رسوله ، وكان فى حاجة إلى مده الطمأنينة ؛ فهو مع ثباته وخجاعته ، ويقوفه فى وجه الأعداء كالطور الأشم : أصنابه الحزن والأسى ؛ لقرار هذا الحدد الكبير من أصحابه .

وكان المؤمنون الذين ثبتوا معه في هاجة إلى هذه السكينة : ليزدادوا ثباتًا مع ثباتهم ، وكان الذين فرُّرا في هاجة إلى هذه السكينة : ليعرد إليهم ثباتهم فيقبلوا على قتال أعدائهم بعد أن دعاهم رسول الله إلى ذلك .

وأمر النبى العباس – وكان جهورى الصوت – أن ينادى بأعلى صوت : يا أصحاب بيعة العقبة ، يا أصحاب بيعة العقبة ، يا أصحاب بيعة العقبة ، يا أصحاب بيعة الشجرة ، قالوا جميعًا : لبيك لبيك ، ونادى رسول الله ﷺ : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، قبالة المسلمون ، وأحذ النبى قبضة من التراب ودعا ربه، واستنصره قائلاً : «اللهم أنجز لى ما وعدتنى» ثم رمى بالتراب فى وجوه القرم ، فما يقى إنسان إلا أصابه منها فى عينه وقمه ما شفله عن القتال ، ثم انهزموا فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسون ، ثم جاءوا بالأسرى بين يدى رسول الله ﷺ .

وكان السبى ستة آلاف رأس ، والإيل أربعة وعشرين ألفًا ، والفتم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية نضة ، وكانت تلك أكبر غنيمة غنمها للمسلمين (٣٠٠ .

وُأَوْلُ ۚ جُنُونًا لَّمْ مُرْفِطًا . أي : أنزل ملائكة تكثر سواد المسلمين وتقبتهم ، وتلقى الرعب في قلوب المشركين ؛ عتى طارت قلوبهم فزعًا وخوفًا ، وتبعهم المسلمين يقتلون ويأسرون .

وَعَلَّابَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَلْفِرِينَ .

أى: أنزل بالكافرين الهزيمة والقتل والجرح والسبى وغنيمة الأموال ، روى أن عليًا رضى الله عنه قتل بيده أربعين رجلاً في هذه الغزية وذلك غير ما فعله سواه من المقاتلين .

وَذَلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَالِمِيانَ .

أي : وذلك الذي نزل بهوُّلاء الكافرين من التعذيب ؛ جزاء لهم على كفرهم ؛ وصدهم عن سبيل الله .

٢٧- ثُمَّ يَعُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْد ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

أى : ثم يتجاوز الله بعد هذا التعذيب الذي حدث في الحرب ، على من يشاء من الكفار .

يعتى : ومع كل ما جرى عليهم من الخذلان ، فإن الله تعالى قد يتوب على بعضمهم ، بأن يزيل عن قلبه الكفر، ويهديه إلى الإسلام .

من كلام المفسرين

قال ابن کثیر:

وقوله : ثُمَّ يُقُوبُ ٱللَّهُ مِن يَعْدِ ذُلِكَ مُكِنَّ مَن يَشَاءُ ... قد تاب الله على بقية هوازن فأسلموا ، وقدموا على رسول الله مسلمين ، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة ، وذلك بعد الواقعة بقريب من عشرين يوماً : فعند ذلك خيرهم بين سبيهم وأموالهم : فاعتاروا سبيهم ، وكانوا سنة آلاف أسير ، ما بين صبى وامرأة فرده على من المثالم الله أسير ، ما بين صبى وامرأة فرده عليهم، وقسم الأموال بين الفائمين ، ونظر أناسًا من الطلقاء ؛ لكى يتألف قلوبهم على الإسلام ؛ فأعطاهم مائة من الإبل، وكان من جملة من أعطاهم مائة من الإبل : مالك بن عوف النصرى واستعمله على قدمه الله ...

وأهيرًا فإن هذه الآيات قد نكّرت المسلمين بجانب نعم الله عليهم ، وأرشدتهم إلى أنَّ النصر لا يتأتى لمن أعجبوا بكثرتهم ، فانشفلوا بها عن الاعتماد عليه سبحانه ، إنما النصر يتأتى لمن أخلصوا لله فى السر والعلانية ، وياشري الأسباب التي شرعها الله تعالى ؛ للوصول إلى الفوز والتلفو.

قال الإمام ابن القيم:

المتتح الله تعالى غزوات العرب بغزوة بدر ، وهتم غزوهم بغزوة حدين ؛ لهذا يقرن بين هاتين بالذكن فقال : بدر وحدين وإن كان بينهما سبع سنين ... وبهاتين الغزوتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين ، فالأولى : خوفتهم وكسرت من حدّتهم ، والثانية : استفرغت قواهم ، واستنفذت سهامهم ، وأذلت جمعهم : حتى لم وجدرا بدًّ من الدخول في دين الله (٥٠٠). ﴿ يَتَانَّهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ فَحَسُّ فَلَايَقَ رَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَسَنَذَاً وَإِنْجِفْتُمْ عَيْمَةَ فَسَوْفَ يُقْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاتَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ حَكِيمٌ ۞﴾

المفرداتء

تجس ، العراد بنجاستهم : خيث باطنهم فكأنهم عين النجاسة ؛ لشدة خيثهم وكراهتهم للإسلام والمسلمين. مهلة ، فقرًا .

التفسيره

٣٨ - يُكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ إِلَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ لَجَسَّ فَلاَ يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْمَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَلَا ... الآية

قال الشوكاني في فعج القدير:

المراد : نجاسة الشراه والطّلم ، والأملاق والمادات السيقة ، والكافرليس ينجس الذات؛ لأن الله سبحانه أحلُ طعامهم ، وثبت عن النبي ﷺ أنه أكل في آنيتهم ، وشرب منها ، وتوضاً فيها ، وأنزلهم في مسجده .

والمراد بالمشركين في رأى الأكثرين : هم عباد الأوثان . وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن نكاح المشركات ، وإنكاح المشركين .

فَلاَ يَقْرَبُواْ ٱلْمُسْجِدُ ٱلْحَرَامَ يَعْدُ عَامِهِمْ هَذَا.

أى: لا يدخلوا الحرم المكن ومنه المسجد الحرام ، ولو لمج أن عمرة ، فليس لهم أن يحجِرا أن يعتمروا، والنهي وإن كان موجهًا إلى المشركين ، إلا أن المقصود منه : نهى المؤمنين عن تمكينهم من ذلك .

يُعَدُ عُلِهِمْ هَمُنَا . سنة تسع للهجرة ، وهي السنة التي حج فيها أبو يكر على الموسم ، فيمتعون منَ دخوله ابتداء من سنة عشر للهجرة .

قال ابن كثير :

وأمر الله عباده المؤمنين الطاهرين بينًا وناتنًا ، بنفى المشركين الذين هم نجس دينًا ، عن المسجد الحرام ، وألاَّ يقريوه بعد نزيل هذه الآية ، وكان نزولها في سنة تسع ، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليًّا صحبة أبي بكر رضى الله عنهما ، عامقة ، وأصره أن ينادي في المشركين : أن لا يحرج بعد هذا العام مشراك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، فأتم الله ذلك ، وحكم به شرعًا وقدرًا» .

و خلاصة المعنى:

يا أيها الذين آمنوا ، لا تمكنوا المشركين من آداء مناسك الحج والعمرة ، بعد عامهم هذا ؛ حتى لا يحج البيت إلا من يرحدً الله ريمجده روحده دون سواه .

وَإِنْ عِفْتُمْ عَيْلَةً فَسُوْفَ يُعْيِكُمُ ٱللَّهُ مِن فَعَنْلِهِ إِن شَآءً إِنْ ٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

أى: وإن هفتم أيها المسلمون فقرًا بسبب قلة جاب الأقوات ، وأنواع التجارات التي كان المشركون يجلبونها : فاطمئنوا فسوف يفنيكم الله من فضله بوجوه أخرى، وييسر لكم موارد المعيشة ، والأرزاق والمكاسب: إن الله عليم بأحوالكم ، حكيم بما يشرعه لكم من أمر ونهى ، وهو أيضًا حكيم فيما يعطى ويمنع لأنه الكامل في أفعاله وأقواله ، العادل في حكمه وأمره تعالى .

وهذا إغهار عن غيب في المستقبل ، وقد تحقق الغير ، وأنجز الله رعده ؛ فأرسل السماء عليهم مدرارًا، ووفق أهل اليمن وجرش وغيرهم فأسلموا ، ومساروا يحملون الأطعمة إلى مكة ، وأسلم المشركون أنفسهم ؛ وجادت الثروات والغيرات من كل مكان ، ثم قتح الله عليهم البلاد والفنائم ، وتوجه إليهم الناس من أطراف الأرض قاصيها ودانيها .

من أحكام الأية ما يأتي

١ - قال العلامة أبر السعود: الصحيم أن الشافعية والمالكية يحرمون دخول الكفار جميع المساجد، أ هـ،

وقد أباح المنفية للكافر دخول المساجد كلها في الحرم وغيره ، لحاجة أو لغير حاجة : لأن المقصود بالآية النهي عن حج المشركين واعتمارهم ، فلا يمنع اليهود والتصارى ، من دخول المسجد الحرام ولا غيره ، ولا يمنع دخول المسجد الحرام إلا المشركين وأهل الأوثان .

 ٢ -- في هذه الآية دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافى في ذلك التوكل، وإن كان الرزق مقدًرا، ولكن الله علقه بالأسباب ؛ لمعل الناس، على العمل، والسبب لا ينافى التوكل، بدليل ما أهرجه البضاري من قوله ﷺ: ولن توكلتم على الله حق التوكل ؛ لرزقكم كما يرزق الطير تفدي همامًا وتروح حداثًا، ٢٠٠٠.

أي: تادو بكرة وهي جياع، وتروح عشية وهي ممتلئة الأجواف والبطون.

المقردات:

السبع سريسة: هي ضريبة لنا على أهل الكتاب ؛ جزاء حمايتهم وحقن دمائهم.

مِن يدوهم ساهرون ، أي : عن يد مواتية منقادة وهم خاضعون .

يشب اهب شبوق: المضاهأة والمضاهات: المشابهة.

أنبي يقشكون، كيف يصرفون عن المق إلى الباطل.

التفسيره

٩ ٧ - قنطُواْ الَّذِينَ لاَ يُوْمِنُونَ يَاللَّهُ وَلاَ يَالَيُومَ الآخِيرِ وَلاَ يُحْرَّمُونَ مَا حُرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَعِينُونَ هِينَ الْمَحَّى مِنَ اللّذِينَ أُولُواْ الْكَصَلْبَ ... الآية

يأمر الله تمالى المؤمنين في هذه الآية بقتال أهل الكتاب ، بعد ما أمرهم من قبل بقتال المشركين ، ومنمهم من قرب المسجد الحرام بمج أن عمرة .

والفاية من قتال أمل الكتاب في هذه الآية: هي اعترافهم بالدين الحق ، وعدم إلزامهم بالدخول فهه:
والاكتفاء بالتصالح معهم ؛ ليستوطئوا في دار الإسلام بأمان وسلام ، مع إخضاعهم لأحكام الإسلام
المدنية والجزائية ، وما عدا ذلك فإنا أمرنا بتركهم وما يدينون به في عباداتهم وطئونهم ، مع أخذ الجزية
منهم جزاء حصايتهم ، وتوفير الأمن والأمان لهم ، ويصبحون عند ذلك من أمل الذمة والعهد ٢٠٠٠

قال ابن كثير:

وهذه الآية أبل أمر نزل يقتال أهل الكتاب – اليهود والنصاري – وكان ذلك سنة تسع ؛ ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ، ودعا الناس إلى ذلك ، وأظهره لهم ، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة ، فنديهم فضرجوا معه ، واجتمع من المقاتلة تحو ثلاثين ألفًا ، وتطلف بعض الناس من أهل العدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم ، وكان ذلك في عام جنب ، ووقت قيط وحر ، وخرج رسول الله ﷺ ، يريد الشام لقتال الروم ، فبلغ تبوك ونزل بها ، وأقام بها قريبًا من عشرين يومًا ، ثم استشار الله في الرجوع ، فرجع عامه ذلك : لضيق المال ، وضعف الناس ... (٥٠٠ على الله على الله عند الله عند الله على الله عند الله على الله على

والمعنى: قاتلوا ألما الكتاب إلى أن يستسلموا ويدفعوا الجزية ، عن مقدرة عليها منهم ، وفى نفس الواتت عن عرفان منهم يمقدرة المسلمين وكفاءتهم ؛ وخلاحظ أن الآية بينت أسباب قتال ألهل الكتاب وهى كلافة أسباب :

١ – عبرت عنهم بأسم الموصول فقالت :

قَاعِلُواْ ٱلَّذِينَ لاَ يُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلاَ بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ...

وأمل الكتاب يدُّعون أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر، لكنهم ادعوا أن لله ولدًا ، وادعوا أن الله ثالث ثلاثة.

جاء في حاشية الجمل على الجلالين:

إن إيمانهم باليوم الأهر ليس كإيمان المؤمنين ، وذلك لأنهم يمتقدون بعث الأرواح دون الأجساد ، وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها ، ولا يشربون ولا يتكمون ، ويرون أن نعيم الجنة وعذاب النار، معان روحية فقط كالسرور والهم، فهم لا يؤمنون بحياة مادية كاملة في عالم الأشرة، وهذا مناف لما أشبر به القرآن، ومن أذكر البعث الجسماني ؛ فقد أذكر صريح القرآن "".

٢ - وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ .

فهم لا يحرمون ما حرمه موسى وعيسى ، عليهما السلام بل حرَّفوا التوراة والإنجيل ، وشرعوا. لأنفسهم أحكامًا تشالف أصل دينهم .

فترى اليهود يستطون أكل أموال الناس بالباطل.

قال تمالى : وَأَخْلِهِمُ ٱلرَّبَوْا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَٱكْلِهِمْ أَمْوَالُ ٱلنَّاسِ بِٱلْمِنْطِل . (النساء : ١٦١) .

والنصاري استباحوا ما حُرم عليهم في التوراة كالشحوم والغمور ، وقد استملؤا الرهبانية ، وفسق بعضهم بها عن حكم الله وهدايته . قال تعالى: فَمُ قَفِّنَا عَلَى عَافَدِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفِّنا بِعِسَى آبَنِ مَرْيَمَ وَعَانِشَهُ آلإِنجِلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ اللَّهِنَ الْتَعُوهُ وَأَلْمَةً وَرَحْمَةً وَرَهُبَالِهُ آلِتَعَنَّوهَا مَا كَتَشَاعُا عَلَيْهِمْ إِلاَّ الْبِعَنَاءَ وِشُوا نِ اللَّهِ فَمَا رَعُوهَا حَقَّ وِعَلَيْهَا فَالْبَنَا اللَّهِنَ عَامَتُواْ مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ تَنْهُمُ فَلَسِلُونَ ، (الحديد: ٢٧).

٣ .. وَلاَ يَدِيثُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ .

أم: الدين الثابت الناسخ لجميم الأديان وهو دين الإسلام.

قال تعالى: ٱلْيُوْمَ ٱكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَٱلْمَمْتُ عَلَيْكُمْ لِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَلْمَ دِينًا . (المائدة: ٣).

وقال تعالى : وَمَن يَنْتَعَ هُيْرَ ٱلإسْلَسْمَ دِينًا فَلَن يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِن ٱلْخُلْسِرينَ . (ال عمران : ٨٥).

ويصح أن يكون المراد بدين الحق : ما يشمل دين الإسلام ، وغيره من الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء السابقون . أى : ولا يدينون بدين من الأديان التي أنزلها الله على أنبيائه ، وشرعها لعباده ، وإنما هم يتبعون أحيارهم ورهبانهم فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم (^).

مِنَ ٱلَّذِينَ أُونُواْ ٱلْكِعَابَ.

أي : الذين أعطاهم الله التوراة وهم اليهود ، أو الإنجيل وهم النسارى .

والمراد بالكتاب: جنسه الشامل للتوراة والإنجيل . أي : قاتلوا من أعطاهم الله التوراة والإنجيل عن طريق موسى وعيسى ، ولكنهم لم يعملوا بتعاليمها ؛ وإنما عملوا بما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم ، والمقصود بقوله : مِنَّ اللَّهِنَ أُوتُواً ٱلْكِنْدَبُ تميزهم عن المشركين عبدة الأوثان في الحكم ؛ لأن عبدة الأوثان في بلاد العرب يغيُّرون بين أمرين الإسلام أو القتال .

أمًا أمل الكتاب فإنهم يخيِّرون بين ثلاثة أشياء: الإسلام ، أو القتال ، أو الجزية .

والجزية : كلمة فارسية هي (كزيت) ؛ وكانت نظامًا معمولاً به عند الفرس وغيرهم .

وقد عمل به الإسلام ؛ لمن أراد البقاء على دينه من أمل الكتاب ؛ فأعفاه الإسلام من دخول الجيش أو للدفاع عن الدولة ، حيث إنه لا يعتقد بعقيدة الإسلام ، فأعفاه الإسلام من الاشتراك في الجندية ، وأُهَذ منه ما يشبه البدل النقدي قلدي يردَّها من بعض المتخلفين عن الخيمة في الجيش في هذه الأبام . وقد اشترط الإسلام على المسلمين حماية أهل الذمة ، والدفاع عنهم مقابل أخذ الجزية ، فإذا لم يستطم المسلمين الدفاع عن أهل الكتاب ؛ ربّوا عليهم الجزية .

وقد فعل ذلك حائد بن الوايد حين شُغل بالقتال ، عن الدفاع عن بعض أمل الكتاب فردٌ عليهم الجزية. وقال : إنما أهدننا الجزية جزاء همايتكم والدفاع عنكم ، فإذا شُغلنا عنكم رددنا الجزية لكم ، فاعترف أهل الكتاب له بالشكر ويحسن المعاملة .

حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَلْغِرُونَ .

أي: أن الفاية من قدال أهل الكتاب ، هو اتفاقهم مع المسلمين ، والاعتراف لهم بحقّهم ، وإن لم يدخلوا في الإسلام : فإذا دخلوا مع المسلمين في معاهدة ، أصبحت لهم ذمة الله ورسوله ؛ ولذلك كانوا يسمّون : أهل الذمة : أي : أهل المعاهدة .

وإذا أسلموا سقطت عنهم الجزية باتفاق الفقهاء؛ لما رواء آحمد وأبر داود والبيهقى والدارقطني : عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : طبس على مسلم جزية» (١٠٠٠ .

وفي رواية للطيراني : عن ابن عمر «من أسلم فلا جزية عليه» (١٠٠).

ملحق بتفسير الآية

جاء في النفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ص ١٩٨٩ ما يأتي :

معنى : عَن يَدِ وَهُمْ صَلْغِرُونَ .

- (أ) اليد هنا يحتمل أن تكون كناية عن الاستسلام والانقهاد ، أي : حتى يعطوا الجزية عن هضوع وانقياد وطاعة.
- (ب) ويحتمل أن تكون كناية عن الدفع نقدًا بدون تأجيل ، أي : حتى يعطوها نقدًا بدون تسويف أو تأخير .
- (ج) ويحتمل أن تكون بمعنى: الغنى ، ولذلك ثم تجب على الفقير الماجز من أهل الكتاب والمعنى: حتى
 يدفعوا الجزية عن مقدرة منهم على دفعها ، مع الاعتراف للمسلمين بالسيادة .

وهذه المعانى الثلاثة إذا أريد باليد: يد الكتابى، أمّاً إذا أريد بالبد: اللهد الأخذة وهي يد الحاكم المسلم: ففي هذه الحالة يكون معناها : القرة والقهر والطبة والحماية .

أى: حتى يعطوها للمسلمين عن يد قاهرة مستواية ؛ وهى يد المسلمين ، أو حتى يعطوها للمسلمين عن يد من المسلمين . أي : إنمام من المسلمين عليهم ؛ لأن قبرل الجزية منهم وترق أرواههم لهم نمعة عظيمة ⁶⁰ . وجاء في تفسير سورة التوبة للدكتور محمد سيد طنطاوي ما يأتي :

وَهُمْ صَلِهُرُونَ : وهم خاضمون لولايتكم عليهم ؛ وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أن معنى : وَهُمْ صَلِهُرُونَ أَنْهُم يَرُدُونَها في ذلة والكسار ومهانة .

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وَهُمْ مَسْافِرُونَ .

ترُخذ منهم على المنفار والذلُّ ، وهن أن يأتى ينفسه ماشيًا غير راكب ، ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ، وأن يتلتل تلتلة ، ويرُخذ بتلابيبه ويقال له : أدُّ الجزية ، ويدفع في قفاه ⁽⁴⁰⁾ .

و قال السيوطى : استدل يقوله تمالى : رُهُمْ صَـَّمُرُونَ من قال : إنها تؤخذ بإمانة بأن يجلس الآخذ : ويقوم للذمنَ ويطأطير رأسه ، ويحنى ظهوبه ... إلخ .

وقد رد الإمام ابن القيَّم على هذا القائل بقوله : هذا كلَّه مما لا دليل عليه ، ولا هو من مقتضى الآية: ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه .

والمدواب في الآية : أن المنَّفار هو التزاميم يجريان لَحكام الله عليهم وإعطاء الجزية فإن ذلك هو. المنفار ، ويه قال الشافعي (٠٠٠) .

ونرى أن كلام الإمام ابن القيم أقرب إلى المعقول والمنقول؛ ويتفق مع عدالة الإسلام وسماحته ورحمته بالناس أجمعين خاصة ونحن في زمن صار العالم كله قرية واحدة ، وممار بعضهم يدّعى الدفاع من حقوق الإنسان ، وديننا مو الذي كرم إنسانية الإنسان ؛ فقد خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملاككة ، واستخلفه في إعمار الأرض ، وقال سبحانه : وَأَشَّدُ كُرِّ مَا يَنِّي ءَادَمُ .

مقدار الجرية

لم يحدد القرآن مقدار الجزية ، وقد المثلف الفقهاء في تقديرها .

(1) قال الشافعي: هي في السنة دينار على الغني والفقير من الأحرار البالغين ، وإن صواحوا على أكثر من
 دينار ؛ جاز لهم وترخذ في آخر السنة ١٩٥١.

(ب) وقال المالكية: إنها أربعة بنانير على أهل الذهب؛ وأربعون برهمًا على أهل الفضَّة ، الفتى والفقير سواء.

(جـ) وقال الحفية : ١٧ درهمًا على الفقراء الذين لهم كسب ، ٢٥ درهمًا عى الأوساط ، ٨٥ درهمًا على الأغنياء ؛ وترُهد هي أول السنة ، ولا ترُهد من فقير لا كسب له ٥٠٠٠ .

ولحلك بالتأمل ترى أن الجزية عطاء مرتبط بقوة المسلمين ، وقدرتهم على حماية أهل الكتاب والدفاع عنهم .

هذا أمر متغيّر متقلب، ونسبة الجزية تتأثر بمدى قوة المسلمين ومدى ضعف الأخرين. وريما كان من المناسب أن نقول: إنَّ مقدار الجزية يترك تقديره إلى كل حالة بما يناسبها، أو إلى تقدير أهل الحلَّ والعقد.

وتقدير الحنفية أقرب إلى روح العصر : لأنها تراعى حالة الكتابيّ من الفقير أو الفنى وترّخذ منه حسب حالته.

من أحكام الآيـة

ذكر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى فى تفسير سورة الثوبة : أن العلماء قد أخذواً من هذه الآية الأحكام الآنية :

ا — إن هذه الآية أصل في مشروعية الجزية ، وأنها لا ترُخذ إلا من أهل الكتاب عند كثير من الفقهاء: لأن أمل الكتاب هم الذين يخبرون بين الإسلام أو القتال أو الجزية ، أما غيرهم من مشركي العرب فلا يخبرون إلا بين الإسلام أو القتال.

قال القرطبي ما ملخصه :

وقد لفتلف العلماء فيمن تؤخذ منه الجزية : قلال الشافعي : لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب هاصة. عربًا كانوا أن عجمًا : لهذه الآية : فإنهم هم الذين خصوا بالذكر فتوجه الحكم إليهم دون من سواهم : لقوله تعالى : في شأن المشركين : فَأَقْتُلُواْ أَلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجُلْتُمُوهُمْ . ولم يقل : حتى يعطوا الجزية كما قال في أهل الكتاب .

وقال الشافعي : وتقبل من المجوس لحديث وسنّوليهم سنة أهل الكتاب» أي : في أخذ الجزية منهم .

وبه قال أحمد وأبو ثور: وهو مذهب الثورى وأبى حنيفة وأصحابه.

وقال الأوزاعي : تؤهد الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب.

وكذلك ملعب مالك: فإنه يرى أن الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد، عربيًا أو عجميًّا، تغلبيًا أو قرطيًّا، كاثنا من كان إلا المرتد (١٩٠٠). Y – إن أخذ الجزية منهم إنما هو نظير ما يتالهم وكلنا عن قتالهم ، ومساهمة منهم فى رفع شأن الدولة الإسلامية التى أمنتهم وأموالهم وأعراضهم وممتقداتهم ، ومقدساتهم .. وإقرار منهم بالخضوع لتعاليم هذه الدولة وأنهم متى التزموا بدفعها ؛ وجب علينا حمايتهم ، ورعايتهم ، ومعاملتهم بالعدل والرفق والرحمة .

وفي تاريخ الإسلام كثير من الأمثلة التي تؤيد هذا المعني ، ومن ذلك ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف أنه قال في خطابه لهارين الرشيد : موينبغي يا أمير المؤمنين – أيدك الله – أن تتقدم في الرفق بأمل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ – والتقد لهم : حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم ؛ فقد روى عن رسول الله ﷺ . أنه قال : ممن غلم من أمتى معاهدًا أن كلفه فوق طاقته ؛ فأنا حجيجه» .

وكان نيما تكلم عمر بن الخطاب عند وغاته : أرممى الخليفة من بعدى بذمة رسول ش ﷺ . أن يوقى لهم بعيدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم ٩٠٠ .

وجاء في كتاب «أشهر مشاهير الإسلام»:

وأن جيوش التتار، لما اكتسمت بلاد الإسلام من حدود الصين إلى الشام ، ورقع في أسرهم من وقع من السلام من الله المسلمون شركة التتار ودان ملوكهم بالإسلام ، خاطب شيخ الإسلام المسلمون شركة التتار ودان ملوكيم بالإسلام المن التعدد المسلمون أبى أن يسمح بأهل الذمة ، فقال له شيخ الإسلام : لابد من إطلاق جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرًا لا من أهل المنة ، ولا من أهل المنة ، ولم الذمة ، فأطلابهم له أ⁰⁰.

وجاء في كتاب «الإسلام والنصرانية» للأستاذ الإمام محمد عبده ما ملخصه :

«... الإسلام كان يكتفى من الفتع بإدهال الأرض المفتوحة تحت سلطانه ، ثم يترك الناس وما كانوا عليه من دين . ثم يكلفهم بجزية يدفعونها : لتكون عرباً على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم، عليه من ديارهم، عماناتهم وعدذلك أحراراً ، لا يضايقون في عمل ، ولا يضامون في معاملة.

خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام العباًد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامح والأديرة للعبادة ، كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والأطفال وكل من لم يُعن على القتال.

جادت السنة بالنهى عن إيداء أمل الذمة ، ويتقرير ما لهم من المقوق على المسلمين ، ولهم ما لنا وعليهم ما عليناء و دمن آدى ذميًّا فليس مناء . واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الإسلام . واست أيالى إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الأحكام عندما بدأ الضعف في أيناء الإسلام فضيق الصدر من طبع الضعيف .

ثم قال: أما المسيحية فترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أمله ، وتخصمه دون الناس بضروب من المعاملة لا يحتملها الصبر مهما عظم ، حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم – بعد المجزعن إخراجهم من دينهم – طردتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استرلت عليها أمة مسيحية استيلاءً حقيقيًّا .

ولا يمنع غير المسيحى من تعدى المسيحى إلا كثرة العدد أن شدة العضد ، كما شاهد التاريخ ، وكما يشهد كاتبوء .

ثم قال: فأنت ترى الإسلام يكتفى من الأمم والطوائف التى يغلب على أرضها ، بشىء من المال ، أقل مما كانوا يردونه من قبل تغلّبه عليهم ، وبأن يعيشوا فى هدوء ، لا يعكرون معه صفو الدولة ، ولا يطلُّون بنظام السلطة العامة ، ثم يرخى لهم بعد ذلك عنان الاختيار فى شئونهم الخاصة بهم ، لا رقيب عليهم فيها سوى ضمائرهم .

• ٣- وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ آبَانُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... الآية

فى هذه الآية وما بعدها يكتلف الله سبحانه عن النُّفِه التي وردت على أهل الكتاب ، فأنسدت عليهم دينهم: وأمطلتهم فى مداخل المشركين أن الكافرين، فوصفوا بقوله تمالى فى الآية السابقة : وَلاَ يَامِيُونَ فِينَ آلْحَقُ،

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ .

ذلك أنه مر على قرية قديمة ، قبورها دارسة ، وقد عمَّها الممت والسكون والموت ؛ فقال : أَنَّيَا يُحْيَ مُلَاهِ اللَّهُ يُفَدَّ مَرْتِهَا قَائِمَاتُهُ اللَّهُ مِثْلَامُ الرَّامُ اللَّهِ عِنْدَاللَّهُ عِنْدَ اللّه مُلَاهِ اللّهُ يُفَدَّ مَرْتِهَا قَائِمَاتُهُ اللّهُ مُؤْتُمَاتُونُ مُنْقِقًا .. فلما رأَه اللّهِ فِيد ؛ قالوا : عزيزٌ ابن اللّه ؛ لأن اللّه يعقه بعد موقد،

وقيل: إن التوراة قد شناعت أيام الأسر البابلي، مقما عداد الههود من الأسر، وأعادوا بداء الهيكل: لم يجدوا التوراة ، وكان عزير أو عزرا قد ملاً الله صدره نورًا ؛ فإذا التوراة محفوظة في قلبه ، تجرئ كلماتها على اسانه . ثم جمع أحبارهم وأملى عليهم التوراة من حفظه ؛ وحدت بعد هذا أن عثروا على التوراة الفماتعة، فقارتوا بها ما أملاه عزرا فإذا هي هي، فكان عندهم عزرا كاتنا علويًّا سماويًّا فنسبوه إلى الله وجعلوه ابنًا له.

والمحققون من المؤرخين يقولون : إن عزيزًا (عزرًا) ، جمع محفوظات من صدور القوم ؛ ومن أوراق متناثرة وسماها : التوراة ، ولا يوجد دليل على أنها طبق الأصل ؛ فإن الأصل مفقود ، كما أن فيها وصف الله بما لا يليق به ، كالندم والضعف أمام إسرائيل ، وغير ذلك مما يقطع بوضعها "".

وقال السيد وشيد رضا في تفسير المنار :

جاء فى دائرة المعارف اليهودية الإنكليزية – طبعة ١٩٠٢ – أن عصر عزرا هر ربيع للتاريخ المِلَّى للههودية ، الذى تفتحت فيها أزماره ، وميق شنا ورده ، وأنه جدير بأن يكين من ناش الخريمة .

وَقَالَت ٱلنَّصَلْرَى ٱلْمُسِيحُ آبَنُ ٱللَّهِ.

أى : أن النصارى قالوا فى المسيح عيسى ابن مريم ما قالته اليهود فى عزير ؛ فقد قالوا : إنه ابن الله، وشبهتهم فى ذلك أن المسيح قد واد من رحم امرأة دون أن تتصل برجل .

وقد نُمنًّد القرآن القول في ذلك في سورة مريم ، وآل عمران وغير ذلك من السور ؛ فالمسيح قد خلق بقد ة الله ، وأراد الله أنز يحمل منه أية على هذه القدرة .

فقد خلق الله آمم من غير أب ولا أم ، وهلق حواء من أب دون أمّ ، وخلق المسيح من أم دون أب ؛ قال تمالي : إنَّ مَلَوَ عَيِسَىٰ عِندَ آللَّهُ كَمَعْلُ عَلَمَ مَلْقَهُ مِن تُرَابِ ثُمِّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . (ال مدران : ٩٥) .

وقد ردَّ الله على النصارى وناتشهم ، وبحض حجتهم في آيات كثيرة . أحيانًا حاكمهم إلى العلل فيين أن المسيح يشرجعله الله رسولاً ، وما يتيفى ليشر أن يرسله للله ثم ينحى هذا البشر الألوهية ويطلب من الناس أن يعيدوه هو : بل يتيفى للرسول الأمين ، أن يدعو الناس إلى عبادة الله ربّ الجميع .

قال تعالى : مَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُوْتُهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتُابَ وَالْحَكُمُ وَٱلْفُوْةَ أُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ هِبَادًا لَى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَنَّدِيْسَ بِمَا تُعَمِّمُ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتْلَبِ وَبِمَا كُعْمَ تَلْوُسُونَ . (ل حدون : ٧٧) .

وأحيانًا خاطب العقل مع العاطقة والوجدان مثل قوله تعالى:

وَقَالُواْ اَتَحَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿ لَقَدْ جِعْمُ هَيْمًا إِذًا ﴿ فَكَادَ السَّمَـٰوَاتَ يَفَقَرُنَ مِنْهُ وَتَعَدَّى اَلْأَرْضُ وَتَعَرَّ الْجِبَالُ هَذًا ﴿ أَن دَعَوْمُ اللرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿ وَمَا يَمْنِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَعْجِلُ وَلَذَا ﴿ إِنَّ كُلُّ مَ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ عَلِي الرَّحْمِدُنَ صَلَيَا ﴿ لَقَدْ أَحْمَدُهُمْ وَمُلَا وَ تُكُلُّهُمْ عَلِيهِ يَوْمَ الْقَيْمَةِ فَرْفًا ﴿ (ربوء ٨٨ - ٩٥) .

كذلك فإن المسيح أعطاء الله معجزات تؤيد رسالته مثل إبراء الأكمه والأبرس وإحياء الموتى بإذن الله ، فقالو) : إن المسيح ما كان يستطيع أن يفعل ذلك إلا لأنه ابن الله .

وهي القرآن : أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدْ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَلْحِةٌ وَخَلَق كُلُّ هَيْءٍ ... (الأنعام : ١٠١) .

أي: كيف يكون لله ولد مم أنه لا زوجة له ٢٦

وجهلوا أن ميلاد عيسى كان بأمر الله : قَالَ كَلَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هُيِّنَ وَلِمِجْعَلُهُ ءَايَةٌ للنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مَنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْعَمْنًا . (مديد: ٢١) .

كما أن معجزات عيسى لتأييد نبرّته : كان شأنها كشأن معجزات الأنبياء السابقين ، كناقة صالع , وعصا موسى : هي بمثابة تصديق الله له في دعواء الرسالة .

ذَلِكَ قُولُهُم بِأَقُو هِمْ . أى : هو قول يلقى على عواهنه : مجرد كلام ، لم يحتكم فيه إلى عقل أو منطق.. إنه كلام .. لا أكثر ليس بينه وبين الحق نسب .

قال الشوكاني في فعج القدير:

ذَلِكَ قُولُهُم بِأَقْوَاهِهِمْ.

أى : إن مذا القول لما كان سائجًا ليس فيه بيان ، ولا عضَّده برهان ، كان مجرد دعوى ليس فيها إلا كونها خارجة من الأفواه ؛ غير مفيدة لفائدة يعتد بها .

يُصَلهِ عُونَ قُولَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ .

يشابهون بهذه المقالة عبدة الأوثان في قولهم : اللات والعزى ومناة بنات الله ، والملائكة بنات الله.

قال الأستاذ عبد الكريم العطيب في النفسير القرآني للقرآن:

ويمكن أن يكون الذين كفروا من قبل ، كل من سبق اليهود والنصارى : من الذين كانوا يمتقدون بهذا المعتقد الذي يجعل لله ابنا يُعبد من دون الله ، أو يعبد مع الله ، مثل تلك الممتقدات التي كان يمتقدها اليونان في توليد الآلهة ، بعضهم من بعض ، وكما كان يعتقد الفراعنة في آلهتهم ، وإضافة ملوكهم إلى آلهة سماوية علوية ، وكما يعتقد المعتقدون في بوذا وأنه مواور إلهي ا هـ .

وجاء في تفسير المنار:

وقد علمنا من تاريخ قدماء الرئنيين في الشرق والغرب: أن عقيدة الابن ش والحلول والتثليث ، كانت معروفة عند البراهمة في الهند وفي الممين واليابان وقدماء المصريين وقدماء الغرس .

وهذه الطقيقة التاريخية – والتي بينها القرآن في هذه الآية – من معجزاته ؛ لأنه لم يكن يعرفها أحد من العرب ولا ممن حولهم ، بل لم تظهر إلا في هذا الزمان ٢٠٠١ . والمعنى : إن مؤلاء الضالين الذين قال بعضهم : عُزَيْرٌ أَبنُ الله . وقال البعض الآشر : ٱلْمُسِيحُ أَبنُ الله

ليس لهم على قولهم البناطل هذا دليل ولا برهـان ؛ ولكنهم يشابهون ويتابعون فيه تول الذين كلاروا من قبلهم من الأمم ٩٠٥.

قَتَطُهُمُ ٱللَّهُ . أَى : لعنهم الله ، أو طردهم من رحمته ورضوانه ، أو أهلكهم الله ؛ لأن من قاتله الله ؛ هلك روى ابن جرير عن ابن عباس أن معنى قَتَطَهُمُ ٱللَّهُ لعنهم الله ؛ وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن .

والمقصريد من هذا التعبير: التعجب من طفاعة قولهم حكى النقاش أن أصل قاتله الله: الدعاءُ ، ثم كثر في استعمالهم حتى قالره في التعجب في الخير والشر. وهم لا يريدون الدعاء ، وأنشد الأصمعي:

وأخبر الناس أنّى لا أباليها

أَثِّرِينَ فَكُونَ .

كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل عليه ١٢

یا قاتل اللہ لیلی کیف تعجبنی

ويُوْلُكُونُ ، من الإنك بمعنى : الانصراف عن الشيء : والابتعاد عنه ، يقال : أنكه عن الشيء يأنه إنكا: أم : صرف عنه والله ، ويقال : أفكت الأرض إنكاء أي : صرف عنها المخر.

والقرض من الاستفهام هذا : التعجب والتوبيخ .

أي: إن ما قالو، ظاهر البطلان وهو محل عجب العقلاء واستنكارهم وغضبهم «فالمسيح بشر يأكل الطعام ، وتجرى عليه أحكام الهشر ، فكهف يكون إلها ١٦

قال تمالى : مَّا آلْمَسِعُ أَيْنُ مُرَامُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ طَلَتْ مِن قَلِمِ آلُوسُلُ وَأَمُّهُ مِنْهَةٌ كَانَا يَأْكُلُانِ ٱلطَّمَّامُ (السائدة: ٧٠). وقال سيمانه : لُن يَسْتَحَكُمُ ٱلْمَسِمُ أَنْ يَكُونُ مَنْنا لللهُ . (النساء : ١٧٢) . ﴿ اَتَّفَ دُوا اَحْدَارُهُمْ وَرُهْبَ نَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُوبِ اللهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمِنَ اللهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَهُمْ وَمَا أَمِنُ اللهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَهُمْ وَمَا أَمِنُ اللهُ اللهُ وَحِدُ اللهُ إِلَنَهُ إِلَا هُو مُسَبَّحَنَهُ عَمَا يُشْرِحُونَ ﴿ وَمَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ مَلَ اللّهِ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ مَلَ اللّهِ مِنْ عَلَى اللّهِ مِنْ عَلَى اللّهِ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ مَلَ اللّهُ مِنْ مَلَ اللّهُ مَنْ مَلَ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ مَلَ اللّهُ مِنْ مَلَ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ مِنْ اللّهُ مَنْ مَلَ اللّهُ مِنْ عَلَى اللّهِ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ وَقَدَى وَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ وربين المَقْلِ اللهُ مَنْ مَلُونَ اللّهُ اللّهُ مِنْ مَلْ اللّهُ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ مَلْ اللّهُ مِنْ مَلْ اللّهُ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ مَلْ اللّهُ مِنْ عَلَى اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ مَلّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ مِنْ اللّهُ مَنْ مِنْ اللّهُ مَنْ مُنْ مُنْ اللّهُ مِنْ مَلْ اللّهُ مِنْ مَنْ اللّهُ مِنْ مَنْ مُنْ اللّهُ مِنْ مُنْ مُنْ اللّهُ مِنْ مُنْ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ الل

المقردات:

. أحيارهم : جمع حبر يكسر الحاء وفتحها لفتان كما قال الفراء — ويطلق على العائم مطلقاً وغلب في عالم الهويد .

ورهيئهم : جمع راهب مأخورة من الرهية وهي الخوف ، والمراد به هذا : عايد التصاري الذي اعتزل مأذات الحداة .

التضيره

٣١ - أَتَّخَلُواْ أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... الآية

أى: لتقدّ اليهود علماء دينهم أريابًا من دون الله ؛ فأطاعوهم في تحريم ما أمل الله ، وتحليل ما حرّم الله ، وجعلوهم بطاعتهم لهم ؛ كأنهم آلهة لهم يطاعون فيما يشرعون . واتخذ النصارى رهبانهم . أى : علماءهم المتعبدين – اتفدوهم آلهة من دون الله بأن أطاعوهم فيما لم يحل ، كما يطاح الله فيما شرعه لعباده ، مع أنهم آلمون .

قال الشوكاني في فعع القدير:

كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا ، استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرَّموه ، أطاعوهم فيما يأمرينهم به ، وينهونهم عنه فيما يضالف أحكام الله تعالى ؛ فنسخوا بذلك ما في كتب الله ، فكانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابًا ؛ لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب .

وَٱلْمُسِيحُ آبَنَ مُرْيَمَ .

أي: واتخذ النصاري المسيح ابن مريم ربًّا معبودًا وكان ذلك على مصور شتى ، فمرة : عبدوه على أنه ابن الله ، وأخرى : عبدوه على أنه إله ، وثالثة : على أنه ثالث آلهة ثلاثة .

قال صاحب تفسير المنار:

جمع الله بين اليهود والنصارى: في اتشاذ رجال دينهم أربابًا : بأن أعطوهم حق التشريح فيهم ، وذكر بعد ذلك : ما انفرد به النصارى دون اليهود من اتشاذهم المسيح ربًّ ولِلْهَا يعبدونه ، واليهود لم يعبدوا عزيرًا ، ولم يؤثر عمن قال منهم : إنه ابن الله ، أنهم عنوا ما يعنيه النصارى من قولهم في المسيح : إنه هو الله الخالة، العدد أنّه و العماد ⁰⁰.

وقال الشوكاني:

اتفذ النصاري المسيح ربًّا معبودًا وفيه إشارة إلى أن اليهود لم يتخذوا عزيرًا ربًّا معبودًا.

وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيُعْبَدُواْ إِلَّهُا وَاحِدًا.

أى: وما أمرهم الله في كتبه التي أنزلها إليهم إلا ليطيعوا إلهًا واحدًا فيما أمرهم به أو نهاهم عنه .

لا إِلَا قُو سُبِحَلْنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أي: هوالله المتفرد بالألهمية ، ولا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، فلا يصلح أن يطاع أو يعبد غيره .

سُبِحَكْنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أي: تنزه الله عز وجل ، وتقدس عن الشركاء والنظراء والأعوان ، والأضداد والأولاد ، فهو رب المالمين وخالق الخلائق أجمعين .

قصة إسلام عدى بن حاتم الطائي

روى الإسام أحمد والترمذي وابن جرير الطبري : عن عدّى بن حاتم ، أنه لما بلغته دعوة رسول الله.

﴿ وَاللَّهِ الشام وكان قد تنصر في الجاهلية .

ثم أسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم من الرسول ﷺ على أخته وأعطاها ، فرجمت إلى أخيها فرغبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول الله ﷺ فقدم عدى إلى المدينة ، وكان رئيسا في قومه طيء ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم : فتحدث الناس بقدومه ، فدخل عدى على رسول الله ﷺ وفي عنق عدى صليب من فضة .

وكان الرسول ﷺ يقرأ هذه الآية : أَتَّعَلُواْ أَحْبَارُهُمْ وَرُهُبُنَهُمْ أَرْابًا مَّن دُونِ ٱللَّهِ ...

فقال عدىًّ للرسول ﷺ: إنهم لم يعبدوهم ا

فقال الرسول ﷺ: بلي ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم.

وقال رسول الله ﷺ: «يا عدىٌ ، ما تقول ؟ أَيْضَرُك أَن يقال : الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من الله ؟ ما يضرك ؟ أيضرك أن يقال : لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلهًا غير الله ؟

ثم دعاء إلى الإسلام فأسلم ، وشهد شهادة الحق ؛ فاستيشر وجه الرسول براسلامه ثم قال : «إن اليهود مفضوب عليهم ، والتصاري ضالون» ^{(مو}.

٣٧- يُرِيدُونَ أَن يُعْلَقُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِٱلْوَاهِمِ .

هذا نوع آخر من شعلالهم ، وهو ما راموه من إيطال الحق ، بأقاويلهم الباطلة ، والمجادلات الزائفة.

وُبُرِزُ لِللَّهِ يطلق على الإسلام ، الذي بُعث به الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، كما يطلق على القرآن الذي أوضح الله به وجه المق ، وكذبهم في دعاوى بنوة عزير وعيسى لله ، وربوبية الأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم ، وبين شرائع الله على وجهها المق .

وَيَأْتِي ٱللَّهُ إِلاَّ أَن يُعِمُّ نُورَهُ وَلَوْ كُوهَ ٱلْكَشْفِرُونَ .

أي: ولا يريد للله إلا أن يتم توره بإعلاء كلمة الإسلام ، وإتمام مجده وأو كره الكافرون ذلك .

نسواء رضى أمل الكتاب أم كرهوا ، فنور الإسلام سيتم ويعم المشارق والمغارب .

وكلمة يَأْتِي ٱللَّهُ معناها: لا يريد أو لا يرضي .

أي: أن الله تعالى يبشر المؤمنين وإتمام الدين ، ويقرر سنته التي لا تتغير ولا تتبدل في جمل العاقبة للمق وأهله ، فهذا ما يريده ويأمي تقيضه .

قَالَ الْزَمْحُشْرِي : أي : لا يريد الله إلا أن يتم نوره .

وقال الآلوسي :

في الكلام استمارة تعقيلية : حيث شبّه سبحانه حال أهل الكتاب في محاولة إيطال نبوة النبيّ عن طريق تكنيبهم له ، بمال من يريد أن ينفخ في نور عظيم مثبت في الأفاق : ليطقته بنفخة .

وروعي في كل من المشبه ، والمشبه به معنى الإفراط والتقريط هيث شبه الإبطال والتكذيب بالإطفاء بالذم ً ، ونسب النور إلى الله تعالى للعظيم الشأن . وفي شأن النور المضاف إليه سبحانه أن يكون عظيمًا فكيف يطفأ بنفخ الفم ١٩٦١.

والآية وعد من الله تحالى للمؤمنين بإظهار دينهم وإعلاء كلمتهم ؛ لكى يمضوا قدماً إلى تنفيذ ما كلفهم الله به ، بدون إبطاء أو تثاقل ، وهي في الوقت نفسه تتضمن في ثناياها الوعيد لهزلاء الضالين وأسفالهم .

٣٣ - هُوَ ٱلَّذِينَ أَرْسُلَ رَسُولُهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلنَّينِ كُلَّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ .

هو الذي بعث رسوله محمدًا ﷺ اِلْهَدَىٰ أي : ما يهدى به الناس من البراهين والمعجزات والأحكام الذي شرعها الله لعباده . وُدِيْنِ أَلْحَقْ يُومِ الرسلام الذي هو الاعتقاد الدق ، والتوحيد الشائص ، الخالى عن صرف العبادة لأى مخلوق مهما كان عظيمًا ؛ ليعلى شأن هذا الدين على جميع الأديان كلها ، وأو كره المشركين ذلك الإظهار.

وقد تحقق وعد الله ونصره لهذا الدين بالفلية والقهر لغيره ، ويؤظهار الحجة والبرهان على عدالة الإسلام وسلامة نظامه .

وقد ساق الإمام ابن كثير طائفة من الأماديث النبوية الشريفة : التى بشرت الأمة الإسلامية بظهور الإسلام وانتصاره ، ونقلها الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المذير ، والدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسير سرية التوية . ا هـ.

وهذه طائفة من هذه الأحاديث الشريفة:

- ا ثيث في المسميح عن رسول (本義) أنّه قال: وإن (ش زوى لى الأرض مشارقها ومفاريها ، وسيبلغ ملك أمتر, ما زوى لى منهاء (٣٠٠).
- ٧ وروى الإمام أحمد: عن المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله 業 يقول: ولا يبقى على وجه الأرض ببت مدر ولا وير إلا نخلته كلمة الإسلام، يعزّ عزيزًا، ويذلّ ذليلاً، إما يعزّهم الله فيجعلهم من أملها، وإما يذلّهم فيدينون لها، لهم.
- ورُوى هذا الحديث أيضا عن تميم الدارى ، وكان تميم الدارى إذا روى هذا الحديث يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الشرف والخير والعزّ ، ولقد أصاب من كان كافرًا منهم الذل والصغار والجزية .
- ٣ وفي مسئد أحمد أيضًا عن عدى بن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فوالذي نفسي بيده ليتمن
 الله هذا الدين حتى تخرج الظمينة من الحيرة ، حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز

كسرى بن هرمز ، قلت : كسرى بن هرمز ؟! قال : نعم كسرى بن هرمز ، وليبنلن المالُ حتى لا يقبله أحد» .

قال عدى بن حاتم : فهذه الظمينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن مرمز ، والذي نفسى بيده لتكونن في الثالثة : لأن رسول الله ﷺ تد قالها (٣٠).

وفي ختام هذه الآيات نجد أن الحق سبحانه قد نعى على ألمل الكتاب اتنفاذهم أحبابهم ورهبانهم أربائها من دون الله ، وأرشدهم سبحانه إلى الطريق المسعيع ، وعبادة الإله الواحد ، ويشر المؤمنين بظهور دينهم على الأديان كلها ، وهذا المعنى الذي نجده فى الآيات ٣١ – ٣٣ من سورة التوبة ، قد ورد أيضًا فى سورة الصف فى قرله سبحانه وتعالى :

وَمَنْ أَطْلَمُ مِمْنَ الْفَوَىٰ عَلَى اللّهِ الْكَلِيبُ وَهُو يُفَتَىٰ إِلَى الْإِسْلَىمِ وَاللّٰهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمُ الطَّلَيْمِينَ ٥ أَيْرِيمُونَ لِيُطْفِئُواْ أُورَ اللّهِ بِالْوَاهِمِ وَاللّهُ مُعِمَّ أُورِهِ وَلَوْ كَوْ وَالْوَكِيمُ الْكَلَيْرُونَ ٥ هُو اللّّهِى أَرْسُلَ رَسُولُهُ بِالْهُمَانِيَّ وَهِينَ الْمَعَى يُطْهُورُهُ عَلَى اللّهِن كُلُهُ وَلَوْ كُونَ الْمُشْرِحُونَ . (السف ١٠٠ - ٩) .

ويؤخذ من هذه الآيات ما يأتي :

١ - عثم الهبود والنصارى ، أحبارهم ورهبانهم ، وأطاعوهم فيما طلوا وحرموا ، فتركنا أوامر الله من التوراة والإنجيل ، فتأنهم جعلوهم في التوراة والإنجيل ، فكأنهم جعلوهم شيء التوراة والإنجيل ، فكأنهم جعلوهم شيء شيء الأمر والتكليف والتشريع ، وليس المراد أنّهم جعلوهم آلهة وعبدوهم ، بل المراد : طاعوهم في أوامرهم ونواهيهم ، وتركنا أوامر الكتاب .

قال الآلوسي في تفسيره:

والآية ناعية على كلير من الفرق الهمالة الذين تركوا كتاب الله ، وسنة رسوله ، لكلام علمائهم ورؤسائهم ، والحق أحق بالاتهاع ، فعتى ظهر الحق فعلى المسلم اتباعه ، وإن أغطأه لجتهاد مقلده .

٢ - أفادت الآيات قوة الإسلام وجمال شريعته ، المشتملة على الصواب والصلاح ، المطابقة للحكمة والمنفعة في الدنيا والآخرة . وأن الإسلام يعلو على كل الأديان ، فلا دين يصعد أمام النقاش العلمي والمعلقي، غير دين الإسلام ، وائتاريخ على معر الزمان ، يؤكد إنجاز هذه الوعود علائية في اقتناع كبار العلماء في كل اختصاص إنساني أو علمي ، بأحقيته في التدين والاعتقاد ، وإصلاح الحياة البشرية .

وظهر الإسلام على كل الأديان في الماضي ، ثم تأخر الإسلام ، والصواب أن يقال : تأخر أهله أما هو فباق ما بقى الليل والنهار ، وإذا عاد المسلمون إلى العمل به والتزموا بهديه وروحه ؛ عادت لهم السيادة والنصر إن شاء الله .

* * *

﴿ ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ مَامَنُوْ النَّ كَانَا مِنَ الْأَحْبَادِ وَالرُّهْبَانِ لَيَا كُلُونَ أَمْوَلَ النَّاسِ وَالْبَيْطِ وَالَّذِينَ يَكُيْزُونَ اللَّهُ مَبَ اللَّهُ مَبَ وَالْفِصْكَةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِ سَيِيلِ اللَّهِ فَبَيْرَهُم مِعَنَابٍ الْيِيمِ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِجَهَنَمَ فَتُكُونَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ مَّ مَنذَا مَاكَمُهُمْ تَكَيْزُونَ ۞
 مَاكَنْزَتُمْ يِلْفَشِيكُونَ فَتُكُونَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ مَنذَا
 مَاكَنْزَتُمْ يِلْفَشِيكُونَ فَدُولُوا مَاكُمُمْ تَكَيْزُونَ ۞

المقردات ،

ثياكلون أموال الناس بالباطل ، المراد بأكلها بالباطل : أخذها بغير حق .

شيشرهم بعداب النهم ، أي : فأنذرهم ، والتعبير بالتبشير عن الإنذار ؛ للتهكم وتشديد الوعيد .

ج ـــ اهـــه ـــ م : جمع جبهة ، وهي من الوجه ما بين الحاجبين إلى منابت شعر الناصية .

التفسيره

٣٠ - يَالَيُهَا ٱللَّذِي وَامْدُواْ إِنْ كَثِيرًا مَنْ ٱلْأَجَارِ وَٱلْرُهُمَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْسُطِلِ وَيَعَمُّدُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...

تحدثت آیات سایقة عن مؤلاء الذین اتخذهم الیهرد والنصناری آریاباً من دون الله ، وذکرت کراهیتهم للإسلام الذی مو نور الله .

ولقد كان الإسلام مكيمًا وسليمًا ، حين فتح باب المناجاة والتوية والصلة بالله ، أمام الناس جميمًا. بدرن وسيط فالله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وهو يقبل التوية ويفقر الذنب ، ويجهب الدعاء .

قال تعالى : وَإِذَا سَأَلُكَ حِادِي عَنَّى فَإِنَّى قَوِيبٌ أُجِيبُ دَعَوَةَ آلَدَّاجٍ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَحِيدُا ثِي وَلَيْرِعِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يُرهُدُونَ (النِترة: ١٨٦) .

وأكل الأحبار والرمهان أموال الناس بالباطل يتناول ما كانوا يأخذونه بغير وجه حق ، كالفتاوي الباطلة ، والرشوة والتدليس ، والتصاليل على تحليل الحرام وتحريم الحلال .

وأسند سبحانه هذه الجريمة إلى كثير من الأحبار والرهبان ، ولم يسندها إلى جميعهم : إنصافًا للعيد القليل منهم ، الذي لم يفعل ذلك .

وهذا من دقائق التعبير ، وتحرى الحق في عبارات الكتاب العزيز .

فهو لا يحكم على الأمة الكبيرة بفساد جميع أفرادها، أو فسقهم أو ظلمهم، بل يسدد ذلك إلى الكثير أو الأكثر

مثل قوله تعالى – فى الديود – وَتَوَىٰ كَيُواْ مَنْهُمْ يُسَلِّوهُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْمَلُوانِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمُلُونَ . (الدانة: ١٢).

وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ .

أى: أنهم يصرفون الناس عن الدين المق ، وعن الطريق الموصلة إلى الله ، وهى دين الإسلام ، ويصرفون أتباعهم عنه بشتّى الوسائل ، كأن يصفوه لأتباعهم بأنّه دين باطل ، أو بأن رسوله ليس هو الرسول الذي بشّرت به التوراة والإنجيل والكتب السمارية السابقة .

وْٱلَّذِينَ يَكُنِزُونَ ٱلنَّحَبَ وَٱلْفِعْنَةَ وَلاَ يُشِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَشَّرْهُم بِمَلَابٍ أَلِيمٍ.

وهذه الفقرة تتحدث عن طائفة الأحبار والرهبان ، بأنهم يكنزون المال ويبطّون به عن المستطّين، كما أن معناها يتناول البخلاء من المسلمين الذين يمنعون الزكاة ، ولا ينفقون من أموالهم على المحتاجين، أو المتضررين في الكرارث والزلازل وأشباء ذلك .

فاللفظ مطلق عام ، يشمل البضلاء الكانزين المانعين للزكاة والنفقة الواجبة : سواء أكانوا من الأحبار والرهبان أم من المسلمين . وهناك من قصر هذه الفقرة على الأحيار والرهبان ، وفريق ثان ذكر أنها جملة مستأنفة تتحدث عن المسلمين وفريق ثالث ذكر أن معناها عام يشمل أهل الكتاب ويشمل المسلمين .

ولما نزلت هذه الآية ظن المسلمون أنه لا يحل لهم كنز المال ، وأنه يجب إنفاقه كلُّه في سبيل الله ، فكبر ذلك على المسلمين ، فقال ﷺ: وما أُنّى زكاته فليس بكنزه *** . أي : فليس بكنز معاقب عليه بما جاء في هذه الآية .

وكان أبو ذر الففاري يري أن الكنز ما فضل عن الحاجة وجمهور المسلمين على أن الكنز ما لم يزدّ. زكاته : فما أدىً زكاته ظيس بكنز : فقد جعل الله الزكاة طهرة للمال .

قال تعالى : خُذْ مِنْ أَمْوَ الْهِمْ صَدَقَةٌ تَطَهَّرُهُمْ وَأَتْزَكَّيهِم بِهَا ... (التوبة : ١٠٣) .

وحمل أبو ثر على الأغنياء ؛ رغية منه في أن يخرجوا عمًّا زاد عن حاجتهم ونفقتهم ، وحدث خلاف بين أبي در ومعاوية في تفسير الآية .

فقال معاوية : نزات في أهل الكتاب .

وقال أبو ذر: نزات فينا وفيهم ، واشتد الخلاف بينهما .

فكتب معاوية إلى عثمان : يشكر من أبى ذر ، فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، فتكاثر عليه الذاس ، فأخرجه عثمان إلى الريدة : وعاش أبو در وحده بعيدًا عن الذاس ، ومات وحده ، ويُبعث وحده يوم القيامة.

قال القرطبي :

وتنسير الكنز بأنه ما فضل عن الماجة ، انفرد به أبو تر وهو من شدائده المنقولة عنه . ا هـ.

وقيل : الكنز ما لم ترّد منه المطوق العارضة ، كفاته الأسير وإطعام الجائع، وغير ذلك من الحقوق التي تجب على الأغنياء في وقت شدة الحاجة ، ولا يكرن في بيت المال ما يكفى المحتاجين ، ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل تلك المال .

وخصَّ الذهب والفضة بالذكر: لأنهما الأصل الغالب في الأموال، ولأنهما هما اللذان يقصدان بالكنز. أكثر من غيرهما ، ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال؛ فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سراهما الله.

وقد سلك الإسلام منهجاً معتدلا بالنسبة للمال : فأباح جمعه وتثميره بلا حدود ما دام قد جمع من حلال ، وأنفق في حلال بالطرق المشروعة . ومع ذلك أمر الله بالقصد في الدنيا والاعتدال في جمع المال : ثقة بأن العبد عليه أن يسعى ، وأنْ رزقه عند الله الرازق .

وما ذهب إليه معاوية في أن الآية خاصة بأهل الكتاب رأى ضعيف، وما ذهب إليه السنّى في أن الآية في مانمي الزكاة من المسلمين خاصة رأى ضعيف أيضًا : لأن سياق الآية يرشمها لأن تكون شاملة لأهل الكتاب ولمانعي الزكاة من المسلمين وهو الرأي الراجح.

وجاء في التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر .

والمعنى: والذين يجمعون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، وهو ما تشتد هاجة المسلمين إليه من زكاة ، ولفك أسير ، وإطعام جاتع ، وتفريج ضائفة ، وغير ذلك من الحقوق التي أوجبها الشرح في المال : فأنفرهم بعذاب أليم .

٣٥- يَوْمُ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكُوَّىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ ... الآية .

أى: يعذب الكانزون يوم توقد النار على أموائهم ؛ التي لم يؤدُّوا حق الله فيها .

فتكرى بها جباههم التى كانوا يترثُّون بها على الناس ؛ وجنريهم التى طالما انتفضت من كثرة الشبع وغيرها جائع ، وظهورهم التى طالما أداروها الفقراء .

قال الزمخشري :

لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسُوا ، وإذا هَسمُهم وإياه مجلس ازوروا عنه ، وتولُّوا بأركانهم وواره ظهررهم .

هَلَامًا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسكُمْ.

أي: يقال لهم: هذا ما كنزتموه لتنتفعوا به فهذا نفعه ، على طريقة التهكم والتوبيخ .

فَلُولُواْ مَا كُنتُمْ لَكُنزُونَ .

أى : ذوقوا ويال كنزكم للمال وسوء عاقبته .

عن ابن عمر في هذه الآية قال : إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة جعلها الله طهرة للأموال .

ثم قال : ما أبالي لو كان عندي مثل أحد ذهبًا ، أعلم عدده وأزكيه ، وأعمل فيه بطاعة الله .

من هدى السنة

ورد في السنة المطهرة والأحاديث الصحيحة : أن مانع الزكاة يعدُّب عذابًا شديدًا في النار.

ففى حال يمثُّل المال فيه تعبانًا ، وفي حال يكون صفائح من نار ، وفي حال يكون رَضْفًا (حجارة محماة).

روى البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ومن آتاه الله مالا فلم يرَّد زكاته ؛ مُثَّل له يرم القيامة شجاعًا أقرعا له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعنى : شدقيه – ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك (١٠٠)

وأورد ابن كثير طائفة من الأساديث النبوية عند تفسير هذه الآية .

ثم قال ابن كثير: وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: هما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا، يمر على ثلاثة أيام وعندي منه شيء ، إلا دينار أرهمه لدين» أنه . فهذا والله أعلم هو الذي حدا بأبي ذر إلى القول بأن كل ما زاد عن النققة فهو كنز يتم ناعله .

من كلام المفشرين

١ - قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية :

قَانَ قَلْتَ : قما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضى الله عنه أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ : «تبًّا للذهب ، تبًّا للذهنة، قالها ثلاثًا فقالوا له : أى مال نتخذ؟ قال : «لسانًا ذاكرًا ، وقالبًا خاشمًا ، وزوجة تعين أحدكم على دينه "" . ويقوله عليه الصلاة والسلام : «من ترك صفراء أو بيضاء كرى بها ..» ("" .

قلتُ: كان هذا قبل أن تفرض الزكاة ، فأما بعد فرض الزكاة : فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالاً من حيث أذن له فيه ، ويؤدِّى عنه ما أوجب عليه فيه ، ثم يماقيه : وللسد كان كثير من المحماية كعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله رضى الله عنهم ؛ يقتنون الأموال ، ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ... ٢٠٠٩ .

٢ -- قال القرطبي في تفسيره :

وقرر الشرع ضبط الأموال ، وأداء حقها ، ولو كان ضبط المال ممتوعًا ؛ لكان حقه أن يخرج كله ، وليس في الأمة من يلزم هذا ، وحسبك حال الصحابة وأموالهم –رضوان الله عليهم – وأمًا ما ذكر عن أبى ثر فهر مذهب له ...ه .

٣ - جاء في تفسير القاسمي ما يأتي :

قَالَ ابن عبد البّر : وردت عن أبى در آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى : أنّ كل مال مجموع يفضل عن القوت ، وسداد العيش فهو كذر يدم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك .

وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم ، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة ، وأصبع ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره في قصة الأعرابي ، قال : هل عليّ غيرها ؟ قال : ولا إلا أن تطوع، . ا هـ .

وحديث طلحة الذي أشار إليه ابن عبد البرّ ورد في صحيح البضاري ، وخلاصته : أن أعرابيًّا سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال له الرسول ﷺ : هخمس صلوات في اليوم والليلة» : قال الأعرابي : هل على غيرمًا ٢ قال : «لا إلا أن تطرّع» .

فسأك عن حق الله في المال: فأخبره النبي ﷺ عن الزكاة ، فقال الإعرابي : وهل على غيرها ؟ قال: ولا إلا أن تطوّر ج. .

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والذي بعثك بالمق لا أزيد عليها ولا أنقس.

مَثَالُ رَسُولُ اللهُ ﷺ : وأَقَلَعَ إِنْ مَنْدَقَعَ الْأُنَّا،

جاء في تفسير الفخر الرازي لهذه الآية ما يأتي :

اعلم أن الطريق الحق أن يقال: الأولى أن لا يجمع الرجل الطالب للنّبين المال الكثير! إلا أنه لم يمنع عنه في ظاهر الشرع ، فالأبّل: مصمول على التقرى ، والثاني : على ظاهر الفترى .

أما بهان أن الأولى الاحتراز عن طلب المال الكثير فبوجوه منها:

- ١- إن كثرة المال سبب لكثرة الحرص في الطلب ، والحرص متعب للروح والنفس والقلب ... والعاقل هو
 الذي يحترز عما يتعب روحه ونفسه وقليه .
- ٧ إن كسب المال شاق شديد ، وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب ، فيبقى الإنسان طول عمره تارة في طلب التحصيل ، وأهري في تعب الحفظ ...
 - ٣ إن كثرة الجاه والمال تورد للطفيان كما قال تعالى: إنَّ ٱلإنسَانَ لَيَظُفَّى وأن رَّمَاهُ ٱسْتَعْلَى 1 هـ.

(العلق: ٦، ٧)

﴿إِنَّعِـذَهَ الشَّهُورِعِندَ اللَّهِ اثْنَاعَشَرَ مَهْرًا فِي كِتَنْبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّسَدُوتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا آَرْبَعَتُ حُرُمٌّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيْمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ الْفُسَكُمُّ
وَقَدَيْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْدَيْلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوۤ الْنَالَة مَعَالْمُنْقِينَ اللَّهُ مَعَالْمُنْقِينَ اللَّهُ مَعَالْمُنْقِينَ اللَّهُ

المفردات ا

عندة الشبهبور ، أي: عندها .

شي كتاب الله : المراديه : إما علمه تمالي ، أو اللوح المعلوظ ، أو ما كتبه وأوجيه .

حـــــره ، جمع حرام ، والمراد من كون الشهر حرامًا : أن القتال محرم فيه .

المنيس الشيم ، الدين المستقيم الطيم من العرج .

كبسافسسة وجبيعار

التفسيره

٣٦ - إِنَّ عِنَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ آلَهُ عَشَرَ شَهُرًا فِي كِنَابِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاواتِ وَالأَرْضَّ ... الآية .

يخبر الله تعالى عن أشهر السنة فيقول :

إنٌ عدة الشهور في علمه تعالى وحكمه ، وفيما كتبه وأوجب الأخذ به ، وأثبته في نظام دورة القدر ، وفي اليوم الذي علق فيه السماوات والأرض ، وخلق العالم: اثنا عشر شهرًا على النصو المألوف اليوم والمراد: الأشهر القمرية : لأنّ الحساب يها يسير : يعتمد على رؤية القمر ، من كل الناس المتطمين والعوام والمراد بقراء: في كتاب آللًا . فيما كتبه الله وقدره .

قال أبو السعود: في اللوح المحقوظ، أو فيما أثبته وأوجبه.

والمراد بقوله : يُوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاواتِ وَالأَرْضَ .

أي: يوم أبدع نظام الكرن منذ خلق الله الأجرام والحركات والأزمنة ، وأوجد الليل والنهار ، وأضاء الليل بالقمر ، ونور النهار بالشمس ، وأوجد نظامًا بديمًا متكاملاً تحفظه يد القدرة الإلهية .

مِنْهَا أَرْبَعَةُ خُرُمٌ .

أى : من هذه الشهور الاثنى عشر ، أربعةً حرم ، وحرَّم الله فيها القتال منذ شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وهذه الشهور الأربعة هى : «ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب» . منها ثلاثة متوالية سرد، وواحد فرد : هو رجب الذى يين شعبان وجمادى .

قال ابن كثير:

وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ، ثلاثة سرد ، وواحد قرد ؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، قحرم قبل المج شهرين وهما ذر القعدة ، وذر المجة : لأنهم يوقعون فيهما المج ، ويشتظون بأداء المناسك ، وحرم بعدهما شهراً أخر هو المحرم ؛ ليرجعوا فيه إلى أقصى بالادهم آمنين ، وحرم رجب فى وسط المول ؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من ألصى جزيرة العرب ، فيزوره ثم يعود إلى وطنه آمذًا.

من هدى السنّة

روى الإمام أحمد ، والبخاري في التفسير : عن أبي بكرة : أن النبي صلى المحب في حجة الوداع فقال:

وألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ؛ السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاثة متوالهات : قد القعدة ، وقد الحجة ، والمعرم ، ورجب مُضر الذي بين جمادي وشعبان ..." (الى أخر المديث ومعنى : استدارة الزمان كهيئته : رجوع الأشهر إلى ما كانت عليه من الحل والحرمة ؛ كل منها في موضعه من الزمان ، وعاد للمع إلى ذي الحجة في هجة الوداع في سنة عشر ، وكانت حجة أبي بكر في ذي القعدة سنة تسع ، قبل حجة الذبي ﷺ مهاشرة (١٠٠٠).

ذَا لِكَ ٱللَّينُ ٱلْقَيْمُ عَ

ذلك التحريم لهذه الشهور في مواضعها هو الدين القويم الذي دان به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكانت العرب قد تمسكت به وتوارثته عنهما ، وكانوا يعظمون الأشهر المرم ؛ ويكرهون القتال فيها حتى أنه لو لقى رجل قائل أبيه أو أخيه لم يتعرض له ، وسنُّوا رجبا : شهر الله الأصم أى : الذي لا تسمع فيه قعقمة السيوف .

فَلاَ تَطْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ .

أى : لا تهتكوا حرمتها ، بارتكاب ما حُرم فيها من القتال أو المعاصى .

قال أبو السعود في التفسير :

والجمهور: على أن حرمة القتال فيهن منسوخة ، وأن الظلم فيهن : ارتكاب المعاصى في هذه الأشهر الحرم ؛ فإنه أعظم رزدًا ، وعن عملاء : إن تحريم القتال في الحرم ؛ فإنه أعظم رزدًا ، وعن عملاء : إن تحريم القتال في الاشهر الحرم ثابت محكم لم ينسخ بهذه الآية ، إلا أن يبدأ العدو بالقتال فيها فنقاتله لقوله تعالى : الشَّهُرُ الْمُعَامُ الله على المُعامِلُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامِلُ المُعَامِلُ المُعَمِلُ المُعامِلُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامُونُ الله والمُعامِلُ الله والمُعامِلِ الله والمُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل الله والمُعامِل الله والمُعامِل الله والله والمُعامِل المُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل الله والمُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل الله والمُعامِل المُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل المُعامِل المُعامِل الله والمُعامِل المُعامِل المُعامِل المُعامِل الله الله والمُعامِل المُعامِل المُ

ويؤيد رأى الجمهور أن النبي ﷺ: حاصر الطائف ، وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة .

وعن قتادة : أن الله اصطفى صفايا من علقه ، اصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض الساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر العرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر ، فعظمها ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أمل الفهم .

وَقَاتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَالْقَةُ كَمَا يُفَاتِلُونَكُمْ كَالْقَةُ .

أى: قاتلوا المشركين مجتمعين غير متفرقين ؛ كما يقاتلونكم كذلك.

قال الآلوسي في النفسير:

وكلمة كُلُّقَةً . من الكلمات التي لا تثنَّى ولا تجمع ولا تدخلها ال ولا تعرب إلا حالاً فهي ملتزمة للإفراد. والتأنيث مثل: عامة وخاصة . ا هـ .

أى : قاتلوا المشركين حال كونكم مجتمعين متعاونين متناصرين غير مختلفين ولا متخاذلين ، كما پقاتلونكم كذلك .

ومن العلماء من قال: إن الآية أوجبت الفتال على كل قادر، ثم نسخ ذلك فجعل فرض كفاية.

وقد بين المرحوم الأستاذ عبد الكريم الخطيب: أن الدين الإسلامى دين عقيدة ، لا إكراه فهه ، ولا يُجبر أحد على اعتداقه ، ويجوب قتال المشركين كافة : كان مرتبطا بحال معينة هي وضع المشركين في جزيرة العرب الذين كرنوا طابورًا خامسًا : يتجسسون على المسلمين ، وينقلون عوراتهم إلى أعداتهم .

وأنكر ابن عملية أن هذه الآية أرجبت القتال على كل قادر: فقال : لم يعلم قط عن شرع النبي 議 أنه الزم الأمة جميمًا النَّقر والقتال ، وإنما معنى هذه الآية : المضنَّ على قتال المشركين وجمع الكلمة .

وجاء في التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي :

وهذا القول بإيناحة للقتال في الأشهر الحرم هو المعتمد شرعًا ، ويحتمل أن يكون قوله تعالى : وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَالَّةُ ، منقطعًا عما قبله ، وأنه حكم مستأنف ، للتحريض على قتال المشركين ، أى : كما يجتمعون لعربكم إذا حاربوكم : فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم إذا حاربتموهم ، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون . ا هـ .

وَآعْلُمُواْ أَنَّ ٱللَّهُ مَعَ ٱلْمُطْيِنَ .

أى: وإملموا أن الله مع عباده المتقين بالمون والنصر، والمعونة على الأعداء؛ فكونوا مع الله مبتعدين عن معاسيه ، ولجعلوا بينكم وبين المعاصى وقاية من تقوى الله ومخافته ، وبهذا يكون الله معكم معيدًا وناصرًا ، ومن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

* * *

﴿ إِنَّمَا النِّينَ ءُزِبَادَةً فِي الْصُّفَرِّ يُصَدَّلُ بِهِ الَّذِيبَ كَفَرُوا يُعِلُّونَ مُعَامًا وَيُحَرِّ بُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَةً مَا حَرَّمَا لِلَّهُ فَيُعِلُّوا مَا حَدَّمَ اللَّهُ ثُرِيْنَ لَهُمْ شُوَّءُ أَعْمَلِهِ فَ وَلَلَّهُ لَا يَهْدِي الْفَوْمَ ٱلْكَنْفِينِ فَيْ ﴾

المفردات،

التسيء ، تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر.

لهواطئواء ليرافقوا.

مسللة، عدد.

التقسين

74

٣٧- إِنَّمَا ٱلنَّسَىٰءُ زِيَادَةً فِي ٱلْكُلْمِ ۚ يُصَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواۚ أَيْحِلُّونَهُ عَامًا ... الآية .

تكشف هذه الآية عن عيث المشركين بحرمات الله ، والاستخفاف بها ، والاحتيال على خداع أنفسهم بتزيين الباطل ، وإلياسه ثوب الحق : فقد كان المشركون فى الجاهلية يحرمون هذه الأشهر الحرم التى هى بعض البقية الباقية لهم من شريعة إبراهيم التى كانوا يدينون بها ، ثم أدخلوا عليها من أمواتهم ما أفسما حتى هذه الأشهر الحرم ، فقد استثقارها ، وضافها بأن تظلهم ثلاثة أشهر متوالية دون قتال ، وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

فكانوا يعمدون إلى شهر المحرم فينسئوونه ، أي : يؤخرونه إلى صفر ويقيمون صفر مقامه .

ويهذا يظعون على المحرم اسم صفر، ويبيحون فيه القتال، ويسمون صفر: محرما ويحرمون فيه القتال.

1439

وكأن المقصود عندهم عند الشهور لا ذاتها . أليسوا قد حرّموا أريمة أشهر ؟ وماذا في استبدال شهر بشهر آخر ؟ فيحلون المحرم عامًا إذا جاموهُم محاربون : ليستبيحوا فيه القتال ، ويحرمون المحرم في عام آخر ، إذا لم تدح للقتال داعية عندهم .

والمعنى :

إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر زيادة فى الكفر ، لما فيه من تطيل ما حرمه الله ، وتحريم ما * أحله الله ، فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم بنالله ، ويذلك يكونون قد جمعوا بين الكفر فى العقيدة ، والكفر فى التشريع .

يُعَمَّلُ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفُرُواۚ ۚ . أَى : إِن الذي سنَّ لهم ذلك ؛ يجعلهم ضالين بهذه السنَّة السينة .

يُجلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لَّيُوَاطِئُواْ عِلَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ لَيْحِلُّواْ عَا حَرْمَ ٱللَّهُ .

أى: يحلّون الشهر الحرام عامًا ، ويجملون مكانه في التحريم شهرًا حالاًا ، ويحافظون على حرمته كما كان في شرع إبراهيم عامًا آهر ، إذا لم يتعلق بتغييره غرض من أغراضهم .

يتعلون ذلك ؛ لكي يوانقوا عند ما حرم الله من الأشهر الحرم .

لَّيُوَاطِئُواْ عِدَّةً مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ .

أي : ليرافقوا بما فطوه عدة الأشهر الحرم ، يحيث تكون أريمة في العدد ، وإن لم تكن عين الأشهر المحرمة في شريعة الله .

جاء في تفسير الفخر الرازي :

قال ابن عباس: ما أمل المشركين شهراً من الأشهر الحرم : إلا حرموا مكانه شهراً من الأشهر الملال، وما حرموا شهراً من الملال إلا أملوا مكانه شهرا من الأشهر الحرم ؛ لكي يكون عدد الأشهر الحرم أربعة . ا هـ .

وتلاحظ أنهم خالفوا التقصيص الذي أوجبه الله ، وهو تحريم أربعة أشهر بعينها ، وترتب على ذلك: أنهم أحلوا ما حرم الله مثل : المحرم ، وحرموا ما أحل الله مثل : معفر .

قال تعالى: فَهُجِلُواْ مَا حَرَّمُ ٱللَّهُ .

أي : من الأشهر الحرم التي أَبْدلوها بغيرها .

زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَالِحِينَ .

أى: زين لهم الشيطان والرؤساء الأعمال السيئة التي يعملونها ومن جملتها: النُّسيء.

وقد اقتضت حكمة الله أن يعد المتقين بأسباب الهداية ، أما الكافرين الذين اختاروا العمى على الهدي، وأثروا طريق الفيّ على طريق الرشاد : فإن الله لا يهديهم إلى طريقه القويم

في أعقاب تفسير الأيات

١ - يستنبط من كلام ابن كلير في تفسيره : أنه يميل إلى القول : بأن المنهى عنه هو ابتداء القتال في الأشهر الحرم لا إتمام القتال فيها متى بدأ الأعداء ذلك ، وهو قريب من قول القائل : لا يحل القتال فيها ولا في الحرم إلا أن يكين دفاهاً .

٧- ذكر المفسرون روايات متعددة في اسم أول من أخَّر حرمة شهر إلى آخر.

تيل : أرل من أحدث النسىء : جنادة بن عوف الكناني ، وكان مطاعًا في الجاملية ، كان يقوم على جبل في الموسم فينادي بأعلى مدوته : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يقوم في العام القابل فيقول: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .

وقال آخرون: هو رجل من بني كنانة يقال له: القلمس، ولعله ظهر بعد موت من سبقه.

وكان بعض أهل الجاهلية يتفاهر بهذا النسىء ، فيقول شاعرهم : ومنَّا ناسئ الشهر القلَّمُس .

ويقول آخر :

شهون الملُ تمعلها حرامًا

ألسنا الناسئين على معد

٣- عدد الشهور القمرية ١٧ شهرًا ، والواجب في شريعتنا الاعتماد على السنة القمرية في العبادات كالصوم
 والحج وغيرها : وذلك حتى يصوم المسلم ويحج في سائر شهور العام وفصوله : فيعبد الله في الصيف
 والشتاء والربيم والخريف .

قال تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلِّ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِ . (البقرة : ١٨٩) .

وينبغى أن ننبه المسلمين إلى العناية بالتاريخ الهجرى العربي، مفيحافظوا على ذكره ومعرفته مع التاريخ الميلادي الشمسي أو القبطي . يجب أن نذكرهما ممًّا . ونعزز بتاريخنا ولا نهمل حفظه ومعرفته: فذلك جزء من شعائر الدين . قال تعالى : ذَالِكَ وَمَن يُعَظِّمُ مُعَاتِرٌ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَفُوَى ٱلْقَلُوبِ . (الدج: ٢٧).

٤- نلاحظ أن سورة التوية من بدايتها إلى نهاية الآية ٣٧ قد حددت العلاقات النهائية ، بين المسلمين وبين أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب ، كما نراما أبرزت الأسباب التى دعت إلى هذا التحديد بأسلوب حكم مؤثر يقنع العقول ويشيع العواطف .

وفي الآيات القادمة تنتقل السورة إلى الحديث عن غزية تبرك ، وما يتصل بها من أحداث متنوعة ، وقد استغرق هذا الحديث مخطم آيات السورة لا سيما فيما يتعلق بهتك أستار المنافقين والتحذير منهم .

* * *

﴿ يَكَ أَيُّهَا الَّذِيكَ ءَامَنُوا مَا لَكُوْ إِذَا فِيلَ لَكُوْ اَنِهُ رُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اَتَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضُ أَرْضِيلًا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْكَيْوَ اللَّهُ الْكَيْفِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللْمُولَى اللللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُولِلْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللللْمُولُولُولُولِيلِمُ الللللْمُ الللللْمُ الللِمُ اللللْ

المفردات

القروا في سبيل الله ؛ أخرجوا للجهاد في سبيله .

ائداقك تياطأتم.

. متاع اليمياة النطية ، المراد من متاعها : التمتم بلذائذها .

التقسيره

٣٨- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ٱلْفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلْأَقْلَمْ إِلَى ٱلأَرْضَ عَلَى ١٠٠ الآية .

سبب نزيل هذه الآيات وما بعدها : أنّ الذبي ﷺ استذفر أسمحابه : ليخرجوا معه في غزوة تبوك ، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتع بعام .

وكان العر شديدًا ، وبالناس عسر وقحط ، وقد نضجت ثمار المدينة وطابت ظلالها .

وتبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، تبعد عن الأولى ٢٩٠ كم ، وعن الثانية ٢٩٢ كم ؛

فالشقة بعيدة ، والعدو قرى وكثير ، فشق عليهم ذلك ، وتباطؤوا في الاستجابة ، فنزلت هذه الآيات ؛ تعثهم على التضحية بالنفس والمال في سبيل الله .

. والمعنى:

يا أيها المؤمنون بالله ورسوله ، أي شيء حصل لكم ؟ فليطكم عن النهوض للجهاد ؟ حين قال لكم الرسول الأمين : انفروا في سبيل الله لقتال الروم الذين تجهزوا لقتالكم : فتاقلتم وتكاسلتم وملتم إلى الراحة ، ولمد الثمار ، والتقدر في الظلال ، وكرهتم مشاق الفزو ومتاعهه .

من كتب السيرة

جاء فى سيرة ابن مشاء وغيرها من كتب السيرة النبوية: أن سبب هذه الغزية: استحداد الروم والقبائل العربية المتنصرة من لشم وجذام وغيرهم، وتجهيز جيش كليف لغزو المدينة بقيادة (قباذ) وعدد جنده أربعون الفاً.

فندب الذبي ﷺ الناس للخروج لمقاتلتهم وكان عثمان قد جيَّز عيرًا إلى الشام للتجارة ، فقال: يا رسول الله ، هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية (من الفضة) ، فقال الذبي ﷺ : «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»(١٠٠).

هواما لم يجد النبى من يقاتله عاد إلى المدينة ، بسبب انسحاب الروم ، وعدولهم عن فكرة الزحط : واقتصام المدود ، ولكن كان لهذه الغزرة أثر معنوى كبير ، في نظر العرب والروم ، فكانت كفتح مكة ؛ لأنها كانت لحتكاكا بأعظم قوة حينذاك ، وأثرت على المدى المعيد في نفوس الأعداء ، بعد أن كان العرب يخشون غزر الروم في عقر دارهم ، وقد مهد الله بهذه العزوة . لغزو المسلمين للشام في عهد الطيفتين : أبي بكر وعمر (٢٠١١).

أَرْضِيتُم بِٱلْحَيْوَاةِ ٱللُّنْهَا مِنَ ٱلآخِرَةِ ۚ فَمَا مَعَاعُ ٱلْحَيْوَةِ ٱللُّنْهَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاّ قَلِيلٌ .

أرضيتم بلذات الحياة الدنيا الزائدة بدلاً من الآخرة وتعيمها الدائم؟

إن كنتم فعلام ذلك ؛ فقد تركتم الغير الكثير في سبيل الشيء الحقير : قما متاع الحياة الدنيا في جنب متاع الآخرة إلا قليل ؛ لا ينبغي أن يُحرص عليه ؛ لأنه لا يصلح عرضًا عن المتاع الكثير في الآخرة .

روى الإمام أحمد ومسلم والنرمذي : عن المستورد أهي بني فهر قال : قال رسول ش ﷺ : «ما الدنيا في الآخرة إلاّ كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بع ترجم؟ ٢٠٠٥ وأشل بالسبابة . ودوى أبن أبي حاتم : عن أبي هريرة قال : سمت رسول الله ﷺ يقول : وإن الله يجزي بالحسنة اُلفي اُلف حسنة»، ثم تلا هذه الآية : فَمَا شَاعُ آآتُكِوْة النَّذِيّ فِي الْآخِرَة النَّذِيّ فَيْلِ أَ. ١٠٠٠).

٣٩- إِلاَّ تَعَارُواْ يُعَلِّبُكُمْ عَلَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ... الآية .

أى: إن تجاطأتم أيها المؤمنون عن الجهاد: يعنبكم الله عناباً اليما، ويستبدل بكم قومًا سواكم لنصرة نبيه، ولن تضروه شيئًا من الضرر بسبب تقاعسكم: لأنكم أنتم الفقراء إليه والله هن الفني الصميد.

وَلاَ تَعْبُرُوهُ شَيْئًا .

الضمير يمكن أن يعود إلى الله عز وجل . أي : لا تضروا الله شيئًا بتولّيكم عن الجهاد وتثاقلكم ؛ فهو القاهر فوق عباده .

وقيل : الضمير للرسول أي : ولا تضروه ؛ لأن الله وعده أن يعصمه من الناس ، وأن ينصره ، وَفَن يُعْلِفَ آللُهُ زَعْدُهُ ، (الحج: ٤٧).

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَدير .

فهو سبحانه قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم وقد وعد رسوله بالنصر ، وإظهار دينه ، فإن لم يكن هذا الإظهار بأيديكم ، فلايد أن يكون بأيدى غيركم : وهو سبحانه فعال لما يريد .

وقد اشتمات هذه الآية والآية التي قبلها على أقوى الأساليب التي ترغّب في الجهاد ، وترمّب من النكرمن عند ، وتبحث على الطاعة لله ورسوله .

* * *

﴿ إِلَا نَصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذَا خَرَبَهُ الّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذَ هُمَا فَانَيْنَ الْمَدُ مُمَافِ اللّهَ مَمَنَا فَأَسَلَ اللّهُ مَمَا اللّهُ مَمَنَا فَأَسَلَ اللّهُ مَمَا اللّهُ مَمَنَا فَأَسَلَ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِلْمُ اللّهُ مِنْ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ثاني اثنين ، أي : أحد اثنين ، هما الرسول ﷺ ، وأبو بكر رضي الله عنه .

السية ... في في اللغة : فجوة في الجبل تشهه البيت ، كالمغارة والكهف ، والمراد يه هذا : غار جبل ثور الواقع على بعد ساعة سيرًا من مكة ، وقد مكثا فيه ثلاثة أيام .

مكهنته وطمأنينته التي تسكن عندها القلوب.

التفسيره

٤ - إِلاَ تَنصُرُوهُ لَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَعْرَجُهُ ٱللّهِينَ كَفُرُواْ ثَانِيَ آثَيْنِ إِذْ هَمَا فِي ٱلْقَادِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ اللّهِ مَن اللّهَ يَشَالُ إِلَيْهِ لَا تَحْزَنْ اللّهِ مَن اللّهَ مَنَا إِلَى اللّهَ مَن اللّهَ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ لاَ تَحْزَنْ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ لاَ تَحْزَنْ اللّهِ عَلَيْهِ لاَ تَحْزَنْ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ إِلّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ إِنّا لَكُونُ اللّهُ إِنْ اللّهُ إِلّٰهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ إِنّا لَكُونُ اللّهُ عَلَيْهِ عِلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَّا عَلَيْهِ عِلْمَا عَلَيْهِ عَلْمُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

أى: إن تركتم نصرة الرسول 뻂؛ فالله تعالى متكفل يه ، فقد نصره فى مواطن القلة ، وأظهره على عدرُه بالقلبة والقهر .

أو المعنى: فسينصره من نَصَرَه حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كغروا له ، وهو واحد من النين فحسب ، إذ كان معه أبو بكر رضى الله عنه فقد حقظهما الله تمالى وهما يسيران وحدهما نحو الله الله تقال من النين فحسب ، إذ كان معه أبو بكر رضى الله عنهما عن الفار ثلاث ليال ، وأعمى عنهما عيون الاعداء ، حيث كان الكفار فوق القال ؛ فقال أبو بكر : يا رسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال له السول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال له السول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال الداسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال الداسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال الداسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال الداسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لا الداسول الله : لو نظر أحده نفوا المعالمة من الداسول الله : لو نظر أحده نفوا المعالمة من المعالمة المعالمة المعالمة المعالمة المعالمة الله المعالمة الله المعالمة المعا

روى أحمد والشيخان عن أنس قال : هحدثني أبو يكر قال : كنت مع النبي ﷺ في الفار ، فرأيت آثار المشركين ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه : فقال : يا أبا يكر ، ما ظنك بالنين ، الله ثالثهما ، وفي رواية أحمد : طو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه» (٢٠٠٥).

فَأَلزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَهُ بَجُنُودٍ لَّمْ تَرُوْهَا .

أى : فأنزل الله طمأنينته وتأييده ونصره عليه أى : على الرسول 義 فى أشهر القولين وقيل : على أبى بكر حتى هذا واطمأن .

وَأَيَّلُهُ بَجُنُودٍ لَّمْ تَرُوْهَا .

أيد الله رسوله بجنود خلية لم تقع عليها أبصاركم ، فلم يستطع أعداق بسبب هذه العراسة الريانية أن يصلوا إلى مأريهم ، وإن وصلوا إلى الغار الذي يؤويه وعادوا خاتبين .

روى : أنّ قريشًا أثنت بقائف معروف بقفاء الأثر ، حتى وقف على الفار ، فقال : هذا انقطع الأثر فنظروا فإذا العنكبوت قد نسج على قم الفار من ساعته ١٠٠٠ .

قصة الهجرة

رغبت قريش فى قتل الرسول ﷺ فييتوه ورمندوه ، واجتمعوا على باب منزله طوال ليلتهم ؛ ليقتلوه إذا غرج ، فأمر الذبى ﷺ على بن أبى طالب أن ينام على فراشه ، وفى هذه مخاطرة من علىٌ بحياته؛ لعماية الرسول ﷺ . وبعا النبى ﷺ أن يعمى الله عليهم أثره ؛ فطمس الله على أيصارهم : فخرج وقد غشيهم النوم.

فلما أصبحوا خرج عليهم عليٌّ وأخيرهم: أن ليس في الدار أحد؛ فعلموا أن رسول الله ﷺ قد قات ونجا.

وهرج رسول الله ﷺ إلى بيت أبى بكر ، ثم هرجا من هوهة (ثغرة) في ظهر دار أبى بكر ؛ ونهشنا نحو الفار في جبل ثور .

وافققا مع عبد الله بن أريقط ، أن يأتي إليهما بعد ثلاث ليال إلى الغار ، وكان عارفًا بالطريق ، فاستأجراه ؛ ليدلّ بهما إلى المدينة ، وكان كافرًا على دين قومه ، لكنهما وثقا به ودفعا إليه واحلتين ؛ ليأتي بهما إلى الفار .

وكان عبد الله بن أبى بكر يستمع ما يقول الناس ، وينقله إليهما ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطمام ، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه إلى الغار ، فيخفى آثار عبد الله وأسماء .

عناية الله إن توات ضعيفًا تعبت في مراسه الأقوياء

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱللَّذِينَ كَفُرُواْ ٱلسُّفْلَيَّ وَكَلِمَهُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْقُلِيَّا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكيمٌ .

أي : قضى الله على دولة المشركين ، وجعل كلمتهم وضيعة مقهورة .

وَكُلِمَةُ اللَّهِ هِيَ ٱلْفَلِيَّا. أي: كلمة الترميد، ودعوة الإسلام، ودعوة الإسلام؛ صفتها الدائمة أنها فوق كل كلمة، والإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

وقد مكن الله رسوله من الهجرة إلى المدينة ، وحفظه في الغار ، ويسر الله له طرق الجهاد حتى فتحت مكة وبدهل الناس في دين الله أفواجًا .

وُاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . أي: هو سبحانه غالب قاهر ، لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب .

ويؤخذ من الآيات ما يأتي

١- فضل أبي بكر الصديق؛ فهو صاحب الرسول وعونتُه ورفيقه في الغار؛ في وقت تكالب عليه الأعداء.

٧ جواز الاستعانة بالمشركين : كما استعان النبى بعيد الله بن أريقط ، وانتمته على سره وعلى الراهلتين.
قال النهلب : وفي هذا من الفقه ائتمان أهل الشرك على السرّ والمال : إذا علم منهم وفاء ومروءة ، كما ائتمن النبى هذا المشرك على سرّه في الشروح من مكة وعلى الذّاقتين .

وقال ابن المنادر: فيه استثمار المسلمين الكفار على هداية الطريق.

٣- عناية الله لرسوله وحفظه وحراسته وهو أمام عنو قوى عنيد.

٤-- من وجد الله ؛ وجد كل شيء ومن فقد الله ؛ فقد كل شيء (١٠٠٠).

صابق الإمام فقر الدين الرازى ، والشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار اثنى عشر وجها فى فضل أبى بكر
 الصديق ، فهو أول من أسلم من الرجال ، وهو وزير النبى وصناحيه فى الفار ، وخلوفته على الصلاة ،
 وقائد المسلمين فى حروب الردة ، والمنفق ماله فى سبيل الله ، وورد فضله فى الأحاديث الصحيحة ،

* * *

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَيْفَ لَا وَجَهِدُوا إِلْمَوْلِكُمْ وَاَنْفُهِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُدْ تَمْ لَمُونَ ۚ فَ لَوْكَانَ عَرَضَا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَةُ وَسَيَعْلِفُونَ بِإلَّهِ لَوِ السَّتَطَعْنَا لَحَرَجْنَا مَمَكُمْ يُمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِيْنِنَ أَنْ ﴾

اللفردات :

انفروا مُختَافًا وثقالًا : أي : اخرجوا الجهاد على أي حال ، سواء سهل على نفرسكم قطنت ونشطت ، أو شق عليها فثقلت. صـرشـــا قــريــــــا : نفعًا سهل المأخذ .

سطيرا قياسيان سفرًا قريبًا سهلاً .

لتفسير

١٤ - " آنفِرُوا عِفَافًا وَيْقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَ الكُمْ وَأَنفُسكُمْ في سَبِيلِ ٱللَّهُ ... الآية

أي: اخرجوا الجهاد في سبيل الله على أي حال كنتم ، من يسر أو عسر ، صحة أو مرض ، عَنَّى أو فقر ، شغل أو فراغ منه ، كهولة أو شباب .

وجاهدوا أعداءكم ببذل أموالكم ، ويبنل أنفسكم في سبيل الله ، أي : في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه .

وَالِكُمْ عَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنفُمْ تَعْلَمُونَ .

ذلكم المأمور به من النَّقْر والجهاد في سبيل الله : خير لكم في دنياكم وآخرتكم من التثاقل عنهما؛ إن كنتم من أمل العلم بحقيقة ما بيِّن لكم خالفكم على لسان رسوله ﷺ .

روى الشيمان والنسائى : عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «تكفّل الله المجاهد في سبيله، إن تهاه أن يدهله الجنة ، أو يردّه إلى منزله بما تال من أجر أو شنيمة»(١٠٠٠).

من أحكام الأسة

تدل هذه الآية على أن الههاد والنفير العام كان فرض عين في غزية تهرك ؛ نظراً لبعد الشقة وكثرة العدرُ.

ررى ابن عباس عن أبى طلحة فى قوله تعالى: خَفَلُهُ وَقَلَالًا . قال: شهايًا وكهولاً ، ما قبل الله عذر أحد فى التخلف عن الجهاد: فضرج أبو طلحة إلى الشاء فجاهد حتى مات .

ومن العلماء من يرى أن هذه الآية قد تسخت بآيات أخرى.

فروى عن ابن عباس وآخرون : أنها منسوعة بقوله تعالى : لَّيْسَ عَلَى ٱلتُّبْعَلَاءِ وَلاَ عَلَى ٱلْمُوْضَىٰ (التية : ١٩).

وجاء في حاشية الجمل على تفسير الجلالين:

«والصحيح أن هذه الآية منسوهة ؛ لأن الجهاد من فروض الكفاية وأنه ليس على الأعيان».

قال القرطبي في تفسيره:

والمسميح أنها ليست بمنسيخة ، ويبقى الجهاد فرض عين إذا تعيّن يظبة العدّ على قطر من الأقطار: فيجب حينتذ على جميع أهل تلك الدار ، أن ينقروا ويخرجوا إلى الجهاد خفافًا وثقالًا ، شبّانًا وشيرهًا ، كلّ على قدر طاقته ، يخرج الابن يغير إذن أبيه ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج ، فإن عجز أهل تلك المبلدة عن القيام بدحر العدل ، كان على من قاربهم وجاورهم أن يضرجوا ؛ لتحقيق الهدف المرجو ؛ فالمسلمون كلهم يد واحدة على من سواهم ، حتى إذا قام هؤلاء بدفع العدو ؛ سقط الغرض عن الباقين .

ولو قارب للعدو دار الإسلام ، ولم يدخلوها ؛ لزم المسلمين أيضًا الغروج إليه ؛ حتى تعلو كلمة الله ، وتصان البلاد ويخزى العدو⁰⁰⁰ هـ .

الخلاصة:

الجهاد قد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية . فيكون فرض عين إذا تقلب العدو على قطر من الأقطار : فيجب الجهاد على جميع أهل ذلك القطر ، ويجب مساعدتهم على من جاورهم ، ويكون الجهاد فرض كفاية ، فيعفى منه الضعفاء والمرضى وأصحاب الأعذار ومن لا يجيد الحرب ، إذا قام الجيش بالدفاع عن البلد وذكر الإمام محمد أبو زهرة : أن الحرب الأن صارت فنًا متقدمًا يستفرغ الشاب عمره في إجادة فن من ففونه: وتصتاج الحرب الآن إلى تخصص دقيق وتنظيم معين ، ويؤدى كل فرد واجبه في تخصصه الذي يتقذه ويجيده.

وثلاحظ أن الممحابة رضوان الله عليهم : قد بادروا إلى امتقال أمر الله فى الدعوة إلى الجهاد ، فخرجوا فى سبيل الله خفافًا وثقالاً : وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

دوى أبن جرير الطبرى : عن أبى راشد الحرائى قال : وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله جالسًا على تابوت من توابيت للمسارفة بحمص ، وهو يريد الغزو ، وقد تقدمت به السنّ ، فقلت له : لقد أعد الله إليك.

فقال : ألت علينا سورة البعوث «أي : سورة براءة»: ٱلفُرُواْ خِفَافًا وَقَالاً .

وجاء في النفسير المدير للدكتور وهبة الزحيلي :

والجهاد ولجب بالنفس والمال إذا قدر عليهما ، أو على أحدهما على حسب المال والعاجة .. كما فعل عثمان رضى الله عنه فى تجهيز جيش العسرة ، وكما فعل غيره من أغنياء الصحابة .. ولما أصبح فى بيت المال وفّر وسعة : ممار الحكام يجهزون الجيوش من بيت المال ، وهذا هو المتبع الآن، حيث تخصص بنود من الميزانية كل عام لنفقات الحرب والدفاع وتزداد الميزانية عند الصاجة . ا هـ .

٢ ٤ - لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لِأَبْعُوكَ وَلَكَن بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ... الآية .

قال الفَجْرِ الرازى: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين تطفوا عن غزوة تبوك. ا هـ.

وقد ويَعُ الله فبها المنافقين الذين استأذنوا النبي ﷺ في التخلف مظهرين أنهم ذو أعذار وكانوا كاذبين .

. والمعنى:

لو كان الأمر الذى دعوتهم إليه غنيمة أو منفعة قريبة المنال ، أو سفرًا سهلاً قريبًا لا عناء فيه : لاتبعوك : طمعًا في الحصول على المغانم القريبة السهلة ، ولكنهم تطفوا حينما رأوا أن المسفر شاق إلى مسافة بعهدة إلى الشام ، ويحتاج إلى تضحيات جسيمة : فأثروا الجبن والراحة والسلامة ، والتغيرُ في الظلال وقت الحر والقيظ : فدلَ ذلك على أنهم جماعة نفعيون ماديون دنبويون .

وشبيه بهذه الفقرة من الآية قول الرسول ﷺ في شأن المتطفين عن صلاة الجماعة في الحديث المتفق عليه : دلو يعلم أحدهم أنه يجد لحمًا سيينًا ، أو عشمًا عليه لحم لشهد العشاء» (١٠٠٠ .

وَسَهَحْلُفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَفَّنَا لَنُمَرِّجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ ٱلفَّسَهُمَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذَبُونَ .

قَالَ الْفَحْرِ الْرَازِي : أخبر الله رسوله عن المنافقين ، إثر عوبته من غزوة تبوك ، بأنهم سيحلفون له: والأمر لما وقع ، كما أخبر الله تمالى : كان هذا إخبارًا عن الغيب فكان محجزًا .

والمعنى :

وسهتسمون بالله بالهمين الكانية عند رجوعك من غزية تبوك ، قائلين على سبيل الاعتذار عن تفلفهم: لو كنا نستطيع الخروج معك إلى تبوك لفرجنا إليها : فإننا لم نتخلف عن الفروج ممكم إلا مضطرين، فقد كانت لنا أغذارنا القاهرة التى حملتنا على التخلف .

يهلكون أنفسهم يهذه اليمن الفاجرة ، يقسمون يها على الادعاء الكاذب .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادَبُونَ . فقد كانها يستطيعون الخروج ، ولم يكن لهم عدر في التخلف ، ولكنهم آثروا الدُّعة والراحة ، وزهدوا في الجهاد ثم تجرءوا على اليمين القموس كنباً على الله ورسوله .

وفي الحديث الشريف : عن خيثمة بن سليمان أن رسول ఉ 義 قال : «اليمين الغموس تدع الديار بلاقم:(۱۰۰).

واليمين الغموس من الكبائر، ولايكلُّرها إلا الغمس في نارجهنم.

ولكن المنافقين ، وهنت عزيمتهم وضعف يقينهم : فأثروا الراحة ،واستهانوا بالأيمان : ليرضوا بها الناس، وكان الأولى بهم أن يرضوا رب الناس . قال تعالى : يَحْقِلُونَ لَكُمْ آثِرُ طَوَّا عَتْهُمْ هَانٍ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهُ لاَ يُرْضَي مِن ٱلْقَوْمِ ٱلْقَانِمَ الْفَاسِيقِينَ . وَهِيهِ ١٠٠٠ . ﴿ عَمَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَقَّ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَكَفُوا وَتَمْلَمُ الْكَالِدِينَ صَلَقُوا وَتَمْلَمُ الْكَذِيبِينَ ۚ لَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِأَن يُجْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِأَن يُجْمِنُونَ فَى إِنَّمَا يَسْتَعْذِنُكَ الَّذِينَ لَكَ اللَّذِينَ لَكَ اللَّذِينَ لَكَ اللَّذِينَ لَكَ اللَّذِينَ لَكَ اللَّذِينَ لَكَ اللَّهِنَ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ لَكُونُونُهُمْ وَلَوْمُ اللَّهُ مِنْ لَكُونُونَ لَكُونُ اللَّهِنَ لِللَّهُ لَلَّهُ مِنْ لَمُنْ اللَّهُ اللَّهِ فَاللَّهُ مِنْ لَمَا لَهُ اللَّهُ مِنْ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ لَكُونُونَ لَكُونُ اللَّهُ مِنْ لَمْ لَكُونُونَ لَكُونُونُ لَكُونُونُ اللَّهُ مِنْ لَكُونُونَ لَكُونُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللّ

المفردات

عمًا الله منك: أم يرَّا خذك بالإذن لهم في التخلف.

نر<u>ةايت</u>، وقعت في الريب وهو النقله .

يسترهدون: يتحيرون.

التفسس

٣ ٤ - عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ فِي أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَنتِينَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَلُوا وَتَعْلَمُ ٱلْكَاذِينَ .

أى : سامحك الله بإذنك لهم ، لم أذنت لهم بالتخلف ، وهلاً استأنيت بالإذن وانتظرت ، وهلاً تركتهم لما استأذريك ؛ لتملم الصادق من الكاذب عن طريق أصحابك ، أو فراستك فيهم ، ومعرفة أحوالهم .

قال مجاهد : أنزلت مذه الآية في أناس قالوا :استأذنوا رسول الله ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

وذهب فريق من العلماء ، كالإمسام القسرطيى والإمسام فخد الدين الرازى ؛ بأن كلمة عَفَّا ٱللَّهُ مُثلَّدً. تدل على مبالغة الله تعالى في تعظيم الرسول وتوقيره ، كما يقول الرجل لفيره إذا كان معظمًا عنده عقا الله عنك: ما صنت في آمري .

وقال القرطى: قيل: هو افتتاح كلام كما تقول: أصلحك الله وأعزَّك ورحمك كان كنا وكنا. ومن لطائف الشعر قبل على بن الجهم يخاطب المتوكل وقد أمر بنفيه.

 \$ 6 - لاَ يَسْتَعْلِنُكَ ٱللِّينَ يُرْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ أَن يُجَلَهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمُّ ...

أي: ليس من عادة المؤمنين الصادقين ، أن يستأذنوك في الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. بل يبادرون إليه من غير توقف ولا ارتقاب منهم لوقوع الإدن منك فضلاً عن أن يستأذنوك في التطلف.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ۖ بِٱلْمُتَّقِينَ .

أى: أنه تعالى محيط علمه بهؤلاء الذين لم يستأننوا وما اشتمات عليه قلويهم من الإخلاص فى سبيل الله والاستجابة لداعى الجهاد بنشاط وهمة فيجزيهم على ذلك الجزاء الأولى .

ه ٤ - إِنَّمَا يَسْتَعْلِنُكَ ٱلَّذِينَ لا يُولِئُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱزْتَابَتْ قُلُونُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْهِمْ يَتَرَدُّدُونَ .

أى: إذا كان أمل الإيمان لا يستأذنون منك عادة ، فإن الذي يستأذنك في التطلف عن الجهاد من غير عذر؛ إنما هم المنافقون ، الذين لا يصدقون بالله واليوم الأخرولا يرجون ثواب الأخرة ، ولذلك تصعب عليهم مشاق الجهاد ، فقلوبهم متحيرة بين الإقدام والإحجام ، والشك والإيمان ، فهم مرتابون في الدّين ، حائرون لا يهتدون إلى طريق الصدواب .

ويؤخذ من أدب الآيات ماياتي

- لا ينبغى الاستئذان في أداء شء من الواجبات ، ولا في الفضائل والقواضل من العادات كقرى الضيف.
 وإغاثة الطهوف ، وسائر عمل المعروف .
- ٧ قال قادة : عاتب الله رسوله في هذه الآية ، ثم رحَّمى له في سورة النور . فقال : فَإِذَا ٱسْتَأَذُو لَا لِتَعْمَر هَأَيْهِمُ فَأَذَنْ أَمْنَ شِنْتَ مِنْهُمْ . (النون ١٢) .
- ٣- دلَّ قوله : لِمُ أَلِّنتَ لَهُمْ حَتَّى بَشِّنَ لَكَ ٱلَّلِينَ صَنَّقُواْ ... على وجوب الاحتراز من المجلة ، ووجوب التثبت والتأنى ، وترك الاغترار بظواهر الأمور ، والمبالقة في التفحص والتريث .

المطردات ء

السعادهم: تهرضهم للخروج.

ششيطهم، قديسهم وعرقهم.

والارشعوا خلائكم ، ولسعوا فيما بينكم بالنميمة والويشاية ، وهو مأخوذ من أوضعت البعير .. أي : حملته على السرعة، يقال : وضم البعير أي : أسرع ، وأوضعته أننا ، أي : جعلته يسرع .

يبقونكم الفتنة ، يطلبون لكم الفتنة والشر بإيقاع الخلاف بينكم .

التفسيره

\$ - وَلُوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لِأَعَلُواْ لَهُ عُدُةً وَلَكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱلبِعَاتُهُمْ ...

تستمر الآيات في توضيح قبائح المنافقين وبيان خطرهم وتحدير المؤمنين من مكائدهم.

والمعنى:

ولى أراد هؤلاء المفافقون : الخروج معك إلى القتال : لاستعدى وتأهبوا لذلك بإعداد السلاح ، والزاد، والراحلة ، ونحو ذلك من الأشياء التى لا يستغنى عنها المسافر ، والتى كانت فى مقدورهم وطاقتهم .

وَلَكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱلبِعَالَهُمْ فَعَبَّطَهُمْ ...

أى : أبغض الله خروجهم مع المؤمنين ؛ لما فيه من أضرار.

فَيُعَلُّهُمْ . أَى : أَخُرهم وعوقهم بما أحدث في قلويهم من المخاوف ، وفي نفوسهم في الكسل والفتور.

وَقِيلَ ٱلْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ .

أى: قال بعضهم لبعض ، أن قال الشيطان لهم ، أن أنن الرسول لهم بالعقود مُعَ الْقَاعِلِينَ . من النساء والأطفال والمرضى والعجزة الذين شأنهم اللقعود في البيت كما قال تمالى : رُحُوا إِنَّان يَكُولُوا مُعَ الْعُولُلْفِ .
والأطفال والمرضى والعجزة الذين شأنهم اللقعود في البيت كما قال تمالى : رُحُوا إِنَّان يَكُولُوا مُعَ الْعُولُلْفِ .

وهم القاعدون والمتخلفون عن الجهاد.

قال الآلوسي :

وقوله: وَقُولُ ٱلْفُسُواْ مَعَ ٱلْقَاعِلِينَ. تعثيل لفلق الله داعية القمود فيهم ، والقاته كرامة الخروج في قلوبهم ، بالأمر بالقمود ، أو تعذيل لوسوسة الشيطان بذلك ، فليس هناك قول حقيقة .

ويجور أن يكون حكاية قول لبعضهم لبعض ، أن حكاية لإذن الرسول 巍 لهم في القعود ، فيكون القول على حقيقته ، ا هـ.

٧٤ – لَوْ حَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا حَمَالاً ... الآية .

طمأن الله المسلمين ، وبين أن عدم خروجهم مع المسلمين في غزوة تبوك مصلحة للجيش .

والمعنى :

ل خرج هؤلاء المنافقون فيكم ما زادوكم شيئًا من القوة والمنعة : بل زادوكم المسطرابًا في الرأوي. ولمسادًا في العمل والنظام .

وَلاَّوْضَعُواْ خِلاَلكُمْ يَيْقُونَكُمُ ٱلْفِئْلَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمَّ ...

ولأسرعوا بالسمى بينكم بالنميمة والبغضاء ، وتقريق الكلمة ، ويذر بدور التقرقة والاختلاف ، وإشاعة الغوف والأراجيف من الأعداء ولتنبيط الهمة .

وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمَّ .

أى: وفيكم ضعاف ، يتأثرون ويهتمون بسماعهم ونقل نمائمهم .

قال محمد بن إسحاق: كان الذين استأذنوا فيما بلفنى: من ذوى الشرف، مفهم: عبد الله بن أبى بن سلول. والجد بن قيس، وكانوا أشرافاً فى قومهم، فشيطهم الله لعلمه بهم، فإذا خرجوا أفسوا على الذي جنده، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم، فقال رُولِحُمْ سَمَّامُونَ لُهُمْ " ".".

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلطَّالِمِينَ .

أى: والله تمالى لا تمفى عليه خافية من أحوال مؤلاء الطالعين؛ فهو يعلم ما كان وما يكون لهم، ومجازيهم على أعمالهم كلها.

من أحكام الآيات

- يجب الاستعداد للجهاد قبل وقوعه ، والاستعداد للأمور قبل وقوعها ، كما قال تعالى : وَأَصِّلُوا لَهُمْ مُّا
 آستَكَلَّشُمُ مِن قُرَّةً (الأنشان - ١٠) . وقال سبحانه: وَلَوْ أَرَافُواْ ٱلْعُرْرِجَ لِأَصُلُواْ أَمُ صُدَّةً (الدين: ٦٠) .

٢- وغيَّجت الآيات أن خروج المنافقين في جيش المسلمين كانت ستترتب عليه ثلاث مفاسد :-

١- زيادة الاضطراب والقوضي وإقساد النظام.

٧- تفريق كلمة المسلمين بالنميمة والوشاية والإشاعات الكاذبة.

٣- استدراج فئة من ضعاف الإيمان والمزم إلى صفوفهم وسماع كلامهم.

ثم تأكد ذلك بآيات أخرى منها قوله تعالى:

َ فَإِنْ رَّحِمَكَ ٱللَّهُ إِنِّى طَاقِفَة مِنْهُمْ قَاسَتَعْلَمُوكَ لِلْشُرُوجِ فَقُل أَن تَضْرَجُواْ مَعِى أَبَدًا وَلَن تَفْتِلُواْ مَعِى عَلَوًا إِلَّكُمْ رَضِيهُم بَالْقُمُودُ أَوْلِ مَرَّا فَالْقَمُدُواْ مَعَ آلْمَالِلْفِينَ . (الديه: ٨٤) .

* * *

﴿ لَقَدِ اَتَسَعُوا الْفِسْنَةَ مِن فَسَلُ وَقَسَلُمُوا النَّهُ وَرَحَقَّ جَسَاةَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمُّرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَحُوُلُ اَقْذَن لِي وَلَا نَفْتِ فَيَّ الَّانِي الْفِسْنَةِ سَقَطُواً وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً ۚ إِلَّكَ نِفِينَ ۞ ﴾

المفردات،

ابتقوا الطنئة: طلبوا تفريق المسلمين.

والنبوا لك الأمور، واجتهدوا في استعراضها ؛ لتدبير المكايد من أجلك .

ولا تسفية في ولا توقعني في المعصية بتخلُّفي من غير إذن.

اتتسب

٤٨ - لَقَد آيْعَفُواْ ٱلْفِعْنَةُ مِن لَبْلُ ...

منا يذكّر الحق سبحانه رسوله بموقف المنافقين المتغاذل في غزية أحد مين تخلّف عبد الله بن أبى يثلث الناس ، وقال : علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس ١٢ ورغبوا في إيقاع الشرور والمفاسد في مسفوف المسلمين من قبل ما حدث منهم في غزية تبوك .

وَقَلَّهُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهُ وَهُمْ كَارِهُونَ .

أى : أنهم قلبوا وجهات النظر كلها ، وببروا أمورهم لاختيار أنسب الأمور فى الكيد لك ، وفتنة المرّمنين من حولك .

حَتَّىٰ جَمَاءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

وكان الله سبحانه ينصر نبيه ويرفع شأنه ويؤازره حتى ظهر الحق على الباطل وانتصر عليه، فلد انتصر الرسول ﷺ في كثير من غزواته حتى فتح مكة وفتح هيبر وانتصر في غزوة حنين والطائف، وهذلك عدر الشرك والمشركين، وانتصر على الههود دلفل المدينة وخارجها.

وَهُمْ كَارِهُونَ .

أى : المنافقون وأشباههم كارهون لذلك ؛ فهم يكرهون انتصار الإسلام ؛ لأن هذا النصر هيّب آمالهم وأحيط مكرهم .

جاء في تفسير ابن كثير:

لما قدم النبى ﷺ المدينة ، رمته العرب عن قرس وإحدة ، وحاريته يهود المدينة ومنافقوها . فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته ، قال عبد الله بن أبّى وأصحابه : هذا أمر قد ترجّه (أي : أقبل) فدخلوا في الإسلام ظامرًا ، ثم كلما أمر الله الإسلام وأمله غاظهم ذلك وساءهم ، ولوذا قال تمالى :

حَتَّى جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

ً وهذه الآية والتي تبلها لتسلية الرسول والمؤمنين عن تخلف المنافقين ، وبيان ما فبطهم الله لأجله، وهتك أستارهم ، وإزاحة أعذارهم . 4 ﴾ - وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱللَّذَن لِّي وَلاَ تَفْعِينَ أَلاَ فِي ٱلْفِتْةِ سَقَطُوا ۗ ...

أى: ومن المنافقين من يطلب من النبي ﷺ الإذن له بالقعود عن الجهاد ؛ خشية أن يقع في الفئنة. بمشاهدة نساء الروم والإعجاب بهن .

لكن مؤلاء المنافقين قد وقعوا وسقطوا في أشد أنواع الفتنة وهي الكفر بالدين والجبن والخوف وعدم الامتثال لهدى سيد المرسلين .

جاء في تفسير ابن كلير وغيره في روايات عن ابن عباس، وأخرى عن جابر بن عبد الله: أن هذه الآية نزات في الجدّ بن تيس قال له رسول الله ﷺ: يا جدّ بن قيس (وكان من شيوخ المنافقين) ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، فقال: يا رسول الله ، أتأذن لي : فإني رجل أحب النساء ، وإني أخشي إنّ أنا رأيت نساء بني الأصفر أنّ أفتتن ، فقال رسول الله ﷺ وهو معرض عنه : قد أذنت لك ، فنزات الآية (۱۳۰۰).

ولما نزلت الآية قال النبي ﷺ لبنى سلمة - وكان الجدّ بن قيس منهم : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ قالوا : جدّ بن قيس ، غير أنه بخيل جبان ، فقال النبى ﷺ : وأى داء أدوى من البخل ؟ بل سيدكم الغنى الأبيض بشر بن البراء بن معرور .

قال الآلوسي: وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة ، تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة ، المفضعة عن ترديهم في دركات الردي أسفل سافلين . ا هـ .

وقال الفخر الرازى: وفيه تنبيه على أن القوم إنما اختاروا القمود : لئلا يقعوا في الفتنة ، فالله تمالى بين أنهم في عين الفتنة واقمون : لأن أعظم أنواح الفتنة الكفر بالله ويرسوله ، والتمرد على قبول التكاليف التي كلفنا الله بها ... ا هم..

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِٱلْكَافِرِينَ .

وهذا رعيد وتهديد لهؤلاء المنافقين ؛ بأن نار جهنم ستصاصرهم يوم القيامة : لكثرة خطاياهم فلا يجدون عنها محيصًا ولا مهريًا ؛ كما قال تعالى :

بَلَيْ مَن كَسَبَ سَيَّنَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ مَطِيقتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِلُونَ . (البقرة: ٨١) .

﴿ إِن نَصِبَكَ حَسَنَةً نَسُوُهُمُّ وَإِن نَصِبَكَ مُصِيبَةً يَعُولُواْ قَدْ
الْعَذْنَا آمَرَنَا مِن فَبَلُ وَيَحَوَلُواْ وَهُمْ فَرِحُون ﴿ قُل لَن يُصِيبَنَا
إِلَّامَاكَنَا آمَرَنَا مِن فَبَلُ وَيَحَوَلُواْ وَهُمْ فَرِحُون ﴿ قُل الْمُوْمِنُونَ فَل إِلْمُوْمِنُونَ فَلْ اللَّهُ الْمُعَالَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُولِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِ

المفردات،

حسيئية ، تعمة ، والمراديها هنا : النصر والغنيمة .

مسيية : شدة ، كهزيمة أحد .

كستب الله : أثبت في علمه أو في اللوح المحفوظ .

مسولاته: متولى أمورنا

تبريمسون و أصله تتريمسون فخفف بحلف إحدى التاءين ومعناه : تنتظرون .

المستين ، الغايتين المستحسنتين النصر والشهادة في سبيل الله .

التفسيره

· ه - إِن تُعينَكَ حَسَنَةً تَسُوْمُمُ ۚ وَإِن تُعينَكَ مُعِينَةً يَقُولُواْ قَدْ أَحَلْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلُواْ وَهُمْ قُومُونَ .

سبب النزول:

أهرج ابن أبى حاتم: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالسينة، يخبرون عن النبى ﷺ أهبار السوء، يقولون: إن محمدًا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكرا، فبلغهم تكنيب حديثهم، وعافية النبى ﷺ وأصحابه؛ فساءهم ذلك؛ فأنزل الله: إِنْ تُعَبِّكُ صَنَّةً تُسُوَّهُمْ ... الآية.

الماسية :

الآيات السابقة واللاحقة في تعداد قبائح المنافقين ، وبيان نوع آخر من كيدهم ومن خبث بواطفهم، وشمانتهم بالمؤمنين إذا أصبيرا بمصبيبة ، وفرحهم إذا تعرضوا لحسنة .

- Jali

إن عرضت لك في بعض الغزوات حسنة ، أي : نصر وغنيمة كما حدث في غزوة بدر ؛ سامهم ذلك . وأورثهم حزنًا وغمًّا ، يسبب شدة عداوتهم لك ولأصحابك .

وإن تمبيك مصيبة – من هزيمة أن شدّة – كما حدث في غزوة أحد: قال هؤلاء المنافقون: قد اتخذنا ما يلزمنا من الحدر والتيقظ، من قبل وقوع المصيبة التي حلت بالمسلمين، ولم تُلق بأيدينا إلى التهلكة كما فعل هؤلاء المسلمون؛ بل تخلفنا عن الجهاد معهم، ولم نتعرض للهلاك؛ لأنّا متوقعون هذه الهزيمة، وانصرفوا إلى أمليهم وشيعتهم – والفرح يمالاً جوانبهم – ليبشروهم بما نزل بالمسلمين من مكروه.

١ ٥- قُلْ لَن يُصِينَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنا أَهُو مَوْلاَنا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْمَو كُور ٱلْمُؤْمِنُونَ .

هذه الآية رد على هؤلاء الشامتين الشانئين وتوجيه وتعليم للمسلمين بالصبر على البأسأء والرضا بأسباب القضاء .

أى: قل لهم ينا محمد: لن يصبيننا أبدًا إلا ما كُتب وخطَّ فى اللوح المحفوظ: فنحن تحت مشيئته وقدره، هُرُ مُؤلَّانًا . أي: ناصرنا ومتولًى أمورنا، ونتولاه ونلجاً إليه فى كل أحوالنا، وعلى الله وحده فَلْيَسَّ كُلِ ٱلْمُؤْمِّرُونَ، وهو حسبنا ، ونحم الوكيل .

والآية أساس في صدق اليقين ، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، واللجوم إلى الله في الشدة والرضاء ، والاعتماد عليه في المسر واليسر ، والمنشط والمكره مع التفاذ ما يجب من أسباب النمس المادية والمعنوية ، كإعداد العدة اللازمة ، وترقي المنازعات التي تؤدي إلى الفشل وتفرق الكلمة .

والعركل: تفويض الأمر إلى الله ، بعد اتضاذ الأسباب المطلوبة عادة .

وقد وردت آيات كثيرة ، وأحاديث نبوية صحيحة تحث المؤمنين على الصبر على المصائب ، والرضا بالقضاء والقدر ، والقبات في الشائد ، والانتصار على الحزن والهم والغم .

فالحياة دائرة بين العسر واليسر ، والشدة والفرج . والمؤمن واثق بأن الله قد قدّر أزلاً رزقه وعمره وأجله ، وسمادته أو شقاوته ؛ ويهذا لا يحزن على مفقود ولا يكثر الفرح بموجود ، بل هو هادئ رزين إن أصابته نعماء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له .

قال تمالى: مَّا أَصَابَ مِن مُّهِيهَةٍ فِي آلاَّرْض وَلاَ فِي ٱلْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كَيَابٍ مِّن قَبْلِ أَن تَبْرَأَهَا ۖ إِنَّ ذَا لِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِوَّ. (العديد: ٧٧). وفي معنى هذه الآية وردت طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة بعضها في صحيح البخارى ، ويعضها في كتب السنة المطورة ومن هذه الأحاديث ما يأتي .

١- وما يصيب المؤمن من هم ولاحزن ولا تعب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها ؛ إلا كفر الله يها من خطاياه عامل.

٢- هما يزال البلاء يصيب المؤمن حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة "(١٢٥).

٣٠ وأشركم بلاء الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل ، يبتلي الرجل على حسب دينه (٢٠٠) .

٤- واستمن بالله ولا تمجر ولا تقل: لو أنِّي فَعلت كذا لكان كذا بل فلتقل: قدّر الله وما شاء فعل»٢٠٠١.

ه – وما من عبد يبتلى بمصيبة فيقول: اللهم ارتجرنى في مصيبتي وعوضتي خيرًا منها إلاَّ عوضه الله خيرًا مما فقدهه (١٠٠٠)

٢- ومن علامة الإيمان ، الشكر على النعماء ، والصبر على البأساء ، والرضاء بالقضاء (١٣٠).

۷– رعیبا لأمر المؤمن إن أمره کله غیر إن أسابته نعماء شکر فکان غیراً له ، وإن أسابته شراء صبر فکان خمراً له ۱۳۰۶ .

٢ ٥-- قُلْ هَلْ تُرَبِّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيْنِ " ...

أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين:

هل تنتظرين إلا أن يقع لنا إحدى العاقبتين المستتين، إما النصر والظفر، وإما الشهادة والثواب العظيم. فإن عشنا عشنا أعزة كراماً مؤمنين، وإن متنا متنا شهدام مأجورين لنا الأجر والثواب.

جاء في تفسير الآلوسي :

والمامسل: أن ما تنتظرونه بذا – أيها المنافقون – لا يخلو من أحد هذين الأمرين ، كل منهما عاقبته حسنى ، لا كما تزعمون من أن ما يصيبنا من القتل في الغزر سوم ، وانذك سررتم به .

وصبح من حديث أبي مريرة عن النبي ﷺ قال :

«تكفُّل الله تعالى ، لدن جاهد في سبيله ، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كامته ؛ أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي هرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة ، أن أجر إن لم يغنم، (٢٠٠٥

وَنَحْنُ نَعَرُبُصُ بِكُمْ أَنْ يُمِبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِيناً .

أما نحن فننتظر بكم إحدى السوءتين من العواقب : إما أن يصبيكم الله بعذاب من عنده ، وهو قارعة من السماء ، كما نزلت على عاد وثمود .

وإما أن يصيبكم عذاب بأبدينا، وهو الإذن لنا في قتالكم وقتلكم.

أَعْرَبُصُواْ إِنَّا مَعَكُمْ مُعْرَبُصُونَ .

أى: إذا كان هذا أمرنا وأمركم ، فانتظروا بنا ما ذكرنا من عواقبنا ؛ فإنا محكم متريصون يكم ما هو عاقبتكم ، فلابد أن يلقى كل منا ما يتريصه لا يتجاوزه فنحن على بينة من ربنا ، ولا بينة لكم ، لا تشاهدون إلا ما يسرنا ، ولا نشاهد إلا ما يسوؤكم ، فانتظروا أنتم مواعد الشيطان ، إنا منتظرون مواعد الرحمان .

ويهذا ترى الآيات قد حكت طرفًا من رذائل المنافقين ، ومسالكهم الفبيثة لكيد الدعوة الإسلامية ، وردت عليهم بما يكيتهم ويقضمهم على رءوس الأشهاد .

* * *

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوَعًا أَوْكَرَهُا لَنَ يُنَقِبَلَ مِنكُمُّمُ إِلَّكُمُ كُنتُمْ قَوْمَا فَسِقِينَ ﴿ وَمَا مَنْهَمُ مَا أَنَهُمْ اللَّهُ مَا أَنَهُمْ حَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ المَصَافَةَ إِلَا وَهُمْ كَنبِهُونَ ﴿ فَا لَا تُعْجِبُ لَا الْمَصَافَةَ إِلَا أَوْلَهُمْ كَنبِهُونَ ﴿ فَا لَا تُعْجِبُ لَا أَمُولُهُمْ وَلَا أَوْلَهُمْ وَلَا أَوْلَهُمْ وَلَا أَوْلَهُمْ وَلَا أَوْلَهُمْ وَلَا أَوْلَهُمْ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ الللَّالَةُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّلْمُ الللَّل

ر دات ،

طوعًا أو كرها ، أي : طائعين أو كارهين.

التقسيره

٥٣- قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَوْهًا ثَن يُعَمَّلَ مِنكُمَّ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ .

ـــ النزول

لُخرج ابن جرير الطبرى عن ابن عباس قال : قال الجد بن قيس : إنى إذا رأيت نساء الروم لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالى ، قال : ففيه نزلت : أَنْفُواْ فَرُمًا أَزْ كُرُهًا أَزْ كُرُهَا أَزْ كُمُّا أَزْ يَكُمُّ إِنْ سَكُمْ .

. أي: لقوله : أعينك بمالى ، فهذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك ، وقال لرسول (هُ ﷺ: هذا مالى أعينك به فاتركنى .

والمعني:

قل أيها الرسول لهزلاء المنافقين : مهما أنفقتم من نفقة طائمين راضين ، أو متورطين كارهين ، فلن يتقبل الله منكم ، وإن يثيبكم : لأن الإيمان لم يدهل قلوبكم ، والإخلاص لله لم يصل إلى نفوسكم : إِلْكُمْ تُعَمَّ قُومًا فُاسقِينَ .

أي: عناة متمردون شارجون عن الإيمان، والأعمال إنما تصح بالإيمان.

ثم صرح بأن هذا الفسوق ليس فسوق المعصية المحدودة ، بل فسوق الكثر بالله فقال سيحانه :

٤ هـ وَمَا مَتَمَهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ لَقَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَلَهُمْ كَفُرُواْ بِاللَّهِ وَبِرُسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ ٱلصَّلَوْةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يَنْفُونَ إِلاَّ رَهُمْ كَارِهُونَ . يَنْفُونَ إِلاَّ رَهُمْ كَارِهُونَ .

بين الحق سبحانه ثلاثة أسباب لعدم قبول الله نفقتهم ، وإخراج أموالهم للجهاد .

الأول : كفرهم بنالله ويرسوله ، فهم لا يؤمنون بنالله تعالى ولا يصدقون برسالة محمد ، وادعاؤهم الإيمان كلام تستّروا خلقه .

الثاني : لا يرُدُين المسلاة إلا وهم كسالى ، فليس شى قلوبهم نشاط ولا إيمان ، ولا همة أو عزيمة ؛ لأن صلاتهم رياء وتظاهر .

الثالث: أنهم لا ينفقون أموالهم رغبة في ثواب الله ومرضاته ، بل ينفقونها : رعاية المصلحة الظاهرة وسترا للنفاق وقد أخبر النبي ﷺ وإن الله لا يمل حتى تملواء (١٣٠٠)، وقال : وإن الله طيب لا يقبل إلا طيباء (١٩٠٠)، وقال : وإن الله طيب لا يقبل إلا طيباء (١٩٠٠)، لأن الله تعالى إنما يتقبل من المتقين الراغبين في مرضاته وهزلاء ينفقون وهم كارهون ، ولا ينفقون عن رغبة ولغتيار . وفي الحديث المصحيح : وإنما الأعمال بالنبات ، وإنما لكل امرئ ما نوىء (١٩٠١).

٥٥- قَلاَ تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أُولاَتُهُمُّ إِنَّمَا يُرِيدُ آللَّهُ لِيَعَلَّبُهُم بِهَا فِي ٱلْحَوْةِ آلَنُّنَا وَتَرَهَنَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافَرُونَ .

أى: فلا تعجيك أيها النبي، وأيها السامع، أموالهم ولا أولادهم، ولا سائر نعم الله عليهم.

فإنما هي من أسباب المحن والآفات عليهم ، وهي استدراج لهم ؛ حيث شفلتهم دنياهم عن أهراهم , وغفلوا عما أحدً لهم من عذاب مقيم .

أما أموالهم فهم يتعبرن فى تمصيلها ، والمفاظ عليها بصحية الهم والقلق ، والتهديد بالضياح والخسران ، وقد يصحب ذلك الطفيان ، وعدم الشكر لربهم الذى أعطاهم ، ثمّ ترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها، والتصدق بما يجب التصدق به .

وأما الأولاد ، فقد يموتون في الجهاد فيحزنون عليهم أشد المزن ، وقد يؤمنون فيمترق الأباء غيظًا عليهم .

فقد كان لعدد من المنافقين أيناء أتقياء ، كمنظلة بن أبى عامر الذى غسلته الملائكة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبى شهد يدرًا ، وكان من الله يمكان .

والابن إذا صار من الأتقياء العاملين لخدمة الإسلام ؛ تأدى به الأب المنافق ، وصار مصدرًا لاستهجاشه وعذابه(۱۲۰) .

وَتَزَهَقَ أَلفُسُهُمْ وَهُمْ كَالْمِرُونَ .

للسى : إن الله يريد أن تخرج أرواحهم حال كفرهم ؛ لحدم قبولهم لما جاء به الأدبياء ، وتصميمهم على الكفر ، وتماديهم فى الضلالة .

قال الإمام فخر الدين الرازي:

دومن تأمل هذه الآيات عرف أنها مرتبة على أحسن الوجود ؛ فإنه سيحانه لما بين قبائح أفعالهم ، وفضائح أعمالهم ؛ بين مالهم في الأخرة من العذاب الشديد ، وما لهم في الدنيا من وجود المحنة والبلية .

ثم بين بعد ذلك أن ما يفعلونه من أعمال البر لا ينتفعون به يوم القيامة البتة .

ثم بين فى هذه الآية أن ما يظنونه من منافع الدنيا ، فهو فى حقيقته سبب لعذابهم ويلائهم وتشديد المحنة عليهم ، وعند ذلك يظهر أن النفاق جالب لجميع الآفات فى الدنيا والدين ، ومبطل لجميع الشيرات فى الدين والدنيا..» (٣٦٠ . ا هـ .

﴿ وَيَعْلِفُونَ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُم مِّنكُو وَلَاكِنَهُمْ قَوْمُ يُفَرَقُونَ ۞ لَوْ يَعِيدُونَ مَلْجَنَّا أَوْمَغَنَزَتٍ أَوْمُدَّغَلَا ثَوْلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞ ﴾

المفردات ،

يه فسرقون ، يخافون .

ملحك مكانا حصينًا يلجأون إليه .

مسقسارات؛ كهوفًا في الجيال.

مستدهسيلاء نفقًا في الأرض.

للوثلوا إثنيته ، لاتصرفوا نحوه .

وهم يجمعون و وهم يسرعون أشد الإسراع.

التفسيري

٣ ٥- وَيَحْلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مَّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قُومٌ يَفْرَقُونَ .

تستمر هذه الآيات في كشف المنافقين وفضح بهائلهم ؛ فهم يقسمون بالله كنبًا : إنهم من جملتكم في الدين والعمل . والحقيقة أنهم ليسرا منكم أيها المؤمنون : فقلويهم هائية من الإيمان الذي امثلاًت به تلويكم.

وَلَكِتُهُمْ قُومٌ يَفْرَقُونَ .

يقال : قرق قرقا ؛ إذا اشتد خوقه وهلمه من أمر يتوقع حصوله .

أى: إن مؤلاء المنافقين لشدة غوقهم وهلعهم من لقاء الأعداء وجبنهم عنهم ، يحلفون لكم كذبًا أنهم منكم .

وقيل : المراد : إنهم يشاقون أن ينزل بهم ما نزل بالمشركين من القتل والسبى؛ فيظهرون لكم الإسلام؛ تقية منهم لا عن حقيقة .

٧٥- لَوْ يَعِدُونَ مَلْجَتَا أَوْ مَفَارَاتِ أَوْ مُلْحَلاً لُولُواْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ .

لو يجد أولئك المنافقون مكانًا عصيئًا في جبل أو قلمة أو تحوهما يلجئون إليه ، أو كهوفا هفية يخفون فيها أنفسهم ، أو نققًا في الأرض يدخلون فيه ويندسُّن ؛ لانصرفوا إليه عنكم ، وهم يسرعون إسراع الغرس الجموح الذي لا يثنيه اللجام ؛ لأنهم إنما يعيشون معكم كرمًا ، لا محبة وودًا ، ولكن للضرورة أحكام. ولهذا لا يزالون في هم وحرّن وعُمُّ ؛ لأن الإسلام وأهله في تقدم ورفعة ، وعز ونصر وذلك كله يسويُهم.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّنَيْلِيزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُعْطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمُ يَسْخَطُون ۞ وَلَوْ أَنَّهُمُ دَرَضُوا مَا مَا تَنْهُ هُ اللَّهُ وَرَسُولُمُ وَقَا الُواْحَسَّ بُنَااللَّهُ سَكُوْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْدِادٍ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَغِبُونَ ۞ ﴾

المفردات

يسلمستراكه، يعيبك سرا.

في السنقات : في شأن قسمة أموال الزكاة .

يسخطون، يغضبون.

حسينا اثله، أي: كانينا.

التفسيره

٨٥- وَمَنْهُم مِّن يَلْمَزُكُ فِي ٱلصَّدَقَاتَ قَإِنْ أَعْظُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْحَطُونَ .

سبب التزول :

روى البشارى والنسائى: عن أبى سعيد الفدرى رضى الله عنه: قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا، إذ جاءه ذو الخُريَّمبرة التميمى – وهو حُرَّقَوس بن زهير – أصل الفوارج – فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويأكه ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، فقال عمر بن الفطاب: الذن لى أن أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ يُحَاه: قان له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع معلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرُّقون من الدين كما يمرق السهم من الدَّميَّة ٢٠٠٥ من

فنزات فيهم : وَمِنْهُم مَّن يُلْمِزُكُ فِي ٱلصَّنكَاتِ ... الآية .

وأخرج ابن أبى حاتم عن جابر : نموه ، وروى ابن جرير عن ناود بن أبى عاصم قال : وأتى النبى ﷺ بصدقة، فقسمهاههنا وههنا ، حتى ذهبت ، ورأى ذلك رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل ، فنزلت هذه الآية».

ومجموع الروايات يدل على أن الطاعتين من المنافقين.

لعدر:

ومن هؤلاء المنافقين – يا محمد – من يعيبك ويطعن عليك في تسمة المستقات والفنائم ، زاعمين أنك لست عادلاً في تسمتك .

لَإِنْ أَعْظُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَمْ يُعْظَوْاْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ .

إن رضاهم وغضبهم لأنفسهم لا للدِّين ، وما فيه صلاح أهله : لأن الرسول ﷺ استعطف قلوب أهل مكة يوم النصر في غزوة حدين والطائف ، فضيحر المنافقين فقال تمالر . وَانْ أَضُّهُا أَسَهًا رَضُها . . .

وقيل : نزلت في المؤلفة تلويهم : كان يعطيهم النبي ﷺ للتأليف ، وقيل : مو ابن ذي الغويصرة رأس الغوارج . وقيل : مو أبو الجواظ من المنافقين قال : ألا ترون إلى صاحبكم ؟ إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ، وهو يزعم أنه يعدل : فقال رسول الله ﷺ : لا أبالك ، أما كان موسى راعيًا ، أما كان دارد راعيًا ؟! فلما ذهب : قال عليه الصلاة والسلام : احذورا هذا وأصحابه فإنّهم منافقون .

فَإِنْ أَعْطُواْ مِنْهَا رَحُواْ ...

أى: إن أعطوا من الزكاة أو من القنائم ولو يغير حق رضواء وإن لم يعطوا منها فاجؤوله بالسقط، وإن لم يستحقوا للعطاء ، فهم إنما يفضيون لأنفسهم وامتافعهم ، لا للمصلحة العامة ، فليس طعنهم أو نقدهم بريكًا ، ولكن لهدف هاص .

قال الإمام الرازي :

اعلم أن المقصود من هذا : شرح نوع آهر من قيائحهم ونشنائحهم ، وهو طعنهم في الرسول 攤 بسبب أهذ الصدقات من الأغنياء ، ويقولون : إنه يؤثر بها من يشاء من أقاريه وأهل مودته ، وينسبونه إلى أنه لا يراعى للعدل٢٠٠٠ .

٥٩-. وَلَوْ ٱللَّهُمْ وَهُواْ مَا عَلَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيْرِتِينَا ٱللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ۚ إِنّا إِلَى ٱللَّهِ رَاهِمُونَ .

ترشد الآية إلى أدب عظيم لهزلاء وغيرهم ، يتمثل هذا الأدب في الرضا والقناعة ، فطالب الدنيا وحدما إذا لم يكن قدومًا واشبهًا ؛ ربما جرَّه ذلك إلى النفاق .

وقد اشتملت الآية على مراتب أربع :

١ – الرضا بما آتاهم الله ورسوله ؛ لأنه سيمانه حكيم منزَّه عن العبث ، والرسول ﷺ أمين صادق عادل .

- ٢ أن تظهر آثار الرضا على اللسان وهو قوله : حُسْنًا ٱللَّهُ . أي : الرضا يحكم الله وقضائه .
- ٣ الأمل في فضل الله وعوضه فيقول: سُيُوتِينا ٱللَّهُ مِن فَعَلِهِ وَرَسُولُةٌ . إمَّا في الدينا ، وإمَّا في الآخرة .
- 3 إن يقول: إنّا إلى آللّه رَافيُونَ . أي: لا نبغى بالإيمان مكاسب الدنيا من مال وجاه ؛ وإنما نريد الفوز
 بسمادة الآخرة .

فالآية ترسم طريقًا سليمًا ، وتذكر سلوكًا عمليًّا يمتمد على الرضا والقناعة ، واليقين بما عند الله، والأمل في المستقبل ، وأن رزق الله لا ينفد ، ثم الرغبة المستمرة في فضل الله وعطائه ونعمائه ، التي لا تعرُّ ولا تعصى .

وجواب أو . في الآية مطوف، والتقدير: وإو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم .

وفي تفسير الفهر الرازي ، نجد أن هذه الآية منهج عملي في تعليم القناعة والرضا وحسن الأمل.

قال الإمام الرازي :

والآية تدل على أن من طلب الدنيا يطمع وشراهة ؛ آل أمره في الدين إلى النفاق .

وأما من طلب الدنيا بتوسط، ويغرض التوصل إلى مصالح الدين؛ فهذا هو الطريق الحق ، والأصل في هذا الباب أن يكون راضيًا بتضاء الله . 1 هـ .

* * *

﴿ ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَتُ لِلْفُغَرَّاءِ وَالْمَسَدِينِ وَالْمَنِيلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِ ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَنْرِمِينَ وَفِ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِّ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ عَلِيةً حَكِيمٌ ۞﴾

المقردات :

للفقراء؛ جمع فقير وهو من لا مال له ، أو له مال لا يقع موقعًا من كفايته .

والمساكين ، جمع مسكين ، وهو من لا مال له ، أو له مال يقع موقعًا من كفايته ، فالفقير أسوأ حالاً من المسكين وبالعكس.

اتفسى

٠ ٣- إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْقُفْرَاءِ وَٱلْمَسَكِينِ وَٱلْعامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُوْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرَّقَابِ وَٱلْفَارِمِينَ وَفِى سَسِلِ اللّه وَآنِ السَّسِلَّ فَرِيعَةً مِّنَ ٱللَّمَّ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

التاسية،

جاءت هذه الآية وسط الصديث عن المنافقين : ذلك أن المنافقين كانوا ينتظرون أن تورّع عليهم الزكاة، فإذا أعطاهم النبي منها : رضوا وشكروا ، وإذا لم يعطهم : غضبوا وسخطوا .

وهي الآية ٥٨ من سورة التوية : وَمَنْهُم مَنْ يُغْوِزُكَ فِي ٱلْصَنْفَاتِ ۚ قَانَ أَمْعُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن أَمْ يُفَعُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْمَعُونَ .

قال الشوكاني في تفسيره: ولما لمر المنافقين رسول الله ﷺ في تسمة الصدقات: بين الله لهم مصرفها: يفعًا لطعنهم وقطعًا لشفيهم . عن زياد بن المرت قال : وأتي النبيّ رجلٌ فقال: أعطني من الصدقة فقال ك: وإن الله لم يرضُ يحكم نبي ولا غيره في الصدقات ، حتى حكم هو فيها ؛ فجزأها ثمانية أصناف ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك . أ هـ .

وكنت أأفت كتابًا في فقه العبادات ، أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧١م ، وصدرت منه عدّة طبعات بعد ذلك تحدثت فيه عن الزكاة وذكرت فقرة عن مصارف الزكاة ، رأيت أن أنقلها في هذا المكان .

مصارف الزكباة

لم يترك الإسلام أمر الزكاة إلى تقدير ولى الأمر بل بين المصارف وعينها بالنص القرآئس الذي لا يقبل التأويل قال الله تمالى : إِنَّمَا ٱلصَّنْفَاتُ لِلْفَقْرَاءِ وَٱلْمَسَاكِيّ وَٱلْعَالِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُوْقَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرَّقَابِ وَٱلْعَارِمِينَ وَفِي سَبِلِ ٱللَّهِ وَآيِّنِ ٱلسَّبِلِّ قُرِيعَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التربية ١٠٠) . هذا هو النص القرآني المحكم الذي عدد أصفاف المستمقين للذكاة (١٩٠٣) ولنبين كل صنف بكلمة موضحة :

أولا: ٱلْقُفَرَاءِ: وهم الذين لا يملكون أموالاً يزكّون عنها ، أى : أن أموالهم لا تبلغ النصاب وإنما لديهم قليل من المال لا يكني لكل حاجاتهم ، وقيل : من لا يملكون قوت يوم وليلة .

ثانيا : ألّمساكين: قيل في تفسير المسكين : السائل . وقيل : بأن المسكين أشد حاجة من الفقير ، ويروى عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس : إن الفقراء فقراء المسلمين والمساكين فقراء أهل الكتاب ، ويزكى هذا الرأي أن عمر بن المطاب فسر المساكين : بضعفاء أمل الكتاب ، فإنه يروى أنه رأى دُميًّا مكنوفًا مطروحًا على باب المدينة ققال له عمر رضى الله عنه : مالك؟ قال : استكرهوني في هذه الجزية ، حتى إذا كف بصرى تركوني وليس لي أحد يعود على بشيء ! فقال الفاروق : ما أنصفت إذن ! وأجرى له ما يقوته وما يصلحه ، وقال : هذا من الذين قال الله فيهم : إِنَّمَا ٱلصَّفَاتُ لِلْقُوْرَاء وَ ٱلْمَسْكِيْنِ. وهم زمنى أمل الكتاب أى : دور العامات العانوت من الكبير عنه .

وترى من هذا أن الزكاة على هذا التفسير تعطى لمساكين أمل الذمة العاجزين عن الكسب ؛ وهو غير ما عليه جمهور الفقهاء الذين يرون أن الزكاة لا تعطى نغير المسلمين .

ثالثًا : ٱلْعَامِلِينَ عُلِيَّهَا : رهم الذين يعملون في الزكاة في جمعها من أريابها وترزيمها على مستحقيها وهم يعطون على قدر أعسالهم ، وكفاية أستالهم ، ولأن العمل في الزكاة له أجر والأجير يأخذ سواء أكان غنيا أم فقيرا.

راباً: المُولِّقَةِ لُلُوبِهُم : وهم قرم يعطون من الزكاة : تأليفا لقلوبهم أو قلوب ذويهم ، أو تمكينا للإسلام في قلوبهم . أو تمكينا للإسلام في قلوبهم . أو قلوب ذويهم ، وقد قال أبو يعلى في الأحكام السلطانية : «والمؤلفة قلوبهم أربعة أصناف: صنف متألف عنوا المسلمين ، وصنف تتألف قلوبهم : للكف عن المسلمين ، وصنف تتألف قلوبهم ؛ للرسلام في الإسلام فيجوز أن يهيا لقوبهم وعشائرهم في الإسلام فيجوز أن يمكن كل واحد من هذه الأصناف من سهم المؤلفة قلوبهم مسلما كان أو مشركًا» .

وعطاء مؤلاء من قبيل الدفاع عن الإسلام والدعوة له ، فإعطاء المؤلفة قلويهم هو من قبيل ما نسعيه اليوم : (الدعاية) ، ولذلك كان حقًا أن نجعل من مصارف الزكاة تعويل الدعاية فلإسلام ، ويبان مزاياه ، وخواصه ؛ ليعلم حقيقته من لم يكن يعلم .

خامسًا : في آثرُقَابِ : أي : في قك أسر الأرقاء ، فقد كان من عادة العرب أن يعين الواحد لرقيقه مالاً إذا أداه له : تحرر من أسره . فأمر الله المكرمة الإسلامية أن تعد هؤلاء الأسرى بأموال الزكاة : ليتحرروا من رقيم، وقد نهب الرق تقريبًا من العالم .

ونريد أن نسجل في هذا المقام أن الدولة الإسلامية هي أول دولة حاربت الرق في الوجود وحسبها أن جملت جزءاً من ميزانيتها لقك الرقاب ، ولم ينكر التاريخ أي نظام سياسي أو فلسفي سبق الإسلام في نلك .

سادسًا: ٱلْفَارِمِينَ: وهم الذين ركيهم الدِّين ولا وفاء عندهم ، وهم ثلاثة أقسام:

 ١- قسم يستدين في سفاهة وإسراف: لينقق في المحال والمحرم والأكثرون من الفقهاء يرون أن هذا لا يوفي عنه دينه ، إلا إذا تاب وصار من أهل الصلاح والتقي والتدبير.

- ب من استدان لعمالح نفسه كتاجر لزمته ديون في تجارته وهو يحسن تدبيرها ولكن اضطرب الميزان
 الاقتصادي ، وأحاط الدين بماله ولم يف ما عنده من المال بدينه ، فما يقى من ديون بعد ذلك عليه
 يسدد من الزكاة .
- من ركبه دين في مصلحة عامة لا لمصلحة نفسه ، كمن تحمل ديات للمسلح بين الناس ، فقد قال
 الفقهاء: إنه يسدد عنه دينه ، ولو كان غنيا يبقى له بعد سداد الدين من ماله نصاب ، وهذا للتشجيع
 على المروءة والصلح بين الناس .

وإذا مات مدين وليس في تركته ما يفي بدينه يؤدي باقي دينه من مال الزكاة .

والجدير بالذكر: أن الإسلام يجعل الديون العادلة تؤدى من بيت مال الذكاة ، وبهذا سبق الشرائح الإنسانية كلها سبقًا بعيدًا ، وهمومنًا الشرائع التي عامس نشأته ، وحسبك أنك تعلم أن القانون الروماني (١٠٠ أن يعمل أدواره كان يسرغ للدائن أن يسترق المدين ، أما الإسلام فقد جمل دين المعسر تؤديه الدولة عنه وفي ذلك تشجيع للناس على المروءة والقرض الحسن ؛ لأن صاحب المال إن علم أن ماله لن يضيع أبدًا ؛ أقرض القرض المسن . ويصحب القياس على ذلك أن يقرض من مال الزكاة القرض المسن ؛ لأنت الدون العائلة تردي فأولى أن تعطى منها القروض المالية من الربا ؛ لترد إلى بيت المال .

سابعاً : آَسُ السَّبِولِ: والمراد به : المساقر الذي لا يجد مالاً يرصله إلى وطنه ، فإنه يعطى من مال الزكاة ما يوصله إلى وعلنه .

وأما إذا كان غنيًا فيعطيه بيت المال قرضًا ليسترد ما أعطاه عند الرجوع إلى أهله وذويه.

ثاننًا : في سَبِولَ اللّه : والدراد به : الصرف على الغزاة والدرابطين! لِحماية الثغور فيتفق من الزكاة على الهيش وكل ما يتصل به ما دام الجيش يجاهد في سبيل الله .

ولقد فسر بعض الفقهاء كلمة في سَوِل الله بما يعم كل مصالح المسلمين ، فقد جاء في التفسير الكبير. للفخر الرازي ما نصه :

وواعلم أن ظاهر اللفظ لا يوجب القصر على كِل الفؤاة ، قلهذا المعنى نقل والقفال» في تفسيره عن بعض الفقهاء : أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الفير : من تكفين الموتى ، ويناء الحصون ، وعمارة المساجد ؛ لأن قوله تعالى : في سُبيل آللُّوعام في الكله .

ويشمل في سُبِولِ ٱللهِ إعداد دعاة إلى الإسلام والإنفاق عليهم لإظهار جمال الإسلام وسماحته وتبليغ أحكامه والرد على خصومه ، والإنفاق على الكتب التي تتولى هذه المهمة . ويجوز إعطاء الزكاة للمؤسسات الغيرية : كالمستوصفات الخيرية ، والمهاتم ، والعدارس الخيربة : لأن هذه المؤسسات جعلت لصالح الطبقة الفقيرة .

هل تصرف الزكاة على جميع مستحقيها ؟ يرى جمهور الفقهاء خلافا للشافعي أنه لا يلزم المزكى استيماب كل مصارف الزكاة ، بل في أيها وضعت أجزأت ، ويلزم الإمام العناية بالأهم اجتماعيًا قالمهم .

حكمة الزكاة

- الزكاة فريضة واجبة، وسبيل إلى علاج الشع والبشل، وارتقاء بالنفس والروح والوجدان : هيث يعطى
 المؤمن ماله ، ويدهره لهنفعه في قبره ، أو في يوم القيامة : فهو فعلاً اسخار في بنك الأهرة ، وتفذية
 لرصيدنا المقيقي : فإن مالك ما أنفقت : ومال وارتك ما أبقيت .
- الزكاة علاج صالح متعين ؛ لإزالة حُبُ الدنيا عن القلب ، وكسر شدة الميل إلى المال ، والمنع من انصراف النفس
 بالكلية إليه ، وهو المراد من قوله تعالى : خُدْ من أمّو الهم صَلَقَةٌ صُفَرُ مُو رَقِّ كَيهم بِهَا . (الديد : ١٠٠٣).
- ٣- تربية النفس عن طريق الشعور بألام الأحرين ، والإحسان إلى الناس ، والسعى في إيصال الخيرات إليهم،
 ودفم الآفات عنهم ، وهذا من صفات الله وفي الحديث الشريف: وتطلّع ا بأعلاق اللهي .
- توفير محبة الفقراء الأغنياء ، والدعاء لهم ببقاء النعمة ، عن ابن مسعود أن رسول ش 難 قال: «جبلت القلوب على حُبُ من أحسن إليها ويغض من أسام إليهاء (١٩٥٠).
- ً ٥ الحد من ارتكاب الجرائم ، ومن اللحقاق بالأعداء ، فلن لم ينفق الأغنياء على الفقراء ؛ لأقدم الفقراء على الأفعال المنكوة كالسوقة أو على الالتحاق بأعداء المسلمين .

﴿ وَفَنْهُمُ الَّذِينَ يُوْدُونَ النَّيِّ وَيَقُولُونَ هُواْدُنَّ قُلُ اَذُنُ حَيْرٍ لِّكُمْ يُؤْمِنُ اللَّهِ وَيُؤْمِنُ اللَّيْنَ يُؤْدُونَ رَسُولَ اللَّهِ اللَّهُ وَيُؤْمِنُ اللَّهُ وَيُؤْمِنُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْخَصْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ

المفردات :

ن : يسمع كل ما يقال ويصدقه ، كأنه من فرط استماعه صار لَلة للسماع .

يسعماده، يجانب ويشالف ويعادى.

اليفــــزى، الذل والهوان.

التفسيره

تعرض هذه الآيات لوبًا أعر من ألوان إيداء المنافقين لرسول 傳 義، ووصفهم إياه بالفظة وعدم المذر وتصديق كل ما يقال ، أي: نيس له ذكاء ولا تعمق في الأمور.

جاء في تفسير أبي السعود :

نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه ﷺ مالا ينبغي ؛ فقال بعضهم : لا تفعل افإنا نماف أن يبلغه ذلك فيقع بنا ، فقال الجلاس بن سويد : نقول ما شئنا ، ثم تأتيه فننكر ما قلنا ، ونطف فيصدقنا بما نقول : إنما محد أذنَّ سامه١٩٠٥.

وذكر القرطبي: أن الآية نزلت في عنَّاب بن قشير قال: إنما محمد أذن يقبل كل ما قيل له .

٦٠- وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُوْدُونَ ٱلنَّبِيُّ وَيُقُولُونَ هُوَ أَذُنَّ قُلْ أَذُنُّ ... الآية .

أى: رمن المنافقين قوم يؤذون رسول ش 舞 بالكلام فيه ويعيبونه فيقولون: هُوَ أَذُنَّ . يسمع كل ما يقال ويصدقه .

وجاء في تفسير أبي السعود :

وَيُقُونُونَ هُوَ أُذُنَّ أَى: يسمع كل ما قبل من غير أن يتدبر فيه ، ويميّز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات المددق له ، وبين مالا يليق ، وإنما قالوه ؛ لأنه ﷺ كان لا يواجههم يسوء ما صنعوا ؛ ويصفح عنهم حلمًا وكرمًا ، فحملوه على سلامة القلب ، وقالوا ما قالوا .

قُلْ أَذُنُّ عَيْرِ لَّكُمْ.

أى : قل لهم يا محمد : هو أنن كما تقولون يستمع لكم ؛ لكن نعم الأنن هو ؛ لكونه يسمع الغير ولا يسمع الش أى : هو مستمم خير لما يجب استماعه .

كما يقال : فلان رجل مندق وشاهد عدل .

فهر ﷺ يعرف المسادق من الكاذب؛ لكنه يعامل المتافقين بأحكام الشريعة وآدابها ، فلا يقضع أحدًا منهم ، وهن صناحب الغلق الكامل ، والإنسان المقالي .

يُونِمِنُ بِٱللَّهِ وَيُونِمِنُ لِلْمُونْمِنِينَ .

أي: من مظاهر كونه ﷺ أنن خير ، أنه يُوثِّينُ بِاللَّهِ : إيمانًا حقًا لا يحوم حوله هيء من الرياء ، أن المداح أن غيرهما من ألوان السواء .

وُيُوَّسُرُ لِلْمُوَّسِنِّ . أي يصدقهم فيما يقولونه من أقوال ترافق الشرع : لأنهم أسحابه الذين أطاعوه واتبعوه : فهم أمل للتصديق والقبول .

من تفسير الفخر الرازي :

إِنْ قِيلَ : لماذا عدَّى الإيمان إلى الله بالباء ، وإلى المؤمنين باللام فقال : يُوثِّمِنُ بِٱللَّهِ ويُوثِّمِنُ لَلْمُوثِّمِينَ .

قلنا : لأنَّ الإيمان المعدَّى إلى الله : المراد منه : التصديق الذي هو نقيض الكثر فعدَّى بالباء .

والإيمان المعدى إلى المؤمنين: المراد منه: الاستماع منهم، والتسليم لقولهم فعدى باللام.

كما فنى قنوله : وَمَا أَنتَ يِعُونُونِ لَنَا . أَى : بمصدق لنا ، وقوله : أَلُونُونَ لَكَ وَٱتَّبَعُكَ ٱلْأَرْفُلُونَ . وقوله : قَالَ وَاسَتُونَهُ قَبْل أَنْ وَلَانَ لَكُونَ إِنِي . وَرْحُمَةُ لَلَّابِينَ مَاسُّواً سَكُمٌّ . أي : وهو ﷺ رحمة للذين أظهروا الإيمان منكم ، إذ قَبِله لا تصديقًا لهم ، بل رفقًا بهم ، فلم يهتك لهم سترًا ، ولم يكشف لهم سرًا ، بل أحسن إليهم ؛ وتجاوز عن سيئاتهم ؛ رجاء أن يتربوا من نفاقهم ، ويخلصوا الإيمان لريهم .

وَٱلَّذِينَ يُؤِذُّونَ رَسُولَ ٱللَّهِ . ﷺ بتهوين شأنه ، والانتقاص من قدره لَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ . في دنياهم وآهرتهم .

ما يؤخذ من الأسة

- دلت الآية على أن النبى ﷺ مناحب الفلق الكامل ، والفهم الشامل ، والذكاء الفارق ؛ فسكرته عن
المنافقين ليس عن غباء أو اعتزاز ، وإنما عن حكمة ويصيرة ؛ فقد كان يقبل ظراهرهم ، ويترك بواطنهم
إلى الله : رجاء مدايتهم .

٢ -- وصفت الآية الرسول بأوصاف ثلاثة :

فهر يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة لمن آمن ؛ وهذه الأوساف توجب كونه أذن هير .

٣ - إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسالته كفر: يترتب عليه العقاب الشديد. مثل: التهوين من أسره، أو التهامه بالغفلة. وتصديق كل ما يقال: فقد اختاره الله، وأدّبه وميزه بالغلق العظيم. ٱللّهُ أَعْلَمُ حَيّثُ يُحسَّلُ وسُقَّهُ (الأنماء: ١٣٤٤).

٢٧- يَعْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُوشُوكُمْ ۖ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْشُوهُ إِن كَالُواْ مُوْمِيينَ .

سبب الثرول ،

كان المنافقين في علواتهم يطعنون على النبي ﷺ؛ فإذا أبلخ ذلك إلى المؤمنين ؛ جاء المنافقون فحلاق لهم على أنهم لم يقولوا ما يلغ عنهم .

قال القرطبي :

روى: أن قوماً من المنافقين لجتمعوا وفيهم غلام من الأنصار يدعى: عامر بن قيس فحقروه وتكلموا فقالوا: إن كان ما يقوله محمد حقًّا : لنحن شر من الحمير: فقضب الفلام ، وقال : وللله إن ما يقوله محمد شهر المقال من المحمير اثم أغير النبي على يقولهم ، فطفوا إن عامرًا كاذب ؛ فقال عامر: مم الكنية، وحقف على ذلك . وقال : اللهم ، لا تفرق بهننا حتى يتبين صدق الصادق ، وكذب الكاذب، فأنزل الله هذه الأية .

ومعنى الآية :

ينُسم مؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون: أنهم ما ساموا إلى الرسل ﷺ بكلام يعيبه أو ينقص من قدره ، يريدون بذلك أن ترضوا عنهم ، بتصديقهم في نفي ما نقل عنهم من قالة السوء .

وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِنْ كَالُواْ مُوْمِينِينَ .

أى: هم يحلفون لكم ، والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء منكم ؛ لأن الله هو خالقهم ورازقهم وصالك أمرهم ، وهو العليم بما ظهر وبطن من أحوالهم .

ولأن رسوله هو المبلخ لوحي الله ، وإرضاء الرسول هو عين إرضاء الله عز وجل .

حيث قال تمالى : مُن يُطِحِ آلْرُسُولُ فَقَدْ أَظَاعَ اللَّهُ . (انساء : ١٠٠) ؛ لأن مصدر الرسالة واحد ، والأوامر والنواهى واحدة : هذا إذا كانوا مُؤمنين حقًا كما يدعون ويحلفون، فمن كان مؤمدًا ؛ فليرض الله ورسوله ، وإلا كان كانبًا .

٣٣- أَلَمْ يَعْلَمُواۚ أَلَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَانَّ لَهُ نَارَ جَهَتْمَ خَالِدًا فِيهَاۚ ذَا لِكَ ٱلْحِرْى ٱلْعَظِيمُ.

أى: أغاب عن هرّلاء المنافقين ولم يصل إلى علمهم أنه من يعادى الله ورسوله ، ويخالفه بتجاوز حدوده ، أن يلُمزُ رسوله فى أعماله كقسمة الصدقات ، أن فى أخلاقه كقولهم : هى أذنَّ يسمع كل ما يقال له، وكان فى حدَّ ، والله ورسوله فى حد؛ فجزارُه جهتم خالدًا فيها أبدًا ، ذلك العذاب الدائم الذى يلغ الفاية فى الهول والشدة . هو العار الفاضح ، والذل الدائم ، والشفاء الكبير . ﴿ يَحْدَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ شُورَةٌ لَنَيْنَهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ السّهْرِوْرُ إن الله تُحْدِجُ مَا عَمْدُرُونَ ﴿ وَلَهِن سَأَلَتَهُمْ لِيَقُولُ إِلَمَا كُنَّا فَفُوضُ وَلَلْمَا ثُلَقَالُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهِ وَمَا لَيْهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسَتَهْ زِعُونَ ﴿ وَلَا مَنْ لَذِرُوا فَدَ كَثَرَّتُمْ بَعْدَ إِيمَنَا لَهُ إِن لَمَنْ عَنَا الْهِمَةُ فِي مَنْ اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ عَنْ طَلَا إِلَهُ وَمِن اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّه

المفردات ،

يحدر، يخاف.

استهرُدُوا ۽ استخفرا واسخروا .

مطسرج ا مظهر .

شخوش: تدخل ويمضى في الكلام نشغل به أنفسنا .

وتسلسياه ونعيث.

لاتعتشروا، لا تطلبوا قبول المعذرة والحجة التي تيرثون بها أنفسكم.

مجرمون: مرتكبين للجرم وهو الذنب العظيم.

التفسيره

٤ ٣ - يَحْلُدُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَنْ تُوَلَّى عَلَيْهِمْ صُورَةٌ تُسْتُهُمْ بِمَا فِي قُلْوِيهِمْ قُلْ أَسْتَقْوُ هُواْ إِنَّ ٱللَّهُ مُعْرِجٌ مَا تَحْلَدُونَ.

سيب النزول ،

قال السدّى: قال بعض المنافقين : والله لوبدت لو أنّى قدمت فجليت مائة ، ولا ينزل فينا شيء يقضمنا : فنزلت الآية .

وأخرج أبو الشيخ ابن حيان عن قتادة قال : كانت هذه السورة تسمّى : الفاضمة فاضمة المنافقين . وكان يقال لها : المنبئة ؛ لأنها أنيأت بمثاليهم رعوارتهم .

تقهيده

كان المنافقون يخافون من نزول القرآن فاضحًا فهم : كاشقًا استهزاءهم بآيات الله ، وكلامهم الذي ينتقصون فيه رسول الله ﷺ. يَحْلَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَن تَنزِّلَ عَلَيْهِمْ شُورَةٌ تُنبُّعُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم ... الآية .

أى: يخاف المنافقون ويتحرزون أن تنزل على المؤمنين سورة تكشف أحوالهم ، وتفضح أسرارهم ، وتبيّن نفاقهم ، وتخبرهم بما أخفى المنافقون في قلويهم ؛ ويما كانوا يتحدثون به فيما بينهم ، من سخرية واستهزام بالرسول ، ويما أنزل الله عليه من كتاب ، واستخفاف بالمؤمنين .

قُل ٱسْتَهْزِءُوٓ أَ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْلَرُونَ .

أي: قل لهم يا محمد : استهزئوا بآيات الله كما تشاؤون ، وهو أمر يقصد به : التهديد والوعيد .

وبالقوا أيها المنافقون في حذركم وتخفّيكم ما أردتم ؛ إن الله تعالى معلن ومظهر ما تخافون إظهاره؛ وتخشون انكشافه ، بإنزال الآيات القرآنية التي تفضحكم على رءوس الأشهاد ، وتهتك أستاركم .

ه ٦- وَلَيْنِ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعُوضٌ وَلَلْعَبَّ ... الآية .

سبب النزول ،

أهرج ابن المنذر وابن أبي هاتم: عن قتادة قال: بينما رسول الله ﷺ في غروته إلى تبوك ! إذ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون : أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وهصونها ؟! ميهات مههات : فأطلع الله نبهه ﷺ على ذلك ، فقال : احبسوا على الركب ، فأتامم . فقال ﷺ: قلتم : كذا وكذا : قالوا : يانهي الله ، إنما كذا نخوض ونلعب : فنزات .

والمعنى :

والله لئن سألتهم يا محمد عما كانوا يتحدثون به من استهزاء وسخرية من الرسول والمؤمنين.

ليقولن معتذرين كذبًا : إنما كنا ندخل ونعضى فى أحاديث مختلفة للتسلية ، وتخفيف وحأة السُفر ، ولم نكن جادين فهما تصنفنا به : بل كذًا لامين ولاعبين ، لا نقصد بذلك سخرية ولا استهزاء .

قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ .

أى: قل لهولاء المنافقين ، المستهزئين بما يجب إجلاله ، واحترامه ، وتوقيره — قل لهم ، غير ملتفت إلى اعتذارهم فليسرا فيه بصادقين ، قل لهم تقريمًا ، وتوييمًا : ألم تجدوا ما تستهزئون به في مزاحكم ولعبكم كما تزعمون سرى أوامر الله القادر على كشف أسراركم ، وآيات الله المجيدة ، ورسوله الصادق ، الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور. ٣٦- لاَ تَعْطَلِرُواْ ۚ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ... الآية .

أى: لا تشفلوا أنفسكم يتلمس المعاذير وانتحالها ؛ رغية فى دفع اللوم والعتاب عنكم ؛ لتحقق كذبها ويطلانها ؛ فإن الاستهزاء بالله كفر محض وهر مستطير ، وكذلك الاستهزاء بالرسول وأغلاقه وأعماله .

أى: لا تقطوا مالا ينفع : فقد ظهر كنيكم ونفاقكم وكفركم : بالاجتراء على الله والاستهزاء به ويأياته - ورسوله ، بعد أن أطنتم الإيمان وأظهرتم الإسلام .

إِنْ تُعْفُ عَنْ طَآلِفَةٍ مِّنكُمْ.

أى: إذا مسقحنا عن جماعة منهم لصدق تريتهم ، وإشلاص إيمانهم وابتعادهم عن الإيذاء والاستهزاء بعد أن شاشوا في ذلك مع الفائضين .

لْعَلَّابُ طَالِقَةً بِٱلنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ .

أي: نماقب جماعة أخرى على الكفر والنفاق؛ لإصرارهم على ذلك ومضيهم في السخرية والاستهزاء.

من كتب التفسير

١- جاء في تفسير الفخر الرازي ما يألي :

الاستهزام بالدين يعدَّ من باب الكفر ، إذّ إنَّه يدل على الاستفقاف ، والأساس الأوَّل في الإيمان تعظيم الله تعالى ، بأقمس الإمكان ، والجمع بينهما محال .

٢ - جاء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

قال ابن إسماق : كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سلمة يقال به البنى سلمة يقال له : «مضَّسٌ بن حميره يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم : أتحسبون جلاد بنى الأممثر – أى : الروم – كقتال العرب بعضهم ؟ والله لكأنًا بكم غَدًا مقرنين في الحبال : إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين .

فقال مِشَنُّ بن حمير: لوبدت أن أقاضي على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأننا ننجو من أن ينزل فيذاً قُرانَ لمقالتكم مذه ، وقال رسول الله ﷺ – فيما بلغنى – لعمار بن ياسر: وأدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا فإن أنكريا فقل: بلى ، قلتم: كذا وكذاه ؛ فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم ؛ فأنوا رسول الله ﷺ يعتنرون إليه . فقال وديعة بن ثابت ~ ورسول الله ﷺ واقف على راحلته ~: يا رسول الله ، إنما كنًا نخوض ونلعب.

فقال مِشَسُّ¹⁰¹ بن حمير: يارسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، فكان الذي عقى عنه فى هذه الآية هو مخشّ بن حمير ، فتسمى : عبد الرحمن ، وسأل الله أن يُقتل شهيدًا ، لا يعلم مكانه ؛ فقتل يوم اليمامة ولم بوجد له أقر⁽¹¹¹⁾ .

* * *

﴿ ٱلمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْشُهُ مِينَا بَغْضَ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنْصَكِرِ وَيَثْبَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيهُمُّ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَلْسِقُونَ ٣٠٠)

المفردات ،

التناهقون والتناهقات، هم الذين يظهرون غير ما يضمرون .

يعضهم من يعض ، أي : متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان .

يقيضون أيديهم ، كناية عن شبة بخلهم .

نسو الله فنسيهم ، أي : تركوا حق الله عليهم ؛ فحرمهم فضله .

التطسيره

٧٧- ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ يُعْشُهُم مِّنَ يَعْضَ ... الآية ،

تستمر الآيات في بيان فضائح المنافقين وقبائحهم ، وتبين الآية هنا صفات المنافقين ، والفروق الواضحة بين صفات المنافقين ، وصفات المرّمنين .

ولما كان المؤمنون والمؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان المنافقون عكسهم.

ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مَّنَّ بَعْضٍ.

أى : الرجال والنساء يشبه بعضهم بعضًا ، فى صحفة النفاق والبعد عن الإيمان ، ولهى الأخلاق والأعمال.

كما يقول إنسان الآخر : أنت منى وأنا منك ، أي : أمرنا ولحد لا مهاينة ولا مخالفة .

يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكُرِ وَيَتْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ.

هنا تقصيل وبيان ؛ لتشابه ذكورهم وإناثهم في الأعمال المنكرة والأفعال الخبيثة .

فهم يأمرون بالمنكر، وهو ما أنكره الشرع ونهى عنه: كالكذب، والخيانة، وخلف الوعد، ونقض العهد.

أخرج الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :

وآية المنافق ثلاث : إذا حدُّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اوتمن خان» (منا .

وقي رواية : ووإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم قجريه .

وَيَنْهُوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ.

وهو كل ما عرف عن الشرع حسنه ، وأقره العقل والطبع كالجهاد والإيمان والإهلامي ، ويذل للمال في سبيل الله .

وَيُقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ .

أى: يمسكون أيديهم بالمال خسنًا به وشحًا ، فلا يبسطون أيديهم بالنفقة والعطاء للمحتاجين ، قال تعالى عنهم : هُمُ ٱللِّينَ يَقُولُونَ لا تُعَقِّواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَى يَنفَشُواْ وَلِلَّهِ حَوَّاكِنُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَلَكِنَّ آلْمُنافِينَ لا يُفَقَهُونَ . (المنافدين: ٧).

نُسُواْ ٱللَّهُ فَتُسْبِهُمْ .

أي: تركوا طاعة الله وخشيته ومراقبته ! فتركهم سبحانه وحرمهم من هدايته ورحمته وفضله .

والمقصود بالنسيان هذا: لازمه وهو الترك والإهمال؛ لأن حقيقة النسيان على الله تعالى محال.

والمراد : أن الله جازاهم يمثل تمالهم ، وعاملهم معاملة من نسيهم ، بحرماتهم من لطفه وفضله وترفيقه في النتيا ؛ ومن الثواب في الأهرة .

كما قال تعالى: وَلِهِلْ آلْيُومَ لَسَاحُمْ كَمَا لَسِيَّمْ لِّلَاّهُ يُوْمِكُمْ هَلْمًا وَمَأُواكُمُ آلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مَن لَاصِينَ (الجائدة: ٣٤). إِنَّ الْمُنافِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ .

أي: إن المتافقين الذين تقدم شرح حالهم ، هم المارجون عن طريق الحق والاستقامة ، الداخلون في طريق الضلالة ، المتمردون في الكفر ، المتسلخون من كل خير . ﴿ وَعَدَاللّهُ ٱلْمُنْكِفِقِينَ وَٱلْمُنْفِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَجَهَنَّمَ خَلِينِ فِيهاً فِي حَسَبُهُمُّ وَلَعَنَهُ اللّهُ وَلَهُمْ عَلَابٌ ثُقِيمٌ ۞ كَالَّذِينَ مِن مَبْلِكُمْ كَانُوا اللّهُ ثُقِيمٌ ۞ كَالَّذِينَ مِن مَبْلِكُمْ كَانُوا اللّهَ مَنْعَمُوا عِنَافِقِهِمْ فَاسْتَمَتَعُمُ عِنَافِكُمُ اللّهَ مَنْ مَنْكَفِهِمْ فَاسْتَمَتَعُمُ عِنَافِكُمُ كَاللّهِ مِنْكَفِهِمْ وَمُنْفَعُمُ كَالَّذِينَ اللّهُ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ ال

المفردات د

حسيب الماديهم، كافيهم.

والسعسائسهماه والردهم من رحمته .

مستسبع، دائم لا يزول ولا يتحوأ،.

فاستمتموا بخلاقهم؛ فتمتعوا بنصيبهم الذي قدر لهم من الملاذ والشهوات.

وعم السقوية . ومضيتم في أحاديث الاستهزاء والسفوية .

م مات و بطلت وضاع ثوابها .

التقسيره

٨ ٨- وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمُ ... الآية .

تُبيُّن هذه الآية سوء مصيرهم ، وعقابهم في الآخرة وكذلك عقاب الكفار الصرحاء في الكفر.

والمعنى :

إن المنافقين والمنافقات والكفار ، أوعدهم الله جميمًا ثار جهذم يدخلونها ماكثين فيها أبدًا مخلدين هم والكفار فيها .

هِيُ حَسَّبُهُمْ ۚ أَى: جهتم وحدها تكفيهم ؛ عقابًا وعذابًا على نفاقهم وكفرهم .

وَلَعْنَهُمُ ٱللَّهُ . أي : طريهم وأبعدهم من رحمته .

وَلُهُمْ حَلَابٌ مُّقِيمٌ . ولهم عناب دائم لا ينقطع فهم في الدنيا يعيشون في عناب القلق والحدر ؛ من أن يطلع المسلمون على نفاقهم ، وفي الآخرة يذوقون عذاب النار ، ماكلين فيه أبدًا . وَلَّهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . أي: دائم لا يفارقهم في جهنم ! جزاء ما اقترفوا من جرآدم وآثام .

٩٩ – كَٱلَّذِينَ مِن قَلِكُمْ كَانُواْ أَهَدُ مِنكُمْ أَوْةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا ... الآية .

من شأن القرآن أن يلفت النظر إلى ما أصاب الأمم السابقة التي كذبت رسلها وشفلتها الماجلة عن الهاقية مثل : قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم .

وهذا يذكّر المنافقين في المدينة ، والكفار في مكة وأشباههم في كل مكان : أن من سبقهم من المكتبين لم يحصل لهم إلا حبوط الأعمال وإلاّ العزى والفسار ؛ مع أنهم كانوا أقوى من هؤلاء المنافقين؛ وأكثر أموالاً وأولاناً.

وقد جاء الفطاب في بداية الآية على آسلوب الالتفات من الغبية إلى الفطاب؛ لتحريك نفوسهم إلى الاعتبار والاتعاظ.

والمعنى :

أنتم أيها المنافقون ، حالكم كمال الذين خلوا من قبلكم من الطفاة: في الانحراف عن الحق، والاغترار بشهوات الدنيا وزينتها ، والاستغناء بها عن النشل في العواقب ، والتأمل في المق والفير .

لكن هؤلاء الطفاة السابقين ، كانوا يمتازون عنكم ؛ بأنهم كانوا أعظم قوة في أبدانهم ، وممثلكاتهم وتغوقهم ، وكانوا أكثر منكم أموالاً وأولادًا .

فَأَسْتَمْتُواْ بِعَدَالِهِمْ فَأَسْتَمْتُكُم بِعَلاَلِكُمْ كُمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِعَلاَقِهِمْ.

الخلاق : النصيب وهو ما خُلق للإنسان أي قُدُّر من خير.

المتى: إن السابقين تمتعوا بنصيبهم الذى قدر لهم من حظوظ الدنيا، وأفرغوا كل جهد لهم فى التمتع بالملذات والشهوات، ونسوا حق الله عليهم، ولم يلتزموا بطاعته، واستخفوا بأنبيائهم وسخروا منهم؛ فكذلك كنتم بعدهم مثلهم؛ انتفعتم بنصيبكم الذى قدر لكم من متاع الدنيا وزينتها، وحرصتم عليه، وجعلتم الاشتغال به غاية الغايات.

ويعد أن امتلأت أيديكم بالنعم ؛ استعملتموها في غير ما خلقت له ؛ وسخّرتموها لإرضاء شهواتكم الفسيسة ، وملذاتكم الغائبة .

وقريب من ذلك قوله تعالى: أَذْهَبُهُمْ طُيِّباتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ ٱلنُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعُمْ بِهَا . (الأحقاف: ٢٠).

قال الزعشري في تفسير الكشاف:

قات : أى فائدة فى قوله : قَاسَعُمُعُواْ بِمَعَلَّقِهِمْ . وقوله : كَمَا آسَتَمُتَعُ ٱلَّذِينَ مِن قَبِلَكُم بِمَعَلَّقِهِمْ . مغن عنه كما أغنى : كَالْلَهِي مَاضُواْ . عن أن يقال : وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا ؟

قلت : فاتلناء : أن يتم الأولين بالاستمتاع ، بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها ، والتهاتهم بها م والتهاتهم بشهواتها الفائية : عن النظر في العاقبة ، وطلب الفلاح في الأخرة ، وأن يخسس أمر الاستمتاع ، ويهجّن أمر الرضا به ، ثم يشبّه بعد ذلك حال المماطيين بحالهم ، كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون ؛ كان يقتل بغير جرم ، ويعنّب ويعسف ؛ وأنت تفعل مثل فعله ، وأما وتُخشِعُمْ كَالّلْنِي
خَاشِرًا ، فعملوف على ما قبله مستند إليه ، مستفن باستناده إليه عن تلك التقدمة (١٠٥ .

وعموما فالتكرار هذا للتأكيد أيضًا.

وَخُفِتْتُمْ كَأَقْلَى خَاصُّوا . أي : دخلتم في الياطل واللهو.

والمعني:

ويـ علتم أيها المنافقون والكافرون في حمأة الباطل ، وانفمستم فيه كانغماس الذين مُصُورا قبلكم من الأمم .

أُوْلَتِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّلْيَا وَٱلآخِرَةِ .

أى: أولثك الذين انفمس أهى الهاطل إلى الأنقان من الغريقين ، بطلت مساعيهم ، وفسدت أعمالهم فى الدينا : لأنَّها أعمال رياء وسمعة ، وفى الآخرة : لأنهم لم يقصدوا بها وجه الله .

وَاوُلَيْكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ .

الذين خسروا في مطلة الربح والمنفعة : لأنّهم لم يحصلوا على الثواب ، وأتعبوا أنفسهم في الربّ على الأنبياء والرسل : فما وجدوا إلاّ فوات الخيرات في الدنيا والآخرة .

قال الزمنشرى : وهذا نفيض قوله تعالى : وَعَالَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي ٱللُّنَّيْا وَإِنَّهُ فِي ٱلْأَسْرِةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ . (المنكبوت: ٧٧) .

﴿ أَلَمْ يَأْيَهِمْ بَنَا ۚ الَّذِينَ مِن قَبِّلِهِمْ قَوْرِ نُوج وَعَادٍ وَتَسُودَ وَقَوْمِ إِبْرُهِمَ وَأَصْحَدِ مَنْيَنَ وَالْمُؤْقِفِكَتِ أَلَنْهُمْ رُسُلُهُم بِأَلْبَيِّنَتِ فَمَاكَانَ التَّهُلِطُلِمَهُمْ وَلَنَكِنَ كَانُوا أَنْشُكُمْ يَطْلِمُونَ ۞ ﴾

المقردات :

تحيدا ، خبر له شأن .

المُؤتِّفَكَاتُ ، المنقليات وهي قرى قوم لوط .

بالبيئات، بالمجج الراضمات.

التفسيره

· ٧ - أَلَمْ تَأْتِهِمْ نَهُ ٱللَّذِنَ مِن قَلِهِمْ قَوْمِ أُوحٍ وَعَادٍ وَقَفُودَ وَقَوْمٍ إِبْرَاهِمَ وَأَصْحَابِ مَلْيَنَ وَٱلْمُوتِهِكَاتِ مِنْ

لاًم يصل إلى أسماح هزلاء المنافقين والكافرين أهبار الأمم المكتبة للرسل ، وما حل بهم من عقوبات ومن هزلاء الأقوام : أَفْرِمُ أَمْرِحُ الذين أَعْرِقُوا بالطوفان الذي عم جميع أهل الأرض القديمة ، إلا من آمن ينوح عليه السلام .

وَهَادٍ قوم هود ، الذين أهلكوا بالريح العقيم ؛ لما كذبوا هودًا عليه السلام .

وَتُمُودَ قوم صالح ، الذين أخذتهم الصيحة ؛ لما كذبوا صالحًا وعقروا الناقة .

وُلُوِّم إِبْرَاهِمِ الذين أملكهم الله يسلب النصة عنهم ، ويتسليط البعوضة على ملكهم نمروذ بن كنعان ابن كوش الكنماني ، وقد نصر الله إبراهيم وأيده بالمعجزات الظاهرة ، وأنقذه من النار .

وَأُصِّحَابِ مَلْيَنٌ قوم شعيب عليه السلام ، الذين أصابتهم الرجفة وعذاب الناريوم الظلة .

وَالْمُوْقِهُكَاتِ. وهى القرى التى لتتفكن بأهلها ، أى : انقلبت فصار أعلاها أسفلها ، فالمرتفكات صفة القري وهى القرى أو المرتفكات صفة القرى وهى قرى قوم لوط الذين كانوا يسكنون فى مدائن ، فأهلكهم الله بالغسف ، وجعل عالى أرضهم ساقلها وأمطر عليهم الحجارة ، وأمّ قراهم سدوم ، أهلكهم الله عن آخرهم ؛ يتكذيبهم نبي الله لوطًا عليه السلام ، وإتيانهم الفاحشة ، واستغذاء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وهى المثلية الجنسية ، قال تعالى: وَأَنْ وَلَمْ مُنْفَا مُا مُكْفَى . (النجاح ، 8).

وقد أهلك الله مكتبين كثيرين ، لكنه اكتفى هنا بذكر هذه الطوائف الستُ ؛ لأن آثارهم باقية ، ومواطنهم هى الشام والعراق واليمن وهى مواطن قريبة من أرض العرب ، فكانوا يمرّون عليها فى أسفارهم، كما كانوا يعرفون الكثير من أخبارهم .

أَلْتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبِينَاتِ .

وهذا كلام مستأنف لبيان أبنائهم وأهيارهم أى : إن هرلاء المهلكين قد جاءتهم رسلهم بالمعجزات والحجج، والدلائل القاطعة على وحدانية الله ، فلم يؤمنوا وكذبت كلّ أمة رسولها وآذته : فأهلكهم الله بذنههم ؛ وما كان الله ليمند أحدًا بغير ذنب .

فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَطْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَطْلِمُونَ .

أى: فما صحح ولا استقام في سنة الله في علقه أن يحاقبهم بغير ذنب فيظامهم بذلك ، ولكن هؤلام الطفاة ظلموا أنفسهم ، بالكفر والقسوق والعصيان : فاستحقوا ذلك العذاب .

* * *

المفردات،

أولسيساء ، جمع ولي وهو المعب.

خالدين فيها ، ماكلين فيها مكلًا دائمًا ..

جنات هدن، أي : جنات إقامة وخلود ، يقال : عدن بالمكان عدنا وعدونا أقام به .

التفسير

بعد أن بين القرآن سوء حال المنافقين والكفار في الدنيا والآعرة بين هنا حسن حال المؤمنين وجميل فعالهم، وما يلقونه من جزاء في الأخرة . والقرآن بهذا يوازن بين كفتين : لينزجر المنافق ويقوب العاصى ، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا .

٧٧ - وَٱلْمُوْمِنُونَ وَٱلْمُومِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضَيَّ ...

إن التماون بين أمل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات كان معروفًا من اليوم الأول للإسلام ، وكان قائمًا في ميادين الهجرة والجهاد والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة : فأهت عمر بن الشطاب أرشدته إلى الإسلام ، وأسماء بنت أبي بكر لها موقف في الهجرة ، وهناك بيعة تسمّى : بيعة النساء ذكرها القرآن الكريم في الآية ١٢ من سورة المعتمنة ، وكانت النساء تشهد الجماعات والجمع والأعياء وتساهم في الجماد ، وكن يسقين الماء ويجهزن الطعام ، ويحرضن على القتال ويرددن المنهزم من الرجال ، ويواسين المرحى وهااجن المرضى وهاجرة المواسية المرضى وها المرضى وها المرضى وها المرضى وها المرضى على القتال ويردون المنهزم من الرجال ، ويواسين

وقوله سبحانه : يَعْشُهُمْ أَرْلِياً وَيُعْسِ . فهم نصراء مترادُون متعابون : كما قال ﷺ في العديث المصديح : «ترى المؤمنين في توادُّهم وتراحمهم كمثل الجحد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالعمى والسهر»(١٠٠) .

وفي الحديث المعجيح أيضًا : «الدؤمن للمؤدن كالبنيان يشد بعضه بعضًاء" ، وشبُّك ﷺ بين أصابعه ، وقد ذكر سبحانه منشأت المنافقين ، كما يأتى :

١- يعضهم من يعض ؛ يقلُّه بعضهم يعضًا ، يدون ولاء ولا محية .

٢- يأمرون بالمنكر.

٣- ينهون عن المعروف .

٤- لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالي.

٥ – يقبضون أيديهم ويمسكون بها عن النفقة ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون .

وفي الآية ٧١ من سورة التوبة نجد صفات المؤمنين كالآتي :

\ - بَشَيُّهُمُ أُونِّلِ أَبْقَا يَبْعَشِيءٍ يتولى بِمَصْهِمٍ بعضًا بما يعود عليهم بالخير، في مقابل المنافقين بعضبهم من بعض. بدون ولاءً يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيُنْهُونَ عَنِ ٱلْمُتَكِرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلْوَةَ وَيُؤْثُونَ ٱلزَّكُوةَ وَيُطِيمُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ...

٢- وهم يأمرون بالمعروف: وهو كل ما عرف عن الشرع حسنه.

٣- وهم ينهون عن المنكر: وهو كل ما عرف عن الشرع قبحه.

٤-- وهم يقيمون الصلاة تامَّة الأركان في خشوع وخضوع.

٥- وهم يؤدون الزكاة خالصة لوجه الله .

٦- والمؤمنون والمؤمنات يطيعون الله ورسوله ، ويتركون ما نهيا عنه ؛ امتثالا وحبا وطاعة لله ورسوله.

أُوْلَتِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ .

أي : هؤلاء الذين التصفوا بهذه الصفات : تعهد الحق أن يشملهم برحمته ، وأن يسبخ عليهم نعمه ظاهرة و ماطنة .

إِنَّ ٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

فهر سبحانه قوى قاهر مالك الملك بيده الخلق والأمر ، وهو سبحانه حكيم فى أعماله وفى تدبير أمر عباده على وفق العدل والمكمة والصواب فيخص المؤمنين بالجنة والرضوان ، ويخص المنافقين بالنار والعذاب والغضب .

٧٧- وَعَدَ اللَّهُ ٱلْمُونِينَ وَٱلْمُوْمِنَاتِ جَنَّاتِ تَجْرِى مِن تَحْقِهَا الْأَلْهَارُ خَالِمِينَ فِيهَا وَمَسَاعِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنَّ وَرِخْرَانٌ مِّنَ اللَّهُ آكُمَرُّ لَا لِكَ هُوَ ٱلْمُؤْرِ ٱلْطَافِمُ .

وقد أعد الحق سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء مفسَّرة للرحمة :

- الجنات التي تجرى من تحتها الألهار ، فينعم الناظر إليها : حين تجرى الأنهار تحت أشجارها وغرفها
 منضبطة بالقدرة الإلهية في غير أخدود (شق) وهم فيها خالدون فلا يموتون ولا يخرجون منها.
- ٧- المساكن الطبية ، وهي المنازل التي تستطيبها النفرس ، أو يطيب الميش فيها ، في جنات عدن وهي أبهى أمهى أمهى أمهى أمهى أمهى أمهى المنازل المنها ، وعُدُن اسم موضع معين في الجنة ، أو بمعنى : دار إقامة ، ينزل فيها الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن يشاء الله .

٣- وخوان من الله أكبر ، وهذا الرضا هر الفوز الأكبر ، والتميم الروحي المقيقي، فالسعادة الروحية أفضل من السعادة الجسمانية ، وقبل : إن الرضوان هو رؤية الله يوم القيامة .

ذُ لِكُ هُوَ ٱلْفُورُ ٱلْعَظِيمُ . أي : هذا الفوز بالجنة ونعيمها ، ورضوان الله وكرامته لأحبابه في الجنة ، هو الفوز العظيم ، فمتاح الدنيا قليل فان ، أما نعيم الجنة ورضوان الله فهو الفوز العظيم حقًّا وصدقًا .

من السنة النبوية الشريفة

جاه في المحيمين عن أبي موسى الأشدري أن رسول الش ﷺ قال : هبنتان من ذهب آنيتهما وما فهما ، وجنتان من فضة ، آنيتهما وما فههما ، وما بين القرم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» .

ثم قال رسول (橋 ، وإن للمؤمن في الجنة لخيمة من لرّائة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً في السماء ، للمؤمن فهها أهلون ، يطوف عليهم ، لا يرى يعضهم يعضّاه\١٠٠١،

وهي المسعيمين عن أبى مريرة رضى الله عنه : وإن في الجنة مائة درجة ، أعدّما الله للمجاهدين في سهيلة ، بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن:«** .

وروی الإمام مالك والشهمان: أن رسول الله ﷺ قال: وإن الله عن وجل يقول لأمل الجنة: يا أهل الجنة: يا أهل الجنة ورب الجنة ورب الجنة ورب الجنة ورب الجنة ورب ، والمير في يديك ، فيقول: مل رضيتم ؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى با رب ، وقد أعطيتنا مالم تعط أحدًا من خلقك ؟! فيقول: ألا أعطيكم أقضل من ذلك ؟ فيقولون: يا رب ، وأى شيء أفضل من ذلك ؟! فيقولون: يا رب ، وأى شيء أفضل من ذلك ؟! فيقولون: يا رب ، وأى شيء أفضل من ذلك ؟! فيقول: أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا الأسه.

من كتب التفسير

جاء في كتاب : في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ما يأتي:

وَرِضُوانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُّ .

وإن الجنة بكل ما فيها من نعيم لتنضاءل وتتوارى في هلالات ذلك الرضوان الكريم.

وَرضُوانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ .

إن لحظة لتصال بالله ، لحظة شهود لجلاله ، لحظة انطلاق من حُبِسة هذه الأمشاج ، ومن ثقلة هذه الأرض ... لحظة إشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح الله ، إنَّ لحظة واحدة من تلك اللحظات التي تتفق للقدرة القليلة من البشر في ومضة صفاء ، ليتضاءل إلى جوارها كل متاع ، وكل رجاء ، فكيف برضوان من الله يضر هذه الأرواح ، وتستشمره يدون انقطاع ؟!

ذَا لِكَ هُوَ ٱلْقُوْزُ ٱلْعَظِيمُ .

* * *

﴿ يَمَا يُبَا النِّي جَهِدِ الْكُفَارَ وَالْمُنَفِقِينَ وَاغَلْظُ عَلَيْهِمْ وَمَأُونَهُمْ جَهَنَّمُ وَيِلْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَعْلِفُونَ وَاللّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدَّقَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْدِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَاهِمْ وَهَدُّ وَالمَالْمَيْنَالُوا وَمَانَقُمُوا إِلّا آنَ أَغْسَلُهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضَلِيدً يَتُوبُوا يَكُ خَيْلَ لَمُنْذَ وَإِن يَسْوَلُوا يُعَذِيبُهُمُ اللّهُ عَذَا اللّهِ اللهِ عَالِثَ نَبْ وَالْآخِرَةً وَمَا لَمُمْرَ

اللف دات ،

ونقلظ مليهم، واشد عليهم ولا تأخذك بهم رأقة ورحمة .

وماواهم جهتم؛ أي: ومكانهم ومقرهم الذي يأوون إليه وينزلون فيه جهنم.

المستسيرة المأل والمرجع.

قالوا كلمة الكفر ؛ أي: نطقوا بما يدل عليه من الألفاظ.

يما لم يستسالسواء بما لم يستطيعوا الوصول إليه.

التقسير،

٧٧- يَا أَيُّهَا ٱلنِّيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱفْلُطْ عَلَيْهِمْ ...

كان رسول الله ﷺ سهلاً مالفًا محببًا، وكان يلقى الناس جميمًا مستبشرًا باسمًا متفائلاً، يمتثل قوله تمالى : قَيِمًا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنِتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ قَطَّا طَيِطَ الْقَلْبِ لِالْمَشُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَآعَفُ عَنْهُمْ وَاَسْتَغُوْر لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ … (ال صوان: ١٥٩). وكانت هذه المعاملة الحسنة ؛ ربما أطمعت المنافقين وجراتهم ؛ لأن النبى 魔達كان يعاملهم بالحسنى مثل المؤمنين ؛ فأمره الله أن يفلظ لهم فى القول والفعل ، وأن يظهر فى وجهه عدم الرضا عنهم ، حتى يدفعهم ذلك إلى البحث عن عيرب أنفسهم ، والانتقال من النفاق إلى الإيمان .

روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : «جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان».

وعن ابن مسعود قال : لما نزات : يا أَيُّها ٱلنِّيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارُ وَٱلْمُنْافِينَ : أمر رسول الله ﷺ المسلم أن يجاهد بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فليلقه برجه مكفهر .

قال صاحب الخار: ويقهم من هذا الحديث أن هذا في جهاد الأفراد بالمعاملة ، لا في جهاد الجماعات بالمقاتلة : فهر إذًا بمعنى إزالة المنكر في قوله ﷺ: ومن رأى منكم منكرًا ، فليفيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقليه وذلك أضعف الإيماني" من رواه الجماعة إلا البخارى .

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى : يَا أَيُهَا الَّذِينَ ءَاسُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مَّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلِيُجِدُّواْ فِيكُمْ هِلْفَقَّةً. (انتية : ۱۲۳)

والفلظة في اللغة : الفشوتة والشرة ، ومعاملة العدو المصارب يهما من وضع الشيء في موضعه . قال الشاعر :

ووضِم النَّدي في موضِم السيف في العُلا مُضرَّ كوضِم السيف في موضيع الندي

فلما أساء المنافقون الأدب مع رسول الله ﷺ؛ وقالوا عليه : هو أذن ، وتكور نقضهم لعهد الذبي ﷺ؛ أمره الله تمالي بالطلقة في جهاد الكفار ، والمنافقين(٢٠٠٠).

ومثل هذه الآية بنصَّها في سورة التحريم ، قال تمالى : يَا أَيُّهَا ٱلنِّيُّ جَاهِدٌ ٱلْكُفَّارُ وَٱلْمُنافِقِينُ وَٱظْلَطُ عَلَيْهِمُّ وَمَاْوَاهُمُّ جَهَنَّهُ وَيُسَى ٱلْمَهِيرُ (العحريم: ٩) .

و الغيارمية : أن الله سبحانه وتعالى أمر رسول الش 義 بجهاد الكفار المسرحاء : الذين يظهرون الكفر بالسيف والسلاح ، وأن يجاهد المنافقين ويجالدهم بالحجة والبرهان ، وإقامة الحدود ، مع الغلظة والشدة والحرم في معاملتهم في الدنيا .

وَمَأْوَاهُمْ جَهَامُ وَيِئْسَ ٱلْمَصِيرُ .

أما في الآخرة فإن مرجعهم ومقرَّهم هو النار ويئس المرجع الذي يصيرون إليه ، والنهاية التي سينتهرن إليها . ٧٤- يَحْلَقُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلَمَةَ ٱلْكُفُو وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ... الآية .

تشير أسباب النزول إلى أكثر من سبب لنزول هذه الآية ، مما يفيد تعدد الأحداث التي عدرت من المنافقين ، وفيها كيد وبسُ للرسول ﷺ وللمسلمين .

فإذا واجههم الرسول ﷺ بما قالوه من مخالفات تبرَّأوا من ذلك ، وحلفوا كذبًا أنهم لم يقولوه .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلين اقتتالا أمدهما من جهيئة ، والأخر من غفار وكانت جهيئة حلفاء الأنصار ، فظهر الففارى على الجُهيئى ، فقال عبد الله بن أبى للأوس : انصروا أخاكم ، والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : «سمّن كلبك يأكلك ، والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ ؛ فأرسل إليه فجس يحلف بالله ما قاله الله الله الله الله الله يا ألمسل

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ... الآية

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس : أن الجُلاس بن سويد قال : لذن كان محمد صداحًا ؛ لنحن شر من الحمير (يقصد الآيات التى نزات فيمن تخلف من المنافقين) ؛ فرفع عمير بن سعيد ذلك إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قاله الجُلاس (بضم الجهم) ؛ فأحضر النبى الجُلاس وسأله عن مقالته ؛ فحلف بالله : ما قلتُ ، فأنزل الله تعالى: يَحْقُلُونُ بِآلَلُهُ مَا قَالُواْ ... الآية .

وقيل: إن المُلاس تاب بعد ذلك وحسنت تويته .

وقيل : إنها نزلت في رجل من المنافقين : قال له النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك ، فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا : فتجارز عنهم النبي ﷺ : فأنزل الله : يَسْطُفُونُ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ... الأبة .

وعلماء القرآن يذكرون : أنه قد يتعدد السبب ؛ والمنزَّل واحد .

فلا مانع أن تتعدد حوادث من المنافقين تكلموا فيها كلاما سبَّنًا على النبي ﷺ وعلى المسلمين ، فلما انكشف أمرهم ، ووجهت التهمة إليهم ؛ أقسموا بالله ما قالوا .

والتعنى: يقسم مؤلاء المنافقون بالله: ما صدر عنهم ما نُسبِ إليهم من القول السيِّئ ، وهم كانبون في معراهم حانثون في يعينهم .

وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ.

أى: لقد صرحوا بكلمة تدل على كفرهم الذى كتموه ، وتفضح نفاقهم ، إذ قالوا : إن كان ما يقوله مجد حقًّا في شأن المنافقين وهم أشرافنا : لنحن شرمن الحمير .

أو أن كلمة الكفر إشارة إلى كل مقالة قائها المنافقون في نم النبيّ 義 مثل: قولهم: هو أذن ، وقولهم لا تنفروا في العرّ ... وغير ذلك من الكلمات القبيحة التي نطقوا بها ، أو خبترها في قلوبهم ونفوسهم : ويذلك كُمُّرُوا بِنَّهُ إَسْلاَمُهِمْ . وأطهروا ما في قلوبهم من الكفر ، بعد إظهارهم الإسلام .

وَهَمُواْ بِمَا لَمْ يَعَالُواْ .

جاء في أسباب النزول للواحدي ، وفي كتب التفسير :

أنها نزلت في خمسة عشر رجلاً من المنافقين ؛ همّوا بقتل رسول الله ﷺ، عند عودته من غزوة تبوك، وانفقوا أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنّم العقبة بالليل .

فأعد عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها ، وحذيفة يسوقها ، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بواقع أعضاف الإبل ، وقعقمة السلاح ، فالتفت فإذا هو بقوم ملتَّمين فقال : إليكم يا أعداء الله ؛ فأمسكوا ، ومضى النبي ﷺ حتى نزل منزله الذى أواد ؛ فأنزل الله تمالى : وَهُمُّواْ بِمَا لَمُ يَثَالُواْ .

أي : حاولوا إلحاق الأذي برسول الله ﷺ ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ؛ لأن الله عصمه من شرورهم.

وتيل : مَمُوا بِلِهَرَاجِ الرسول والمؤمنين من العدينة ، أو بأن يتُرُجوا عبد الله بن أبي ملكًا عليهم ؛ فأحيط الله مؤامرتهم .

وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَصْلِةٍ .

أي: وما حمل هؤلاء المنافقين والكفار على بفض النبى وما عابوا من أمر الإسلام شيئًا يستحق العيد؛ بل المعبة والإيمان .

فقد كانوا قبل قدوم النبى إلى المدينة في غاية الضنك وشدة للحياة ؛ فأغفاهم الله تعالى من فضله ، وأغناهم الرسول بالفنائم والمنع ، وكانوا كسائر الأنصار في المدينة فقراء .

وهذه الجملة جاءت على أسلوب: تأكيد المدح بما يشبه الذمُّ مثل قول الشاعر:

يقطسرن مسن نجسنة دمسا

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

أى: ليس هناك شيء ينقمون منه ؛ إلا أن الإسلام كان سبب غناهم .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : وَمَا نَقَمُواْ مِيْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُوْمِنُواْ بِاللَّهِ ٱلْعَرِيْزِ ٱلْحِيدِ و ٱلَّذِى لَهُ مَلَكُ ٱلسَّمَانِ اتِ وَالْأَرْضِّ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ شَهِيدٌ . (البروج: ٨، ٩) .

لقد أغنى الله المنافقين بعد فقر ، وتُنل للجُلاس مولى ؛ فأمر رسول الله ﷺ بديته بـ ١٣ ألف درهم ؛ فاستغنى بها الجلاس .

وقد كان الإسلام وسيلة إلى الغنى الروحى ، لمن حمل العقيدة فكانت سببًا في عز الدنيا وسعادة الأخرة. فَإِن يَوَ اوْ أَيْكُ حُمِّرًا لَهُمْ .

خإن يتوبرا من النفاق ومساوئ أقوالهم وأفعالهم : يكن ذلك خيرًا لهم وأسلح ، ويقبل الله تويتهم ، وفي هذا ترغيب لهم بالتوية ، وفتح باب الأمل والرجاء بالرحمة أمامهم .

قيل: إن الجُلاس بن سويد تاب بعد هذه الآية وحسنت تربته .

وَإِنْ يَتُوَلَّوْا يُعَلِّبُهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱللَّذَٰيَا وَالآخِرَةِ.

أى: إن أعرضوا عن التوبة : يعنبهم الله عذابًا مرّامًا في الدنيا بالقتل والأسر ، واغتنام أموالهم، وعيشهم في هم والملق وخوف ، وإحساسهم بالعزلة والمقاطعة من جانب المؤمنين ، كما يعنبهم في الأخرة عذابًا طديدًا في الدرك الأسفل من النار .

وَمَالُهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِن وَلَّى وَلاَ تَعْبِيرٍ .

ليس لهم أحد في الأرض يدفع عنهم عناب الله أو يحميهم من عقابه ؛ لأنْ عقاب الله لن يدفعه دائع هو.

وَإِذَا أَرَادَ آللَّهُ بِقُوْمٍ سُوَّةًا فَلاَ مَردَّ لَّهُ وَمَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالْ. (الرعد: ١١).

﴿ ﴿ وَمِنْهُم مِّنْ عَلَهَدَ الله لَهِ مَا تَعْنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَدَّفَنَ وَلَنَكُونَنَ مِنَ الصَّلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 الصَّلِلِحِينَ
 المَّسَلِومِينَ
 المَّسَلُولِ
 المَّسَلُولِ
 المَّسَلُولِ

المفردات ،

مين فغييابه ، زيادة خيره وإنعامه .

فاصقيهم نشاشًا؛ أي: جمل الله عاقبة يشلهم نفاقًا ، أو أورثهم البخلُ نفاقًا .

نيه واهمه أي: ما تحدثوا به علنًا فيما بينهم بعيدا عن المؤمنين.

سبب التزول

نزلت هذه الآيات فى رجال من المنافقين : نيتل بن المارث : وجِدَّ بن قيس ، ومعتب بن تشير : عامدوا الله ورسوله : لئن أغناهم الله من فضله ؛ ليسارعُنَّ إلى إخراج المستقة ، وصلة الرحم ، والحج ، والزكاة ، وسائر القربات والطاعات.

فلما أعطاهم الله المال يشاوا به ، ونقضوا العهد وأعرضوا عن النفقة وعن الإسلام ، وعن تكاليف الله وأوامره ،

فزادهم الله نفاقًا في قلوبهم إلى يوم الحساب في الآشرة أي: مأتوا منافقين.

قصة مشهورة لكنها غير صحيحة

هناك قصة مشهورة بين الناس ، تروى سبب نزول هذه الآيات ، ربدتها كتب النفسير كما وربت في كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزائي .

بيد أن هذه القصة لم تصبح لدى المحدُّثين .

وهي ما أهرجه الطهراني وابن صردوية وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل ، بسند ضعيف عن أبي أمامة : أن ثطبة بن حاطب أتي النبي ﷺ قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً ، فقال عليه الصلاة والسلام ، ويا ثعلبة ، قليل تؤدي حلّه خير من كلير لا تطبقه» .

فذهب ثم عاد فقال: يا رسول الله ، والذي بمثك باللحق لثن رزقني الله مالا ؛ لأعطين كل ذي مق مقّه: فدعا له رسول الله ﷺ ؛ فاتخذ غنما فنمت وكثرت حتى ضافت بها المدينة ، فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة .

ثم أنزل الله على رسوله : خُذْ مِنْ أَمُوالِهِمْ صَنَقَةٌ تُعَلَّمُرُهُمْ وَتُزَكِّهِم بِهَا . (التربة : ٢٠٣) .

ناستمدل الذبي صلى المستقات رجلين ، وكتب لهما كتابًا ، فأتيا ثملية ، فأقرأه كتاب رسول الله على الله الله الله ا فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ، فارجعا حتى أرى رأيى ؛ فنزلت فيه وفي أمثاله تك الآيات. وأخرج ابن جريور وابن مردوية عن ابن عباس : نحوه .

فجاء ثعلبة بالزكاة ؛ فقال له النبي ﷺ : وإن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك ،

ثم جاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها ، ثم جاء إلى عمر فى خلافته فلم يقبلها ، ومات فى زمان عثمان رضى الله عنه .

و العقيقة : أن ما روى عن ثعلبة هذا غير صحيح لدى المحدِّين ، وثعلبة بدرى أنصارى ، وممن شهر الله له ورسوله بالإيمان .

قَالَ ابن عبد البر: ولعل قول من قال في ثعلبة: إنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير مسيح والله . أعلم .

وذكر عن ابن عباس فى سبب نزول الآية : أن ثعلية بن حاطب أبطأ عنه ماله بالشام ، فحلف فى مجلس من مجالس الأنصار : إن سلم ذلك البال لأتصنقنَّ منه ولأصلنَّ منه ، فلما سلم يمثل بذلك ، فنزلت. وهذا أيضا غير صحيح (**).

وعلماء الحديث ضعفوا نسبة هذه الآيات إلى ثطبة : لأسباب تتعلق بسند الحديث ، ويصاحب القصة لأنه شهد بدرًا ، والتبي ﷺ قال : ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شقتم؛ فقد غفرت لكم» ١٩٠٠

والآيات في محتواها تنطيق على المنافقين ، وعلى كل من يقابل نعم الله بالكفران : إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال السيد رشيد رضا في تفسير المنار:

وهذا بيان لحال طائفة من أولكك المنافقين ، الذين أغناهم الله ورسوله من فضله ، بعد الفقر والإملاق، ويوجد مظهم في كل زمان ، وهم الذين يلجئون إلى الله تعالى في وقت العسرة والفقر ، أو الشدة والضرّ ، فيدعونه ويعاهدونه على الشكر له ، والطاعة لشرعه : إذ هو كشف ضرهم ، وأغنى فقرهم ، فإذا استجاب الله لهم ، تكسوا على رءوسهم ، وتكمسوا على أعقابهم ، وكفروا الذعمة ويطروا الحق ، وهضموا حقوق الذياق ، وهذا على من شرّ أسفالهم . أه .

التفسين

٥٧ - وَمِنْهُم مِّنْ صَلْهَدَ ٱللَّهُ لَكِنْ عَالَمْنَا مِن فَعَلْلِهِ لَنَصْدُقَنَّ وَلَتَكُولَنَّ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ... الآية

أي: ومن المنافقين قوم عامدوا الله ، وأكثّرا عهودهم بالأيمان المفتقة ؛ فقالوا : أَمِنْ وَالنَّا مِن أَسَلُهُ لنتصدقن على الفقراء والمحتاجين ، ولنعلين كل ذي حق حقه ، ولنكرين من عباد الله المسالحين ، الذينَّ يؤدّرن حق الله في أموالهم من الإنفاق في سبيل الله ، وسائر رجوه البر والخير وصلة الأرهام .

٧٠ - فَلَمَّا عَامَتُهُم مَّن فَعَيْلِهِ يَعِلُواْ بِهِ وَتَوَلُّواْ وَّهُم مُّعرِضُونَ .

نلمًا أعطاهم الله من فضله ، ووسع عليهم من رزقه ، وحقق لهم ما سألوه : ضدُّوا بالمال على خلقه، ويخلوا به وأمسكوه : فلم يتصدقوا منه ، ولم ينفقوا منه في مصالح الأمّة كما عاهدوا الله عليه ، بل تولوا بكل ما أوتوا من قوة عن المهد وطاعة الله ، وأدبروا وأعرضوا إعراضًا جازمًا عن النفقة وعن الإسلام ، بسبب تأصل طبح النفاق في نفوسهم .

وهذا نجد أن الآية وصفتهم بصفات ثلاث:

الأولى: البخل، المالية: التولى عن العهد، العالمة: الإعراض عن تكاليف الله وأ

٧٧ - فَأَصْفَتَهُمْ بِفَاقًا فِي قُلُونِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقُوْلَهُ ...

أى: صير الله عاقبة أمرهم نفاقًا دائمًا في قلوبهم بمعنى: زادهم نفاقًا ، وقيل : أعقبهم ذلك البخل نفاقًا ، واستمر ذلك النفاق ثابدًا متمكنًا ملازمًا في قلوبهم إلى يوم الحساب في الأخرة .

وفي هذا دليل على أنهم ماتوا منافقين .

وهذا يليل أنص على أن المنزل فيه ليس ثطبة أن حاطب البَدَّريين ،

ولو كان ثعلبة تاب وجاء بماله للنبي ﷺ تائبًا ؛ لقبل النبي ﷺ تويته ، وقبل منه المال .

فالقصة تحتاج إلى نظر ؛ إذ كيف يردُ النبي ﷺ تائبًا ، ثم كيف يرفض ذلك أبو بكر مع أنّه حارب مانعي الزكاة ركيف يرفضه عمر؟.

ولذلك ضعُّف علماء الحديث ، قصة سبب نزول الآيات ، التي تغيد: أنها نزات في ثعلبة ؛ لأسباب تتعلق بسند الحديث ، وأسباب تتعلق بموضوح الحديث .

بِمَا أَخْلَقُواْ آلِلَّهُ مَا وَعَلَّوهُ وَبِمَا كَالُواْ يَكُلِّبُونَ .

أي: أن ملازمة النفاق لهم كان يسببين:

الأول : إخلافهم العهد الذي عاهدوا الله عليه من التصدق والصلاح .

الهاني: استمرارهم على الكتب في جميع أقوالهم.

وهي معنى هذه الآية ورد في المصعيحين : عن رسول ش 編 أنه قال : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذاىء أخلف ، وإذا ارتدن خان» (١٠٠٠ .

وفي رواية : «وإذا عاهد غدر ، وإذا شامع قجره .

٧٨- أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجَوَاهُمْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـمُ ٱلْفُيُوبِ .

والاستفهام في أول الآية للتوبيخ والتهديد والتقريع .

والمعنى: أنه يعلم هؤلاء المنافقون أن الله مطلع على ما يفقونه فى صدورهم من النفاق ، وما يتناجون به أو يتحدثون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين ، وأن الله محيط علمه بكل ما يفيب عنهم وعن غيرهم : فلا يفقى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، فهو عالم بالسر والنجوى ، وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تفقى الصدور ، ويعلم ما ظهر وما يطن ، هو سبحانه يعلم كل ذلك ، ويعلم ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه . فكيف يكنبون على الله فيما يعاهدونه به ١٢

ما يؤخذ من الآيات

من الأحكام والآداب التي أخلها الطماء من هله الآيات ما يأتي :

 ١ - وجوب الوماء بالعهد ؛ فإن نقض العهود ، وعلف الوعد ، والكذب على الله ؛ يورث النفاق فإذا عاهد المؤمن ربه في أمر : فليجتهد في الوفاء به .

- ٢ أن للإمام أن يعتنع عن قبول الصبقة من صاحبها إذا رأى المصلحة في ذلك ، وامتناع الرسول ﷺ عن
 قبول الصبقة من ثعلبة أو غيره ، بما كانت للأسبان الآدية :
 - (أ) إمانته؛ ليعتبر غيره به ، فلا يتخلف أحد عن إخراج الزكاة في وقتها .
- (ب) ربما جاء بها على وجه الرياء : هُوفًا من الفضيحة ، ومن كلام الناس ، وأعلم الله رسوله بذلك فلم يقبل منه الصدقة .
- (ج.) الزكاة لتطهير النفوس وتزكيتها ، ولعل هذا لم يكن حاصلاً في ثعلبة أن غيره : فلهذا امتنع الرسول
 عن قبول تلك الصدقة .
- ٣ النفس البشرية ضعيفة شعيمة إلا من عمىم الله: فينبغي أن نوبّن النفس على طاعة الله ، وأن تجبرها
 إجبارًا على مضالفة الهوى والشيطان ، وإيقار ما عند الله على كل شيء من حطام الدنيا .

* * *

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِ الصَّدَفَاتِ وَالَّذِينَ الْمُؤْمِنِينَ فِ الصَّدَفَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَهِدُونَ إِلَّا جُهُدَ هُرُونَ السَّفَوْرُ لُكُمْ الْسَنَفُورُ لُكُمْ الْسَنَفُورُ لُكُمْ الْمَعْمَ اللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْعِلْمُ اللْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المقردات

يسلمسرُون ، يعيبون بالكلام الواضح أو بالإشارة بالعين أو الرأس ، مع كلام خفى .

سيمين مرة ، المراد يه : المبالقة في العدد .

المطوعين، المتصدقين تطوعًا.

التفسين

٧٩ - ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطُّوَّمِينَ مِنَ ٱلْمُوْمِينَ فِي ٱلصَّدَقَلَتِ ... الآية

سبب اثثرُول ،

جاء في تفسير الطبري ، والرازي ، وأبي السعود ، وابن كثير وغيرهم ما يأتي :

عن ابن عباس رضى الله عند : أن رسول الله ﷺ خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا المندقات ، ويتعاهم إلى إهراجها ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال : كأن لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة ، وأمسكت لعيالي أربعة ، فقال ﷺ : بارك الله لكه فيما أعطيت ؛ وفيما أمسكت ؛ فبارك له حتى منواحت تماشر رابعة نسائه عن ربح الثمن على ثمانين ألفًا .

وجاء عمر يندوذلك ، وجاء عاصم بن عدّى الأنصارى بسبعين وسقا من تمر المعدقة ، وجاء عثمان ابن عفان بصدقة عظيمة .

وچاء أبن عقيل بصاع من تدر ، وقال : أجَّرت الليلة الماضية نفسى من رجل، لإرسال الماء إلى خفيله: فأخذت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما لعهالى ، وأقرضت الأخر ربَّى ، فأمر رسول الله ﷺ بوضعه في الصدقات .

فلمزهم المنافقين وقالوا : ما جاءوا بصدقاتهم إلا رياءٌ وسمعة ، وإن الله ورسوله لغنيان عن صاح أبي عقيل .

فأنزل الله تعالى مده الآية .

المعنى : مرّلاء المتافقون في كل أمة أمرهم عجيب غريب ، ديدتهم تغييط الهمم ، والدمير القيم ، فلا يسلم من طعتهم أحد : فهم يعيبون المتبرعين الأغتهاء ؛ فيتهمونهم بالرّباء فيبما بذلوء بسخاء .

وهم يعيبون الفقراء فيما تبرعوا به من طعام قليل ؛ ويقولون : إن الله غنى عن صدقتهم ،

فهم لسوء تواياهم ، وينقل تقوسهم ، ويثيث قلويهم ؛ لا يرضيهم أن يروا المؤمنين يتنافسون شي إرضاء الله ورسوله .

فَيُسْخُرُونُ مِنْهُمْ . ومن تيرعهم القليل ، ويزعمون أن الله غنى عن هذا القليل .

وما علموا أن الله ينظر إلى تلوب الناس ونواياها ؛ فيعطى العطاء الجزيل على النيّة الصادقة ، وريما سبق درهم دينارًا ؛ لأن صاحب الدرهم أعاص النية ، وجاد بما يملكه على قتله .

سَحَرُ اللَّهُ مِنْهُم .

أى : جازاهم على سخريتهم بالإذلال والإهانة في الدنيا ؛ ليكونوا موضع سخرية الناس واستهزائهم؛ جزاءً لهم في جنس عملهم .

وَلَهُمْ عَلَابٌ أَلِينًا

وأعد لهم في الآخرة عدابًا شديدًا مؤلمًا ؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

٨ - ٱسْتَفْر لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَقْرْ لَهُمْ إِن تَسْتَقْرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةٌ قَلَن يَنْفَرُ ٱللَّهُ لَهُمْ .

سبب النزول:

قَالُ الشَّعَى : سأل عبد الله بن عبد الله بن أبيَّ رسول الله ﷺ – وكان رجلاً مسالحًا – أن يستففر لأبيه في مرضه ؛ فقعل ، قنزلت الآية اسم .

وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير، قال على بن أبي طالب عليه السلام ۲۰۰۱:

لأَصبُّ من العامن وابن العامن سبعين ألفًا عاقدي التوامس

وقيل : لما نزلت الأيات المتقدمة في المنافقين وفي بيان نفاقهم ، جاءوا إلى رسول الله ﷺ يمتنرون إليه ، ويقولون : استغفر لنا فنزات هذه الآية (٩٠٠) . إليه ، ويقولون : استغفر لنا فنزات هذه الآية (٩٠٠) .

أى: مهما استففرت لهم يا محمد نئن يغفر الله إن لقد كثرت ذنويهم ومربوا على النفاق ، وتعطلت قلوبهم عن الاستجابة لأمر الله ، فهم كالكفار .

فسواء استففر لهم الرسول أن لم يستففر لهم قان يسترالك عليهم ذنويهم بالعفو عنها ، وإذه لو استغفر لهم سيمين مرة قلن يفغر الله لهم ، وإن يعفو عنهم ، وذلك نظور قوله تعالى :

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَعْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمُ تَسْتَعْفِرْ لَهُمْ أَن يَغْفِرْ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهُ لاّ يَهْدِي ٱلْقُومْ ٱلْفُنسِقِينَ . (استانقون: ٦).

لقد كان الذبي ﷺ رحينًا كثير الرحمة بأمته ؛ وامتدت رحمته إلى المنافقين والكفار ؛ فكان يطاب لهم الهداية ، وكان يدعو للمشركين كلما اخته به أداهم .

روى ابن ماجة : أن رسول الله ﷺ كان يقول : واللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، (١٧٠).

وكان عذر الرسول ﷺ في ذلك : عدم يأسه من إيمانهم ، والممنوع منه هو الاستففان بعد العلم بانطباع الخويم على الضلالة .

قال تعالى : مَا كَانَ لِلنِّيِّ وَٱلَّذِينَ ءَاسَّوَا أَنْ يَسْعَفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي لُمْ يَنْ مِن بَعْدِ مَا تَيْنَ لَهُمْ أَلْهُمْ أَصْحَلْبُ ٱلْجَحْدِي (الديمة: ١٩٢) . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقُومَ ٱلْفَاسِفِينَ .

أى: ذلك الحكم السابق: سببه أنهم كفروا وجحدوا بالله ورسوله ، فلم يقرُّوا بوحدانية الله تعالى ، ولم يعترفوا ببعثة النبي ﷺ ، وأصروا على الجحود والإنكار ، فلم تعد قلوبهم مستعدة لقبول الخير والنور ، وإن سنة الله ألاً يوفق للخير المتمردين في الكفر ، الضارجين عن الطاعة ، الذين فقدوا الاستعداد للإيمان والتوبة.

﴿ فَمَرِحَ ٱلْمُخَلِّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَنِهِدُوا بِأَمْوَلِهُدُ وَأَنْشِيهِمْ فِسَبِيلِ اللَّهِوَالُوالَانَيفِرُوافِي ٱلْحَرِّقُلْ نَارُجَهَ نَمَ أَشَدُّكَرَّا لُوَكَانُوا يَفْقَهُونَ ۞ فَلَيْسَكُوْ اقِيلَا وَلِبَكُوا لَكِيرًا جَزَاهُ إِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞﴾

اللقردات

السمك الشون ؛ الذين تخلفوا عن الجهاد بأعذار كاذبة .

يسمق منهم و يقعودهم .

خلاف رسول الله ، أي : يعدد أو مخالفة له .

التقسين

٨١ - قَرِحَ ٱلْمُحَلَّقُونَ بَمَقَعَدِهِمْ عِلَنْفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُحَلِّهُواْ بِأَمْوَ الْهِمْ وَأَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ. الآية

كانت غزرة تبوك فى شدة الحر والمبيف ، وسمت همةً المؤمنين للخروج والجهاد فى سبيل الله ، بينما هبطت همة المنافقين وكرهت الجهاد ومظقاته ، وجاءت هذه الآية تعرض لوبًا من زهدهم فى المكارم ، ونفروهم من المعالى ، ورغبتهم فى الرامة والدعة ، والتخلف مع النساء والصبيان والشيوخ الكبار والمجائز، ولم يندمرا على هذا التخلف : بل شجعوا غيرهم على القعود عن الجهاد وقائوا لهم : لا تتفروا فى الحرُ.

قَالَ الْدَكتور محمد سيد طبطاوي في معنى الآية :

ذرح المخلفون من هؤلاء المنافقين بسبب تعويهم في المدينة وعدم خروجهم إلى تبوى للجهاد مع الرسول ﷺ والمؤمنين ، وكرهوا أن يبذلوا شيئًا من أموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله ٣٠٠٠ .

وجاء في تفسير الكشاف للزمخشوي:

وَكُرِهُواْ أَنْ يُجَلِّهِ لُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ .

في هذه الفقرة تعريض بالمؤمنين ، ويتحملهم المشاق العظام لوجه الله تمالى ، ويما قطوا من بثل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى ، وإيثارهم ذلك على الدعة والمفضى ، وكره ذلك المنافقون ، وكيف لا يكرهونه ، وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان ، ويذعى الإيقان .

وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَدَمَ أَشَدُّ حَرًّا .

أى: قال بعضهم لبعض ، على سبيل الإغراء بعدم الخررج للجهاد: العدوا معنا في العدينة ، ولا تفرجوا للجهاد مم المؤمنين : قبإن الحر شديد والسفر طويل ، وتعويكم يريحكم من هذه المتاعب .

قُلْ نَارُ جَهَنَّمُ أَضَدُّ حَرًّا لَّوْ كَاتُواْ يَفْقَهُونَ .

أى : إن نار جهنم التي أعدت للعصاة والتي تصيرون إليها بمخالفتكم ؛ أشر حرًا مما فررتم منه من الحر ، فلو كانوا يعقلون ويعتبرون ؛ لما خالقوا وقعنوا ، ولما فرحوا بل حزنوا .

فقد اشتروا متعة قليلة زائلة ، وياعوا المكارم والجهاد ، وتحمل التبعات في سبيل خير الدنها والأخرة.

قال الزمخشري في تفسير الكشاف: •

قُلْ لَازُ جَهَلْمَ أَهَدُّ حَرًّا.

فيه استجهال لهم ؛ لأن من تمسُّن مشقة ساعة ، قوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد ؛ كان أجهل من كل جاهل .

٨٧ – فَلَيْمُ حَكُورًا لَلِهالًا وَلَيْهَكُواْ كَثِيرًا جَوَاءَ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ .

أى: فليضحك هؤلاء المنافقون سرورًا بقعوبهم ، وسخريتهم من المؤمنين ، فليضحكوا ضحكًا قليلاً مهما طال أو كفر : لأن متاع الدنيا قليل ، وسيكون حزنهم ويكاؤهم فى الآخـرة كثيرًا : لأنـه عقــاب دائـم لا ينقطع بسبب ما كانوا يكسبون فى الدنيا من النفاق .

وتقيد الآية: هوإن العاجلة ، ويقاء الآخرة ، وأن العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .

قال تعالى : بَلُ تُوثرُونَ ٱلْحَيْزَةَ ٱللُّنْيَا * وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَلَى . (الأعلى: ١٧،١٦).

و في التفسير:

لو كانت الدنيا من نصب يفنى ، والأخرة من خزف يبقى ؛ لوجب إيثار ما يبقى على ما يغنى ، فكيف والحال أن الدنيا من خزف يفنى ، والأخرة من ذهب يبقى .

إن العاقل من يشتري نعيمًا سرميبًا أبديًا ، ويبيع متاعًا زائلاً ؛ لكن المتافقين اشتروا العاجل وياعوا الآجل.
روى الإمام والشيخان : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التي توقدونها جزء من
سبعين جزءًا من نار جهنهه "١٠٠" .

وأهرج الشيفان في المنحيحين: عن التعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهتم، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرْجل، لا يرى أن أحدًا في أهل النار أشد عذابًا منه، وإنه أهونهم عذابًا، (١٠٠٩)

* * *

﴿ فَإِن زَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَلَامِنَ وَيَنْهُمْ فَاسْتَعْدَثُوكَ لِلْحُرُوجِ فَقُل لَن تَغَرُجُوا مَعِي أَبْدًا وَلَن لُقَيْلُوا مَعِي عَدُوًّا إِنْكُرْ رَضِيتُ مِ إِلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَيْلِفِينَ ۞ ﴾

اللغرداتء

رجم من الله عنه الله عنه المراد هنا : الرجوع من تبوك إلى العدينة ، حيث يقيت فيها جماعة من المتعلقين .

هاستاذنوك للشروج ، طلبوا منك أن تأذن لهم في الخروج إلى غزوة أخرى .

ظاهمدوامع الخالفين، فاقعدوا مع المتخلفين ،؛ لعدم لهاقتهم للجهاد ، كالنساء والأطفال والعجزة .

التفسيره

٨٧ - فَإِن رَّجْعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآفِقَة مِّنَّهُمْ فَآسْطَدُنُوكَ لِلْحُرُوجِ ... الآية

المعلى : فإن ردّك الله تعالى من سفرك هذا إلى طائفة من مؤلاء المنافقين ، المتخلفين بالمدينة ، ثم أردت الخررج إلى غزوة أخرى ، فاستأذنوك لتسمح لهم بالخررج معك ، فقل لهم ؛ تعزيراً وعقوبة : لن تخرجوا معى أبدًا على أية حال ، ولن تقاتلوا معى أبدًا عدمًا بأيّ وضع كان . إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوْلَ مَرَّةٍ فَالْقُعُدُواْ مَعَ ٱلْحَـٰلِفِينَ .

أى: اخترتم القعود عنى أول مرة ، وتخلفتم يلا طر ، وكنيتم في أيمانكم الفلجرة ، ويترحتم بالقعود، فالعدوا مع الخالفين . أى : فاقعدوا : علوية لكم مع الذين لا يصلحون للجهاد من الشورخ العلوزين والنساء والأطفال .

وقال أبو عبيدة : المالغون : كغيرو المالاف لغيرهم ، وقيل : الشالف : هو الفاسد ، يقال : علف عن كل غير يصلح له ، يضلف خلوفا إذا فسد ، وهلف اللبن : إذا فسد .

قال الفخر الرازى: إن المنافقين كانوا موصوفين بجميع هذه الصفات السيئة.

* * *

﴿ وَلَا تُصُلِّ عَلَىٰ أَحَدِينَهُم مَّاتَ أَبْدَاوَلَا تَقُمُّ عَلَىٰ قَبْرِيَّةً إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَالُواْ وَهُمْ فَلَسِفُونَ ۞ وَلَاتُسْعِنْكَ أَمَوْ أَمُنَ وَأَلْكُهُمُ إِلَّمَا كُيْدِ اللَّهُ أَنْ عَلَيْهُمْ بِبَافِ اللَّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ صَحَيْفُونَ ۞ وَإِذَا أَنزِكَ سُورَةً أَنَّ عَلِينُوا بِاللَّهِ وَجَنِهِ مُواْمَعُ رَسُولِهِ اسْتَقَدْنَكَ أُولُوا الطَّوْلِيمِنَّهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا تَكُنَّ مُعَ الْفَعِدِينَ۞ وَصَهْوا بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُهِعَ مَلْ قُلُوبِهِمْ فَهُدُ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ وَهُدُ

المفردات،

أوالسو السطيول ، أمنهاب القاني والسعة .

درنسسساء اتركنا.

وطيع على قلوبهم ، أي : ختم عليها بطابع ، والمقصود : أنها لما لم تقبل هدى الله .

٨٤ - وَلاَ تُصَلَّ عَلَىٰٓ أَحَدِ مَنْهُم مَّاتَ أَبْدًا وَلاَ تَقَمْ عَلَىٰٓ قَدْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهُ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَلَسِفُونَ ... الآية سبب النزول :

روى الشيخان : عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبيّ ، جباه ابنه إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أنّ يعطيه قميممه يكثّن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أنّ يصلى عليه : فقام ليمطى عليه : فقام عمر بن الخطاب، وأخذ يغويه ، وقال : يا رسول الله ، أتصلّى عليه ، وقد تهاك ريك أنّ تصلّى على المنافقين ؟ قال : إنما خيُرنَى الله - نقال : آمَنَطْبِر لَهُمْ أَوْ لاَ تَسَعَلْمِرْ لَهُمْ إِنْ تَسَعَظْرِ لَهُمْ سَبِعِنَ مَرَةَ ... وسأزيده على السبعين : فقال عمر : إنه منافق ...!

وجاء في مسئد الإمام أحمد :

ثم صلى النبي ﷺ على عبد الله بن أبي ومشي معه ، وقام على قبره حتى فرخ منه .

قال: قما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل .

وقد أورد الإمام ابن كثير طائفة من الأعاديث النبوية في هذا المعنى.

ضعف الحديث:

ضعف جماعة من الطماء كالقاضى أبى بكر الباقلاني وإمام الحرمين الجويني ، والغزالي ، حديث الصلاة على زعيم المنافقين ؛ لمشافقه لظاهر الآية من أيجه هي :

١ - أن الآية نزلت أثناء رجوع النبي ﷺ من غزرة تبوك ، وابن أبي مات في السنة التي بعدها .

Y — قول النهى ﷺ: «إن الله هيّرتى» ، يمارهن صريح الآية ، بأن الله لن يفقر لهم بسبب كفرهم ، قــأَوْ فيه للتسوية لا للتغيير .

الجمع بين الآية والحنيث :

حاول بعض العلماء الجمع بين الآية والحديث ، ومن هؤلاء الزمخشرى في تفسير الكشاف فقال: دوى: أن رسول الله ﷺ كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم : فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبى، بعث إليه ليأتيه ، فلما دخل عليه قال له النبى : «أملكك حُبّ يهود» فقال عبد الله بن أبيَّ : يا رسول الله ، إنما بعث إليك لتستففر في لا لتؤنيني ، وسأله أن يكفّنه في شعاره الذي يلى جلده ، ويصلَّى عليه .

قلما مات دعاه ابنه عيد الله – وكان مؤمدًا منالحًا – فقال : يا رسول الله ، أسألك أن تكفته في بعض قمصانك ، وأن تقوم على قوره : حتى لا يشدت به الأعياء .

وعلم النبى 義 أن تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره ، فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان ،
 وليكين إلباسه إياه لطفًا لغيره .

فقد روى أنه قبل اللرسول ﷺ : لِمُ وجهت إليه بقميصك وهو كافر؟ فقال: وإن قميصى لن يفتى عنه من الشخرج من الشخرج من الشخرج من الشخر الله بشيدًا ، وإنى أوّمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب : فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوا زعيمهم عبد الله بن أبي يطلب الاستخفاء بثوب رسول الله ﷺ، وكذلك ترجمه واستغفاره ؛ كان للدعاء إلى التراحم والتماطف ؛ لأنهم إذا رأوه يترجم على من يظهر الإيمان وياطنه على خلاف ذلك ؛ دعا المسلم إلى أن يتماطف على من واطأ قلبه لسانه ، ورأه حتماً عليه .

لم قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وْإِنْ قَلْتُ : كيف جازت الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق؟

قلتُ: لم يتقدم نهى عن المبلاة عليهم ، وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم ، لما في ذلك من المصلحة .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : ما أدرى ما هذه الصلاة إلاَّ أنى أعلم أنَّ رسول الله ﷺ لا يشادع .

تأمّل في الموضوع

تفيد روايات متدددة : أن عمر رضى الله عنه كان ميالاً إلى عدم المبلاة على المنافقين ؛ استنباسًا من إشارات غير صريمة في القرآن إلى ذلك .

وجاء في رواية عن ابن عباس: نقال عمر رضى الله عنه: لم تعلى قمميك الرجسَ النجسَ النقال عليه المسلاة والسلام: وإن قميسي لا يغني عنه من الله شيقًا ، فلمل ألله أن ينحل به ألفًا في الإسلام» وكان المنافقون لا يقارقون عبد الله بن أبي ، فلما رأوه يطلب هذا القميس، ويرجس أن ينفعه : أسلم منهم يومئذ ألف ، وكان ﷺ رحيمًا سهلاً مألفًا محبيًا وكان مبالاً إلى المسلاة على عبد الله بن أبي ؛ بناء على الظاهر

و الحرج أبو يعلى وغيره عن أنس: أن رسول الله ﷺ، أراد أن يصلَّى على عبد الله بن أبى : فأخذ جبريل بثويه فقال : وُلاَ لُسَرًا مُثَمِّ أَخَدِ مُثَهُمْ مُكَ أَبُنا وَلاَ تُقُمُ عُلَيِّ مِّرْهِ ... الآية .

فَهَدُهُ الْرِوَايَةُ تَبَلَ عَلَى أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَصَلَّ عَلَى عَبِدَ اللَّهُ بِنْ أَبِيٌّ .

وأمام هذا التعارض في الروايات رجح بعض الطماء رواية البضاري ، وجمع بعضهم بين الروايتين فقال : المراد من الصلاة في رواية عمر وابنه : الدعام ، أو الهمّ بالمسلاة عليه ، ثم منعه جبريل .

متاقب عمسر

من مناقب عمر رضى الله عنه : شدته على المشركين والمنافقين ؛ فهو صاحب رأى قتل الأسرى فى بدن وقد أيد الوحى رأيه فى أسارى بدر ، وآية تحريم الخمر ، وآية تحريل القبلة ، وآية أمر نساء النبى ﷺ بالحجاب ، وآية عدل الصان عمر وقلبه، (۲۰۰) .

وقال ﷺ: وإنه كان فيما مضى من الناس ملهمون وأو كان في أمتى محدُّثون لكان عمره (١٣٠٠).

وقال ﷺ: ولو لم أبعث لبعثت يا عمر نبيًّا».

التفسيره

وَلاَ تُصَلُّ عَلَيْ أَحَدِ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقْمُ عَلَيْ قَدْمِ إِنَّهُمْ كَقُرُواْ بِاللَّه وَرسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَلسقُولَ .

هذه الآية استمرار في الحديث عن المذافقين ، وكيفية معاملتهم ؛ فقد منعت الرسول ﷺ من العملاة على موتاهم ...

والمعنى: تبراً أيها الرسول من المنافقين ، ولا تصلّ على أحد منهم إذا مات ولا تقع على قبره : لتستغفر له ، أو تدعر له : لأنهم كفروا بنالله ورسوله ، فأنكروا وجود الله وتوحيده ، وأنكروا بعثة نبيه ، وماثوا وهم فاسقون : هارجون من دين الإسلام ، متعردون على أحكامه ، متجاوزون حدوده وأوامره ونواهيه .

وتفيد الآية : الامتناع عن الصلاة على الكفار ، وكل من عرف نفاقه .

وإن كان سبب نزول الأية : السلاة على عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ذكر ذلك ابن كثير وغيره من المفسرين .

٨٥ - وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَ الْهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ...

أى : ولا تنل إعجابك وتقديرك – أيها العائل – أموال المنافقين الكثيرة ، ولا أولادهم الذين يعتزين بهم ولا تحسين ذلك إكرامًا لهم ؛ فقد جعله الله استعراجًا لهم وويالاً عليهم .

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُعَلِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّلْيَا .

أي : إنما تدّر تعذيبهم بهذه الأموال والأولاد في الدنيا ؛ يسبب ما يقاسونه في جمعها وحفظها من المتاعب ، وفي رعاية الأولاد من المشاق والمصاعب ، وهم مشفولون بالتمتع بها عن النظر في عواقب الأمور.

وَتَزْهَلَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ .

وتضرج أرواحهم من أبدائهم عند انتهاء أجالهم بشدة وصعوبة ، والحال أنهم كارهون الموت ؛ لتطقهم بالأموال والأولاد والمتاح في هذه الدنيا الفائية ، ولم ينتيهوا إلى مصيرهم وما ينتظرهم .

وقد تكرر هذا المعنى في سورة التوبة ؛ لأهميته ووجوب الانتباه إليه ، حيث قال تعالى :

فَلاَ تُعْجِلُكُ أَنْوَ أَنْهُمُ وَلاَ أُوْلِنَدُهُمْ إِلَّمَا بُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَلَّمُهُمْ بِهَا فِي الْمَوْقِ ٱللَّذِي وَتَوْعَقَ أَلْفُسُهُمْ وَهُمْ كَلْفُرُونَ . (التدية: ٥٠)

٨٦ - وَإِذَا أَلْزِلَتْ سُورَةً أَنْ عَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَلَهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ...

كانت السور القرآنية تنزل داعية إلى الإيمان بالله ، وإلى أن يستقر الإيمان في حنايا القلوب ، وأن يرسخ في طوإيا النفوس ، فهذا الإيمان هو الأساس المتين لكل ما يترتب عليه .

كما أن السور كانت تدعر الجهاد وتحث عليه، وتبين ثواب المجاهدين والشهداء، وعقاب المتطلفين والغارين. أَسْتَكْلُكُ أَوْلُوا ٱللَّهُ لِلَّهُ مِنْهُمْ وَقَالُوا وُزِنَا كُنُّ مُ مَ ٱلْفُلُعِينَ.

أى : عند نزول السورة الداعية إلى الإيمان والجهاد ؛ يجىء هؤلاء المنافقين أصحاب الطول ، أى : ذوو الفتى والثورة ، وأولو المقدرة على الجهاد بالمال والنفس قاتلين : انذن لنا يا رسول الله في التخلف عن الجهاد ، واتركنا نقعد مع الذين قعدوا في العدينة ؛ لأعذار تخلفوا بسببها .

وقد شمس القرآن أُوَّلُوا ٱلطُّولُ بِالذكر لفائدتين :

الأولى : أنه كان المتوقع منهم أن يتقدموا صفوف المجاهدين : لأنهم يملكون وسائل الجهاد وعدّله: فهم أصحاب السلامة في البدن ، والوفرة في المال وقد حث القرآن على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال: فإذا اعتقر صاحب المقدرة والنممة : كان ذلك أدعى إلى منمنَّه وتطليد جبنه ويخله .

الْغَائِية : أن من لا مال له ولا قدرة له على السفر ؛ لا يحتاج إلى الاستئذان ؛ لأنه معذور.

٨٧ - رُصُّواْ بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ ٱلْحَوَالِفِ ... الآية .

أى : قنعرا وقبلوا أن تنحط أنسراهم ، وأن يبقوا في المدينة مع النّساء والأطفال والمرضى والزمنى والعجائز ، وكل من لا قدرة له ولا حيلة .

ولا يرضى بذلك إلا من هانت كرامته ، وألف الذلُّ والصغار.

رَطْبِعَ عَلَىٰ لُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْلَهُونَ .

لقد مردوا على النفاق وتعوُّدُوا عليه : فسُلبِ منهم نور الهداية والإيمان ، فصارت قلوبهم راسخة في الكفر ، مصرة على الفسوق والعصيان ، حتى كأنَّها قد ختم عليها ، فأصبحوا لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف عن الجهاد من الشقاء والهلاك .

من أحكام الآسات

تتضمن الآيات اتخاذ مواقف حاسمة من المنافقين ، بعد أن أمهلوا لمدة طويلة وعوملوا في الظاهر معاملة حسنة ، ويتلخص ذلك فيما يأتي :

- ا ساسة اطاعتها مع ؛ لأن المسلاة على الميت ، والقيام على قبره للدعاء له إكرام له واحترام ، والكافر ليس
 من أهل الاحترام .
- ٢ ني آية سايقة أسقط اعتبارهم في الحياة بعدم السماح لهم بالجهاد مع الرسول 義: عقابًا لهم على
 تشلقهم عن غزوة تبوك وهذا أسقط اعتبارهم بعد الوفاة .
 - ٣ تعريم المبلاة على الكافر ، والوقوف عند قبره للدعاء أو الترحم .
- ٤ -- يفهم من الآية من طريق دلالة النفطاب، مشروعية الوقوف على قبر المسلم إلى أن يدفن، والدعاء له.

من هدى السئة

ورد في الصحيح أن الذبي ﷺ كان يقوم على قبور المسلمين ؛ ويدعو لهم بالتثبيت .

وجاء في صحيح مسلم: أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال عند موته: إذا دفنتموني ، فسنُّوا عليُّ التراب سنًّا ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس يكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي . وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من شهد الجنازة حتى يصلًى عليها فله قبراط، ، ومن شهدها حتى تدفن فله قبراطان ، قبل وما القيراطان ؟ قال: أسخوهما مثل أحدى .

وروى أبر دارد عن عثمان بن عفان قال : كان رسول الله 鵝 إذا قرعُ من الميت وقف عليه ؛ وقال: واستفروا لأهيكم واسألوا له التغبيت ذرته الآن يُسأل» .

وجمهور العلماء على أن التكبير في مسلاة الجنازة أربع تكبيرات ؛ وسنة الإمام أن يقف عند رأس الميت إذا كان رجلاً ؛ وأن يقف عند وسط الميت إذا كان أنثى . ﴿ لَنَكِيٰ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَنَهَدُواْ بِالْمَوْلِمِ وَانْفُسِهِ مَّ وَأُولَتَهِكَ لَكُمُ الْخَيْرَاثُ وَأُولَتِهِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴿ آعَدَ اللّهُ لَكُمْ جَنَّنَ بَخْرِي مِن ثَمْيَهَا الْأَنْهَ نُرْحَنَادِينَ فِيهَا ذَٰوْكَ الْفَوْزُ الْمَعْلِمُ۞﴾

المفردات :

الم المهرات، لهم أنواع خيرة من نعم الدنيا وثواب الآخرة.

المشلحون، الفاكرون.

التفسير

٨٨ - لَكِن ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جَلْهَدُواْ بَأَمُو الهمْ وَأَنفُسِهم ... الآية

من شأن القرآن أن يقابل بين المحسن والمسىء والمؤمن والمنافق ، والجنة والنار ، والمسالحين . والطالحين ، ويضدُّهها تتميز الأشهاء .

وهنا نجد مقارنة بين المنافقين الذين نكسوا عن الجهاد ، ولم يفقهوا ثواب المجاهدين ، ولا عزى القاعدين ، ويين الرسول الأمين ومسعبته الأشيار الأبرار.

والمعنى : إذا كان حال المنافقين كما وصفنا في الآيات السابقة ، من جبن وتشاذل وهوان .

قران حال المؤمنين ليس كذلك : فإنهم قد وقفوا إلى جانب رسولهم ﷺ، فجاهدوا معه ، يأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وأدّوا ولجبهم : فتالوا الغيرات العظمى في الدنيا كالنصر وهزيمة الكفر ، وفي الأخرة بالاستمتاع في جذات الفردوس ، والدرجات العلى ، وقيل : الغيرات : هي النساء الحسان في الجنة.

قال تعالى: فيهنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ . (الرحمن: ٧٠).

وَ أُوْلَتُكُ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الضائزون بسعادة الدارين .

٨٩ -- أَعَدُ ٱللَّهُ لَهُمْ جَشَّلتِ تَحْرى مِن تَحْيِهَا ٱلأَنْهَارُ خَلِلهِنَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْفُوزُ ٱلْمَطْيِمُ.

لقد كافأهم الله تمالى وهيأ لهم نزلاً حسنًا في أحسن إعداد وإقامة في جنات نضرة ، تجرى الأنهار من تحتها ، وهم خالدون في نعيم لا ينقطع عنهم أبداً ؛ وذلك هو الفوز العظيم حتًا ، فالسعيد من ذاله ، والشقى من حرم منه . قال تعالى: فَمَن زُحْرِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُّنَّهَا إِلاّ مَتَدُعُ ٱلْفُرُورِ . (ال عمران: ١٨٥)..

مقارنات في القرآن

وردت هذه المقارنة في مواضع كثيرة في القرآن مثل قوله تعالى : فَإِنْ يَكَثَّرُ بِهَا هَوَّلَاءٍ فَقَدْ وَكُلْنَا بِهَا قُومًا لِّسُواْ بِهَا بِكَـٰكِيرِينَ (الأندام : ٨٩) .

وقوله عن شأنه : فَإِن ٱسْتَكُبُرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبَّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْتَمُونَ (دمسك: ٢٨).

وقريب منن ذلك قوله تعالى : أَفَمَن يَعْلَمُ أَلْمَا أَثْرِلَ إِلَيْكَ مِن رَبَّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَعَذَكُمُ أُولُواْ آلاَنْكِفِ . (الرحد ١٩٠).

والوله تعالى : مَعْلُ ٱلْجَمَّةِ أَلِّي وُحِدُ ٱلْمُتَعُونَ تَجْرِي مِن تَحْهِهَ ٱلأَلْهَـٰرُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَطِلْهَا فِلْكَ عُلَى ٱللَّذِينَ ٱلْقُوا وَعُلَى ٱلْكَلُطُونِينَ آلنَّارُ (الرحد: ٢٥).

وفي الصفحة الأخيرة من سورة الزمر يستعرض القرآن موكب الكافرين إلى النار فيقول:

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا إِلَىٰ جَهَدَّمَ زُمُرًا ... (الزمر: ٧١).

ثم يستعرض موكب المؤمنين إلى الجنة فيقول:

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱلْقُواْ رَاهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ... (الزمر: ٧٧).

* * *

﴿ وَجَآهَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِكُوْذَنَ لَكُمْ وَفَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابُ الْلِيدُ ۞ ﴾

اللغردات ،

المعشرون ، المقصرون المعتذرون بالباطل .

الأعسراب، سكان البوادي.

التفسير

٩ - وَجَاءَ ٱلْمُعَلِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيوْفَنَ لَهُمْ ... الآية

سبب النزول:

روى أن أسدًا وغطفان جاءوا إلى رسول لله ﷺ يستأذنون فى التطف عن الخورج للجهاد ؛ معترين كنبا بالجهد وكثرة العيال ، فنزات الآية تكشف كلههم ، وقبل : هم رهط عامر بن الطفيل ، قالوا : إن غزونا معك ؛ أغارت أعراب طبيعً على أهالينا ومواشينا ، فقال ﷺ : «سيفني للك عنكم» .

وعن مجاهد : نقرٌ من غفار اعتذروا فلم يعترهم الله تعالى .

وعن قعادة : اعتذروا بالكلب ١٢٠١ .

من تفسير فتح القدير للشوكاني:

وُجَاءُ ٱلْمُعَلِّرُونَ . السعدُّر: هو الذي يعتدر ولا عدر له ، اعتدروا بأعدار باطلة لا أصل لها .

والمعنى: أنه جاء مؤلاء من الأعراب، يما جاءوا به من الأعذار : بحق أو بباطل : لأجل أن يأدن لهم رسول الله ﷺ ، بالتملف من الغزي .

وطائفة أخرى لم يعتذروا ، بل قعدوا عن الغزو لغير عدر ، وهم منافقو الأعراب .

وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَلِّبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ .

وام يؤمنوا ولا معداتوا بايعوا الذبي صلى السمع والطاعة ، ثم تبين بتخلفهم من دون اعتذار أنهم كانوا كاذبين .

سَيْصِيبُ ٱللِّينَ كَفُرُواْ مِنْهُمْ.

أى: من الأعراب وهم الذين اعتذروا بالأعذار الباطلة ، والذين لم يمتذروا بل كذبوا بنا**نه** ورسوله . ا هـ ^{(١٠٨٥}

عَلَابٌ أَلِيمٌ.

في الدنيا بالقتل والأسر والإذلال، وفي الآخرة، بعزاب السعير.

ومن المقسرين من جعل القسم الأول ، معتورين صادقين وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة ، أو هم أسد وغطفان ؛ لأن الله قد عطف عليهم القاعدين يدون أيِّ اعتذار ؛ تهاونًا بأمر الدين وكذبًا في بيعتهم على الإيمان والجهاد ورجح ابن كلير هذا القول ، وذهب إلى أن معنى الآية هكذا .

عندما استنفر النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك ، جاء أصحاب الأعنار من الأعراب ليستأننيه في التخلف عن الجهاد ، فأذن لهم .

وَقَهَدُ ٱلَّذِينَ كَلَبُواْ ٱللَّهُ وَرُسُولُهُ . بيان للفريق الثاني من الأعراب ، وهو الذي لم يجئ للرسول 義 معتذرًا بل قعد عن الجهاد ، ولم يكلّف نفسه مشقة الاعتذار .

ورجع الرازى والزمفشرى والشوكانى ، وأبر السعود : أن الآية تستعرض قرق المتطفين عن الجهاد، وتجعلهم فى هندق واحد ، سواء فى ذلك من اعتدر ولا عدر حقيقى له ، ومن تطف عن الجهاد ، كسلاً وجبدًا وتهاريًا ، سيمييب الذين كفروا من هؤلاء وهؤلاء عذاب ألهم .

وأستشعر من سياق الآية أنها تتحدث عن فرق من المتخلفين عن الجهاد ، بدون أعذار حقيقية .

وأرجح رأى الرازى والزمخشرى والشوكانى وأبى السعود ويؤيد ما أراه أن الآية التالية ستتحدث عن أصحاب الأعذار المقهولة ، الذين أعضاهم الله من الجهاد .

* * *

﴿ لَيْسَ عَلَى الشَّمَعَكَ وَلَا عَلَى الْمَرْمَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَعِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَتُّ إِذَا نَصَحُوا لِيْهِ وَرَسُولِيَّ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَنْ قُورٌ تَجِيدٌ ۞ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْ لَدَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا آجِدُ مَا آجَمِلُكُمْ عَلَيْدِ تَوْلُواْ وَإَعْيَدُنُهُمْ وَنَا لِدَّمْعِ كَزَنَا أَلَّا يَعِيدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۞ ﴾

المفردات ،

إذا تصحوا لله ورسوته ، أي : إذا قاموا بما استطاعوا من قول وفعل يعود بصلاح الحال على الإسلام والمسلمين.

ماهان المعسنين من سبيل؛ أي :ما عليهم من طريق إلى عقابهم أو عتابهم.

تـــواء انصرفوا راجعين .

ولمينهم تغييض من اللمع ؛ أي : تسيل عبو نهم دممًا غزيرًا فباشًا .

التفسيره

٩١ - لَيْسَ عَلَى ٱلطُّعْفَاءِ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلاَ عَلَى ٱلنَّادِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُطِقُونَ حَرّجٌ ... الآية

المناسية،

هناك ارتباط واضح بين هذه الآية وما قبلها ، فبعد أن ذكر سبحانه : الوعيد للمتطلفين بدون عذر ، والمنتطين للأعذار ، ذكر هنا أصحاب الأعذار للحقيقية ، ويبيَّن إسقاط فريضة الجهاد عنهم .

المعنى: هناك أصناف ثلاثة من أصحاب العذار المقبولة: وهم: الضعفاء، والمرضى، والفقراء، فليس على الضعفاء العاجزين عن القتال: لعلة في تكوينهم ، أو لشيخرهة أقعدتهم ، ولا على المرضى الذين على الضعفاء العاجزين عن القتال: لعلة في تكوينهم ، أو يشيخرها أعدائه على الحرب ، ولا يجدون ما ينظفونه على الحرب ، ولا يجدون الراحاط التي يسافرون عليها إلى أرض المعركة ، ليس على هزلام جميعًا ، إثم أو ذنب أو عتاب في عدم الجهاد ، إذا تصحوا الله ورسوله ، بأن أعلموا الإيمان الله في السر والعلن ، وعرفوا المقر، وأحيام أوأبهامه وأبغضوا أعداءه، وحافظوا على المصلحة الطها للأمة في كتمان السر، والحث على البرّ، ومكافحة الأراجيف

روى مسلم عن تميم الدارى: أن رسول الله ﷺ قال : والدين النصيحة» : قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : والله ، ولكذابه ، ولرسله ، ولأثمة المسلمين ، وعامتهم: ٣٠٠٠ .

والتصبحة أله وأرسوله: إخلاص الإيمان بهما ، وطاعتهما ، والحب والبغض فيهما .

والتصبحة لكتابه: تلاوته وتدبّر معانيه ، والعمل بما فيه .

والتعبيحة لأثمة المسلمين: مؤازرتهم وترك الخروج عليهم، وإرشادهم إن أَخطئوا.

والعميحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى طريق الحق ، والعمل على تقويتهم ودعوتهم إلى إخلاص العمل ، والبعد عن الغش .

مًا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ.

إن كل ناصح الله ولرسوله محسن ، ولا سبيل إلى مؤاخذة المحسن وإيقاعه في الحرج ، فقد أدَّى ما

وجب عليه ، من قول أو عمل حسب طاقته ، وليس عليه سبيل إلى عقاب أو عتاب ؛ لنخوله في عداد المحسنين.

وَٱللَّهُ عُفُورٌ رَّحِيمٌ.

واسع المفقرة والرحمة ، يستر على عباده المخلصين ما يصدر عنهم من تقصير تقتضيه طبيعتهم البشرية .

٩٧ – وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكَ لِصَعْبِلُهُمْ لَلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهَ تَوَلُواْ وَأَعْمُنُهُمْ تَقِيعَلُ مِنَ ٱللَّمْعِ حَزَنًا الاَّ يَجِمُواْ مَا يُطَفُّونَ .

سبب النزول:

قال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعلى بن زيد أهو بني حارثة ، وأبو ليلي عبد الرحمن بن كعب أهو بني مازن النجار ، وعموو بن الحمام بن الجموح أهر بني سلمة ، وهيد الله بن المفلل المزنى ، وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعياض بن سارية الغزاري .

فاستحملوا رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ؛ فقال : لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَهِ لَوَلُواْ وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱللَّمْعِ - وَلَا الْإِيْجِدُواْ مَا يُعْقُدُونَ

وروى في المسحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : وإن بالمدينة أقرامًا ما قطعتم واديًا ، ولا سرتم سيرًا إلاَّ وهم معكم ، قالوا : وهم بالمدينة ؟! قال : «نعم حيسهم العُذُرِّ» (**) في رواية أحمد : «حبسهم المرض» .

معنى الآية ٩٧ :

أى: لا حرج على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الفقراء ، وكذلك لا حرج ولا إثم أيضًا على الراغب في الجهاد الذي استحد للقتال ينفسه ، ولكنه لا يجد مركبًا أن نفقة ينفقها في أثناء الجهاد على نفسه وعياله بسبب فقره — ومن أعصّهم أولئك النفر من الأنصار البكائين ، أو من بنى مقرن من مزينة ، الذين جاء الله الله المنابئ ﷺ ليحملهم على الرواحل فلم يجد ما يحملهم عليه في هذا السفر الطويل ؛ فانصرفوا من مجلسه وهم يبكرن بكاءًا شديدًا ؛ يسبب حزنهم على ما فاتهم من شرف المشاركة في الجهاد ، ويسبب فقدهم النفقة التي تساعدهم على الجهاد .

من أحكام الأبيات

أوضعت الآيات سقوط فرضية الجهاد ؛ بسبب العدّر عن أصناف ثلاثة من ذوى الأعدّار وهم : الشعفاء والعرضى والفقراء .

وقد دلت الآيات على أصلين من أصول الشريعة :

الأصل الأول :

سقوط التكليف عن العاجز: فكل من عجز عن شيء سقط عنه ، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال ، ونظير قوله تعالى : نُّبِسَ فَلَى ٱلْقُعْفَلَاء وَلاَ عَلَى ٱلْمُرْضَىٰ ... الآيات ، قوله عز شأنه : لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ لَقِسًا إِلاَّ وُسَعَهِا (البقرة : ٢٨٦٨).

وقوله تعالى: نُّيْسَ عَلَى ٱلأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرِيشِ حَرَجٌ (اللت : ١٧). الأصل الثاني :

الأصل في الأشياء براءة اللمّة ، أن يراءة المتهم ؛ حتى تثبت إدانته ، ويعبر عنه بعبارة : الأصل براءة الذمّة ، وهذا مبدأ البراءة الأصلية .

وذلك لقوله تعالى : مَا عَلَى ٱلْمُحْسِينَ مِن سَبِيلِ.

قالأصل في النفس حرمة القتل ، والأصل في المال حرمة الأخذ إلا لدليل ثابت ، أو لدليل متقصل مستقل.

جاء في تفسير القرطبي :

هذه الآية أصل في سقرط التكليف عن العاجز ، فكل من عجز عن شيء سقط عنه .

ويستفاد من سياق الأيتين: أنه متى وجدت الذية المسادقة فى قعل الخير؛ حصل الثواب، وإن لم يكن هناك عمل ، بدليل أن المؤمنين الذين لم يخرجوا فى الجهاد لعدر شرعى بشرهم الذبى ﷺ بأنهم مشاركون لمن خرج فى الأجر.

روی عن زید بن ثابت أنه قال : كنت أكتب لرسول ﷺ تكنت أكتب «برامته فإنى لواضع القام على أننى ، إذ أمرنا بالقتال ، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه ، إذ جاء أعمى فقال : كيف بى يا رسول الله وأنا أعمى ؟ فنزلت : لَيْسَ مَلَى ٱلشَّمَادَ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ... الآية .

تطبيق الصحابة

طبق صحابة رسول الله ﷺ القرآن عملياً في حياتهم ، وجهادهم ، ورغبتهم في الشهادة واستعلائهم
على مطالب الأرض ، ورغبتهم في مرضاة الله ، وحفلت كتب السيرة بجهادهم وبلائهم ، في غزوة بدر وأحد
والخندق والحديبية وفتح حكة وفتح خيبر وغزوة تبوك وغزوة حنين والطائف وفتح بلاد الفرس والروم
ومصر وشمال أفريقيا ؛ وغير ذلك من الفتوحات .

وكان من المسماية أمسماي الأعذار الذين أباح لهم القرآن القعود : لكنهم تطالعرا إلى الجهاد وثواب السجاهدين : فهذا عبد الله بن أم مكتوم كان أعمى ، وكان يخرج إلى غزوة أحد ويطلب أن يحمل اللواء .

وهذا عمرو بن الجموح – وكان أعرج – يخرج في مقدمة الجهوبش ؛ فيقول له الرسول ﷺ : «إن الله قد عذرات ه فيقول : والله لأحفرن بعرجتي هذه الجنة . أي : لأتركن آثار أقدامي فيها .

وكان يؤتى وهو يمشى بين الرُّجِلين ؛ من شدة ضعفه معتمدًا على الرجِلين ، ومع ذلك يحرص على أن يقف في صفوف المجاهدين .

ويهذه القلوب السليمة ، والعزائم القوية ، والنفوس القوية ؛ ارتفعت كلمة الحق ، وعزت كلمة الإسلام.

ختام الجزء العاشر وبداية الحادى عشر

تلاحظ أن تقسيم الأجزاء كان يعتمد على مقياس كمّ الآيات ، فالآية التى يبدأ بها الجزء الحادى عشر مرتبطة تمام الارتباط بآيات قبلها ، تفيد : أنه لا حرج ولا إثم على من تخلف عن الجهاد من الأصناف الثلاثة : الضمفاء ، المرضى ، الفقراء .

ثم بين القرآن أن السبيل واللوم والعتاب ؛ على من يستأذن فى التخلف عن الجهاد والغزو فى سبيل الله وهو غنى قادر تملُّك أدوات الجهاد والتَّجهز له ؛ لكنه قَبِل أن يكون مع الغوالف من النساء القاعدات فى البيوت ، وطمس الله على قلويهم فلم يدركوا ما فيه الربح لهم حتى يختاروه على مافيه الخسران .

وبهذه الآية يبدأ الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعْلِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاهُ رَحْوا بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ الْغَوَالِفِ وَطَيْعَ اللَّهُ عَلَىٰ لُلُوبِهِمْ فَهُمْ لِإَمْلَمُونَ (التدبة: ١٣).

في ختام التفسير للجيزء العاشر

الحمد لله الذي ينعمته تتم المسالحات ، اللَّهم ، لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مهاركًا فيه ، كما ينهض لجلال رجهك وعظيم سلطانك .

والمسلاة والسلام على سيدنا محمد ، اللَّهم ، صل وسلم ويارك عليه وعلى لَّله ومحجبه لَجمعين ، ومن تبعهم بإخسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا ختام الجزء العاشر من القرآن الكريم ، أسأل الله تمالي أن يكون هذا العمل خالصًا لهجهه ، اللَّهم، إنا نموذ بك أن نشرك بك طبعًا نعلمه ، وتستغفرك لما لا تعلمه .

اللَّهم ، ارزيقنا حسن النيَّة ودوام العافية ، وشكر النعمة ، وإهدنا لممالح الأعمال : لا يهدى لممالح الأعمال إلا أنت .

رَبُّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلذُّلْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَلِهَا عَلَىابَ ٱلنَّارِ .

وسلام على المرسلين والحمد فله رب العالمين .

أذان المقرب ٢٣ ذر القعدة ١٤١٣ هـ – ١٤ ماين ١٩٩٣ م .

* * *

تم يحمد الله تفسير الهزء العاشر من القرآن الكريم ويليه تفسير الهزء الحادى عشر إن شاء الله تعالى



(٩) إنهم لم يفارقوني في جاهلية والا إسلام.

رواه البشارى فى المفازى (٢٩٣٩) وأبو داود فى الشراج (٣٩٨٠) والنسائى فى تسم الفىء (٢٣٧) وارد ماجة فى الجهاد (١٨٨١) وأحدد فى مسنده (١٣٦٩) من حديث جبير بن مطمم قال: لما قسم رسول الله 鶴 سهم ذى القربى، بين بغى هاشم وينى المطلب البرته أننا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله مؤلاء بنن هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جمك الله ب منهم أرابت بنى المطلب أعمليتهم ومنعتنا فإنما نحن وهم منك بعنزلة قلال رسول الله 鶴: إنهم لم يفارقونى فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنن هاشم ، وينو عبد المطلب ، شىء واحد ، وشيك بين أصابعه ، واللفظ لأبى داود والنسائى وأهمد .

(٧) تفسي الكشاف ١٩٩/٢ الناشر دار المصحف: مطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة.

. (٣) جاء في تفسير القاسمي ما يأتي :

﴿إِذْ يريكهم الله في منامك قليلاً ﴾ منصوب بـ (اذكر) ، أو يدل آخر من يوم الفرقان .

(٤) قال الرمايشري في تفسير الكشاف ووإذ يريكموهم، الضميران مقعولان يعني : وإذ يبصركم إياهم ، و ﴿قليلا﴾ حال .

(۵) تأسير اقاسمي ۱۹۸/۸ .

(٢) انظر أيضًا تفسير القرطبي ثارَّية .

(٧) تفسير مورة العربة د . محمد سيد طعقاري ص ١٤٥ .

(A) لا تتمنوا ثقاء العدو .

رواه البماري في الههاد (١٩٦٣، ١٣٠٤، ٢٠٢١) وفي للتمني (٢٢٣٧) ومسلم في الههاد (١٧٤٧) وفيو داود في الههاد (١٩٦٩) وأحمد في مسنده (١٨٦٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفي قال : إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقى فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس عطيبًا قال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدى وسلوا الله العافية فإذا لتيتموهم فاممبروا واعلموا أن الهنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجرى السماب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

ورواه مسلم في الجهاد. (۱۷۵۹) وأممند في مسنده (۱۸۹۶) من حديث أيي هريرة أن الذبي 美 تال : لا تعنوا لقاه المعن فإذا لقيتموهم فاصبورا . ورواه الدارمي في السير (۲۵۰) من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول (ﷺ قال : لا تتمثوا نقاء العدر رسارا الله الماضية فإن لقيتموهم فانجتو وأكثروا ذكر الله فإن أجليوا وضموا فطيكم بالمست .

(٩) إنَّ عبدى كلِّ عبدى الذِّي يذكرني وهو ملاقي قرته :

رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٠) من حديث عمارة بن زعكرة قال سمحت رسول الله ﷺ بقول : إن الله عز وجل بقول : إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه يمنى : عند القتال . قال أبي عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي ولا نمرق لعمارة بن زمكرة عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث الواحد ومعنى قوله : وهو ملاق قونه إنما يعنى عند القتال يعنى أن يذكر الله في تلك الساعة . قال المناوي في فيض القدير : قال في الأذكار : وزعكرة بلات الزاي والكاف وسكرن العين المهملة . قال في التقريب كأصله صحابي له حديث الأزدي وقبل الكشري الجمعي الشامي . قال ابن حجر : ولا يعرف إلا هذا الحديث ، قال : أعنى ابن حجر : وهو حسن غريب وقول الترمذي ليس إسنامه يقوي يريد خمعف عقير لكن وجدت له شاهداً قويًا مع إرساله أهرجه البغوي فلذلك حسنته وقول الترمذي غريب أراد غرابته من جهة تفرد مقور يوصله وإلا ققد وجد من وجه أخر . اهـ .

(• ١) ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما المرضت عليه :

رواه البخارى فى الرقاق (٧ - ١٥) من حديث أبى مريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لى وليا قد النته بالحرب وما الارتبالى عبدى بضى أحب إلى مما الارتبات عليه وما وزال مبدى يظهرب إلى بالطوائل حتى أحيه فإذا المبدئ كنت سمه الذن يسمع به ويصدره الذى يبصر به ويده التى يبخش بها ورجله التي يسشى بها ، وإن سائني لأعطيفه والله استمانفي "فيدية عالى من تربت عن شىء أما قامله تربدى عن نفس القرن يكره الموبي أن اكره مساوته . قالت : تقرد به الهخاري فود من رياية خالف بن مطف ، وإند قال يعضوم : بؤلا مدية الصنحية لعدي من شكرات عالد بن معلد .

(۱۱) تقسیر این کلیر ۲۱۹/۲.

(٢٢) اللهم هذه قريش قد جاءت باليلاقها وقامرها:

قال السهوطي في الدر: أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن ظهاب وموسى بن مقبة قالا: مكثر بسول اله ﷺ بعد قتل ابن المخسرمي طبوين : في أقبل أبو سطيان بن حديد في عير لقيوش من الشام ومعها سبوين راكباء من بطون لريطن كلها ... المديدت وفيه : ه فلما طلع المستركين قال رسول اله ﷺ : اللهم هذه ترشق قد جاءت بضيلائها وشعرها تصادفه وتكذيب رسولك، اللهم إذى أنسألك ما ومدتني به – ورسول الله ﷺ مسك بعضد أبي يكر يقرل : اللهم إلى أسألك ما ومدتني – فقال أبو يكر : أبطر فرالذي نفسي يديد لينجزن الله لك ما ومدك .. المدين .

(۱۳) طبير القاسبي ٧٤/٨ .

(١٤) يزع الملائكة : أي يسوِّيهم ويرتبهم ويصفهم للحرب وانظر تفسير القاسمي .

(١٥) ما روى الشيطان برما هو قيه أصغر :

رواه مالك فى الموطّر كتاب المع (۱۹۲۷) من حديث طلعة بن عبيد الله بن كريز أن رسول (橋 قال 4 ما رزى الشيطان يومنا هو فيه أصغر ولا أمعر ولا أمقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرمعة وتجاوز الله عن الذنوب المطلم إلا ما رأى يوم بعر قبل: وما رأى يوم بدر با رسول الله ، قال : أما إله قد رأى جبريل يزع الملاككة .

(١٩) يا عبادي إني حرمت الطلم على نفسي :

رواه مسلم فی البر والصلة والآداب (۲۰۷۷) ، والترمذی فی صفة للقیامة (۲۵۰۹) واین ماجة ح (۴۲۷۵) وأحمد (۴/۵۶۸ ، ۱۹۰۰ / ۲۰۱۷) ، وعبد الرازق ح (۲۰۲۷۷) من حدیث أین نر .

(١٧) عبد الكريم الخطيب ، الشمير القرآني للقرآن الجزء العاشر ص ١٣٧ ، ١٣٧ .

(۱۸) فسير القاسمي ۲۸/۸ طبعة دار الفكر بيروت وقد نقل الرجوه كلها من نفسير القاسمي د . محمد سيد طنطاوي في ففسير سورة الديمة من ۲۶، و انظر تفسير الكشاف ۲۷/۷ .

(٩٩) إن الله ليملي للطالي ، حتى إذا أخلت لم يقلعه :

(٢٠) هذا قرعون هذه الأمة :

رواه أحمد هي مستده (۱۳۱۳) من حديث أبي مبيده عن أبيه قال أكبت أبا جهل وقد جرح وقطعت رجله ، قال : فجعات أضربه بسيفي فلا يمدل فيه شيئا قبل لشريك في العديث وكان يذب بسيفه قال : نحم ، قال: فلم أزّل حتى أخذت سيفه فضريته به حتى قطته ، قال : ثم قال : أثبت النبي ﷺ ، فقت: الدقتل أبر جهل ، وربما قال شريك قد قتلت أبا جهل ، قال: أنت رأيته، قلت نحم : قال ألك – مرتين – قلت : نحم ؛ قال : فاذهب حتى أنظر إليه فذهب فأتاه ، وقد غيرت الشمس مفه شيئا فأمر به ويأمسمايه فسحون مثن الأملا

(۲۹) تفسير القامر الرازي .

(٢٢) من كان بينه وبين قوم عهد :

رياه أبر داود في الإمارة (١٩٧٩) بالترمذي في السير (١٩٨٠) وأممد في مسنده (١٩٥٧) من هديث سليم بن عامرةال: كان بين معاوية وبين أمل الروم عهد وكان يسير في بالامهم حتى إذا انتقمي المعيد أغار عليهم فإذا رجل على دابة أن طي فرس وهو يقول: الله أكبر وفاء لا غدر وإذا هو عمرو بن عبسه فسأله معاوية عن ذلك نقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحنن عهنا ولا يشبئه حتى يمضى أمده أو ينبذ إليهم على سواء ، قال: فرجع معاوية بالناس، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن محجح .

(23) ثلاثة: المسلم والكافر فيهن صواء:

قال السيوطى فى الدر: وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن مهمون بن مهران رضى الله عنه قال : فلاقة : العسلم والكافر فيهن سواء . من عامدته قربانى بمهده مسلما كان أن كافرا فإنسا العهد لله ، ومن كانت بينته وبينه رحم فصلها مسلما كان أن كافرا ، ومن الاتمناك على أمانة فأدها إليه مسلما كان أن كافراً .

(2 ٤) ألا إن القوة الرمي :

رواه مسلم شی الإمارة (۱۹۹۷) وآبو دارد شی الجهاد (۲۰۱۶) والترمذی فی تلسیر القرآن (۲۰۸۳) واین ماجة فی الجهاد (۲۸۱۷) والدارمی فی الجهاد (۲۰۶۶) وأحمد فی مسنده (۱۲۹۷۷) من حدیث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول اش 鶴 وهو مان المذیر یقول: ﴿وَأَمَّدُوا لُهُمَّ مَا استطّحُومُ فَوْقَهُ إِلَّا إِنْ القوة الرمی آلا إِنْ القوة الرمی

(٢٥) من جهز غازيا في سبيل الْمُ فقد هزا :

رواه البشاری فی الجهاد (۲۷۵۲) ومسلم فی الزمارة (۱۸۹۵) واپر داود فی البهاد (۲۰۰۹) والترمذی فی قضائل الههاد(۱۲۲۸، ۲۰۲۹، ۱۶۲۹) والنسائی فی الجهاد (۲۱۵۰) وابن ماجة فی الجهاد (۲۷۵۹) والدارمی فی الجهاد (۲۶۱۹) وأحمد فی مسنده (۱۲۵۹) من حدیث زید بن خااد رضی الله عنهم آن رسول ش 義 تال: من جهز غازیا فی سبیل الله قند غزا ومن خلف غازیا فی سبیل الله یغیر فقد غزا .

(٢٦) تفسير اللخر الرازى .

(27) يا مقلب القلوب ثبت قلبي :

رواه أحمد في مستبه (٢٤٠٨٣) من حديث عائشة قالت دعوات كان رسول 🛍 🌉 يكن أن يدعو بها : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت: فقلت : يا رسول الله إنك تكثر تبعر بهذا البعاء ، فقال : إن قلب الأدمى بين أصبعين عن أصابع الله عز وجل فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه . ورواه الترمذي في الدعوات (٢٥٢٢) وأحمد في مستده (٢٥٩٨٠) من حديث شهر ابن حوشب قال : قلت لأم علمة : يا أم المؤمنين ، ما كان أكثر دعاء رسول الله 🌉 ، إذا كان عنيك ، قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت: فقلت: يا رسول الله ما أكثر بجاءك : يا مقلب القلمي ثبت قلب على بينك قال: يا أم سلمة إنه ليس أدمى إلا وقليه بين أسبعين من أسايم الله فمن شاء أقام ، ومن شاء أزامَ فتلا مماذ : ﴿ ربنا لا تو مُ للوبنا بعد إذ هفيتنا﴾. قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن . ورواه الثرمذي في القدر (٢١٤٠) وقال : حسن ، وابن ماجة في الدعاء (٣٨٣٤) وأحمد في مستده (١١٦٩٧) من حديث أنس قال : كان رسول 🏰 🏂 يكثر من قول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت: يا رسول الله آمنا بك ويما جئت به فهل تشاف طينا ، قال : نعم إن القارب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاه . قال الترمذي : وحديث أبي سفيان عن أنس أصح ، ورواد أحد (١٧١٧٨) والحاكم في المستبرك (٢٨٨/٢) من حديث النواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيفة أزاغه ، وكان يقول : يا مثلب القلوب ثبت قلوينا على دينك والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه . ورواه الترمذي في البعوات (٣٥٨٧) من حديث عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه عن جده قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي وقد وضع يده اليسرى على فقده اليسرى ووضع يده اليمني على فغذه اليمني وأنبض أصابعه ويسط السبابة ، وهو يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينته . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه . ورواه مسلم في القدر (٢٦٥٤) وأحمد في مسنده (٦٥٢٣) من حديث عبد الله بن عمره بن العاص قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن قلوب بني أدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول 🗚 🗯 . اللهم ، مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك .

(28) اللهم آت نفسي طواها :

رواء مسلم فی اقذکر (۱۷۲۳) والنسائی فی الاستماذة (۵۵۸، ۵۶۵) وأصده فی مسئده (۱۸۸۲) من حدیث زید بن أرقع قال: لا أفول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: اللهم إنى أحوذ بله من العجز والكمل والجبن والبخل والعرم ومذاب القبر، اللهم آت نفسی تقواها وزكها أنت غير من زكاما أنت وايها ومولاها ، اللهم إنى أموذ بله من عام لا ينشع ومن قلد لا يشخم ومن دعوة لا يستجاب لها .

(٧٩) يا معشر الأنصار ألم أجدكم خبلالا فهداكم الله بي:

رواه البخاري في المفازي (۱۳۳۰) وبسلم في الزكاة (۱۳۰۱) وأصعد في مستده (۱۳۰۵) من حديث عبد الله بن زيد بن المسلم قال: لما أناه الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الفارض في المؤلفة تقويهم ولم يعط الأضمار شيئا فكانهم وجنوا إذ لم يصميم ما أناه الله على من رسوله ﷺ في يوم حنين قاسم في الفارض في المؤلفة تقويهم ولم يعط الأختام من المؤلفة تقويهم ولم يعط الأختام من الله في وكنام مثلانية فالقائم الله بن وكنام مثلانية فالمؤلفة المؤلفة تعبيرها رسول الله ﷺ قال: كلما قال هيئاء قال هيئاء قال الله ورسوله أمن قال بن عالم الله المؤلفة المؤلفة والمؤلفة المؤلفة والمؤلفة المؤلفة والمؤلفة المؤلفة والمؤلفة المؤلفة المؤلفة والمؤلفة والمؤلفة المؤلفة ا

(٣٠) ننظر الطسيع القرآني للقرآن للأمستاذ عبد الكريم المعطيب البيزء العاشر ص ٧٦٧ ، وتفسير القاسمى ٩٠/٨ وانظر فلسير الكشاف تلا معضارى حيث يقول : أن يكون في معن الرفع أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون .

(٣١) لفدوة في سبيل الله أو روحة عبر من الدنيا :

رواه النهازي في الجهاد (٢٩٧٦) والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٥١) وأحدد في مسنده (٢٠٢٨) من حديث أنس أن رسول النه ﷺ قال: للنه على المنافقة على رأسها عدر من الدنيا وما فيها . قال أبو عيسى هذا حديث صميح . ورواه البخاري في الجهاد (٢٧٥٣) وأحدد في مستده (٢٠٥٠) من حديث أبي عيسى هذا حديث صميح . ورواه البخاري في الجهاد (٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : الماب قوس في الجهاد ومنافقة على الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عير مما تطلع عليه الشمس وتدرب وقال لفدية أبر روحة في سبيل الله عليه المنافقة عليه المسرود المنافقة عليه المنافقة عليه الشمس وتدرب وقال المنافقة القدل المنافقة عليه المنافقة عليه المنافقة المنافقة علية المنافقة عليه الشمس وتدرب وقاله المنافقة عليه المنافقة المن

(٣٢) أو لا أن أشق على أسعى ما قعنت خلف صرية :

رواه البشاري في الإيمان (٢٩) وفي فرض الفسس (٣٩٢٣) وفي الترسيد (٢٤٧٠ ، ٢٤٧٧) رواه مسلم في الإمارة واللفظ له – (١٩٨٧) رسالك في الموطر كتاب البهاد (١٩٧٤) والنسائي في البهاد (٢٧٢١ ، ٢٧٢٧) وفي الإيمان يوخرائمه (٢٩٠ ه) وابن ماجة في البهاد (١٩٧٣) والدراسي في الههاد (٢٩١٩) والصدد في مسئد (٢٨٧٥) من مديث أبي هريزة عن الذبي ﷺ قال: انتدب الله لمن خرج في سبيلة لا يضرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجمه بما نال من أجر أن غنيمة أن أنسكة الجنة ولولا أن أشق على أمني ما قحدت خلف سرية واوددت أني أقتل في سبيل الله قم أميا لام أقتل ثم أميا در الاتل .

(٣٢) قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

رياه مسلم في الإمارة ((۱۹ • ۱) وأحمد في مستده ((۱۹۹۹) من حديث أنس بن مالك قال: بعث رسول اله 機 بسيسة عينا ينظر ما مستعت عبر أبى سفيان فجاء يما في البيت أحد غيري يغير رسول اله 機 قال لا أمري ما استثنى بعض نساته قال فحدثه الحديث قال فخرج رسول اله ﷺ فتكام فقال: إن لنا طلبة فمن كان ظهره عاشما فليرك المسابه عمنا فجمل رجال المشركين إلى بدر وجاء المشركين فقال رسول الله : لا إقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فيذا المشركين فقال رسول الله ﷺ قرموا إلى جفة عرضها السول الله : لا يقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فيذا المشركين فقال عرضها السموات والأرض، قال : تدم ، قال بين بع بع ، فقال رسول الله ﷺ: ما يصداك على قولك بع بع ، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أشفها ، قال: فإنه من أملها فالمرج قدرات من قرنه فومل بأكل منهن ، فه قال: لا أنه يا حبيت حتى أكل تراثي مذه إنجا لمهاة طويلة اقال : فرمي مما كان معه من قلاس مع قتل م

(٣٤) تفسير القاسمي ١٩٥/٨ تقلاً من أبي السعود .

(٣٥) عبد الكريم المعليب الشسير القرآني القرآن الجزء العاشر ص ١٧٠ .

(٣٦) عبد الكريم العطيب ، العقسير القرآني الجزء العاشر ص ٢٧٥.

(४٧) ४ बल्त् हें हम्म विद्युत :

ریاه الیشاری فی الجهاد (۲۸۲۷، ۲۸۲۳) والترمنی فی السید (۱۹۰۰) واندارمی فی السید (۲۰۱۳) (۲۲۷۰) من السید (۲۰۱۳) من الشیار الموادی الموادی فی السید (۲۸۱۳) من المشاری فی الشانات و الموادی المشانات المشانات

(٣٨) من كتاب أهداف كل مورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور : عبد الله شحاتة .

(٣٩) لا يطوف بالبيت عربان :

رياه الترمذي في الحج (۸۷۱) وفي التفسير (۹۷۱) والدارمي في المناسك (۱۹۱۹) والمعد في مسنده (۵،۹۰۰) من حديث زيد بن أتيج قال: سأنت عليا بأي شيء بعثات قال: بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يطوف بالبيت عربان، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا، ومن كان بهنه وبين النبي على عبد شهيده إلى مدت ومن لا مدت له فاريمة الشرد. ورواه البماري في المسلاة (۱۳۱۹) وفي الحج (۱۹۲۷) وفي الجنية (۱۹۷۷) وفي المداني (۱۹۷۷) وفي تقسير التران (۱۹۷۵) ومن تقسير التران (۱۹۷۸) والي المداني (۱۹۷۷) وفي تقسير التران (۱۹۷۵) والي المداني المحيد والمداني وفي مقاسد الإران (۱۹۷۷) من حديث أبى هريدة رضي الله منال بعد المحالم طرق ولا بطوف. مناسك المحيد عديان قبل عديدة أبى هريدة رضي الله بالموادي والمنال والموادي وال (، ٤) قال الزمخشرى في تفسير الكشاف فهروايق عبر مبتداً محلوف أى : هذه براءة وفهرن كه لابتداء الفاية معطق بمحلوف أى : براءة كانة من أله . أو واصلة من أله ورصوله ، ويجوز أن تكون فهرايقهم مبتداً ، والخبر إلى فجاللين عاهلتم من المشركين، كما تقول رجل من بني تميم في المدار

- (٤٩) طسير القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ: محمود شلعوت.
 - (٤٧) حاشية الجمل على الجلالين ٧٦٣/٢ .
 - (٤٧) تفسير القاسمي .
 - (\$ \$) تفسير القاسمي وقد أسند هذا القول إلى ابن القيم.
 - (62) أمرت أن أقاتل الناس حي يقولوا لا إله إلا الله:

رواه مسلم في الإيمان أيضنًا (٢٧) من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسيل الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حقى يشيدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا قطوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . رواه البخاري في الصلاة (٣٩٣) وأبو داود في الجهاد (٢٦٤١) والترمذي في الإيمان (٢٦٠٨) والنسائي في تحريم الدم (٢٩٦٦) وفي الإيمان (٥٠٠٣) وأحمد في مسنده (١٢٦٤٣، ١٢٩٣٥) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وزيحوا ذبيحتذا: فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . ورواه مسلم في الإيمان (٢١) وأبو داود في المهاد (٢٦٤٠) والترمذي في الإيمان (٢٦٠٦) والنسائي في الجهاد (٢٠٩٧) وفي تمريم الدم (٢٩٧١) وابن ماجة في الفتن (٢٩٢٧) وأحمد في مستده (٦٨، ١٩٨٨، ٩٩٩٠) من حديث أبي مريرة عن رسول الله ﷺ قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهديا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي ويما جئت به فإذا فطوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. ورواه الترمذي في التفسير (٣٣٤١) وابن ماجة في الفتن (٣٩٢٨) وأحمد في مسنده (١٣٧٩٧. ٥ ٩ / ٤ /) جابر قال : قال رسول للله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولها لا إله إلا الله فإذا قالوها عصمه) مني دماءهم وأموالهم إلا يحقها وحسابهم على الله ثم قرأ ﴿إِمَّا أنت مذكر لست عليهم بمسطر﴾ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح . ورواه النسائي في تحريم الدم (٣٩٧٩) من حديث النعمان بن بشير قال : كنا مع النبي ﷺ فجاء رجل فساره فقال : افتاره ثم قال: أيشهد أن لا إنه إلا الله ؟ قال: نعم ولكنما يقولها تعودًا فقال رسول الله ﷺ: لا تقتلوه فإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ؟ قرادًا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . ورواه النسائي في تحريم الدم أيضًا (٣٩٨٧) وأحمد في مسنده (٢٧٧٧) من حديث أرس بن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إنه إلا ألك ثم تمرم دمارُهم وأموالهم إلا بحقها . ورواه أحمد في مسنده (٢٤١) من حديث عمر أنه قال لأبي بكر : كيف تقاتل الناس يا أبا بكر وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا : لا إنه إلا الله عصموا متى بماءهم وأموالهم إلا يحقها وحسابهم على الله ، فقال أبو يكن رضى الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ القاتلتهم عليها ، قال عمر رضي الله عنه : نوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي يكر رضي الله عنه للقتال فعرات أنه الدق .

(23) أحكام القرآن لابن العربي.

(٤٧) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله :

رواه الايمارى في قصالاء (۱۹۷۳) وأبو داوره في الههاد (۱۹۲۲) والتربذى في الإيمان (۲۰۰۸) والنسائى في تحريم الدم (۱۹۲۹) وفي الإيمان (۲۰۰۰) وأصد في مسئد (۱۹۲۵، ۱۹۲۵) من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: أمرى أن أفائل الناس حتى يقراوا لا إله إلا الله قزانا قائرها وصابا مسلاننا واستقبارا قبلتنا ونبحوا لبيمتنا : فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا يصفها وحسابهم على الله . ولنظر ما قبله .

(٤٨) انظر تفسير ابن كثير ثاقية ، فقد كتب طائفة من الأحاديث الدوية الشريفة تتصل بنفسير الآية .

(9 \$) من أمن رجلا على دمه العله :

ذكره السهويلي في الجامع الصغير (٢٩٧٩) بلفظ: من أمن رجلا على يمه فقطة فأنا بريء من القائل، وإن كان المقتيل كافرا . وتسبه البغماري في التاريخ والنسائي عن معرو بن العمق . قال اليهيثمى في المجمع : عن رفاعة القتياني قال : مديثا حدثيثه عمرو بن الحمق قال : قال رسول ش ﷺ: إسا مؤمن أمن مؤمنا على معه فقطة أنا من القائل بريء – قلت: يريء له ابن عاجة : من أمن رجلا على دمه فقطة طؤنه يحمل لواء شدر يوم القيامة . رياه أحمد والطبراني ويجاله القاتو، وفي عمروين المعقق قائل المعتقد المائل بريء من القاتل وإن كان المكتول . عن أمن رجلا على معمد فقطة طؤنه المتعالى عالم المعتود على المعتود المعالى المعتود المعتود المعالى المعتود على المعتود ويجاله قلالت الأن رجلا على دمه فقطة ، ذلك يعمل لواء شدر يوم العيامة . قال سريال الهيئة . قال على طرية معتود المعتود على المعتود على القلالة ، ذلوله يوما الإسانه على شرط مسلم . حيان في القلالة ، ويالى رجوال الإسانه على شرط مسلم .

(، ٥) لكل غادر لواء يوم القيامة :

رياه البشارى في الجزية (٢٩١٧) وسلم في الجهاد (٧٣٧) وأصد في مسنده (١٠٢٥) من حديث أنس عن الذبي ﷺ قال: تكل غادر الواء يوم القيامة قال أصدهما ينصب وقال الأهر يرى يوم القيامة يعرف به . رواه البشارى في الجزية (٢٨٨) وفي العيل (٢٩٦٦) وفي الفتن (٢١١١) ومسلم في الجهاد (١٧٣٥) والقرمة في السير ((١٩٨١) وأحدث من مسنده (٤٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمت النبي ﷺ يقول: لكن غادر لواء ينصب بدارته يوم القيامة . ويداه مسلم في الجهاد (٢٩٧٠) وابن مبلحة في الههاد (٢٨٩٧) والدارس عن البيوع (٢٥٤٧) وأحد في مسنده (٢٨٩٠) من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: تكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة ذلان . ويواء مسلم في الجهاد (٢٧٨٧) والمعدد في مسنده (١٩٥٠) من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قار: تكل المهاد المهادي الجهاد (٢٨٩٧)

(١ ٥) تفسير مورة التوبة د. محمد سيد طنطاري الطبخة الثانية ص ١١٠ .

(٣) انظر تاسير الفتر الرازى ، والكشاف للزمادشرى ، والمنار والقرطي وأحكام القرآن للجماص ، وأحكام القرآن لابن عربى، والضير المدير للدكتور وهية الزحيان (٥٣) انظر الطسير المدير للدكور وهية الزميلي دار الفكر دمشق سوريا ، ١٧٥/١٠

(44) تقسير ابى السعود المسمى إرشاد الطلل السليم إلى مزايا القرآن الكريم القاضى القضاة الإمام أبى السعود محبد بن محبد العمادى المعرفي سنة ٥٩/١ هـ 4/2 .

(00) أسباب النزول للواحدي، وتفسير الكشاف، وحاشية الجمل على المجلالين، وتفسير المنار.

(٥٦) قارن بطسير المنار ، ١/٩٤٩.

(٥٧) مقعيس من تفسير الآثوسي وغيري

(٥٨) التفسير المنير للأستاذ الذكاور / وهية الزحيلي دار الفكر المعاصر بيروت ، ١٤٩/٩ .

(٥٩) حافية الجمل على الجلالين ٢/ ، ٧٧ .

(٩٠) انظر حاشية الجِمل على الجلالين ، والطمير المبير للدكتور وهبة الزحيلي ١٤١/٩ • حيث نقل ذلك عن الواحدي .

(١٩) من بني الله مسجدًا ؛ يني الله لد يبنا في الجدلار

قابضاری فی المسلاة (۵۰) وسلم فی الدساجد (۳۷۰/ ۲۶/ ۵۷) ، والترمذی فی المسلاة (۳۱۸) وقال : «حدیث حسن صحیح» ، وابن ماجة فی المساجد (۳۷۳) کلهم عن عضان بن طان .

(٩٢) إقا عمار الساجدهم أهل الله :

قال ابن كثير في تفسيره : وروى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس قال : قال سول الله ﷺ : «إنما ممار المساجد هم أعل الله...

(٦٣) إذا رأيتم الرجل يحاد المساجد :

رواه الترمذى فى الإيمان (۲۰۱۷) ولى التفسير (۲۰۲۹) وابن ماجة فى المساجد (۲۰۸ والدارمى فى المسالة (۲۰۲۳) من حديث أبى سعيد عن رسول الش 霧 قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد غاشهيرا له بالإيمان قال الله تعالى: ﴿وَاللّا بعم مساجد الله من آمن بالله﴾ الأية . قال المناوى فى الفيض : قال الترمذى : حسن غريب وقال الماكم ترجمة عسعيصة عمسية وتعقبه الذهبى بأن ذيه دراج ومو كلير المناكير وقال مقلطاى فى شرح ابن ماجة حديث شميف.

(٩٤) من غلما إلى المسجد أو راح:

رواه البخاري في الأذان (٦٦٧) ومسلم في المساجد (٦٦٩) من حديث أبي هريرة عن النبي 義 قال : من غدا إلى المسجد وداح : أحد الله له نزله في الجنة كلما غدا أو راح .

(٩٥) فسير المنار ، ١/١٩٥٠ .

(٦٦) نقلا عن الطسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية الحزب التاسع عشر ص ١٩٧٤.

(37) إِنَّ اللَّهُ عَرْ وَجِلْ يَقُولُ لِأُهِلِّ الجَّنَّةُ : يَا أَهَلَ الْبِعَدُ ، هِلْ وَضَيْعِمِ؟

رواه البخارى فى الرقاق باب: صفة البعثة (الذار (١٩٨٣) وفى الترحيد باب: كلام الرب مع أمل البعثة (١٩٠٥) ومسلم فى البغثة بالبغثة (١٩٠٥) والترمذي فى صفة فى البغثة دوما يسمعة تفيهم أيضاً وأكبر (٢٨٧٧) والترمذي فى صفة البغثة - فإن الله عز دويل يقول الأمل البعثة : بها أمل البعثة ، فيقولون : البغث (١٩٨٠) من حديد أبى سعيد الخدرى ، ويصام للغثة : فإن الله عز دويل يقول الأمل البعثة ، فيقولون : المنافذة المناف

(٩٨) الطسير العنير ، للذكتور وهبة الرحيلي ، ١٤٩/١ . دار الفكر المعاصر بيروت- لينان ودار الفكر دمشق سورية .

(19) لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده :

(٧٠) لا يؤمن أحدكم حي أكون أحب إليه من نفسه :

انظر ما قبله .

(٧١) تعم صلى أمك :

رواه البخاري في الهية (۲۲۲۰) ولم الجزية (۱۸۸۳) ومسلم في الزكاة (۲۰-۱) وأبر باور في الزكاة (۲۰۲۸) وأحمد في مسند (۲۲۲۷) من حديث أسماء بنت أبي يكر رضي الله عنهما قال: قدمت على أمي وهي مشركة في عيد رسول الله ﷺ فاستقتيت رسول الله ﷺ وللت وهي رافية : ألأصل أمي : قال : تمع مشلي أمك .

(27) تفسير سورة التوية د. محمد سيد طنطاوي ص 40 الطبط التانية نقلاً عن يعض العلماء ولم يذكر الاسم ولا المصدر .

(٧٣) انظر تفسير الطبري وابن كثير والترطي وأبي السعود ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد التعصري .

(٧٤) تفسير ابن کير ٢٤٦/٧ .

(٧٥) تفسير سورة التربة در محمد سيد ططاري تقلاً عن تفسير القاسمي ، ٣٠٩٩/١ .

(٧٦) لو أنكم توكلون على الله حق توكله :

رياه الترمذي في الزهد (١٣٤٤) وابن ماجة في الزهد (١٩٦٤) وأحمد في مسئد (٥ ٣٧٠) من حديث عصر بن الفطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «أن أنكم كنتم تركلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تقدى همامسا وتروح بطانا». قال أبر عبسى: «ذا حديث حسن مسجح لا تعرفه إلا من هذا اللوجه وأبر تميم الجيشاني اسمه: عبد الله بن مالك . تعبه: لم يروه البضاري، ولم أر من عزاء له ، فليحرر .

(٧٧) الطر تفسير فخر الدين الرازي للآية .

(٧٨) تفسير ابن كثير باختصار وتصرف.

(۷۹) هذه علاصة ثما ورد في كتب الطسير ، مثل تفسير الجمل على الجلابن ، والطسير المتير للذكتور وهية الرحيلي وتفسير الكشاف ، وفتم القدير وتفسير صورة التربة للذكتور محمد صيد طنطاوي .

(٨٠) انظر تفسير أبي السعود المجلد ٢ جزء ٤ ص ٩٥ ، وتفسير سورة التوية للدكتور طنطاوي ص ١٠٥.

(٨١) ليس على السلم جزية :

رياء أبر باري فى الغراج (٣٠٥٧) وأصد فى مستبد (٩٠٥٠) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ليس على المسلم جزية . منتقا مصد بن كثير قال : سئل سفيان عن تفسير هذا فقال : إذا أسلم فلا جزية عليه .

(٨٧) من أسلم فلا جزية عليه :

انظر ما قبله .

(۸۳) تفسیر الکشاف .

(١٤) تفسير الكشاف ١٨٩/٢.

(٨٥) انظر تفسير القاسمي ، والقرطبي ، والمعاز ، والأشاف .

(٨٦) انظر تفسير القرطبي

(۸۷) تفسير الكشاف للزمامشرى.

(٨٨) تفسير القرطي ج ٨ ص ١٩٠٠ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦١ م .

(٨٩) كتاب الغراج لأبي يوسف ص ١٤.

(۹۰) تقسیر القاسمی ۱۲/۸.

(٩١) الطسير الوسيط: مجمع البحوث الإسلامية ص: ١٩٩٠.

(٩٧) تفسير المنار يعمرف ، وانظر أيضا تفسير في فالأل القرآن .

(۹۳) تفسیر سورة اثنایة د. محمد سید طنطاری ص ۵ ۹ ۹ .

(١٤) تقسير المنار ١٠/٣٧٤ .

(9 p) إنَّ اليهود مفضوب عليهم والعماري ضالون :

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٥٤) وأحمد في مستمد (٢٧٨/٤) من حديث عدى بن حاتم قال أتيت رسول الله ﷺ وهو
جالس في السجد نقال القوم: هذا عدى بن حاتم وجالت بغير أمان ولا كتاب نشما بغض إليه علم بنيب ي بك كان قال قبل
نذلك: إني لارجو أن يجنوا الله يده غنى يدى قال: قائم القليقة امرائة وسمى معها قذالا: إن نذا إليك حاجة تقام معهما حتى
نذلك: إني لارجو أن يجنوا الله يده عتى إن عائم واله قليلة امرائة وسمى معها قذالا: إن نذا إليك حاجة تقام معهما حتى
عليد ثم قال ما يؤدى أن تقول لا إله إلا الله قبل تعلم من إله سوى الله قال: قدم سامة ثم قال: إنه الله
الإن تقول الله أكبر وبعلم أن طيئا أكبر من الله قبل تقد لا بدال: قبل الهود مغضوب عليهم وإن الاسماري مناسات ثم قال: إنها الله
فإني جالت مسلما قال قرايد وجهه تبسط فرجا قال: في أمر بي فأنزات عدد ربيل من الانسار جمات أغضاء آتيه طرياني
والو مساح وارد بنصف معاج وارد بقيضة واي ببعض قبليا، من الاسواء من هذه النمار قال: فصلى وقام فحث عليهم ثم قال
والو مساح وارد بنصف معاج وارد بقيضة واي ببعض قبليا، عن الحصوف من هذه النمار قال: أنه أمن والم بغثى تعري
فيزان: بيان يقول: إني ما قدمت لنشاف فينظر قبله معها ويمما فيقول: بيلى: فيقول: أني باهم فيك المناح ويضه وين يعزد وين شماله ثم في المال عليك المناح المناه في وجهه من
جهنا: لون احدكم وجهه الذار وارد يختل تعرية فران لم يجد فركمة طبية فإني لا ألماف عليكم القائلة فإن الله خاصريا
جهنا: الون احدكم وجهه الذار وارد يختل مناهجية أو لي ألماف عليكم القائلة فإن الله خاصرية المناد المناك أم لا يوماد
فإن احدين قال: أبو عيسى: هذا حديث غرب لا تعرف المناح المناك أم لا يحرف بن معني من عديد
فإن المسرع طبئ قال: أبو عيسى: هذا حديث على والنصاري شارك شاك الملاك . ثم فدي سنده من حديث النائس قبل قال المناء .

(٩٦) تفسير الألوسي ١٠/٧٠ .

(٩٧) إن الله زوى في الأرض:

رواه مسلم في الفتن (۲۸۸۹) ، والترمذي في الفتن ح ۲۷۲٦ ، وأبر داود في الفتن ح ۲۷۷٦ ، وابن ملجة في الفتن (۲۹۹۳). وأحدر ه /۲۷۸ ، ۲۸۵ ، من حديث ثريان . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٩٨) لا يبلى على ظهر الأرض بيت مدر :

رواه أحمد في مستدم (۲۹۳۰) من حديث المقداد بن الأحود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا ويد إلا أسفله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أن نل ثليل إما يعزهم الله عز وجل فيجهام من أهلها أو يثلهم فيدينون لها . ويوام أحمد في مستده (۱۹۵۰) من حديث تديم الداري قال سمحت رسول الله ﷺ يقول: ليبقان هذا الأمر ما بلغ الليل والنيان ولا يترك الله بيت مدر ولا ويد إلا أسفله الله منذ الدين بعز عزيز أن بثل نليل مزا يعز الله به الإسلام ولا يدّل الله به الكار وكان تديم الداري يقول: قد عرات ذلك في أمل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الغير والشرف والعد واقد أساب من كان منهم كافرا الذل والصفار والجزية . قال الهيئمي في الجمع : رواه أحمد والطبراني ورجال المعددي .

(٩٩) والذي نفسي بيده ليتمن الله .

رواه أحمد في مسئده (١٧٧٩٦) من حديث عدى بن حاتم قال لما بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة خرجت حتى وقعت ناحية الروم وقال يعني يزيد بهفداد حتى قدمت على قيمس قال : فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهيتي لخروجه قال: فقلت وإنك لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرني وإن كان صادقا علمت قال: فقيمت فأتيته ظما قدمت قال الناس عدى بن حاتم عدى بن حاتم قال : فدخلت على رسول ا🏟 فقال لي : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم فلاثا قال قلت إنى على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقات أنت أعلم بديني منى قال : نعم أنست من الركوسية وأتت تأكل مرباح قومك قلت بلي قال : فإن هذا لا يحل لك في دينك قال : فلم يحد أن قالها فتواضعت لها فقال : أما إنى أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الميرة قلت: لم أرها وقد سممت بها قال فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطمينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد وليفتحن كنوز كسري بن هرمز قال : قلت: كسري بن هرمز قال : نعم كسري بن هرمز وليبذئن المال حتى لا يقبله أحد قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار ولقد كنت فيمن فتم كنوز كسرى بن مرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول 🖨 斃 قد قالها . ورواه البخاري في المذاقب (٣٦١٧، ٢٨٥٢) ، وفي الإكراء (١٩٤٣) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٩) وأحمد ح ٢٠٥٦٨ ، ٢٦٦٧٥ من حديث خياب بن الأرت قال : كرنا إلى رسول 🗥 🌉 وهو متوسد برية له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجمل فيه فيجاء بالمنشار فيرضع على رأسه فيشق بافتتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يشاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون .

(۹ ۹ ۹) ما أدى زكاته فليس يكنز .

برَّب به البشارى في كتاب الزكاة فقال : باب ما أدى زكاته فليس بكنز لقول الذي ﷺ ليس فيما دون خمسة أياق صنفة ، ورواه أبو داود فى الزكاة (١٥٦٤) من حديث أم سلمة قالت : كنت ألبس أوضاها من ذهب فقلت : يا رسول الله اكثر هو ؟ فقال : ما يلغ أن تؤدى زكاته فركى فليس بكثر .

(١٠١) تفسير الكشاف للزمامشري ١٩١/٢ .

(٢ . ٩) من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته .

رواه للبخاري في الزكاة ح ٣٠١/ ١٠٥٠ ما ميفي تأسير القرآن ح ٥٠٥٠ ، والنسائي في الزكاة ح ٢٤٨٧ ، وابن ماجة في الزكاة ح ٢٨٧٧ ، وأحد ح ٨٤٤٨ من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الفﷺ من آداء الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أفرعًا له زيبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿لا يحسن اللبن يعاملون﴾ الآية .

(۲۰۴) ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا .

رياه البخاري في الرقاق (۱۹۶۶) والدارمي في الرقاق (۲۷۲۷) وأحمد في مسنده (۲۰۹۵) من حديث أبي ثر قال : كنت أمشي مع الذبي ﷺ في حرة المدينة فاستقبلنا أحد فقال يا أبا نر قلت لبيك يا رسول الله قال : ما يسرفر أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضى على ثالثة وعندى منه ديذار إلا شيئا أرصده لدين إلا أن أقرل به في عباد الله مكذا ومكذا عن ومكذا عن المكذا ومكذا عن بعيثه وعن شماله ومن خلفه وعلى مفيل الأكثرين هم الأفلون يوم القيامة إلا من قال مكذا ومكذا عن بعيثه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم فم قال لي : مكانله لا تربح حتى أتبه ثم أما الشيئ على الشيئ على المؤلى المعتمل المؤلى على اللها معتمل المؤلى المعتمل عندا واللها معتمل المؤلى المعتمل المؤلى المعتمل المؤلى المعتمل المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المؤلى المعتمل المؤلى المؤل

(٩٠٤) أفعيله لسان ذاكر.

رواه أحمد في مستده (٢٧٥٩) من حديث عبد الله بن أبي الهذيل قال : حدثني مسلمي في : أن رسول الله ∰ قال : تيا للذهب والفحة قال : فيا صورا الله قباله تها للذهب والفحة قال : فيا رسول الله قباله تها للذهب المسلم والفحة قال : وسول الله قباله تها للذهب القرآن من المسلم الله قبل الدورة تعالى المسلم المسلم المسلم المسلم الله أن المسلم المس

(ه ٠ ٩) ما من إنسان أو قال : أحد ؛ ترك صفراء أو يبضاء :

رواه آممد فی مسئده (۹۹۹ ۲ ٪) من حدیث آیی مجیب قال: اقتی آبو در آیا مربرة رجمل آراه قال قبیمة سیفه فشنة فنها ه وقال آبو ذر: قال رسول ش 義 : ما من إنسان آن قال : آمد تراه ممفراه آن بیضاه [لا کری بها .

(١٠٦) تأسير الكشاف للزمخشري ١٩١/٢ .

(٩٠٧) أظلع إنّ صدق .

(٨ . ١) الزمان قد استدار كهيمه يوم .

رواه البخارى في بدء الخلق (۲۹۹۷) وفي المغازى (۲۰ ۶۵) وفي التفسير (۲۰۳۶) وفي الأضاحي (۵۰۰) وفي التوحيد (۷۶۷۷) ومسلم في القسامة (۲۷۷۸) وأبو داود في المناسك (۱۹۶۷) وأحد في مسئده (۱۹۸۷۷) من حديث أبي بكرة رضي الله عنهم من الذبي ﷺ رسلم قال: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة الثنا عشر شهرا منها أربعة حرج خلالة متراليات تو القعدة ولى الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان.

(٩٠٩) تفسير الكشاف ٢/٢/٤ : تفسير أبي السعود ١٩٣/٤ .

(و ١ ٩) ما طبر عقمان ما عمل بعد اليوم .

رياه الترمذي في المناقب (۲۷۰۱) وأحمد في مسلده (۲۰۱۰) من حديث عبد الرحمن بن سعرة قال : جاء عثمان إلى الذبي ﷺ بألف دينار قال المسن بن وقاع : وكان في موضع آهر من كتابي في كمه حين جهز جيش العمرة فينثرها في مجره قال عبد الرحمن : فرأيت الذبي ﷺ يتلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتون ، قال أبر عيسي : هذا حديث حسن غريب من هذا الرجه .

(1 1 1) الطسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي • 1 / 9 1 1 .

(٢ ٩ ١) ما اللذيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبحه .

رواه مسلم في الهنة وصفة تعيمها ح ٢٥٥٨ ، والترمذي في الزهد ح ٢٣٢٣ ، وابن ماجة في الزهد ح ٢٤١٨ ، واحمد ح ١٧٥٤٧ ، ١٩٥٨ ، ١٧٥٥٧ ، ٢٧٥٥٧ ، ٢٠٥٩٩ ، ٢٠٥٩٠ من حيث المستورد . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

(١ ٢ ١) إن الله يجرى بالحسنة ألف ألف حسنة .

قال السيريشي في الدر: وأخرج عبد الله بن أحمد في زيائد الزهد وابان أين حاتم وابان مربوية عن أين عثمان اللهدي قال
تلف : يا أيا مريزة ، سمعت إخواني بالبصرة يزغمون أنك تقول : سمعت نين الله ﷺ يقول : وإن الله يجزى بالمسنة
ألف ألف حسنة، فقال أبو مريزة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يجزى بالحسنة ألفي ألف حسنة ، ثم ثلا مذه الأية
وأما مناع الحياة الديا في الآخرة إلا لقبل في قالدنيا ما مضى منها إلى ما يقى عند الله تقابل ، وقال : وهن فا الذي يقرض
الله لرحاحا سا لهذا في الآخرة إلا لقبل في قالدنيا ما مضى منها إلى عند الله تعالى إذا كانت الدنيا ما مضى منها وما
يقى هند الله قليل .

(١٩٤) ما ظبك بالنين الله ثالثهما .

رواه البخارى فى التفسير (٢٠٦٣) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨١) والتردذى فى التفسير (٢٠٩٦) وأحدد فى مسند (١٩) من حديث أنس قال: حدثنى أبر يكر رضى الله عنه قال: كنت مع الفهى 義 فى الفار فرأيت أثار المشركين قلت: يا رسول الله ، فو أن أحدهم رفع قدمه وأنا قال : ما ظنك بالثين الله ثالثهما ٢:

(٩ ١) هذا ثابت في صحاح السيرة ، وإن لم يثبته أهل الحديث .

(١٩٩) من إعراب الآية ، 4 من سورة العوبة

إلا تتصروه. بإدغام لا في نون إن الشرطية .

فقد لصرة أقد جواب الشرط .

إذ أخرجة . متصوب إد تُعيرُهُ الله .

په احراب <u>د مصروب په مصو</u>دانه.

ثاني البن . أي : أحد النين وهو منصوب على المال في هاء أخرجه ، وهو النبي ﷺ.

إذ هما في الغاز . منصوب على البدل من قوله تعالى : إذْ أخرجه اللَّيْن كَفْرُوا . وهو بدل اشتمال

إذ يقول أعباحيه ، يدل من قوله: إذ هما في الفار ، وهـاء صناحيه يراد بها أبو بكر. .

لا تحزن ، جِملة قطية في مرشيع تصب بيقول ، وهاء أبله . يراد بها الذبي ﷺ ،

وكلمة الله مبتدأ مرفوح وهيّ ، شمير قصل ، العليا ، عيره ،

وقرأ يمضهم بالنصب ، والجمهور على رفع كَلِّمَةُ . وهو أبلغ ؛ لأن الجملة الاسمية تبلُ على الدوام والثبوت ،

(١٩٧) تكفل الله ثمن جاهد في سبيله لا يغرجه إلا الجهاد .

رياه البشاري في الإيمان (٣٦) وفي فرهن الخمس (٣٦٢٧) وفي الترميد (٧٤٦٧ ، ٧٤٢٧) رياه مسلم في الإمانية واللقط له – (١٨٧٧) بمالك في الموطؤ كتاب الجهاد (٩٧٤) والنسائي في الجهاد (١٨٣٧ ، ١٣٣٣ ، ٢٢٣) وفي الإيمان ويقرائمه (٢٩ - ٥) واين سايمة في الجهاد (٢٧٥٧) والدارية والمائية (٢٣٤١) واحد في مسلم (٨٣٣ ، ٨٧٥١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله : تكانل الله ثمن جامد في سبيله لا يضرجه إلا الجهاد .. الحديث ، روي الحديث إنكار من لقط منها : انتقب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان .. الحديث ، ومتها : أمد الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الإليان : تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا يمان .. الحديث ، ورج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد هي سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيله لا يخرجه إلا يمان .. الحديث ، ولم الحديث ، وفي إحدى الروايات : تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا

(۱۱۸) تاسیر اگرطیی ۱۵۰/۸ .

(199) أو يعلم أحدهم أنه يبعد عرقا سمينا أو مرماتين حستين .

رواه البضاري في الأذان (١٤٤) وفي الأحكام (١٧٣٥) يمالك في العوط كتاب النداء للصلاة (١٩٧٩) والنسائي في الإمامة (١٨٩٨) والدرم في المسلاة (١٩٧٩) والنسائي في الإمامة (١٨٩٨) والدرم في المسلاة (١٩٧٩) وأحدد في مستده (١٧٩٤) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: والذي نقسم بهديد قد مستده (١٩٧٤) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ويتم المنافق في الله الله المسلاة والمنافق في مستده (١٩٥٤) مسلم في الأنسان في المالة الإمامة المنافق في والدرم الله والدرم المنافق في الأنسان في المسلاة (١٩٥٧) ويسلم في المسلاة (١٩٥٧) ويسلم في المسلاة (١٩٥٥) ويسلم في المسلاة (١٩٥٧) من حديث حديث الله المنافق في المسلاة (١٩٥٤) مسلم في المسلاة (١٩٥٤) والدرمي في الإمامة (١٩٥٤) والدرمي في والدرمية والدرمية والدرمية والمسلاة (١٩٥٤) والدرمية وال

(١ ٢ ٠) اليمين الغموس تدع النيار بالأقع .

ذكره الهندي في كنز للمسال (١٣٨٣ ع - الهمين القموس تدع الديار بلالع . ونسبه لأبي للحسن خيشة بن سليمان بن حيدرة الأطراباسي في جزئه - عن واقلة قال الهيشي في المجمع : وعن أبي مريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعيل الطاعة ثوابا صلة الوحم إنه ولكونون فجارا فتندوا أسوالهم ويكثر صددهم إذا وصلوا أرحاسهم وإن أعيل المحصية عقوية : قبلني والجناية والايمين القموس تشعب الصال وتقلق في الرحم وتذر الديار بلالاء. رزاه الطبراني في الأوسط فهمة أبي المحماء الأصعب وقله النفريدي وضعفه ابن حيان . قال السيوشي في الدن : وأخرج رزاه الطبراني عن أبي مريرة قال السيوشي في الدن : وأخرج اللهية عن أبي مريرة قال : قال رسول الله ﷺ: لهن مما عضى الله به من أميل عقاباً من الهيفي ، وبما من شيء أطبع اللهية عن أبي مورية قاليا من الهيفي ، وبما من شيء أطبع اللهية المناسبة عن المناسبة عن المناسبة وبيالمة ومي الأرض

(١٢١) تفسير الفخر الرازي .

(۱۲۲) تفسیر این کثیر .

(27) اخرجه الطيراني وأبو نعيم وابن مردوية عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله .

(174) ما يعبيب المسلم من تعبب ولا وحبب.

رواه البشارى فى المرضى بناب: ما جاه فى كفارة المرضى (٣٦٤٠) ويسلم فى الهر والصلة والأدباب، بياب: فراب الشرئ فيما ليمر والصلة والأدباب، بياب: فراب المسلم الشرئ فيما يصديه من مرضى أو مترن (٣٧٧٧) عن شاهلة قالت: دال رسول الله ﷺ: منا من من مسيدة المدرى، ويمن أيي مورية عن النبي فروية عن النبي في فروية عن النبي عن النبي المسلم، من نصب ولا وسب، ولا هم ولا حَزَّن ولا أدى ولا غم م على النبوكة يُشاكها، ولا كن النبي النبي النبي النبي النبي الله عن النبي النبي النبي ﷺ، قال: والما من أيي مورية قال: ولما نزات في من عطاريوا وسندوا، ولم يكل النبي ﷺ، قال: والما والمدرى وسندوا، وفي كل ما يسدوا، وفي كل ما يساد المؤدن النبي شيء من فريب.

(٩٢٥) دينه قما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض .

برُب به الهشارى فى كتاب المرضى ، يرواه الترمذى فى الزهد ح ٢٩٩٨ ، وابن ماجة فى الفتن ح ٢٠٣٧ ، وأصد ح ١٨١٠ ، ١٩٤٨ ، ١٩٩٨ ، ١٢٠ ، والدارس فى الرفاق ح ٣٨٨٢ من صديف سعد بن أبى وقاص قال : قلف : يا رسول اشه : أن الناس أهد يلاء 7 قال : الأدبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبلغى الرجل على حسب ديله فإن كان ديله صلبا المثد، بلاله وإن كان فى دينه رفة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيقة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢٦) أشد الناس بلاء الأنبياء .

انظر ما قبله .

(277) واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء قلا تقل.

رواه مسلم فى القدر (٢٦٦٤) وابن ماجة فى المقدمة (٢٩) وفى الزهد (٢٦٦٨) وأحدد فى مسنده (٢٦٦٧، ٥٥٧١) من حديث أبى هريرة قال: قال رسول لك 養: الدؤمن لقوى خير وأحب إلى الله من الدؤمن الضعيف وفى كل خير لمرص على ما ينففك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل ان أنى فعلت كان كذا وكذاولكن قل: قدر الله وما شاه فعل؛ فإن ان تقتح عمل الشيطان .

(١٢٨) اثلهم أجرني في مصيبتي .

رواه مسلم في الجنائز (۹۱۸) ومالله في العروال كتاب الجنائز (۵۰۸) وأحمد في مسنده (۹-۱۰۹) من حديث لم سلمة أنها فالت عدمت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصبيه مصبية فيقول ما أمره الله ﴿إلا فَهُ وَإِلّا إِلَّا أَمَالُهُ اللّهِمُ اللّهِمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

(279) من علامات الإيمان الشكر على التعماء .

ذكره السيوطى في الجامع الصغير (٣٤٨٩) بلقط: فلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والأخرة : الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء ، والدعاء في الرخاء ، ونسه لأبي الشيخ ابن حيان عن عمران بن حصين . ورمز لضعف .

(١٣٠) عجيًا لأمر المؤمن .

لفرجه مسلم (۲۹۹۹) واللفظ له ، وأحد (۱۸۵۰ و ۱۸۵۰ و ۲۰۱۰ و ۳۲۶۱ و ۳۲۶۱۲) والتارمی (۲۷۷۷) ، من حدیث صدیب بن سان قال : قال رسول (新 عجبا لأس المؤمن إن أمره كله خیر واپس ذاله لأحد (لا للمؤمن إن أصابته سراء شكر تكان خیرا له وإن أصابته ضراء صدر تكان خیرا له .

(١٣١) تكفل الله لمن جاهد سيله لا يامرجه إلا الجهاد .

تقدم من (۱۸۷۵).

" (134) قإن الله لا يمل حتى تماوا .

رواه مسلم هي مسلاة المصافرين (٢٠١٠) من حديث عائشة قالت : كان رسول ش 講 إذا عمل عملا أثبته وكان إذا تام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة وكمة قالت : وما رأيت رسول الله 講 ما ليلا حتى العمباح وما صام شهرا منتايما إلا ومضان ورواه أبو دليه في العملاة (١٣٦٨) والنسائي في القبلة (٢٠١٧) من حديث عائمة يضي الله علمها أن رسول الله ﷺ قال : اكلاما من العمل ما تطبقون فإن الله لا يمل حتى تمارا وإن أهب العمل إلى الله أدومه وكان إذا عمل عملا البت.

(٩٣٣) إن الله طيب لا يقبل إلا طيها .

رواه مسلم في المسلاة (۱۰۱۰) والترمذي في تفسير القرآن (۲۸۹۹) والدارمي في الرقاق (۲۷۱۷) وأحمد في مستده (۱۸۶۸) من حديث أبي هريرة مرفرمًا : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر الدرثمنين بما أمر به المرسلين قال : ﴿فَهَا أَيُهَا الرَّسِلُ كُلُوا مِن الطّيات واعملوا صالحا إلى بما تعملون عليمٍ فقال : ﴿فَهَا أَيُهَا اللَّيْنَ اَسْوَا كُلُوا مِن طياحًا ما رؤلفاكم﴾ فم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغير يعديديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملهمه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك !

قال أبر عيسى : هذا هديث حسن غريب وإنما تموقه من حديث فضيل بن مرزوق وأبر حازم هو الأشجمى اسمه : سلمان مهلى عزة الأشجمية .

(١٣٤) إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ .

روياه للبخارى (۱ ، ۱۹۸۹ ، ۱۹۵۳) وسلم فى كتاب الإمارة حديث رقم (۱۳۵۳) ، والترمذى فى كتاب فضائل الجهاد. حديث رقم (۱۹۷۱) والنسائى فى كتاب الطفارة حديث رقم (۱۷۶) وفى الطلاق حديث رقم (۱۳۷۳) فى الأميان والنذور حديث رقم (۱۳۷۳) ، واير داراء فى كتاب الطلاق حديث رقم (۱۸۸۱) ، وابن ماجة فى كتاب الزامد حديث رقم (۱۳۷۷) وأحمد فى مسلم حديث رقم (۱۹۲۳ ، ۱۳۸۳) من حديث عمر بن القطاب رضى الله عنه على العنبر قال : سمعت رسول الله قق قبل الأميان وابنا الأصال المائية يتكمها الله قق على العنبر قال السرة يتكمها المائية يتكمها فهجراته إلى دنيا يصبهها أي إلى امرأة يتكمها فهجرته إلى ما عاجر إله» .

(١٣٥) ورد هذا المعنى في طسير الفخر الرازي .

(١٣٦) المرجع السابق.

(١٣٧) ويلك ومن يعنل إذا ثم أعدل ١٩.

رواه البخارى فى المناتب (۱۳۹۰) وفى استنابة المرتمين (۱۹۳۳) وسلم فى الزكاة (۱۹۳۳) وابن ماجة فى المقدمة
(۱۷۷) وآسد (۱۶۲۹) من حديث جابر بن عبد الله ومن حديث أبى سعيد الغدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن عند
رسول الشقق ومن يقسم قسما أثناه قر الغييمسرة وهو رجل من بنى تمهم فقال: يا رسول الله ، أعمل ، فقال: ويلك ومن
يعدل إذا لم أعدل قد خيرت وحسرت إن لم أكن آسل ٣٢ فقال عمر: يا رسول الله الذن لى فيه فأضرب علقه فقال: دعه
فإن له أسمايا يحقر أسدكم مسلالة مع مسلاتهم ومسايمه مع مسيامهم يقربون القرآن لا يجاوز تراقيهم بديق «
فإن لمن المسمايا يحقر أسديمة ينظر إلى نصابة لا يوجد فيه شيء قد سبق القرآن والدم أيتهم رجل أسود
إلى نصيه ومع قدمة فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى يصافة عند سبق الفرث والدم أيتهم رجل أسود
إحدى عضديه مثل ثدى الدرأة أن مثل المضعة تمردر ويضرجون على حين فرقة من الذاس قال أبو سعيد فأشهد أنن
سمحت هذا الحديث من رسول الله قبل وأوجد فيه أن على بنا أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأني به
حدى نظرت إليه على نحت الذي يقلا التى نعثة .

(١٣٨) تفسير الفخر الرازي.

(179) لخصينا فصل مصارف الزكاة من يبحث لصاحب القعنيلة الأمتاذ محمد أبو زهرة في مجلة لواء الإسلام من مجلد صنة 190 ص AT7 .

(، 1) جاء في القانون الروماني المسمى : قانون الألواح الاشى عشر «المدين إذا عجز من دفع ديونه يحكم عليه بالرق إن كان حرًا. ويحكم عليه بالحبس أو بالقطر إذا كان وقفاً» .

(121) جيلت القلوب على حي .

ذكره السيريش في الجامع الصنهر (۲۰۸۰) بلنظ: جبات القاوب على حب من أحسن إليها ، ويفض من أساء إليها .
ينسبه لابن عدى في الكامل وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعري ، ويصمح البيهافي في شعب
الإيمان وقفة ، ورمز السيوطي المسعف الله المناوي في فيض اللهرة ركاناً أبو للشغخ (ابن مبان) وابن جبان في ويضة
الإيمان وقفة أن المنافية والمنافية والموروق على المنافية المارة المنافية المسن بن عمارة أن الأعماد
وقع فيه فيمه العين إلى المنافية والمنافية مسعول المنافية المارة المنافية المسن بن معمول المنافية والمنافية والمنافية المنافية عدن بأساميث
من ضرعة تفركناه وقال يحيى هو كتاب وقال الشيمان والدارقطني : مترواه وقال ابن عبان : بضم على الثقات . انتهى
وفي لسان الميزان في ترجمة إسماعيل المهاط قال الأزدى : هو كوفي زائغ وهو الذي روى محيث جبلت المقريف قال
الأزدي : هذا المسعول عالم النتهى . (ويسمع هم وقفة) ابن مسعول وقال إنها المنافية عن الموقوف معروف من الأعمل
يمتاح لداريل فإنهما أورداء كذلك يستد فيه من العم بالكنب والرفيع إلى هذا كلامه وأقول : رأيت بقط الهادي عبد الهادي عبد الهادي من الهادي منا الهادي عبد الهادي وهم وشعوع ! سيئة المنافية عن المنافية عن المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة في الإنسان ويقد موشوع !

(١٤٧) فلسير أبي السعود ١٤٧) .

(۱٤۳) مافش بن حمير .

قال الماقظ بن حجر فى الإصابة : ((۱۹۵۳) مشوّى بسكرن الشاء بعدها شين معهمة بن حمير مصدارا بالتلقيل الأشهمي له نكر فى مفازى بن إسحاق فى غزية تدبك وفى تفسير امن الكابى بسنده إلى بان عباس ويسداء إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه ﴿وَكُن سُأَهِم لِقُولُ إِنَّ امَا كَانَ مُوحِن والمبّ ﴾ قال : فكان ممن عفى عنه مخشى بن حمير فقال يا رسيل الله : غير اسمى راسم أن شعماه عبد الله بن عبد الرحمن قدما مضفى ربه أن يقتل شهيدا حيث لا يعلم به فقتل بيم الهدامة لماء في عبد الرحمن قدما مضفى يعم له بالدامة في عبدا له أقر.

(£2) تفسير ابن كثير ، وقد أخرج العديث ابن أبي حاتم أيضًا عن كتب ين مالك ، وانظر الطعسير المدير ، ٢٨٧/١ للذكتور وهية الرحيلي ، وتفسير الخامسي مجلد ٤ ص ١٩٣ .

(ه ۽ ١) آية المنافق ثارات .

رواه البشاري في الإيمان ح ٣٣ وفي الشهادات ح ٢٦٢٨ ، وفي الوصايا ٢٧٤٩ ، وفي الأدب ح ١٠٩٥ ، ومسلم في الإيمان ح ٩٩ ، ٧٤ ، والترمذي في الإيمان ح ٢٦٣١ ، وقال : حسن محموح .

(١٤٦) تفسير الكشاف .

(٤٤٧) مثل المؤمنين في تواهم وتراحمهم وتعاطلهم .

الهضاري في الأدب (٢١ - ٢) ، ومسلم في البر والصلة والأداب (٢٥٥٦) ، وأحمد ح ١٧٦٧٣ ٢ من حديث النعمان ابن بطير قال : قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتماطفهم كمثل الجسد إذا اطتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمي .

(84 ١) المؤمن للمؤمن كالبنيات يشد بعضه .

رواه البخارى في المسلة (٢٨٥١) وفي المطالم (٢٤٥٦) وفي الأدب (٢٠٧٦) ومسلم في البر والمسلة (٢٥٨٥) والترمذي في البر والمسلة (١٩٢٨) والنسائي في الزكاة (٢٩/٥) وأحمد في مستده (١٩١٧) من حديث أبي موسى الأشعرى عن الغبي ﷺ قال: إن المؤمن للمؤمن كالينبان يطد بعضه بعضا وشبك أصابعه .

(٩٤٩) جنتان من فعية آليعهما .

ى الله خارى فى تقسير القرآن (۲۰۸۷ ، ۴۸۸۰) ولى الترجيد (۲۶۵۶) ومصلم فى الإيمان (۱۸۰۰) وفى الجنة (۱۸۳۸) والترمذى فى صفة الجنة (۲۵۲۷) وابن ماجة فى المقدمة (۱۸۱۱) والدارمى فى الرقاق (۲۸۳۳) وأحد فى مسئده (۱۹۱۸) من حديث عبد الله بن قيس (ابى موسى الأشعرى) أن رسول الله 養 قال: إن فى الجنة خيمة من لزارة مجوفة عرضها ستون مرالا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الأخرين يطوف عليهم الدؤمنون وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وجنتان من كذا أنتهتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن .

(۱ ق ۱) في الجنة مالة درجة .

رواه البخاري في الجهاد والسيرح ، وفي الترجيدح ، وأحمد ح ، من حديث أبي هزيرة مرفومًا : من أمن بناله يعرسوله... الحديث ورواه الترمذي في صفة الجنة ح ٣٠٩٦ ، وأحمد ح ٣١٥٩٨ ، من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا : من صام رمضان وصفي الصلوات .. الحديث ورواه الترمذي أيضا في صفة الجنة ح ٣٢٥٠ .

وأحمد ح ٢٧١٨٧ ، ٢٢٢٣٧ ، من حديث عبادة بن العمامت مرفوعًا : في الجنة ماثة درجة ... الحديث . وأشار الترمذي إلى حديث ممالة أمدم من حديث عبادة بن العمامت رضى الله عقهما .

(٩ ه ١) إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة هل رحميتم ؟

تقدم من (۱۸۳۱) .

(١٥٢) من رأى منكم منكر؟ فليغيره .

مسلم فى الإيمان ح ۷۰ والترمذى فى الفتن ح ۹۸۰ وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى فى الإيمان ح ۴۹۲۰ ، ۹۲۳ ، وأبر داود فى الصلاة ۱۳۲ ، وفى الملاحم ح ۷۷۷ ، واين ماجة فى إقامة المسلاة ح ۱۲۲۰ ، وفى الفتن ح ۳۰۰ ، وأحمد ح ۲۰۱۱ ، ۱۳۶۲ ، ۱۰۹۱ ، ۱۱۰۹۱ ، ۱۱۲۸ من حديث أبى سعيد الفعرى .

(١٥٣) تفسير المنار ١٠/١٥٥.

(105) تفسير المنار (106) قال صاحب المنار ، إن قول عبد الله بن أبي هذا قد رواه الشيخان وغيرهما .

(۱۵۵) انظر تغسير القرطى ، وابن كليز ، واقضير النين للدكتور وهية الزجيلي ، وتفسير سورة التوبية للدكتور محمد سيد طعطارى، وتفسير أبى السعود ، حيث ذكر أن المشهور أن الإيات نزلت في تعلية بن حاطب وقبل : نزلت فيه وفى سهل بن الحرث ، وجد بن قيس ومعب بن قضر ، أى : في عقد من المنافقين ، ورجّح ذلك وشيد رهبا في تفسير المنار .

(١٥٢) ثمل الله اطلع إلى أهل يدر .

رواه البخارى في المغازي (٣٩٨٣) من حديث على رضى الله عنه قال: يعثني رسول الله ﷺ وأبا مركد الفتري وبازيور الدول المجاري وكان المواجعة الموا

(١٥٧) آية المنطق فلاث .

تقدم من (۱۹۰۷).

(١٥٨) انظر تفسير أبي السعود ، والفخر الرازي ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وحاشية الجمل على الجلالين .

(١٥٩) تفسير الكشاف ٢/٥٠٧ نشر دار المصحف، عبد الرحمن محمد.

(١٩٠٠) خاشية الجمل على الجلالين ٢٠٤/٢ .

(131) اللهم اغفر للومي فإنهم لا يعلمون .

رواه للبشارى فى أحاديث الأدبياء (۱۹۷۷) وفى استنابة المرتدين (۱۹۷۹) ومسلم فى الجهاد (۱۹۷۳) وابن ساجة فى الفتن (۲۰۵۰) وأحمد فى مسنده (۲۹۰۰) من حديث عبد الله بن مسعود قال : كأنى أنشر إلى للنبي 養 يمكى نبيا من الأنبياء ضريه قومه فالموه وهو يمسح الدم عن رجهه ويقول : اللهم اغائر تقومى فإنهم لا يطعون .

(١٩٢) تفسير مورة التوبة للدكتور محمد سيد طنطاوي ص ٤٤٩.

(۱۲۳) ناركم هذه جزء من واحد من سبعين .

رواه البشارى (٢٣٦٩) وسلم فى الجنة (١٨٤٣) والترمذي فى سفة جهنم (٢٥٩٩) والدارس فى الرفاق (٢٨٤٧) من حديث أبى الرفاق (٢٨٤٧) من حديث أبى مريدة أن اللبي ﷺ قال: فلزمكم مند التى يوقد ابن أم جزء من سيمين جزءا من حر جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال : فلزما فشما عليها بتسمة وستين جزءا عليه على حرياء الكرمذي في مسقة جهنم (١٩٥٩) من حديث أبى سميد عن الذي ﷺ قال: غلزمه مند جزء من سيمين جزءا من خار جهنم لكل جزء منها حمياء ألي عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ورواه ابن ماجة فى الزهد (٢٩١٨) من حديث أبن بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ إن خلوكم هذه جزء من سيمين جزءا من ثار جهنم وابلا أنها أطفلت بالماء مراين

(\$ 4 9) إن أهون أهل النار علنايا من له تعلان وهراكان .

رى اد للبشارى في الرقاق (٢٠٦١ ، ٢٠٥٢) ومسلم في الإيمان (٢١٧) والقرمذى في صفة جهنم (٢٠٦٤ وأحدد في مسنده (٢٧٢٣) من حديث القممان بن بشور قال: قال رسول ش 續 إن أهون أهل النار عنابا من له تعالن وشراكان من نار يقلق منهما دماغه كما يقلق المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عنابا وإنه لأهونهم عنابا .

(١٩٥) إنَّ الله جعل الحق على نسان عمر وقليه .

رواه الترمذي في المناتب (٣٦٨٧) وأحمد في مسنده (٩٣٢) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إن الله جمل المهاب فيه المقال من مدي وقال فيه عمر أو قال ابن المهاب فيه المع على نسان عمر وقال . وقال البن المهاب فيه المع على المعاب وقال على عمل على المعاب فيه على المعاب فيه عالية إلا نتي المعاب فيه عالية به المعاب فيه المعاب في المعاب وابن ماجة في المعاب في المعاب بن ذيه بن قابت وهو ثقة . وياه أبو داود في الفراج (٢٩٦٧) وابن ماجة في المعاب في المعاب في المعاب المعاب بن ذيه بن قابت وهو ثقة . وياه أبو داود في الفراج (٢٩٧١) وابن ماجة في المعاب فعل المعاب في المع

(١٩٦) إله قد كان فيما معنى قبلكم من الأمم محدثون وإنه .

رواه الهخاري في المناقب ح ٣٤٦٧ ، ٣٨٥٩ من حديث أبي هريرة عن الذبي ﷺ قال : إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتى هذه منهم فإنه عمر بن الغطاب . ورواه مسلم ح ٣٣٩٨ ، وأحمد ٣٣٧٥ ، والترمذي ٣٩٩٣ من حديث عائشة عن النبي ﷺ إنه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتى منهم أحد فإن عمر بن الفطاب منهم قال ابن وهب: تلسير محدثون : ملهمون .

(١٩٧٧) تفسير أبي السعود £ / ٩٣ ؛ وتفسير الكشاف للزماحشري ٧/٨ ، ٧ دار المصحف : عبد الرحمن محمد - القاهرة .

(١٩٨٨) زبدة النفسير من فتح القدير ، محمد سليمان عبد الله الأشقر طبعة أولى وزارة الأوقاف بالكويث ص ٢٥٦.

أخرجه مسلم (٥٥) والتسائل (٤١٩٧ و ٤١٩٨) وأبو داود (٤٤٤٤) ، وأحدد (١٦٤٩٧ و ١٦٤٩٤ و ١٦٤٩٨ و ١٦٤٩١) من حديث تميم الداري ، وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس ، وابن عمر .

(١٧٠) إن بالمدينة لرجالا ما قطعم واهها .

رواه البشاري في الجهاد (٢٨٣٩) ومسلم في الإمارة (١٩١١) وابن ماجة في الجهاد (٢٧٦٤، ٢٧٦٥) وأحمد في مسنده

 \star \star \star

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث

يحمد الله ويها تم الجزء العاشر

(فهرس موضوعات) محتويات الكتاب

		
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1754	﴿واعل من شيء﴾	٤١
1454	﴿إِذْ أَسْتُم بِـالْـعِدوةِ الْعَنْسِيا وَهِم بِـالْـعِدوةِ السَّقْصَوَى﴾	٤٢
1454	وَإِذَ يَسْرِيكِنِهِهِمَ اللهُ قَسَى مُسْتُسَامِكَ قَسَلَسِيلًا﴾	٤٣
1454	﴿ وإذ يسريك مسوه سم إذ السقسة سيستسم ﴾	££
1707	﴿يَا أَيْهِا الْدَيْسِنَ ءامضُوا إذا أَسَاسِيَّم﴾	٤٥
1401	﴿ وَأَخْسَدُ عَلَيْهِ	٤٦
1401	ولا تــكــونـــوا كـــالـــذيـــن هـــرجــوا	٤٧
1707	﴿وإذ زيدن اسهم الشيطان أعمسالسهم﴾	٤A
1707	﴿إِذْ يَكُولُ الْمَنْ افْكُونَ وَالْنَيْنَ فَيَ قَالِونِهِم مَرَضَ﴾	٤٩
1707	﴿ وَإِسْ تَسْرِي إِذْ يَسْتُوفُنِي النَّذِيثُ كَشَرُوا الْمَالِالْكَةُ ﴾	۵۰
١٧٥٦	﴿ذلك بِــمــــــــا قـــــــدمت أيـــــديـــــكـــــم﴾	٥١
1777	﴿كَنَابُ ءَالَ شَرَعُونَ وَالنَّذِينَ مِنْ شَبِئِهِم كَشَرِوا﴾	٥٢
1777	﴿ ذلك بِسَأَنَ الله لَسِمِ يك مُسقِسِينَ السَّعِسَانَ الله السَّمِ يك	70
1777	﴿كَدَأَبِ وَال فَسَرِهِ مِنْ وَالسَّذِيسِنُ مِسْنُ قَسِيلَتِهِم كَنْذِيسِ﴾	0 £
1771	﴿إِنْ شَـــــر الــــدراب عــــــدالله	00
1771	﴿السديسن عساهدت مستمهم ثمم يستقضيون﴾	70
1771	﴿ فَإِمَا تَدْ قَدْ فَيْهِمْ فَي الْمَصَرِبِ فَشَرِد بِنَهُمْ ﴾	٥٧
١٧٧١	﴿وإِما تَـضافَــن مــن قــوم خــيــانــة﴾	٨٥
١٧٧١	ولا يسسبن الدايس كندروا سينقسوا	04
۱۷۷۱	﴿واَعدوا لسهم مسا استسلسعتم مسن قسوة)	٦٠
1777	﴿وان جند صوا اساسام اساجنع اسها	17
1777	﴿وإن يسريسوا أن يسخسده واله فسإن حسبك الله	77
١٧٧٧	﴿والسف بسيسن قسلسويسهم لسو أنسفستن	75
1747	﴿يـــا أيـــهــا الـــــــي حســـيك الله﴾	3.5
1747	﴿ يِنَا أَيْنِهَا النَّبِي حَرِضَ الْمَوْمِنِينَ عَلَى الْقَبَّالِ ﴾	٥٢
1747	﴿الآن هـ ف ف الله عـ ذ ك م	77
1747	﴿ ساكان لىنىبى أن يكون لـه أسرى حــــى ﴾	٦٧
		1

	(3-3-034-)	•
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1747	﴿اولا كـــــــاب مــــن الله ســـــــــــــــــــــــــــــــــــ	۸۶.
١٧٨٧	﴿فَكَدَادِ عَا مُسَدِّاً عُدِّدُ مُسَاِّعًا مُسَالِّا﴾	14
١٧٨٧	﴿ يَا أَيِنِهَا النَّبِي قُلُ لَمِنْ فِي أَيِدِيكُمِ مِنْ الأَسْرِي﴾	٧٠
1747	﴿ وَإِنْ يَسْرِيسَنُوا هُسِيسَانَسَتُكُ فَسَقَدَ هُسَانَسُوا اللهُ﴾	٧١
1711	﴿إِنْ السندِسنَ ءامسنسوا وهسالهسروا وجساهسدوا	٧٧
1741	﴿ واللَّهِ عِنْ كَنْ فَسَرُوا بِسَعَفْ عِنْمُ أَوالْ بِنَاء بِسَعْضَ ﴾	٧٣
1741	﴿والندين ءامنسوا وهساجسروا وجساهسدوا	٧٤
1741	﴿والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٥
1747	تفسير سورة التوية	
1744	دروس من سورة التوية	-
14.0	﴿ بِــــاراءة مـــــن الله وريـــــواــــه﴾	١ ،
14.0	﴿ وَسِيدِ عِسِوا وَسِي الأَرضَ أَن عِسِهُ أَعْسِهِ رِ﴾	٧
١٨٠٥	﴿ وَأَذَانَ مَـــنَ اللَّهُ وربســواــــه إلــــى الــــــــاس	٣
14.0	﴿إِلا السنيسن عساهسدتسم مسن السماسركسيسن﴾	٤
141.	﴿ فَــَاذَا انْسِـالِسَحُ الأَشْهِرِ الْصَّرِمِ ﴾	٥
141+	ورإن أحد من المشركين استجاراه فأجره)	٦
1416	♦ كيف يكون للمشركيين عبهد عند الله ♦	٧
3/4/	﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة)	٨
1417	﴿اشتروا بِالسَّاتِ الله فعمنا قبليك ﴾	4
1417	﴿لا يسرقبون فسى مسرّمسن إلا ولا ذمسة﴾	١.
1417	ونان تايسوا وأقسامسوا المسلاة	11
1414	وإن نكشوا أيمانهم من بعد عهدهم	14
1811	﴿ أَلا تَبِقُ النَّالِينَ قَدِيمًا نُكِيثُوا أَيْمِ انْهِم	14
144.	«تــاتــلــىمــم يــمــنبــهــم الله بـــأيــديــكــم»	١٤
144.	(١٥
1411	وأم حسبتم أن تتركوا واما يطم الله الذين جاهدوا منكم	17
1477	وما كان للمشركيان أن يعمروا مساجدات	17
1477	(إنا يعمر مساجد الله من ءامن يساله)	14
		1. 1. 1

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1444	وأجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام	11
1444	﴿ الدنيس وامضوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ﴾	٧٠
۱۸۲۹	﴿ يبشرهم ربهم بسرهمة منه ورضوان وجنات ﴾	41
1444	﴿ <u>خااب،</u> ن فیریدا﴾	77
١٨٣١	﴿ بِ أَيْسِهِ السَّذِينَ وَامْسِنْكِ الْأَكْتِ عَسْنَوا ﴾	74
1741	﴿قــل إن كــان مايــاؤكــم وأيــنـاؤكــم	37
۱۸۳۰	﴿اللَّهُ عَسْرِكُمُ اللَّهُ فَسَى مُسْوَاطُسِنْ كَسَتُسْيَسِرَةً﴾	۲٥
1440	﴿ثم أَنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾	77
1740	﴿د_م يـــــد نلك﴾	77
1844	﴿ يَا أَيِهَا الَّذِينَ وَامْضُوا إِنْمَا الْمَسْرِكُونَ نَبِسٍ﴾	YA
1381	﴿السائسان السِدْيسِن لا يَسْنُ سَنْسِن بِسَالَهُ﴾	79
1381	﴿وقــاك الــهـهـود عــزهــرابــن الله﴾	۴٠
1001	﴿اتــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	41
1404	﴿يريدون أن يبطقتوا تبورالله بأقواههم﴾	77
1404	﴿هــو الــذي أرسـل رســواــه بــالــهـدي وديــن الــــــق﴾	44
1407	﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيرا من الأعبار والرهيان﴾	37
1407	﴿ يرم يحمى عليها في نار جهنم نتكرى يها جيامهم	40
1875	﴿إِنْ عَدَةَ الشَّهِسِ عَسْدِهُ اللهُ النَّسَا عَشْرَ شَهِسًا﴾	77 1
777.1	﴿إِنْمَا النَّسَىءَ زَيَادَةً فَى الْكَفَرِ يَضَلُ بِهَ الذِّينَ كَفَرُوا﴾	44
1874	﴿يا أيها الذين وامتوا مالكم إذا قيل لكم انفروا	4.4
1874	﴿الا تَسْمُسُونَا يَسْمُنْهِ عَمْدَايُكَا الْسَمْسَا﴾	79
1471	﴿ الا تــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٠
1478	﴿ إن المسلم ا	٤١
1448	ولوكان عرضا قريبا وسفرا قامدا	٤٢
1474	﴿عصفالله عسنك لسم أذنت لسهسم ﴾	73
NAVA	﴿لا يستندنك النين يومنون بالله واليوم الآخر ﴾	1.5
1444	﴿إِنَّمَا يَسْتَنْذُنْكُ الَّذِينَ لَا يَوْمُنُونَ بِنَاتُهُ وَالَّيْوِمِ الْأَعْرِ	٤٥
١٨٨٠	والسو أرادوا السفسروج لأعسدوا لسه عسدة ﴾	٤٦

رقم الصفحة	أول الآيبات	رقم الآية
144.	﴿ الله خسر الله الله عنه الله الله الله الله الله الله الله ال	٤٧
1447	﴿ لَقَد ابتِ قُوا الْمُتَنَّةُ مِنْ قَيِلَ وَقَلْبُوا لَكُ الْأُمُورِ ﴾	£A
1447	﴿ ومنهم من يقول الدن لي ولا تفتنى ﴾	٤٩
۱۸۸۰	﴿إِنْ تَمْسِيكُ سِنْ اللَّهِ تُسْرَعُ مِنْ الْحُمْسِمِ ﴾	٥٠
1440	﴿ إِلَّ اللَّهِ اللَّهِ لَا مِنْ يَصَيِيبُ ثِنَا إِلَّا مِنْ أَكِتُكِ اللَّهُ لَمِنْنَا ﴾	٥١
١٨٨٥	﴿قبل هـل تـريمسون بسنا إلا إمـدى الـحسـنـيـن﴾	٥٢
١٨٨٨	﴿قَــل أنــفــقـــرا طِـــرعـــا أن كـــرهــــا﴾	۳٥
١٨٨٨	﴿ورسا مستعهم أن تبقيل مستهم تبققاتهم﴾	30
١٨٨٨	﴿ فَـــالا تَـــهـــــهــــاك أمــــرالـــهـــم ولا أولايمـــم﴾	00
1851	﴿ ويصلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ﴾	٥٦
1841	﴿ لَـو يَــجَدُونَ مَـلَـجِـنًا أَو مَـغَـارَات أَو مَـدِهُـلا﴾	٥٧
1844	﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا	٥A
1847	﴿واللهِ أَسْهِم رضوا منا والساهيم الله ورسواسه	09
1448	﴿إنْ مِنَا الصِيقَاتِ لِلْفَقِيرَاءِ وَالْمُسِياكِينِ﴾	٦٠
1844	﴿ روس خصم الديس يسؤنون السنسيسي)	71
1855	﴿ يَسَعَالَ خَسِنَ يَسِاللهُ لَسِكُمِ لَسِيسَ مُسَانِكُم ﴾	7.7
1855	﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله وروسواته	74
14-4	﴿يحدر المنافقون أن تنزل علىسهم سورة﴾	7.5
14.4	﴿ولدُن سألتهم ليقولن إنما كنا نفوض وتلعب	70
14.4	﴿لا تَعَشَدُرُوا قَد كَفُرتَم بِعَد أِيْمَانَكُم﴾	77
19.7	والمناقبة ون والمناقبات بمنسهم من يعش	٦٧
14+4	ورعد الله المنافقين والمنافقات والكفار	٦٨.
14.4	﴿كالذين من قبلكم كانوا أهد منكم قوة﴾	79
1411	﴿الم يسأتهم نبا الذين من البالهم﴾	٧٠
1917	والمؤمنون والمؤمنات يعضهم أولياء يعض)	٧١
1917	ورعد الله المرابعة المرابعة والمرابعة الدجنات	VY
1917	ويناأينها النبي جاهد الكفار والمشافقين﴾	٧٣
1417	﴿ يَسِمُ لَلْمُ مِنْ يِسَالُهُ مِسَا قَسَالُوا وَلَكُ وَسَالُوا ﴾	٧٤

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1471	﴿ ومنهم من عاهدالله لندن واتنانا من فضله	٧o
1471	﴿ فَــلِـمَــا ءاتَــاهِــم مَــن فضياحه بِــــــــــــــــا بِـــه﴾	٧٦.
1441	﴿ فَسَأَعَدَ قَدِيدِ هِمَ مُسَفِّدًا فَسَى قَسَلُونِ عِيدِمِ ﴾	VV
1441	﴿ أَلَمْ يَسْعَلَمُ مِنْ أَنْ اللَّهُ يَسْمُلُمْ سَرَهُمْ وَنَجِواهُمْ ﴾	VA
1440	﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾	V4
1970	﴿اسبات قد قد راسه م أو لا تسال في قد راسهم)	٨٠
1444	وفرح المدخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله	۸۱
1974	وفرا بینسم کرا قبلیالا را بیپ کرا کشی سرا)	AY
1970	وندن رجعه الله إلى طسائد فية مستسهسم)	44
1981	﴿ ولا تمينان عبلني أحب منتبهم منات أينا ﴾	A£
1981	ولا تــــعـــجـــها أمـــوالــــهــم وأولادهـــم	۸٥
1471	﴿ وإذا أنسزات سسورة أن ءامسنسوا بساق	۸٦ .
- 1441	﴿رضوا بِانْ يَكُونِوا مِنْ الْسَعْدُوالِثُ﴾	AV
1447	ولسكين السرسول والسنيسن آمسنسوا مسعسه	٨٨
1977	﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾	. 45
1444	ورجساء السعسة رون مسن الأعسراب لسيسوان لسهسم	4.
198.	﴿ أَسِيسَ عَسَلَسَى المُستَعَسَقُسَاءَ وَلا عَسَلَسَى السَّمَسَرَمُسِينَ﴾	41
198.	﴿ ولا عباسى البذيبين إذا مبا أتسرك لبقت مباسهم﴾	44
1988	غتام الجزء الماشر	-
1980	ظی عادام التقسیر ثنوژه الماشر	_
1987	تشريع أمنديث وهوامش	-
1477	ظهرين موشوعات	-

تم يحمد الله تقسير الجزء العاشر ويليه تقسير البجزء الحادي عشر إن شاء الله تعالى

